توضيح المقاصد وتصحيح القواعد

في شرح

الشافية الكافية في العقائد

«نونية الإمام ابن قيم الجوزية»

تأليف

العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي الحنبلي

(١٢٥٧م - ١٣٢٩هـ)

حقق على نسختين خطيتين

يطبع كاملاً لأول مرة بزيادة الثلث عن المطبوع

دراسة وتحقيق

د. عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن الجبرين

الأستاذ المساعد في كلية الجبيل الصناعية

الجزء الأول

دار الخزانة

توضيح المقاصد وتصحيح القواعد

في شرح

الشافية الكافية في العقائد

«نونية الإمام ابن قيم الجوزية»

(١)

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

دار الخزانة

هاتف: ٠٠٩٦٥٩٠٩٠٩٢١١ - ٠٠٩٦٥٥٥٩٥٧١٠٣

هاتف المملكة العربية السعودية:
٠٠٩٦٦٥٦٢٠٠٠٧٣٣ - ٠٠٩٦٦٥٦٨٤٨٠٠١٩
dar.alkhezanah@gmail.com

شركة دار اللؤلؤة للطباعة والنشر

لبنان - بيروت
@daralloloaa

Daralloloaa@hotmail.com
٠٠٩٦١٧٠٦٥٤٤٦٠

سلسلة الرسائل الجامعية (١)

توضيح المقاصد وتصحيح القواعد
في شرح
الشافية الكافية في العقائد
«نونية الإمام ابن قيم الجوزية»

تأليف

العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي الحنبلي

(١٢٥٧م - ١٣٢٩هـ)

يطبع كاملاً لأول مرة بزيادة الثلث عن المطبوع

محقق على نسختين خطيتين

دراسة وتحقيق

د. عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن الجبرين

الأستاذ المساعد في كلية الجبيل الصناعية

الجزء الأول

دار اللؤلؤ

دار الخزانة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعبده، وعلى آله وصحبه من بعده، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فعلى مر العصور واختلاف الدهور يقيض الله تعالى لهذا الدين قومًا ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وكان من أولئك الأعلام العلامة أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن عيسى النجدي الحنبلي، المتوفى سنة ١٣٢٩هـ، الذي حمل لواء الدفاع عن العقيدة السلفية في بلاد الحجاز، وتحمل الأذى في ذلك، وألَّف المؤلفات المفيدة النافعة. ولأهمية ما كتبه هذا الشيخ في العقيدة، فقد عزمت بتوفيق الله تعالى على اختيار كتاب من أبرز كتبه لتحقيقه ودراسته، ليكون موضوعًا لرسالتي لنيل درجة الدكتوراة، وهو كتاب: «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح الشافية الكافية في العقائد» للشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي، دراسة وتحقيقًا وتعليقًا.

وسأذكر ما يتعلق بأهمية الموضوع وأسباب اختياره، ثم أهداف البحث والدراسات السابقة، وأختمه بعرض الخطة عرضًا مفصلًا، مع الإشارة إلى طبعات الكتاب، ووصف النسخ الخطية مع نماذج منها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لا شك أن أهم العلوم التي يجب أن تولى عناية خاصة علم العقيدة، فإن صحة الأعمال تنبني على صحة الاعتقاد، ومن الطرق المعينة على ذلك الاهتمام بمصنفات أهل السنة في أبواب الاعتقاد وخاصة القديمة المسندة لاحتوائها على الأدلة الكثيرة المقررة لأصول العقيدة الداحضة لشبهات المخالفين، وممن برزوا في هذا المجال من الأعلام الشيخ أحمد ابن ابراهيم بن عيسى النجدي أحد أئمة الدعوة النجدية، وكان من أبرز مصنفاته، شرحه لقصيدة ابن القيم الذي تميز فيه بسهولة العبارة مع غزارة المادة العلمية.

وتظهر أهمية هذا الشرح في الأسباب الآتية:

١- مكانة المؤلف العلمية، فقد تميز بسعة اطلاعه في مجال العقائد وكتب في ذلك الكثير.

٢-شمول الكتاب لأغلب مسائل الاعتقاد، وذكره أدلة أهل السنة فيما يستدلون به لتقرير عقيدتهم، وتقريره للأدلة السمعية والعقلية على أحسن وجه.

٣-نقله عن كتب مهمة هي في حيز المفقود كـ«الوصول إلى معرفة الأصول» لأبي عمر الطلمنكي، و«السنة» لأبي أحمد العسال، وغيرهم.

٤-استيفائه لشبهات المخالفين مع الرد عليها، وإبطالها بأوضح عبارة.

٥-تميز هذا الشرح بسهولة العبارة، ووضوح المعنى مع غزارة المادة العلمية، فقد قال المؤلف في نفس الكتاب (١/ ٥): «فهو كتاب جمع فأوعى، وحوى من كل شيء جنسًا ونوعًا، ومع ذلك لم أوثر الإطالة خوفًا من السآمة والملالة...».

٦-اهتمام العلماء وطلاب العلم بقراءة هذا الشرح وتدريسه.

٧-أن المطبوع من هذا الشرح قد وقع فيه حذف وسقط وتحريف للمعنى كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى

٨-أن هذا الشرح لم يحقق تحقيقًا علميًّا في أي مكان، بل الكتاب يحتاج إلى إخراج بصفة تليق بالكتاب ومكانة مؤلفه.

وكان الخلل والقصور في النسخة المطبوعة في أمور كثيرة منها:

(أ) وجود نقص كبير في النسخة المطبوعة وسقط ليس بقليل[1].

(ب) عدم ضبط النص، ووقوع التحريف والتصحيف في مواضع كثيرة.

(جـ) عدم توثيق النقول التي أوردها المؤلف.

(د) عدم التعليق على المصطلحات العلمية الواردة في الكتاب.

---

(١) انظر: (ص١٥٨) قسم التحقيق.

(هـ) لم يخرج المحقق الأحاديث ولا عرّف بالأعلام ولا بالأماكن.

(و) لم يعلق المحقق على المواطن التي تحتاج إلى تعليق[١].

الهدف من التحقيق الكتاب:

أولًا: إخراج هذا الكتاب المسمى «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح الشافية الكافية في العقائد» كاملًا محققًا ومعلقًا عليه.

ثانيًا: توضيح لكثير من المقاصد التي فات المؤلف توضيحها.

الدراسات السابقة:

لا أعرف أحدًا -حسب علمي- قبل ابن عيسى قام بشرحها سوى ما وجد من تعليقات العلامة عبد الرحمن بن حسن على ملخص لبعض الأبيات لا يتجاوز ثلاث ورقات، وكذلك ما وجد من تعليقات لابنه العلَّامة عبد اللطيف على أولها، وهي قطعة صغيرة أيضًا لا تتجاوز سابقتها.

وقد صرح الشيخ ابن عيسى بأنها لم تشرح من قبل بقوله: «... وعدم شرح لها يستضاء بنبراسه في دياجي المشكلات، ويبنى على أساسه في الأمور المعضلات»[٢].

وذكر في ترجمة ابن بدران أن له شرحًا على النونية، ولعله مفقود، وقد لخص هذا الشرح عثمان بن عثمان بن قائد النجدي[٣].

أما بعد ابن عيسى فتوجد عدة شروح:

١- شرح محمود شكري الألوسي، لايوجد منه إلا وصف الجنة، وهو معاصر لابن عيسى والتقى به في العراق. ← حققه اياد القيسي

---

(١) بل علق تعليقًا بعيدًا عن الصواب في غالب المواضع التي كتب فيها.

(٢) مقدمة توضيح المقاصد (١/ ٤).

(٣) ذكره ابن بسام في علماء نجد خلال ستة قرون (٣/ ٦٨٦).

٢- حاشية على النونية، للشيخ صالح القاضي (ت:١٣٥١هـ)[١].
٣- اشتهر عند خواص طلاب العلم، وجود شرح للشيخ عبدالله العنقري على النونية، وليس بصحيح، إنما له ولابن سحمان استدراك على بعض المواضع من شرح ابن عيسى.
٤- ملاحظات طفيفة على شرح ابن عيسى لسليمان بن عبد الرحمن بن حميدان.
٥- شرح الشيخ عبدالرحمن السعدي، وإنما هو تلخيص فقط، وهو مفيد جدًّا، وله آخر، اقتصر فيه على شرح توحيد الأنبياء والمرسلين.
٦- شرح محمد خليل هراس وهو جيد في الجملة، وعليه ملاحظات.
٧- شرح الشيخ محمد العثيمين، وهو شرح مختصر وجميل جدًّا.
٨- شرح الشيخ صالح الفوزان وهو مختصر أيضًا.
٩- تعليقات الشيخ عبدالعزيز بن باز، كانت منه نسختان: الأولى بخط الشيخ عبدالرحمن الفريان، ولا نعلم عنها شيئًا، والثانية نقلها عمي العلامة عبدالله بن جبرين من خط الفريان على نسخة والده، لكنها تلفت.
١٠- كشف الأستار عن كنوز الكافية الشافية للشيخ محمد مدخلي، وهو مطبوع.
١١- المقاصد العلية من القصيدة النونية، لمحمد أحمد سيد، لم يطبع حسب علمي، تقديم الشيخ عبد الرزاق عفيفي.
١٢- ومن الشروح المسجلة التي لم تطبع، شرح الشيخ سليمان بن علوان، شرحها وعلق عليها سنة ١٤١٥هـ والشرح موجود مع طلبة الشيخ.

أما هذا الشرح الذي بين يديك فهو النسخة التي أملاها المؤلف على حمد بن ناصر وعلق عليه الشيخان سليمان بن سحمان، وعبد الله العنقري، ونقلت باقي النسخ عنها.

---

(١) ذكره القاضي في روضة الناظرين (١/ ١٦٢).

خطة البحث

وتشتمل على مقدمة، وقسمين، وخاتمة:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وهدفه، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

القسم الأول: الدراسة:

التمهيد: عرفت فيها بالنونية وترجمت للشارح ترجمة مختصرة، ثم جعلت الدراسة على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التعريف بالشرح، وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: عنوان الشرح.

المبحث الثاني: نسبة الشرح للمؤلف.

المبحث الثالث: التعريف بالنسخ الخطية.

المبحث الرابع: موضوع الشرح وسبب تأليفه وأهم المسائل.

المبحث الخامس: مصادر المؤلف في كتابه.

المبحث السادس: منهج المؤلف في الشرح.

المبحث السابع: تقييم الكتاب.

المبحث الثامن: وصف الطبعات الموجودة للكتاب.

الفصل الثاني: الموازنة بين شرح ابن عيسى، والشروح الأخرى، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الموازنة بين شرح ابن عيسى ابن سعدي.

المبحث الثاني: الموازنة بين شرح ابن عيسى وهراس.

لمبحث الثالث: الموازنة بين شرح ابن عيسى والعثيمين.

الفصل الثالث: الردود على نونية ابن القيم، وقسمته إلى أربع مباحث، جعلت الأول منها تمهيدًا، ويليه ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: تمهيد في ترجمة السبكي والكوثري موقفهما من النونية.

المبحث الثاني: استعراض كتاب «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل» مع حاشيته للكوثري.

المبحث الثالث: أهم المسائل المردود فيها على ابن القيم.

المبحث الرابع: القواعد التي اعتمد عليها الاثنان في الطعن في النونية، وتفنيدها.

القسم الثاني: التحقيق:

وفيه بيان منهجي في تحقيق الكتاب، ثم وصف النسخ الخطية المعتمدة، وإخراج الكتاب كاملًا محققًا ومعلقًا عليه حسب منهج البحث المتبع في التحقيق.

القسم الأول

الدراسة

التمهيد

ترجمة مختصرة لشارح النونية

ترجمة موجزة عن الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى:

١- نسبه:

هو الداعية المصلح الحافظ الفقيه العالم الأديب: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن علي بن عطية، وعطية بطن كبير من بني زيد، فالشيخ أحمد بن عيسى من آل حمد الذين هم عشيرة من آل عبد الله الذين هم فخذ من آل عيسى(١).

٢- مولده:

وُلِد الشيخ أحمد في بلدة عشيرته شقراء عاصمة بلدان الوشم في اليوم الخامس عشر من ربيع الأول لعام ١٢٥٣هـ(٢).

٣- طلبه للعلم وعناية والده به:

نشأ الشيخ أحمد في حجر والده العالم القاضي الشيخ العلّامة إبراهيم بن حمد ابن عيسى، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم حفظ القرآن عن ظهر قلب(٣).

وكان أبوه يدارسه ويحثه على طلب العلم، فشرع الشيخ أحمد في طلب العلم بهمة ونشاط ومثابرة، فقرأ على أبيه، ولازمه ملازمة تامة في الأصول والفروع

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ٤٣٦).

(٢) انظر: مقدمة كتاب تشنيف الأسماع (ص٤٢)، قسم الوثائق، وثقه (١)، وهي ترجمة مطولة لابن عيسى.

(٣) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ١٥٥).

والحديث، إلى أن مات سنة (١٢٨١هـ)، كما لازم علماء الوشم في ليله ونهاره، ومن أبرزهم:

١- العلامة عبد الله بن عبد الرحمن بابطين، فقد لازمه في ليله ونهاره وارتحل معه فلم ينفصل عنه حتى مات سنة ١٢٨٢هـ، ثم رغب في التزود من العلوم، فسافر إلى الرياض، فلقي عددا من العلماء من أبرزهم:

٢- الشيخ العلَّامة عبد الرحمن بن حسن، وابنه العلَّامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن.

٣- مشايخ المجمعة، ولم تحدد المصادر التي ترجمت له الذين أخذ عنهم من المجمعة، إلا أن بعضها أشارت إلى أنه قرأ على آل عبد الجبار.

٤- كما سافر الى مكة وأخذ عن المحدث حسين بن محسن الأنصاري اليماني، ومنهم الشيخ محمد بن سليمان حسب الله المكي الشافعي المتوفى سنة ١٣٣٥هـ.

١- وفي العراق التقي مع محمود أفندي الألوسي صاحب كتاب: «روح المعاني» عالم العراق في وقته، ومنهم محمود شكري الألوسي صاحب كتاب: «غاية الأماني في الرد على النبهاني»[١]، وكذلك أبو البركات نعمان خير الدين الألوسي وغيرهم[٢].

تلاميـــذه:

كثيرون جدًّا، وحسبي أن أقتصر منهم على المشاهير:

١- الشيخ محمد حسين نصيف، والشيخ عبد القادر بن مصطفى التلمساني، وكان لهذين الرجلين جهود عظيمة في طبع كتب السلف، ومنها كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم.

---

(١) وكان هذا الرد بطلب من الشيخ أحمد بن عيسى، كما أخبرني بذلك العلَّامة الشيخ عبدالله بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فوصل الرد إلى بلاد نجد بعد سنة من طلب الشيخ ابن عيسى.

(٢) انظر: تشنيف الأسماع (ص٥٥-٦٥).

٢- الشيخ المؤرخ إبراهيم بن صالح بن عيسى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

٣- الشيخ المؤرخ عبد الستار الدهلوي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

٤- أبو بكر محمد عارف خوقير، وله مواقف مشكورة في نشر التوحيد

٥- محمد بن المكي بن عزوز.

٦- شمس الحق العظيم أبادي صاحب عون المعبود[١].

٧- محمد بشير السهواني صاحب كتاب: «صيانة الإنسان».

٨- علي بن عبد الله بن عيسى فقيه عصره على الإطلاق.

٩- سعد بن حمد بن عتيق.

١٠- عبد الله بن أحمد آل رواف الذي عين قاضيًا في مسقط بطلب من آل أحد أمراء آل جعلان، وكانوا حنابلة ثم قتل في بيته غيلة من بعض الأشرار[٢].

١١- ومنهم صالح بن عبد الرحمن الدويش، وكان من تجار اللؤلؤ، وكان ذا خلق كريم ومعاملة حسنة. وغيرهم كثير[٣].

وفاتـــــه:

توفي الشيخ أحمد بن عيسى في يوم الجمعة بعد الصلاة رابع جمادى الآخرة سنة (١٣٢٩هـ) في بلدة المجمعة[٤] رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وكان عليه دين، فبيعت لأجله مكتبته، وكان غالبها بخطه، وخط والده وخطها في غاية الضبط[٥].

---

(١) الوجازة في الإجازة (ص٤٣).

(٢) علماء نجد لابن بسام (٤/ ٢٨-٣١).

(٣) تشنيف الأسماع (ص٨٢) وما بعدها.

(٤) تراجم متأخري الحنابلة لابن حمدان (ص١٦٥).

(٥) انظر: تشنيف الأسماع (قسم الوثائق) وثيقة رقم (٩).

صفاته الخَلقية والخُلقية:

أما صفاته الخَلقية فهو رجل طويل نحيف الجسم يخضب بالحناء عليه سكينة ووقار»[(١)]. وكان كما قال الشيخ أبو بكر محمد عارف خوقير: «كان رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حسن المحاضرة، دمث الأخلاق، كثير الحفظ والسكوت، لا يتكلم إلا عن علم»[(٢)].

وكان شديد التواضع، حتى إنه إذا طلبه «الشريف عون الرفيق» أمير مكة أرسل مع خادمه حصانًا ليركبه، فيأبى إلا إذا كانت المسافة بعيدة، فإنه يركب في المواضع التي لا يمر فيها على أحد، فإذا قارب الأسواق نزل وذهب ماشيًا على قدميه وأمر الخادم أن يذهب بالحصان، وكان قد نقش على خاتمه: «الفقير إلى العليم أحمد بن إبراهيم»[(٣)].

آثاره العلميـــة:

للشيخ أحمد كتب كثيرة، لم نقف إلا على اليسير منها، وسأسوق ما أعرفه، وما وقفت في ذلك.

من هذه الكتب:

١- كتاب: «تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدراسي والحلبي».(مطبوع)[(٤)].

٢-كتاب: «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد» في شرح نونية ابن القيم.(مطبوع)، وهو كتابنا هذا.

٣- كتاب: «الرد على شبهات المستغيثين بغير الله». (مطبوع)[(٥)].

---

(١) قاله ابن حمدان كما في علماء نجد (١/ ٤٥١).

(٢) مسند الإثبات الشهيرة (٣/ ب).

(٣) انظر: تشنيف الأسماع (ص٤٦-٤٧).

(٤) طبع قديمًا طبعة، ثم قمت بتحقيقه لنيل درجة العالية الماجستير، وهو تحت الطبع بتحقيقي.

(٥) طبع بتحقيق الشيخ عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- كتاب: «تشنيف الأسماع في الرد على من خالف الكتاب والسنة والإجماع».(مطبوع)[١].

٥- رسالة في المعية. (مخطوط)[٢].

٦- رسالة في شرح حديث «نجد قرن الشيطان».(مخطوط)[٣].

٧- رسالة في شرح قول يزيد بن هارون في الاستواء (مخطوط)[٤].

٨- اختصار كتاب الأذكار للنووي. (مخطوط).

٩- فتوى في مسألة في الرهن. (مخطوط).

١٠- الرد على أحمد زيني دحلان. (مخطوط)[٥].

١١- تهديم المباني في الرد على النبهاني. (مفقود).

١٢- بلوغ الأماني في الرد على النبهاني (مفقود).

١٣- قصيدة في الرد على داود بن جرجيس. (مخطوط).

١٤- قصيدة في الرد على ابن مانع (مخطوط).

١٥- «الارتياض في ذكر الرحلة بين المجمعة والرياض». (مفقود).

١٦- اختصار كتاب شقائق النعمان.

١٧- مراسلات بينه وبين الشيخ عبد الله الخلف الدحيان، وصديق حسن خان، ومشايخه، وغيرهم.

---

(١) تحت الطبع بتحقيقي.

(٢) تحت الطبع بتحقيقي.

(٣) تحت الطبع بتحقيقي.

(٤) تحت الطبع بتحقيقي.

(٥) تحت الطبع بتحقيقي.

الفصل الأول

التعريف بالشرح

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: عنوان الشرح.

المبحث الثاني: نسبة الشرح للمؤلف.

المبحث الثالث: التعريف بالنسخ الخطية.

المبحث الرابع: عرض إجمالي للكتاب مع بيان سبب تأليفه.

المبحث الخامس: مصادر المؤلف في كتابه.

المبحث السادس: منهج المؤلف في الشرح.

المبحث السابع: تقييم الكتاب.

المبحث الثامن: وصف الطبعات الموجودة للكتاب.

المبحث الأول
عنوان الكتاب

عنوان الكتاب هو (توضيح المقاصد وتصحيح القواعد شرح الشافية الكافية في العقائد).

هذا هو العنوان الموجود على طرة النسخة الأصلية التي أملاها المؤلف على حمد بن ناصر العسكر ثم قرئت عليه، وعليها تصويبات بخط المؤلف نفسه، وكذلك النسخة التي نقلها الشيخ صالح بن دخيل الجار الله من نسخة المؤلف وأهداها إلى الشيخ عبد الله الخلف الدحيان، وكذلك النسخة التي نقلها الشيخ فوزان بن سابق، وهي في مكتبة الملك فهد الوطنية.

لكني وجد العنوان الموجود على غلاف النسخة المطبوعة هكذا:

(توضيح المقاصد وتصحيح القواعد شرح قصيدة الناظم الموسومة بالشافية الكافية في العقائد).

فهذه النسخة كتبت بخط سليمان بن عبدالرحمن حمدان وعلق عليها الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، فلا أدري هل هذا العنوان من تصرف المحقق، أو أن المؤلف ذكر هذا أولًا، ثم عدل عنه، واختصره في النسخة السابقة، فجاء سليمان بن حمدان فنقل عن تلك النسخة، وقد بحثت عن تلك النسخة فلم أجدها، كما سأبينه في المبحث التالي.

أما قال أبو بكر محمد عبد القادر خوقير في ثبته: «وسمعت منه بمكة شرح النونية في مجلدين»[1]. وهو من باب التسامح في ذكر العناوين.

فالخلاصة أن العنوان الذي اعتمده المؤلف هو العنوان الموجود على النسخة الأصلية، وباقي النسخ الخطية التي نقلت عنها سوى نسخة ابن حمدان، تتوافق في عنوانها مع نسخة المؤلف.

(١) مسند الإثبات الشهيرة (٣/ ب).

المبحث الثاني

نسبة الشرح للمؤلف

أما نسبة الكتاب للمؤلف فهو أشهر من أن يستدل عليه، وقد نسبه إليه غير واحد من العلماء، لكن يمكن الاستدلال على ذلك بأمور:

الأول: وجود الكتاب بخط المؤلف نفسه، والمؤلف نسبه إلى نفسه، كما هو موجود على غلاف النسخة الخطية التي بخطه.

فهذا يدفع توهم اختلاط الأمر بين ما كتبه من تأليفه، وما نسخه بخطه من كتب العلماء السابقين، مع الإشارة إلى أن المؤلف قد نسخ كثيرًا من كتب العلماء السابقين، حتى صار يملك مكتبة ضخمة جلها بخطه وخط والده.

الثاني: ذكر الكتاب في مراسلات العلماء:

١- جاء في الرسالة التي أرسلها الشيخ عبد الله الخلف الدحيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى المؤرخ الشيخ إبراهيم صالح بن عيسى في ١٢/ ١١/ ١٣٣٥هـ. «... وهل يتعذر نسخ شرح الشيخ أحمد[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ على النونية له... من يحسن النسخ»[(٢)].

٢- وجاء في الرسالة التي أرسل بها الشيخ صالح بن دخيل الجار الله إلى الشيخ عبد الله الخلف في تاريخ ٧/ ١٠/ ١٣٣٩هـ: «... ثم إني قدمت لكم كتابًا في ٣ شعبان مع علي بن محمد بن قاسم من أهل بريدة، ومعه أيضًا بقشة ضمنها «شرح الكافية الشافية» لبقية العلماء وعمدة الفضلاء العلّامة الشيخ أحمد بن عيسى -رحمه الله وعفا عنه- في جزءين مجلدين»[(٣)].

(١) أي ابن عيسى.
(٢) علّامة الكويت عبد الله الخلف الدحيان (ص١٤٦).
(٣) علّامة الكويت (ص٥٩).

الثالث: أن العلماء الذين ترجموا للشيخ أحمد بن عيسى، ذكروا هذا الشرح ضمن مؤلفاته:

١ - قال عبد الرحمن بن عبد اللطيف في مشاهير علماء نجد، وغيرهم، في ترجمة ابن عيسى: «ألف في الرد على أهل البدع.... وكتاب توضيح المقاصد وتصحيح القواعد شرح نونية الإمام ابن القيم المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»[١].

٢- وقال الشيخ عبد الله البسام رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «علماء نجد خلال ثمانية قرون»: «مؤلفاته...، شرح على النونية لابن القيم طبع في جزئين»[٢].

٣- وقال محمد بن عثمان في «روضة الناظرين»: «... وله مؤلفات عديدة من أبرزها شرحه على الكافية الشافية مجلدان»[٣].

فهذه النقول كافية في الدلالة على نسبة الكتاب للمؤلف.

---

(١) علماء نجد، وغيرهم للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (ص١٨٧).

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ٤٤٦).

(٣) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين (١/ ٦٧).

المبحث الثالث
التعريف بالنسخ الخطية

للكتاب عدة نسخ خطية بحسب ترتيبها الزمني وهي كما يلي:

النسخة الأولى: النسخة التي هي بخط المؤلف، كتبها يوم كان بمكة، وهي من تملك الشيخ محمد بن ناصر العجمي في الكويت، كما أخبرني بنفسه[1]، لكنها ليست كاملة.

النسخة الثانية: وهي التي أملاها الشيخ المؤلف على تلميذه حمد بن ناصر، وعليها تعليقات للشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ عبد الله العنقري، وعلق عليها سليمان بن حمدان في موضع واحد، وهي أهم النسخ، كما سيأتي.

النسخة الثالثة: هي النسخة التي كتبها الشيخ صالح بن دخيل[2]، وأرسلها إلى الشيخ عبد الله الدحيان بطلب منه، وهي منقولة عن سابقتها، وهي مهمة أيضًا.

النسخة الرابعة: هي النسخة التي كتبها الشيخ سليمان بن عبد الرحمن ابن حمدان بخطه وعليها تعليقات طفيفة للشيخ محمد بن مانع، وهذه النسخة كانت في قطر، وكانت من تملك الأمير الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني، وطبعت على نفقته الخاصة سنة ١٣٨٢هـ بالمكتب الإسلامي، ولما ذهبت إلى قطر للبحث عنها في مكتبة الأمير علي بن ثاني ضمن تملكاته لم أجدها، ولم أجدها في دار الكتب القطرية، واتصلت بالشيخ زهير الشاويش رَحِمَهُ اللَّهُ وسألته عنها، فقال: «ليست

---

(١) في مكالمة هاتفية وأخبرني أن الموجود منها ثلاثة أوراق فقط، وهي: الغلاف الذي عليه عنوان الكتاب بخط المؤلف نفسه وثلاثة أوراق، وورقتان من بداية الشرح.

(٢) علامة الكويت عبدالله الخلف الدحيان (ص٥٩).

عندي إنما أخذتها لأجل طباعتها فقط»، فقلت له: وهل أرجعتها لمن أعارك إياها بعد الطباعة، قال: «لا أدري!!».

النسخة الخامسة: هي نسخة الشيخ فوزان بن سابق، وهذه النسخة لا يوجد منها إلا أربعون ورقة فقط، رأيتها في مكتبة الملك فهد الوطنية ولم تصنف بعد.

هذه النسخ الخطية للكتاب، وكان الإشكال في النسخة الثانية، هل هي النسخة هي التي كتبها المؤلف بخطه يوم كان بمكة أم هي التي أملاها حمد بن ناصر، وبيعت على الأمير إبراهيم بن عسكر، فإن كانت الأولى فهي ناقصة، وإن كانت الثانية فهي كاملة.

على أن النسخة الأولى التي كتبها المؤلف بخطه هي عبارة عن مسوَّدة للكتاب، وقد جاء في الرسالة التي بعث بها الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى إلى الشيخ عبد الله الخلف الدحيان في تاريخ ١٥/ ٣/ ١٣٣٦هـ - يصف النسخة الأولى بأنه يوجد فيها طمس كثير، وتداخل في أسطرها، وقد ملأ حواشيها من التعليقات، وإذا ضاق الهامش كتب ورقة وألصقها في ورقة الأصل، والذي ألحقه أكثر مما في الأصل- قال فيها: «ومن طرف «شرح النونية» فعلى ما ذكرت لجنابكم سابقًا، أن الشيخ أملى مسودته[1] على حمد الناصر؛ لأن المسودة التي بخط الشيخ كثير طمسها، وكثير تعليقها، وتداخل أسطرها، ولا عرف حمد ينقلها، وأملاها عليه الشيخ وهي ما كملت، وجاء الشيخ بها معه لشقراء، وأبقاها عند الأخ عبدالله بن حمد الدوسري في مجلدين، وقد طالعتها في شقراء[2].

(١) يعني المسودة التي كتبها يوم كان في مكة.

(٢) هذا يعني أن الشيخ أملاها على حمد بن ناصر في المجمعة، ثم جاء بها إلى شقراء.

وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد ملأ حواشيها من التعليقات، وإذا ضاق الهامش كتب ورقة صغيرة وألصقها في ورقة الأصل، والذي هو ألحقه أكثر مما في الأصل، وبقيت النسخة في شقراء، وأنا قد تصفحتها، فلما توفي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أرسل الشيخ عبد الله العنقري لها لتباع في تركته، وأرسلها له الدوسري وهي التي بيعت على الأمير، ولما ورد علينا الخط ذاكر جنابك: أن الأخ إبراهيم بن عبد اللطيف ناقلها بقول بعض الإخوان لجنابك، وأن الذي وقفت عليه أنا لعله المسودة.

وإذ أن الحدرة طاريهم[(١)] يمشون، كتبت للدوسري أسأله وكتب لي خط تراه إن شاء الله وسط الخط[(٢)]، على إن ما غير إلا النسخة المذكورة، وهي مسودة فأكملت[(٣)] ثم انفهقوا الحدرة، وصار لي لازم في شقراء وطبيتها[(٤)]، وسألت الأخ إبراهيم[(٥)] هل هو ناسخ شرح المذكور، وقال: لا، استعرت المجلد الأول من الدوسري للمطالعة، ويوم ورد خط الشيخ العنقري يطلبه أعطيته الدوسري، وأرسله مع المجلد الثاني...»[(٦)].

فهذه الرسالة تبين قصة هذا الشرح، وهو أن الشيخ أحمد بن عيسى أملى مسودته على حمد بن ناصر، وبمعرفة من هو «حمد بن ناصر» ينحل الإشكال، وظاهر كلام المؤرخ يدل على أن الشيخ أملى المسودة في المجمعة على حمد بن ناصر،

---

(١) يعني: في نيتهم.

(٢) يعني وسط الرسالة.

(٣) هذا دليل على أن النسخة التي أملاها الشيخ على حمد بن ناصر كاملة ولله الحمد.

(٤) أي جئتها ونزلت بها.

(٥) يعني ابن عبد اللطيف الآنف الذكر.

(٦) علامة الكويت عبد الله الخلف الدحيان (ص٥٥)، وللتنبيه، فإن لغة هذه الرسالة كانت على اللهجة الدارجة بينهم في ذلك الوقت، ولذا رأيت أن أبقي الكلام على حاله دون تصحيح.

ثم جاء بها إلى شقراء، والنسخة مكتوبة بخط آخر غير خط ابن عيسى، ولا بد أن نعرف هل النسخة التي بين أيدينا هي النسخة الكاملة للكتاب أم هي المسودة التي كتبها في مكة ابتداءً، ونسخة حمد بن ناصر لم أكن أعرف عنها شيئًا؟!.

وقد ظهر لي من خلال كلام المؤرخ إبراهيم بن صالح أن النسخة التي كتبها حمد بن ناصر من إملاء المؤلف هي النسخة الكاملة؛ وقد حصلت على نسخة مصورة من مكتبة الملك فهد العامرة بالمخطوطات، فوجدتها بغير خط المؤلف المعروف!! ولم أجزم أنها بخط حمد بن ناصر فورًا؛ لوجود أكثر من ناسخ لهذا الشرح، ووجود تعليقات بخطوط مختلفة؛ وأيضًا أنا لا أعرف خط حمد هذا، وقد اتصلت بالأخ الفاضل عبدالله العسكر وهو من أقارب الشيخ حمد بن ناصر -الذي تبين أنه العسكر- عن تلك النسخة، فذكر أنه قد حصل على مصورة من تلك النسخة الخطية، فوجدها بخط جده حمد بن ناصر، فتبين أن النسخة التي بين يدي كاملة ولله الحمد.

وحمد بن ناصر العسكر -كاتب النسخة الكاملة-، قد ولد في أواخر القرن الثالث عشر، ومات سنة ١٣٥٧هـ[(١)]. أي أن حياته كانت في الفترة ما بين (١٢٩٩-١٣٥٧هـ)، وهو في هذه الفترة معاصر للشيخ أحمد بن عيسى ويعد من تلاميذه، ومن عادة الطلاب أن يبدؤوا بعلماء بلدهم، ثم يسافروا بعد ذلك إلى البلدان الأخرى؛ للتزود من العلم، فلعله قرأ هذا الشرح على الشيخ أحمد[(٢)] يوم كان في المجمعة، وأن الشيخ أحمد طلب منه أن ينسخ شرح النونية، ومع أن ابن بسام فاته ذكره في تلامذة ابن عيسى، إلا أنه ولد بالمجمعة، ونشأ فيها، وطلب

(١) علماء نجد لابن بسام (٢/ ١٢٩).

(٢) هذه النسخة التي نحن بصدد الكلام عنها قد قرئت كاملة على الشيخ المؤلف.

العلم فيها، وبعد أن أدرك في العلم رغب في الزيادة منه،فسافر إلى مدينة الرياض[١] ومصر ومكة للتزود بالعلم، وقد ذكر الشيخ ابن بسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه صاحب خط نير مضبوط، فلعله كان مشهورًا بذلك، فطلب منه الشيخ أحمد ما ذكرناه[٢].

والذي يفهم من كلام المؤرخ في أول الرسالة أن للشيخ نسختين:

الأولى: أن طمسها كثير وهي بخطه.

الثانية: أن تعليقها كثير.

الثالثة: تداخل أسطرها.

أما النسخة الثانية، فقد ذكر المؤرخ أن المؤلف قد ملأ حواشيها بالتعليقات، وإذا ضاق الهامش كتب ورقة صغيرة، وألصقها في ورقة الأصل، والذي هو ألحقه أكثر مما في الأصل»، والنسخة التي عندي ليس فيها طمس إلا يسير، لكن فيها أوراق ملصقة في عدد من الصفحات، وليست بكثيرة.

ولما وردت رسالة من الشيخ عبد الله الخلف للمؤرخ إبراهيم بن صالح -يذكر فيها على ما سمعه من بعض الإخوان أن الناسخ هو إبراهيم بن عبد اللطيف، وأن الموجود عند عبد الله بن حمد الدوسري هو المسودة، - أراد أن يتثبت، فسأل إبراهيم بن عبد اللطيف، هل هو ناسخ الشرح المذكور فقال: لا، وسأل الدوسري عن النسخة المذكورة، فأخبره بأنه لا يوجد عنده إلا نسخة واحدة هي المسودة، وهي كاملة.

---

(١) علماء نجد لابن بسام (٢/ ١٢٩).

(٢) راجع (أوراق ورسائل من حياة الشيخ حمد بن ناصر العسكر لعبدالله بن حمد العسكر). (ص١٩).

وكأن كلام الدوسري يتناقض مع كلام المؤرخ الذي أخبر في أول الرسالة أنها ما كملت. ولعل سبب الإشكال هو عدم الجزم بتعيين كاتب هذه النسخة المهمة. والأمر الآخر هو تداخل كلام المؤرخ في وصف النسختين، لكون الخطاب الذي جاء في الرسالة كان باللهجة العامية.

وبعد التأمل في تلك الرسالة، وقراءتها مرَّات، ظهر لي أن كلام المؤرخ كان موجهًا للنسخة التي كتبها أولًا بمكة، وكلامه عن النسخة الكاملة كان موجهًا للنسخة التي أملاها المؤلف على حمد بن عسكر، وبناءً على ذلك، فإن النسخة التي بيعت على الأمير، هي غير التي كتبت بمكة.

ومما يدل على ذلك أن الشيخ لما أملاها على حمد بن ناصر بدا له وضع زيادات ألحقها في الأصل كما يدل عليه كلام المؤرخ في الرسالة السابقة: «... وإذا ضاق الهامش كتب ورقة صغيرة وألصقها في ورقة الأصل، والذي هو ألحقه أكثر مما في الأصل».

فالأصل هو النسخة الأولى، والزيادات التي ألحقها ظهرت له أثناء إملائه لهذه النسخة على حمد بن ناصر، فكانت هي الكاملة، ولله الحمد.

المبحث الرابع

سبب تأليف الشرح

أما عن سبب تأليفه لهذا الشرح، فقد ذكر أن هذه النونية من عصر مؤلفها إلى عصره لم يقم أحد بشرحها، مع أنها احتوت على أصول وقواعد مهمة صحيحة، وبراهين ظاهرة في الرد على أهل البدع من صحيح المنقول وصريح المعقول(١).

قال في أول كتابه: «وبعد: فإن المنظومة المشهورة في الطريقة السنية والعقيدة الحنيفية المسماة بـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» لم ينسج ناسج على منوالها، ولم تسمع الدهور بشكلها وأمثالها، نظم الشيخ الإمام والعمدة القدوة الهمام، شيخ الإسلام والمسلمين، القائم ببيان الحق ونصر الدين، العابد الناسك، الورع الزاهد، شمس الدين، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد المعروف بابن قيم الجوزية، أسكنه الله الغرف العالية.

ولكنها من عهد مؤلفها وهي عروس لم يمط لثامها، وخود بكر لم يفتض ختامها، وليس يخفى ما تضمنته من أصول الفصول، واشتملت عليه من قواعد العقائد التي هي الحاصل المحصول، واحتوت عليه من الرد على أهل البدع والضلالة، والأقوال الباطلة المحالة، والمحدثات المضلة المخذولة، والخزعبلات المرذونة، كالوجودية، والجهمية، والمعتزلة، والرافضة، والحرورية، والكلابية، والمرجئة، والمجبرة، وغيرهم من أهل الضلالات، والأقوال المحالات، وقمع أباطيلهم بالحجج الظاهرة، والبراهين الباهرة من صحيح المنقول وصريح المعقول»(٢).

---

(١) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٤).

(٢) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٤).

أما عن موضوع الكتاب، كما قال المؤلف: «المحاكمة بين الطوائف، وإثبات صفات الباري رغم أنف كل مخالف...»[(١)].

وطريقة الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يسير مع ما في النونية فيذكر عقيدة أهل السنة في كل أصل من أصول العقيدة، ثم يرد بعد ذلك على المخالفين، ويذكر مع كل موضوع قواعد مهمة، وفوائد كثيرة، وقد تطرق لمسائل كثيرة.

(١) انظر: المصدر السابق.

المبحث الخامس

عرض إجمالي لمحتويات الكتاب

افتتح المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المنظومة بخطبة نثرية كشف فيها عن أهمية معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ووجوب محبته وذكره وطلب الزلفى إليه، وأنه لا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة أسماءه وصفاته؛ لأن الله إذا أراد أن يكرم عبدًا جمع قلبه على محبته وشرح صدره لقبول صفاته العليا، وبهذا يستنير قلبه ويتسع صدره ويمتلئ به سرورًا ومحبة، وكلما كان العبد بتلك الصفات أعلم كان به أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب.

أما من كان معرضًا عنها مبغضًا لها كان الله له أشد بغضًا وأعظم إعراضًا، حتى تعود القلوب على قلبين:

١- قلبٌ ذِكْرُ الأسماء والصفات قوته وحياته ونعيمه وقرة عينه.

٢- وقلبٌ مضروب بسياط الجهالة، فهو عن معرفة ربه ومحبته مصدود، وطريق معرفة أسماءه وصفاته مسدود.

وذكر كلامًا كثيرًا في وصف هذا القلب، ثم استهل القصيدة بمقدمة غزلية في الظاهر ومطلعها:

حكم المحبة ثابت الأركان ... ما للصدود بفسخ ذاك يدان

لكنه عنى بالمحبة إما قصيدته أو عقيدته أو محبة الله عَزَّوَجَلَّ، فإنها هي التي لا تزول أركانها، ولا يتزعزع بنيانها، لكن لما كانت القصيدة فيها غزل بالمحبوبة تعين أن تكون المحبوبة هي القصيدة؛ فإنه لا يجوز الغزل بمحبة الله تعالى ولا بتوحيده،

ويدل على ذلك قوله في الأبيات:

إن كُنْتِ صادقة التي حدثتِنِي ... فعليك إثم الكاذب الفتان

جهم بن صفوان........................ ....إلخ

فهذا يدل على أن هذه المحبوبة هي القصيدة.

ثم بعد حديثه عن تلك المحبة، دخل في الحديث عن أول من أفسد قلوب كثير من المسلمين، وهو الجهم بن صفوان، ثم استفاض في الكلام عن الجهمية بالتفصيل من البيت (٤٠-١٨٧).

ثم عقد مجلس التحكيم، وقد أحضر خمس طوائف وبين عقائدهم وآثارهم، وهم:

١. الاتحادية. ٢. الحلولية[1].

٣. نظَّار الجهمية والمعتزلة وبعض متأخري الأشاعرة.

٤. نظَّار جرهم مذهب جهم إلى الزندقة.

٥. ركب الإيمان وعسكر القرآن.

وقد قدم قبل ذلك بمقدمة جميلة بيّن فيها الأوصاف والآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب الحق عند المناظرة.

والمناظرة لابد أن تكون بحضور الحكمان، وهما: النقل الصحيح، ثم العقل الصريح مع الفطرة السليمة، فإن تخلف أحدهما؛ صارت المناظرة باطلة؛ فإن غالب

---

(١) الحلول والاتحاد: عقيدتان كافرتان تنسبان إلى الصوفية، وقد وقع كثير من الباحثين في الخلط بين الطائفتين، وجعلها فرقة واحدة، والصحيح أنهما فرقتان مختلفتان من الصوفية.

أما الحلول: فمعناه أن الله يحل في بعض مخلوقاته ويتحد معها كاعتقاد حلول الرب في عيسى عند النصارى. أما الاتحاد: فمعناه أن عين المخلوقات هو عين الله.

ويتلخص الفرق بينهما فيما يلي:

أولًا: أن الحلول إثبات لوجودين، بخلاف الاتحاد فإنه إثبات لوجود واحد.

ثانيًا: أن الحلول يقبل الانفصال، بخلاف الاتحاد فإنه لا يقبل.

انظر: مجلة البحوث الإسلامية (١٦٢/ ٤١).

المناظرات الباطلة مبنية على إما على نقل غير صحيح، أو أدلة عقلية ليست في مكانها، أو فطر فاسدة.

ثم تكلم عن الطوائف وبيّن عقائدهم وآرائهم، ثم بيّن مذهب الطائفة الخامسة -وهم أهل الحق- في أسماء الله تعالى وصفاته ورد على المخالفين لهم من الجهمية، وغيرهم على وجه الإجمال.

ثم تناول صفتين من صفات الله عَزَّوَجَلَّ بالتفصيل، وهما صفة الكلام وصفة العلو؛ لكونهما من أعظم المسائل التي وقع فيها نزاع بين أهل السنة والطوائف الأخرى، والحق فيها مع أهل السنة.

أما مسألة الكلام، فتكلم فيها عن إثبات صفة الكلام لله تعالى التي دلت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآثار السلف، وهي التي خالف فيها المتكلمين، ومنها نجمت فتنة القول بخلق القرآن التي امتحن فيها الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من السلف.

وتكلم عنها في نحو خمسائة بيت، جمع فيها الناظم أقوال الطوائف، ورتبها وفصل فيها، فذكر مسألة الكلام والخلاف في أن الكلام يقع بمشيئة الله تعالى أو لا؟ وهل كلام الله تعالى في ذاته، أم خارج ذاته؟.

ثم ذكر مذاهب الأشاعرة، والكلابية، والاقترانية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ثم ذكر مذهب أهل الحق ورد على المخالفين، ثم بدأ في الرد المفصل على المنكرين لصفة الكلام، ثم بين في رده الفرق بين ما يضاف إلى الله من الأوصاف، والفرق بين القراءة والمقروء، واللفظ والملفوظ، ثم عرض لمقالة الفلاسفة والقرامطة في كلام الله تعالى، ثم مقالات طوائف الاتحادية في كلام الله تعالى، ثم شرع في

مناقشة تلك الطوائف والرد عليها، ثم ذكر الأصلين اللذين قام عليها نزاع الناس في كلام الله تعالى، وهما: أولًا:أن فعل الرب هو مفعوله. ثانيًا: أنه غير مفعوله، وذكر القائلين بكلا القولين،ثم بين فساد قول الكرامية في كلام الله، ورد عليهم وعلى غيرهم في أفعال الله تعالى، وأشار في أثناء ذلك إلى بطلان قول الفلاسفة بقدم العالم، ثم ذكر خطر المعطلة من الفلاسفة وغيرهم وحربهم لله وللدين والمسلمين.

ثم بدأ بالرد المفصل على قول الفلاسفة القائلين بقدم العالم ثم أبطل اعتراض المتكلمين على القول بدوام فاعلية الرب تعالى وكلامه أزلًا وأبدًا، وتوسع في بيان شبههم وما يلزم كلامهم الباطل كالقول بفناء الجنة والنار وغير ذلك.

ثم عقد فصلًا في الرد على استدلالهم على إثبات الصانع بدليل الجواهر والأعراض المقطوع به عندهم، وأن ذلك فتح بابًا للطاعنين في الدين، الكائدين للإسلام وأهله.

وبعد ذلك انتقل إلى الكلام عن صفة العلو، وهي من أظهر الصفات التي جاءت بها النصوص المتواترة من الكتاب والسنة وأجمع على إثباتها الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وبدأ بفصل عنوانه: «... الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش إله يعبد، ولا فوق السماوات إله يصلى له ويسجد، وبيان فساد أقوالهم عقلًا ونقلًا وفطرة»، ثم شرع في مناقشة منكري العلو نقاشًا عقليًّا ألزمهم فيه القول بالعلو أو التناقض ومخالفة العقل والنقل والفطرة، ثم انتقل إلى بيان الأدلة النقلية على إثبات العلو وقسمها إلى إحدى وعشرين نوعًا.

ثم بعدما بَيَّن الحقَ في هذه الصفة العظيمة، وناقش المنكرين ورد عليهم، بَيَّن بعد ذلك أن السلاح الذي يستخدمه أهل البدع في ذلك هو التأويل، فعقد فصلًا

في: «... جناية التأويل على ما جاء به الرسول، والفرق بين المردود منه والمقبول»، وعدد بعد ذلك جناياتهم على التاريخ الإسلامي منذ نشأة الفرق ونشوب الحروب بين المسلمين إلى أن جاء نصر الدين الطوسي وجماعته بالتتار وفعلوا ما فعلوا.

ثم بدأ يذكر معنى التأويل عند السلف، وذكر الأمور التي تلزم مدعي التأويل لصحة دعواه، وبيَّن سبب غلط أهل التأويل في الألفاظ والحكم عليها بعدة معان، حتى أسقطوا الاستدلال بها، وكشف عن تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب، ورد على عدة تهم رمى بها المعطلةُ أهل السنةِ.

ومن أهم الشبه التي قادت المعطلة إلى نفي العلو وغيره من الصفات شبهة التركيب والتجسيم، وعقد فصلًا في ذلك سماه: «فصل في كسر المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقل الإيمان وحصونه جيلًا بعد جيل» واستفصل فيه عن مراد المعطلة بهذا المصطلح المحدث، ثم ذكر أن التركيب يطلق على ستة معانٍ:

الأول: تركيب الامتزاج.

الثاني: تركيب الجوار.

الثالث: التركيب من الجواهر المفردة، وهذا عند أهل الكلام.

الرابع: التركيب من الهيولى والصورة، وهذا عند الفلاسفة.

الخامس: التركيب من الذات والأوصاف.

السادس: التركيب من الوجود والماهية.

ثم عقد فصلًا في أحكام هذه التراكيب الستة، وأبان أن حقيقة التركيب تطلق في اللغة، ويراد بها المعنيان الأوليان، وهما الامتزاج والجوار.

وأما باقي التراكيب، فليس لها مستند لا في الشرع ولا في اللغة، بل هي

اصطلاحات حادثة جعلها أصحابها مطية إلى نفي صفات الباري تعالى؛ ثم رد على أصحابها وأبان عن ضعفها وتناقضها.

بعد ذلك تكلم عن التجسيم وهو -أيضًا- من المصطلحات الحادثة عند القوم لقصد نفي الصفات ثم أفرد فصلًا: «لكسر طاغوت التجسيم» الذي نفى به المعطلةُ صفات الله تعالى، وجعلوه حاكمًا على الكتاب والسنة، فإنهم قالوا: إن إثبات الصفات يلزم منه التجسيم، والتجسيم منفي عن الله تعالى، وعليه فإن الصفات منفية عنه.

وقد أجاب عن إلزامهم بثلاثة أجوبة:

الأول: منع هذا اللزوم، وأنه مجرد دعوى.

الثاني: على فرض صحة هذا اللزوم يقال: أين دليل نفيه؟ فلو كان ملزومًا قد نص الكتاب والسنة عليه، فإنه حق يجب قبوله، ولكن هيهات.

الثالث: هو الاستفسار عن مرادهم بالتجسيم، فإن كان معناه أن يكون الله تعالى قائمًا بنفسه عاليًا على خلقه، مستويًا على عرشه، فهذا حق يجب القول به، وإن كان مرادهم تشبيه الله سبحانه بالمخلوقين، فهذا باطل، يجب نفيه عن الله تعالى.

ثم تكلم بعد ذلك عن أقسام التوحيد، والفرق بين توحيد المرسلين، وتوحيد النفاة المعطلين.

وقد ذكر أقسام للتوحيد عمومًا، وحصرها في خمسة أقسام، وعقد لكل قسم فصلًا:

فالقسم الأول: توحيد الفلاسفة أتباع ابن سينا، وحقيقته: أن لا يثبت لله تعالى إلا الوجود المطلق المسلوب عنه كل معنى، فلا سمع له ولا بصر ولا قدرة ولا اختيار ولا علم له بالجزئيات، وأن العالم قديم أزلًا، دائم أبدًا وأن نوع الناس ما زال موجودًا منذ الأزل.

والقسم الثاني: توحيد أهل وحدة الوجود: وهو أن كل ما في هذا الوجود عين ذات الباري عَزَّوَجَلَّ.

القسم الثالث: توحيد الجهمية وحقيقته: نفي الأسماء والصفات عن الله تعالى.

القسم الرابع: توحيد الجبرية: وهو أن العبد لا فعل له ولا اختيار، بل ما يقوم به من أفعال، هو فعل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

وضلالات البشرية تنحصر في هذه الأقسام الأربعة.

القسم الخامس: توحيد الأنبياء والمرسلين، وقد أفاض القول فيه، فذكر أن توحيدهم نوعان: قولي، وفعلي.

أما الأول وهوالقولي: فهو نوعان: سلبي، وثبوتي.

أما السلبي فنوعان:

الأول: سلب النقائص والعيوب، وهو إما سلب لمتصل كسلب الموت والإعياء أو سلب لمنفصل كسلب الند والزوجة والولد.

والثاني: تنزيه صفاته عن التمثيل والتعطيل.

ثم فصَّل القول في النوع الثبوتي، وعدد كثيرًا من أسماء الله وصفاته وتكلم على معانيها.

أما النوع الثاني وهو الفعلي: فهو توحيد العبادة، وحقيقته:

إفراد الله بالعبادة وإخلاصها له، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع. ثم لما فرغ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بيان عقيدة الفرقة الناجية والرد على أعدائها، وبيّن بعد ذلك فضل التمسك بالكتاب والسنة، لا سيما في وقت الغربة، وما أعده الله تعالى لمن تمسك بهما من جنات النعيم، وفصل القول في ذلك، ثم فصلًا مطولًا فيما أعده الله لأولياءه

المتمسكين بالكتاب والسنة، وذكر تحته فصول كثيرة جدًّا، فصل فيها تفصيلًا لا يوجد مثله في كتاب آخر.

ثم بعد ذلك ختم المنظومة بفصل عنوانه: «فصل: في رغبة قائلها إلى من يقف عليها من أهل العلم والإيمان أن يتجرد لله ويحكم عليها بما يوجبه الدليل والبرهان، فإن رأى حقًّا قبله وحمد الله عليه، وإن رأى باطلًا عرَّفه وأرشد إليه».

ثم ذكر في هذا الفصل أنه ممتحن بعداوة أربعة أصناف من الناس:

- صنف جاهل متعالم.
- وصنف حاسد شانئ.
- وصنف مقلد لهما.
- ورابعهم: رذل خسيس الطبع، فضلةٌ في الناس لا في العير ولا في النفير.

ثم بعد ذلك شكى من ذهاب العلماء الذين يقدرون قدر هذه المنظومة، وسأل ربه أن يرزق بضاعته هذه تاجرًا خبيرًا يميز الذهب من الفضة والزجاج من الدر.

وفي آخر فصل، توجه إلى الله تعالى متوسلًا بأسمائه الحسنى أن ينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين، وختمه بحمد الله عَزَّوَجَلَّ والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله وصحابته والتابعين لهم بإحسان[1].

---

(١) انظر: الكافية الشافية، ط. عالم الفوائد.

المبحث السادس

مصادر المؤلف

كان الشيخ أحمد بن عيسى يمتلك مكتبة حافلة بالكتب السلفية، وكان مولعًا بالقراءة، وقد استفاد من مكتبته عددٌ كبيرٌ من العلماء، منهم شمس الحق العظيم آبادي صاحب «عون المعبود شرح سنن أبي داود».

وقد ظهر أثر ذلك في جميع مؤلفاته، وكثرة عزوه ونقله، مما يدل على أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ له باع طويل في معرفة الكتب والمصنفات، وبالأخص كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلَّامة ابن القيم رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وذلك يدل على كثرة مراجعه وتنوعها، وتوثيق نقولاته حتى من كتب أهل البدع. وقد ينقل أحيانًا عن بعض الكتب الشهيرة من غير توثيق ولا ذكر لاسم المؤلف[1].

أما عن مصادر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، فهي كثيرة جدًّا، وسوف أذكر كتب كل فن على حده، وهي على النحو الآتي:

أولًا: مصادره في نقل العقائد من كتب أهل السنة:

١. بدائع الفوائد لابن القيم (مطبوع).
٢. شرح العقيدة الأصبهانية لابن تيمية (مطبوع).
٣. جلاء الأفهام لابن القيم (مطبوع).
٤. خلق أفعال العباد للبخاري (مطبوع).
٥. الرد على الجهمية لابن أبي حاتم، يوجد منه نسخة خطية في الجامعة الإسلامية.

---

(١) مثل نقله عن ابن تيمية وابن القيم. وانظر على سبيل المثال: (١/ ٣٥٥-٣٥٨)، (١/ ٤٨٩-٤٩٠) (٢/ ٢٨١-٢٨٤).

٦. شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (مطبوع).
٧. الرد على الجهمية والزنادقة لأحمد (مطبوع).
٨. الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (مطبوع).
٩. منازل السائرين للهروي (مطبوع).
١٠. ذم الكلام للهروي أيضًا (مطبوع).
١١. السنة لابن أبي حاتم (مفقود).
١٢. مفتاح دار السعادة لابن القيم (مطبوع).
١٣. منهاج السنة النبوية لابن تيمية (مطبوع).
١٤. المسألة المصرية في القرآن لابن تيمية (مطبوع ضمن مجموع الفتاوى).
١٥. تفسير ابن تيمية لسورة الإخلاص (مطبوع).
١٦. مدارج السالكين لابن القيم (مطبوع).
١٧. طريق الهجرتين لابن القيم (مطبوع).
١٨. السبعينية لابن تيمية (مطبوع باسم بغية المرتاد).
١٩. عقيدة الطحاوي (مطبوع).
٢٠. الإيمان لابن تيمية (مطبوع).
٢١. العلو للذهبي (مطبوع).
٢٢. التسعينية لابن تيمية (مطبوع).
٢٣. رسالة الإمام أحمد بي المتوكل (مطبوع ضمن طبقات الحنابلة لأبي يعلى).
٢٤. ذم التأويل لابن قدامة (مطبوع).
٢٥. الصواعق المرسلة لابن القيم (مطبوع) ناقص، ويوجد مختصره كاملًا لابن الموصلي.
٢٦. السنة لابن أبي عاصم (مطبوع).

٢٧. السنة للخلال (مطبوع).
٢٨. إغاثة اللهفان لابن القيم (مطبوع).
٢٩. جلاء الأفهام لابن القيم (مطبوع).
٣٠. الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول لأبي الحسن الكرجي (مفقود).
٣١. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (مطبوع).
٣٢. شرح حديث النزول لابن تيمية (مطبوع).
٣٣. الفرقان لابن تيمية (مطبوع).
٣٤. التوحيد لابن منده (مطبوع).
٣٥. رسالة ابن أبي زيد القيرواني (مطبوع).
٣٦. الفرد لابن أبي زيد القيرواني (مفقود).
٣٧. العرش لابن أبي شيبة (مطبوع).
٣٨. رد الدارمي على المريسي المسمى بـ «النقض...» (مطبوع).
٣٩. الرد على الجهمية للدارمي (مطبوع).
٤٠. الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني (مطبوع).
٤١. الوصول إلى معرفة الأصول لأبي عمر الطلمنكي (مفقود).
٤٢. العظمة لأبي الشيخ ابن حيان (مطبوع).
٤٣. اجتماع الجيوش لابن القيم (مطبوع).
٤٤. عقيدة أصحاب الحديث للصابوني (مطبوع).
٤٥. التدمرية لابن تيمية (مطبوع).
٤٦. تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة لإبراهيم بن درباس (مفقود).
٤٧. عقيدة أبي حاتم وأبي زرعة ذكرهما اللالكائي في شرح أصول اعتقاده (مطبوع).

٤٨. الفتيا الدمشقية لابن تيمية (مطبوع) ضمن كتاب التسعينية.

٤٩. الصارم المنكي في الرد على ابن السبكي لابن عبد الهادي (مطبوع).

٥٠. تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (مطبوع).

٥١. شرح الأسماء الحسنى لابن القيم (لا أعلم عنه شيئًا).

٥٢. مفتاح دار السعادة لابن القيم (مطبوع).

٥٣. العبودية لابن تيمية (مطبوع).

٥٤. الرد على الجهمية والزنادقة لعبد العزيز الكناني (مفقود).وقد أخطأ من خلط بينه وبين كتاب الحيدة، وظنهما كتابًا واحدًا.

٥٥. مسألة الزيارة لابن تيمية (مطبوع).

٥٦. إعلام الموقعين لابن القيم (مطبوع).

٥٧. تعظيم الأمر والنهي لابن تيمية (مطبوع).

٥٨. غاية السؤل في علم الأصول لإبراهيم بن عبد الرحمن الفزاري والمؤلف وهم في ذكر اسمه (مخطوط) عندي.

٥٩. الرد على البكري لابن تيمية (مطبوع).

٦٠. الروح لابن القيم (مطبوع).

٦١. حادي الأرواح لابن القيم (مطبوع).

أما مصادره الأخرى في نقل العقائد: فهي كتب المتكلمين والفرق الأخرى عمومًا، وهي كالآتي:

٦٢. الكشاف للزمخشري (مطبوع).

٦٣. التذكرة للقرطبي (مطبوع).

٦٤. الفصوص لابن عربي الطائي الحاتمي (مطبوع).

٦٥. مفتاح غيب الجمع والوجود، لصدر الدين القونوي.

٦٦. القول المنبي في ترجمة ابن عربي للسخاوي (رسالة جامعية).

٦٧. بيان حكم ما في الفصوص للسيف السعودي (مخطوط).

٦٨. الإنسان الكامل للجيلي (مطبوع).

٦٩. إبطال التأويلات لأبي يعلى (مطبوع).

٧٠. الرسالة النظامية لأبي العالي الجويني (مطبوع).

٧١. حواشي الكشاف للقطب الرازي (مطبوع).

٧٢. الأربعين للرازي (مطبوع).

٧٣. شرح المواقف للسيد الشريف الجرجاني (مطبوع).

٧٤. المباحث المشرقية للرازي (مطبوع).

٧٥. تهافت التهافت لابن رشد (مطبوع).

٧٦. تبيين كذب المفتري لابن عساكر (مطبوع).

٧٧. رسالة الأشعري لأهل الثغر (مطبوع).

٧٨. المفصل للزمخشري (مطبوع).

٧٩. الأسماء والصفات للبيهقي (مطبوع).

٨٠. الغنية لعبد القادر الجيلاني (مطبوع).

٨١. الموجز للأشعري (مطبوع).

٨٢. التمهيد في أصول الدين للباقلاني (مطبوع).

٨٣. الذب عن أبي الحسن الأشعري للباقلاني.

٨٤. شرح المقاصد للتفتازاني (مطبوع).

٨٥. كشف أسرار الباطنية للباقلاني (مفقود)، ولعله نقل منه بواسطة.

طبع حديثا ١٤٤٢هـ

٨٦. مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (مطبوع).
٨٧. العواصم من القواصم لابن العربي (مطبوع).
٨٨. الملل والنحل لابن حزم (مطبوع).
٨٩. حياة الأنبياء للبيهقي (مطبوع).
٩٠. المنامات لابن أبي الدنيا (مطبوع).
٩١. شعب الإيمان للبيهقي (مطبوع).
٩٢. الرد على الكشاف لابن الخليل السكوني (مطبوع).
٩٣. الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (مطبوع).
٩٤. شرح الأسماء الحسنى للحليمي.
٩٥. شرح الأسماء الحسنى للبيهقي.
٩٦. عقائد النسقي للنسفي (مطبوع).
٩٧. شرح العقائد النسفية للسعد التفتازاني (مطبوع).
٩٨. أقسام اللذات للفخر الرازي (مخطوط).
٩٩. أساس التقديس للرازي (مطبوع).
١٠٠. الإبانة لأبي الطيب الباقلاني (مفقود).
١٠١. شكاية أهل السنة للقشيري (مطبوع).
١٠٢. العقيدة الوسطى لابن عربي.
١٠٣. شرح الرسالة لابن القاسم بن ناجي (مطبوع).
١٠٤. شرح المواقف للسيد الشريف الجرجاني (مطبوع).
١٠٥. شفاء السقام للتقي السبكي (مطبوع).

أما مصادره في السنة والحديث فهي دواوين الإسلام المعروفة، والمراجع الأصيلة التي اعتمد عليها علماء الإسلام السابقين وهي كما يلي:

١٠٦. صحيح البخاري (مطبوع).
١٠٧. صحيح مسلم (مطبوع).
١٠٨. المعجم الأوسط للطبراني (مطبوع).
١٠٩. سنن الترمذي (مطبوع).
١١٠. التمهيد لابن عبد البر (مطبوع).
١١١. مسند أحمد (مطبوع).
١١٢. صحيح ابن حبان (مطبوع).
١١٣. شرح السنة للبغوي (مطبوع).
١١٤. مستدرك الحاكم (مطبوع).
١١٥. سنن أبي داود السجستاني (مطبوع).
١١٦. مسند أبي داود الطيالسي (مطبوع).
١١٧. فتح الباري لابن حجر (مطبوع).
١١٨. سنن الدارقطني (مطبوع).
١١٩. مصنف ابن أبي شيبة (مطبوع).
١٢٠. النوادر للحكيم الترمذي (مطبوع).
١٢١. المختارة للضياء المقدسي (مطبوع).
١٢٢. مسند أبي يعلى الموصلي (مطبوع).
١٢٣. شرح الأربعين لابن رجب (مطبوع).
١٢٤. الأربعين البلدانية لعبد القادر الرهاوي (مطبوع).
١٢٥. الترغيب والترهيب للمنذري (مطبوع).

أما مصادره في الفقه وأصوله فنذكر منها:

١٢٦. الرسالة للشافعي (مطبوع).

١٢٧. منسك شيخ الإسلام (مطبوع).

١٢٨. شرح جمع الجوامع للزركشي (مطبوع).

١٢٩. مختصر المدونة لابن أبي زيد (مطبوع).

١٣٠. زاد المعاد لابن القيم (مطبوع).

١٣١. شرح مختصر التحرير للفتوحي (مطبوع).

١٣٢. التحرير في أصول الفقه للمرداوي (مطبوع).

١٣٣. الأم للشافعي (مطبوع).

١٣٤. القول المفيد في مدح النظر وذم التقليد للشوكاني (مطبوع).

أما كتب التفسير فنذكر منها:

١٣٥. تفسير الطبري (مطبوع).

١٣٦. تفسير القرطبي المسمى بـ «أحكام القرآن» (مطبوع).

١٣٧. تفسير الثعلبي (مطبوع).

١٣٨. أسباب النزول للواحدي (مطبوع).

١٣٩. البحر المحيط لأبي حيان التوحيدي (مطبوع).

١٤٠. تفسير الأصبهاني (لعله محمد بن بحر).

١٤١. تفسير البغوي (مطبوع).

١٤٢. تفسير ابن كثير (مطبوع).

١٤٣. تفسير ابن تيمية (مطبوع).

أما مصادره في التاريخ والتراجم فكثيرة جدًّا، وقد اعتمد ونقل عن أعظم مؤرخي الإسلام، ومنها:

١٤٤. السير لابن إسحاق (مطبوع).

١٤٥. تهذيب السيرة لابن هشام (مطبوع).

١٤٦. تاريخ الطبري (مطبوع).

١٤٧. ميزان الاعتدال للذهبي (مطبوع).

١٤٨. الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (مطبوع).

١٤٩. تاريخ ابن عساكر لابن عساكر (مطبوع).

١٥٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (مطبوع).

١٥١. تاريخ الإسلام للذهبي (مطبوع).

١٥٢. طبقات الحنابلة لأبي يعلى (مطبوع).

١٥٣. الخطط والآثار للمقريزي (مطبوع).

١٥٤. العبر للذهبي (مطبوع).

١٥٥. الكامل في التاريخ لابن الأثير (مطبوع).

١٥٦. سير أعلام النبلاء للذهبي (مطبوع).

١٥٧. فوات الوفيات لابن شاكر (مطبوع).

١٥٨. وفيات الأعيان لابن خَلِكّان (مطبوع).

١٥٩. تذكرة الحفاظ للذهبي (مطبوع).

١٦٠. روضة العلماء لابن حبان (مطبوع).

١٦١. ذيل ابن عبد الهادي على طبقات ابن رجب (مطبوع).

١٦٢. الاستيعاب لابن عبد البر (مطبوع).

١٦٣. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لعمر بن علي البزار (مطبوع).

١٦٤. مناقب الشافعي للفخر الرازي (مطبوع).

١٦٥. طبقات ابن سعد لمحمد بن سعد (مطبوع).

١٦٦. طبقات الشافعي لابن السبكي (مطبوع).

١٦٧. تاريخ ابن الوردي لابن الوردي (مطبوع).

١٦٨. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لأبي العباس أحمد بن الفضل اليعمري (مطبوع).

١٦٩. شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي (مطبوع).

١٧٠. الرد الوافر لابن ناصر الدين (مطبوع).

أما كتب اللغة والأدب فكثيرة ونذكر منها:

١٧١. ديوان رؤبة بن العجاج (مطبوع).

١٧٢. القاموس، وقد اعتمد عليه اعتمادًا كليًّا -إلا ما ندر- في تفسير الغريب (مطبوع).

١٧٣. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (مطبوع).

١٧٤. مختار الصحاح للقرطبي (مطبوع).

١٧٥. نقد الشعر لقدامة بن جعفر البغدادي (مطبوع).

١٧٦. الصحاح للجوهري (مطبوع).

١٧٧. شرح الشواهد الكبرى للعيني (مطبوع).

١٧٨. مجمع الأمثال للميداني (مطبوع).

١٧٩. غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرها (مطبوع).

فهذه المصادر في تلك الحقبة تعتبر مصادر كثيرة، فالشيخ أحمد يملك مكتبة كبيرة، جلها بخطه وخط والده رَحِمَهُمَااللَّهُ، وقد بيعت بعد موته ضمن تركة الشيخ[1].

فهذه الكتب قل أن تتوفر جميعها لأحد، فكثير من العلماء الأوائل لا يملكون كتبًا كثيرة، فاشتغلوا بالنسخ، فنسخوا كتبًا كثيرة جدًّا، ومنهم صاحب هذا الشرح، فعنده مكتبة ضخمة غالبًا بخطه وخط والده، لأنهما نسخا كتبًا كثيرة.

أما الكتب المفقودة التي نقل عنها الشارح، ففي الغالب -وبحسب استقرائي لكتبه- أنه كان ينقل بواسطة، مِنْ غير أنْ يذكر الواسطة، وأكثر الكتب المفقودة التي نقل عنها كانت بواسطة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، فإذا نقل عن أحد لم يعزو إليه طلبًا للاختصار.

(١) كان الشيخ أحمد بعد وفاته عليه دين، وكان يملك مكتبة كبيرة غالبها بخطه وبخط والده، وقد تفرقت على طلبة العلم آنذاك، فقد اشترى:

١- الأمير عبد الله بن إبراهيم العسكر شرح النونية الذي هو هذا.

٢- واشترى العلامة سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان كثيرًا منها.

٣- واشترى العلامة عبد الله الخلف الأحيان كثيرًا منها.

٤- واشترى حمد بن ناصر العسكر ناسخ شرح النونية جزء منها.

٥- واشترى الشيخ محمد بن عبد المحسن الخيال أجزاء منها بخط الشيخ أحمد.

المبحث السابع

منهج المؤلف في كتابه

يمكن تلخيص منهج الشيخ أحمد بن عيسى في النقاط التالية:

١- كثرة النقــول:

تميز شرحه بكثرة النقول عن عدد من الأئمة في مختلف العصور مما أكسبه قوة وأصالة، وأعطى به الشارح تصورًا مجملًا عن مشاهير العلماء في كل عصر، لكنه عندما ينقل عن بعض المشاهير قولًا أو رأيًا، أو أثرًا، فإنه يردفه بمكانته العلمية، أو يترجم له، وقد يذكر بعض الملح التي وردت في الترجمة، مما يجعل القراءة في مثل هذا الشرح شيقة لا تمل.

مثال ذلك: لما بدأ بشرح مقالة الوجودية[١]، ذكر كلام شيخ الإسلام في ذلك، فقال: «وقد كشف شيخ الإسلام ابن تيمية عن مقالات رؤوس هؤلاء الاتحادية ووضع كلام كل واحد منهم في رسالته إلى الشيخ نصر المنبجي...» ثم ذكرها.

ثم نقل عنه تكفيرهم فقال: «... ويوحون[٢] الجهال أنهم مشايخ الإسلام، وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق في الأمة مثل سعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وإبراهيم بن أدهم، وسفيان الثوري، والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، والشافعي، وأبي سليمان الداراني، وأحمد بن حنبل، وبشر الحافي، وعبد الله بن المبارك، وشقيق البلخي، ومن لا يحصى كثره إلى مثل المتأخرين.

---

(١) أصحاب وحدة الوجود.

(٢) يوصمون الجهال.

ثم ذكر من المتأخرين: «الجنيد، وسهل بن عبد الله التستري، وعمرو ابن عثمان المكي ومن بعدهم، إلى أبي طالب المكي، وعبد القادر الجيلاني، وعدي ابن مسافر، والشيخ أبي البيان، وأبي مدين، والشيخ عقيل، وأبي الوفاء، والشيخ رسلان، والشيخ عبد الرحيم، والشيخ عبد الله اليونيتي، والشيخ القرشي، وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز والشام والعراق ومصر والمغرب وخراسان من الأولين والآخرين. كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء...»[1].

ثم انتقل إلى العصور المتأخرة، فنقل عن السخاوي في: «القول المنبي في ترجمة ابن عربي» عن العلامة سيف الدين السعودي «أنه رفع سؤالًا إلى العلماء على رأس القرن السابع عن كتاب الفصوص لابن عربي...»، فذكر نص السؤال ثم قال: «فأجاب عن هذا السؤال جهابذة الإسلام، والعلماء الأعلام، كالشمس محمد بن يوسف الجزري وسعد الدين الحارثي، ونور الدين البكري، والزواوي المالكي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، ونجم الدين محمد بن عقيل البالسي، وبدر الدين بن جماعة، بأجوبة طويلة كافية شافية...»[2].

فإذا نقل قولًا، أو فعلًا لأحد هؤلاء أردفه بترجمة له، أو نصبه على خطأ ورد في النقل، كما نقل عن الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام أبي المعالي الجويني قوله: «قلت: كان هذا الإمام مع فرط ذكائه وغزارة علمه تتلون آراؤه، ففي كتاب الشامل وكتاب الإرشاد مشى على تأويل الصفات الخبرية، وفي كتاب الرسالة النظامية مشى على أن التأويل محرم...»[3].

---

(١) انظر: توضيح المقاصد (١/ ١٤٤-١٤٥).
(٢) انظر: توضيح المقاصد (١/ ١٤٩).
(٣) انظر: توضيح المقاصد (١/ ١٩١).

٢ - الأمانة العلمية، والدقة في النقل:

أهل الحق دائمًا يتميزون بالأمانة العلمية التي هي من صفات المؤمنين، وكل من يتصفح كل كتب أهل الحق يلمس هذا فيهم، وكتب المؤلف قد حظيت بهذا، ومنها هذا الشرح المبارك.

وهذا يتجلى في عدة صور منها:

١- طريقة تخريجه للحديث الواحد الذي روي بعدة روايات، كما ذكر الشيخ في شرحه حديث العباس بن عبد المطلب، قال: كنا بالبطحاء جلوسًا مع رسول الله ﷺ فمرت سحابة، فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون ما هذا...؟**» أخرجه أبو داود، وأخرجه ابن ماجه بلفظ آخر: ويرويه إبراهيم بن طهمان، وعمرو بن أبي قيس عن سماك، وقد حسنه الترمذي، وأخرجه الحافظ الضياء في المختارة، وأخرجه الذهبي من طريق آخر، وفيه: [ثم عد سبع سموات كذلك، ثم فوق ذلك بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء...] أخرجه الحافظ أبو عبد الله بن منده في كتاب التوحيد»[١].

٢- ومنها أنه في بعض المواضع أثناء شرحه للنونية يقارن بين النسخ أحيانًا فيذكر قولًا لبعض المفسرين، ثم يذكر أقوالًا أخرى هي بمعناه مع اختلاف اللفظ.

قال الشارح في أول الأبيات: «قوله: إني وقاض الحسن، أي: كيف يقدر الصدود على فسخه، وقد ثبت وتوطدت أركانه؛ وذلك أن قاضي الحسن نفذ حكمها، أي نفذ حكم المحبة وفي بعض النسخ «نفذ حكمه» والمعنى واحد»[٢].

---

(١) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٤١٨-٤١٩).

(٢) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٣٨).

٣- الموضوعية والعدل:

من صفات أهل السنة والجماعة: العدل مع الخصوم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ...﴾ الآية [النحل:٩٠]، وقد حقق الشيخ أحمد القول في مسائل عديدة مع التزامه بالعدل والإنصاف الذي ظهر جليًّا في مؤلفاته، ولعل ذلك يتجلى في عدة صور:

أولًا: النقل من مؤلفات المردود عليهم بدقة، وعدم تحريف كلامهم، أو الكذب عليهم، فإن الحق لا ينصر بالباطل، وقد تقدم شيء من ذلك.

ثانيًا: عدم مقابلة الظلم بمثله(١)، فأهل البدع يرمون أهل السنة بالبوائق، وأهل السنة لا يذكرون أهل البدع بما ليس فيهم.

ثالثًا: جرح من استحق الجرح بدليله، وتعديل من استحق التعديل بدليله، فلا يرفع الرجل فوق ما يستحقه، ولا يسرف في جرح المجروح بأكثر مما فيه، فمن استحق الجرح جرح بالدليل، ومن استحق التعديل عدل بالدليل.

٤- التكـــرار:

تكررت بعض المسائل، وبعض الأدلة بسبب كثرة النقول المختلفة من كل عصر، ولا يعد هذا من التكرار الممل الذي يتحاشاه المصنفون في العلوم الشرعية وغيرها، لكنه تكرار يدل على الاتفاق بين علماء أهل السنة في مختلف البقاع والأزمان، وهو من أكبر الأدلة على أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة.

---

(١) ومن أشهر القواعد المقررة عند الفقهاء قاعدة: الضرر لا يدفع بمثله، ولما قام الكذابون بالدفاع عن الصحابة -ضد الروافض- عن طريق الكذب على رسول الله ﷺ، انبرى أئمة الإسلام للتحذير منهم بأن الدفاع عن الإسلام لا يكون -أبدًا- بالكذب على رسول الله ﷺ؛ لأن الضرر لا يدفع بضرر مثله.

وقد حكى المؤلف أقوالًا كثيرة لعلماء السلف والخلف في إثبات العلو لله تعالى وذلك عند شرحه لقول المؤلف:

هــذا وســادس عشرهـا إجمـاع ... اهـل العـلم اعنـى حجة الأزمـان

فذكر قول البخاري، والترمذي، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وأبي حنيفة، ومالك، وابن المبارك، وابن خزيمة، والأشعري، والبغوي، وأبو الشيخ الأصبهاني، وغيرهم ممن جاء بعد القرون المفضلة، وقد تتكرر الأدلة والحجج والبراهين[١].

٥- الاستطـراد:

قد يستطرد الشيخ أحمد في بعض النقول أحيانًا خصوصًا إذا نقل كلامًا لشيخ الإسلام ابن تيمية، أو تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قال ابن القيم في النونية:

امـا إذا قـلـنـا لـه وجـه كما ... في الـنـص أو قـلـنـا كـذاك يـدان

قـامـت قـيـامـتـكم كـذاك الـ ... آتـي بـهـذا الـقـول في الـرحمن

قال الشيخ أحمد بن عيسى: «أي إذا قلنا: إن له تعالى وجهًا كما ورد به النص كما يليق بجلاله، أو قلنا: إن له سبحانه يدين، أو قلنا كما في النص: «إن القلب بين أصابع الرحمن»، أو أن الأصابع فوق العوالم، وأنه يقبض أرضه وسماءه في الحشر، وأنه سيكشف عن ساق، وأنه سبحانه يجيء لفصل القضاء وغير ذلك مما في كتاب الله، أو في صحيح السنة وحسنها من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل: قامت قيامتكم[٢]، ورميتمونا بكل حجر ومدر»[٣].

(١) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٤٣٩-٤٨٣).
(٢) جواب «إذا» في أول الشرح.
(٣) انظر: توضيح المقاصد (٢/ ٢٩٨-٣٩٩).

هذا ملخص شرح الأبيات كما بين الشارح، ثم قال بعد ذلك استطرادًا:

«ولنبسط الكلام في الوجه واليدين فنقول: وجه الله سبحانه حيث ورد في الكتاب والسنة فليس بمجاز، بل على حقيقته...»، فذكر كلامًا كثيرًا في ذلك ورد على إبطال تأويلات المعطلة، ثم تعرض لمسألة أخرى وهي تفسير الوجه بالقبلة، وناقشها نقاشًا طويلًا، ناقلًا عن كتاب الصواعق ما يدل على بطلان تفسير الوجه بالقبلة(١).

٦- سعة الاطلاع:

من يطلع على شرحه للنونية وردوده على أهل البدع؛ يتبين له سعة اطلاع هذا الرجل في علوم العقائد خاصة، وقد نسخ الشيخ أحمد بيده كثيرًا من الكتب، وخصوصًا كتب شيخ الإسلام(٢)، مما أكسبه إحاطة بكتبه، وقوة استحضار هائلة لأقواله، ولا يبعد أن يكون قد كتب مسودة هذا الشرح من ذاكرته، فقد قال في مقدمة شرحه للنونية: «... ولما كنت قد نبغت في هذه الفنون قديمًا، وصبغت بها أديمًا، وكنت للكتب وأرباب العلوم سميرًا ونديمًا، وبرعت في تلك العلوم، وكرعت في رحيقها المختوم... إلى أن قال: ومع ذلك فإن تحرير هذا الشرح في حال غيبتي عن كتبي، التي هي رأس مالي وعيبتي، إلا أن الله سبحانه بفضله أعان، وأمد بأسباب لم تخطر على الأذهان...»(٣).

(١) انظر: توضيح المقاصد (٢/ ٢٩٩-٣٠٧).

(٢) من أهم الكتب التي نسخها كتاب منهاج السنة لابن تيمية، وهي موجودة في مكتبة الملك فهد، ولم يطلع عليها الشيخ محمد رشاد سالم عند تحقيقه للكتاب، ونسخ كذلك كتاب التسعينية، وقد وقف عليها محقق كتاب التسعينية (١/ ٦٥) وجعلها النسخة الثانية، ولم يعرف أنها بخط ابن عيسى، فقابلته في كلية أصول الدين أثناء تحضير رسالة الدكتوراه، فذكرت له أنها بخط الشيخ أحمد بن عيسى، وكان حقها أن تكون هي الأصل؛ لأنها كتبت بخط عالم.

(٣) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٤-٥).

فالشيخ أحمد مشهور بقوة حافظته[١].

٧- **ظهور شخصيته:**

الشيخ أحمد في هذا الكتاب وفي غيره ليس ناقلًا فقط، بل ناقل وناقد، فقد خالف ابن القيم في بعض المواضع، وانتقده في ذلك، مع أنه ينقل عنه كثيرًا في هذا الشرح، وغيره.

قال الشيخ أحمد عند قول ابن القيم:

والعلم وصف زائد عن ذاته

لا خصوصية للعلم عن سائر الصفات؛ فإن مراد أهل الإثبات بقولهم: «نحن نقول بإثبات صفات لله زائدة على ذاته...»، فحقيقة ذلك أنا نثبتها زائدة على ما أثبته النفاة من الذات، فإن النفاة اعتقدوا ثبوت ذات مجردة عن الصفات، فقال أهل الإثبات: نحن نقول بإثبات صفات زائدة على ما أثبته هؤلاء. وأما الذات نفسها الموجودة فتلك لا يتصور أن تتحقق بلا صفة أصلًا، بل هذا بمنزلة من قال: أُثبتُ إنسانًا لا حيوانًا، ولا ناطقًا، ولا قائمًا بنفسه، ولا بغيره دلالة قدرة، ولا حياة، ولا حركة، ولا سكون، ونحو ذلك، أو قال: أثبت نخلة ليس لها ساق، ولا جذع، ولا ليف، ولا غير ذلك، فإن هذا يثبت ما لا حقيقة له في الخارج...[٢].

ومع هذا فهو بشر، وقد تفوته أشياء مهمة.

---

(١) انظر: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين (١/ ٦٩).

(٢) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٢٠٧).

٥- شدته على الخصوم وظهور حجته:

اتسمت شخصية الشيخ أحمد بن عيسى بالشدة والقسوة على أهل البدع، ولم أقف في ردوده التي اطلعت عليها على شيء من اللين مع أهل البدع.

وأهل العلم والإيمان مشهورون بشدتهم في الحق، وبشدتهم على أهل الباطل، والشدة عندهم في محلها، وفي حدودها، فمواقف الشيخ أحمد من أهل البدع لم تكن مواقف طائشة، أو متعجلة، بل كان قوي الحجة والبرهان، وقبل سياق أمثلة لذلك أذكر قصة حصلت له يوم كان بمكة ذكرها ابن عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تذكرة أولي النهى والعرفان»: أن الشيخ أحمد ابن عيسى جاء إلى الصوفية وهم في الحرم يرددون: هو... هو... فنصحهم وأثقل عليهم... فشكوه إلى الشريف عون قائلين: الوهابي يريد أن يفسد علينا ديننا، ويتدخل في كل شيء، ونحن نذكر الله، لا نذكر غيره، فأوغروا صدر الشريف عليه، وعندما جاء إليه كعادته تكلم عليه، وعتب عليه هذا العمل، فسكت الشيخ أحمد قليلًا ثم قال له: لو أن مجموعة من أصحابك هؤلاء صاروا ينادونك بـ«سيدي عو... سيدي عو...» فماذا تقول لهم؟ قال: أجازيهم، وأضربهم.

قال: ولماذا؟ قال: لأن (عو) ليس اسمي، إذ اسمي (عون)، قال: فهل «هو» من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟! عندها أدرك ذلك وأمر بمنعهم[1].

وقد أخبرني الشيخ محمد بن رمزان الهاجري عن بعض شيوخه أن رئيسهم في حلقتهم الصوفية هو القبوري أحمد زيني دحلان.

---

(١) الدرة النفيسة (ص٨٠-٨١).

وقال الشيخ أحمد بن عيسى في شرحه على النونية -وذكر قول ابن بطوطة في رحلته المشهورة-: «وكان دخولي لبعلبك، عشية النهار، وخرجت منها بالغد، ولفرط اشتياقي إلى دمشق، وصلت يوم الخميس من شهر رمضان المعظم عام ست وعشرين وسبعمائة إلى مدينة دمشق بالشام....وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام، يتكلم في الفنون...... فحضرته يوم الجمعة، وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا، كنزولي هذا، ونزل درجة من المنبر، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء...».

إلى آخر ما هذا به ابن بطوطة.

أقول[1]: واغوثاه بالله من هذا الكذب، الذي لم يخف الله كاذبه، ولم يستح مفتريه، وفي الحديث: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[2]. ووضوح هذا الكذب أظهر من أن يحتاج إلى الإطناب، والله حسيب هذا المفتري الكذاب؛ فإنه ذكر أنه دخل دمشق في ٢٩ رمضان سنة (٧٢٦هـ)، وشيخ الإسلام إذ ذاك قد حبس في القلعة، كما ذكر ذلك العلماء الثقات، كتلميذه الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي، والحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في «طبقات الحنابلة» فإنه قال في ترجمة الشيخ من «طبقاته» المذكورة: مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذي القعدة سنة ثمان وعشرين، وزاد ابن عبد الهادي: «أنه دخلها في سادس شعبان».

---

(١) القائل هو الشيخ أحمد بن عيسى.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي مسعود الأنصاري برقم (٥٧٦٩).

فانظر إلى هذا المفتري، يذكر أنه حضره وهو يعظ الناس على منبر الجامع، فياليت شعري هل انتقل منبر الجامع إلى داخل قلعة دمشق، والحال أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لما دخل القلعة المذكورة في التاريخ المذكور لم يخرج منها إلا على النعش...»(١).

وكذلك نقل الشيخ أحمد عن الدواني في شرح العقائد العضدية: «لا خلاف بين أهل الملة في كونه تعالى متكلمًا، لكن اختلفوا في تحقيق كلامه هل هو نفسي، أو لفظي؟ وصوته وقدمه، وذلك أنهم لما رأو قياسين متعارضي النتيجة وهما كلام الله تعالى صفة له، وكل ما هو صفة فهو قديم، فكلام الله تعالى قديم، وكلام الله تعالى مؤلف من حروف وأصوات مترتبة متعاقبة في الوجود، وكل وجود كذلك فهو حادث، فكلام الله تعالى حادث، اضطروا إلى القدح في أحد القياسين ضرورة امتناع حقيقة النقيضين، فمنع كل طائفة بعض المقدمات، فالحنابلة ذهبوا إلى أن كلام الله تعالى حروف وأصوات، وهي قديمة، ومنعوا أن كل ما هو مؤلف من حروف وأصوات مترتبة فهو حادث، بل قال بعضهم بقدم الجلد والغلاف»(٢).

قال: «قلت: فما لهم لم يقولوا بقدم الكاتب والمجلد؟!».

وذكر الشيخ أحمد كلام الدواني إلى نهايته(٣) ثم قال: وفيه أشياء يتعين التنبيه عليها:

الأول: قوله: «أن الناس لما رأو قياسين متعارضي النتيجة...» الخ. يقال: أكثر أهل الإسلام لم يرفعوا بالمنطق رأسًا، ولم يراعوا هذه القواعد، وإذا شئت أن تعرف ذلك، فانظر إلى ردود متكلمي أهل الإسلام على المنطق وبيان فساده وتناقضه، كأبي

---

(١) توضيح المقاصد (١/ ٤٩٧-٤٩٨).

(٢) الكلام للدواني.

(٣) وبعد أن انتهى الشيخ أحمد بن عيسى من نقل كلام الدواني، قال: انتهى كلام الدواني الذي هو في الوهن مثل بيت العنكبوت، وأحسن منه البكم والسكوت.

سعيد السيرافي البغوي، والقاضي أبي بكر بن الطيب، والقاضي عبد الجبار المعتزلي والجبائي وابنه وأبي المعالي الجويني، وأبي القاسم الأنصاري، وشيخ الإسلام ابن تيمية، فإن له في ذلك كتابين صغير وكبير.

ويا لله العجب! أترى المعتزلة والكلابية والكرامية أسسوا مذاهبهم على قواعد المنطق فضلًا عن السلف وأتباعهم؟[1]، هذا لا يظنه إلا أجهل الخلق، وأشدهم غفلة عن معرفة ديانات الناس ونحلهم.

الثاني: قوله: «بعض الحنابلة قال بقدم الجلد والغلاف» ثم تهكم بقوله: «ما بالهم لم يقولوا بقدم الكاتب والمجلد؟».

أقول: انظر إلى هذا الكذب المجرد، فبالله قل لي: من قال هذا القول منهم، وفي أي كتاب يوجد من كتبهم؟ ثم ذكر نحوًا من هذا عن الجويني ثم ذكر كلام شيخ الإسلام في الرد على هذه الفرية: ومعلوم أن هذا القول لا يقوله عاقل يتصور ما يقول، ولا نعرف هذا القول عن معروف بالعلم من المسلمين، ولا رأينا هذا في شيء من كتب المسلمين ولا سمعناه من أحد منهم...» إلى آخر ما ذكر.

وأقبح من ذلك قوله[2]: «وقيل إنهم منعوا إطلاق لفظ الحادث على الكلام اللفظي رعاية للأدب واحترازًا عن ذهاب الوهم إلى حدوث الكلام النفسي».

فيا لله العجب من هذا الاعتذار البارد، فإن الحنابلة لا يعتقدون ثبوت الكلام النفسي، بل ينفونه أشد النفي ويرونه من أعظم الباطل، والكلام عندهم اسم اللفظ والمعنى جميعًا، كما هو مذهب السلف -رحمة الله عليهم-.

---

(١) الظاهر أنه سبق قلم، ولعل العبارة: «أترى السلف وأتباعهم أسسوا مذاهبهم على قواعد المنطق فضلًا عن المعتزلة...»إلخ.

(٢) أي الدواني.

ويسأل هذا المتحذلق: هل يوجد كلام لفظي ليس له معنى؟ اللهم إلا كلام المجانين...

الثالث: قوله: «والكرامية لما رأوا مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة...» الخ.

يقال: إن كان مخالفة الضرورة ضارًا، فأصحابك الأشاعرة قد خالفوا الضرورة في إثبات المعنى النفسي، فالتزموا أن الساكت متكلم، والأخرس متكلم. وغير ذلك من الشناعات.

الرابع: قوله: «والمعتزلة قالوا بحدوث كلامه، وأنه مؤلف من أصوات وحروف، وهو قائم بغيره...» الخ.

يقال: هذا في الحقيقة هو قول أصحابك الأشاعرة، فإنهم قضوا بحدوث الحروف، إنها مخلوقة، وأصروا بأنها إنشاء جبريل، أو إنشاء محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو أنها خلقت في محل آخر، كاللوح المحفوظ والشجرة أو أن جبريل أخذها من اللوح المحفوظ، فكان حقيقة قولهم إذا قالوا إن محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنشأه: هو قول من قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]، ثم أصحابك أثبتوا شيئًا لا دليل على ثبوته، وهو المعنى النفسي، وخالفوا إجماع السلف، والمعتزلة جميعًا؛ فإن الكلام عند السلف والحنابلة اسم للفظ، والمعنى جميعًا.

وعند المعتزلة لا كلام لله تعالى إلا اللفظ المخلوق في محل، وأنه غير قائم بالله تعالى، وألزم السلف وأصحابك المعتزلة أن الكلام لا يكون كلامًا إلا لمن قام به الكلام، ثم نقض من نقض من أصحابك هذا الإلزام وقالوا: «الكلام يطلق على المعنى واللفظ بالاشتراك، فانهدم أصلهم الذي ردوا به على المعتزلة...»(١).

إلى آخر مناقشاته التي تدل على تبحره في علوم العقائد، وقوة حجته رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) توضيح المقاصد (١/ ٢٧٩-٢٨٤).

٦- الأسلوب الأدبي:

مع أن كتب الشيخ أحمد أخذت طابع القوة العلمية والتأصيل في الرد على الخصوم، إلا أن من يطالعها يجد في ثناياها الأسلوب الأدبي الماتع الذي لا يخلو منه كتاب، فالشيخ أحمد: عالم، وشاعر، وأديب، وقد شهد له بذلك شيخه العلَّامة عبداللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في الخطاب الذي رد فيه على الشيخ أحمد حينما طلب منه إجازة.

وقد رأيت بخط الشيخ أحمد خطابًا يرفعه للشيخ عبد اللطيف يطلب فيه إجازة، وقد اخترت منه هذه المقتطفات: «(الحمد لله مجيب من سأله، ومثيب عن علَّق عليه ورجاه وَأَمَّلَه، الكريم الذي من أقبل عليه قِبلَه، ومن أعرض عنه أرداه وخذله، الذي جعل العلماء قادة وسادة، وجلا دياجي الشبهات بأنوارهم الوقَّادةِ، وأظهر ببيانهم الدين، ورفع عماده، وأعلا بإيضاحهم الحق وأسس أطواده، أحمده على أن شاد بقدرته منارَ الدين، وخص هذه الأمة بأن جعل فيها مُجدِدِين، وأشكره على رفع التوحيد وعز بُنوده، وأسأله على خفض الباطل ومحى جُنوده.

اللهم صلي على أشرف ماشي وراكب، محمد الذي حاكى جُوده الغَمام السَاكِبْ، وزاحم شَرَفُه الكواكب بِالمناكِبْ، وعلى آله ذوي المكارم والمناقِب، وصحبه النائلين بصحبته أعلى المراتِب، وسلم تسليمًا كثيرًا:

من الفقير إلى الله تعالى أحمد بن إبراهيم العيسى إلى جناب شيخنا الوالد، حاوي طرف المجد والتالد، بحر العلم الزاخر، وبدر المجد الزاهر، الصادق عليه، المثل السائر «كم ترك الأول والآخر» الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن، بلغه في

الدارين أَمَلَه، وأصلح شأنه وتقبَّل عمله، ولا برِحَتْ تجارتُه غير خاسرة، وسعادة دنياه مُتصلة سعادة الآخرة. آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وفضله ونفحاته. وبعد:

فالداعي للداعي أن يكحل هذا الطرس بمسلك المداد: هو متواتر الشوق والوداد، والسؤال عن الأحوال العوال، لا زالت في اعتدال، ولم يحدث ما يحسن رفعه إلا الخير والسلامة، ودائم العافية والكرامة والحمد الله على إنعامه، حمدًا يوجب المزيد في إكرامه، وبعد:

فالمطلوب في إحسانك الطارف، والتالد، إجازتي -كما أجازني «شيخًا الوالد»[١]، قدس الله روحه ونور ضريحه- إجازة عامة، بجميع ما أخذته عن مشايخك النجديين والمصريين في كتب الإسلام من منقول ومعقول، وفروع، وأصول، رزقك الله الجواز على الصراط المستقيم وأجارك برحمته من عذاب الجحيم، إنه رؤوف رحيم).

وكان هذا الخطاب في عام ١٢٨٧هـ ويأتي الرد على هذا الخطاب من العلَّامة الشيخ عبد اللطيف ابن عبد الرحمن في الثاني من شهر صفر في نفس السنة ١٢٨٧هـ، وفيه يقول الشيخ عبد اللطيف بعد كلام سبق. (وقد أجزت به وبتمام الصحيح وسائر ما تجوز روايته عني الشاب النجيب، اللوذعي الأديب: أحمد بن إبراهيم ابن عيسى النجدي، إجازة مطلقة عامة بشرطها المقرر في محله...) ثم ساق كلامًا طويلًا في رواياته[٢].

(١) يعني به الشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن.
(٢) تشنيف الأسماع (ص٦٤).

وقال في مقدمة شرحه للنونية: «فدونك شرحًا يشرح الصدور، وتضيء من غصونه شموس وبدور، وتتجلى بجواهره اللبات والنحور، فهو كتاب جمع فأوعى، وحوى من كل شيء جنسًا ونوعًا...»(١).

وفي كتب الشيخ الأخرى نماذج كثيرة غير ما ذكرت، سيراها القارئ في حينها إن شاء الله تعالى(٢).

(١) توضيح المقاصد (١/ ٥).
(٢) انظر: الصفحات التالية من كتاب التنبيه (ص٣٥٣-٤٣٣-٦١١-١٠٥٦).

المبحث الثامن

تقييم الكتاب

اشتمل هذا الشرح على مزايا كثيرة نجملها فيما يلي:

أولًا: كثرة النقول من كتب كثيرة بعضها في حيز المفقود، وقد سبق ذكر ذلك مفصلًا في الفصل السادس بما يغني عن الإعادة.

ثانيًا: كثرة الأدلة التي يوردها في ثنايا شرحه للأبيات.

ثالثًا: بيان حال كثير من الكتب ومؤلفيها.

رابعًا: ذكره لكثير من ضلالات المعطلة وأهل البدع عمومًا، والردود والإلزامات التي ينقطعون دونها، وقد زاد على ما ذكره الناظم في مواضع كثيرة.

خامسًا: تميز هذا الكتاب بحسن العرض، وقوة النقد، بحجج ظاهرة وبراهين ساطعة.

ومع هذا فعلى الكتاب مآخذ قليلة لا يسلم منها إلا من عصمه الله تعالى أجملها فيما يلي:

أولًا: تضمن الكتاب على أوهام قليلة، نبه عليها عدد من العلماء الأعلام، منهم الشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ عبد الله العنقري، والشيخ سليمان بن حمدان، والشيخ محمد بن مانع -رحم الله الجميع-، وهي لا تقلل من أهمية هذا الكتاب.

قال الشيخ سليمان بن حمدان رَحِمَهُ اللَّهُ: «وله بعض أوهام فيه علق على بعضها شيخنا عبد الله بن عبد العزيز العنقري، وبعضها نبهت عليه أنا، وعرضت ما كتبته على شيخنا سليمان بن سحمان فاستحسنه، وقال لي ما معناه: لو لم تنبه عليه لكتبنا عليه»(١).

---

(١) علماء نجد لابن بسام (١/ ٤٥١).

ثانيًا: من المآخذ استدلاله لبعض الأبيات، أو اعتراضه عليها دون أن يشرح معناها، فالقارئ الذي يتصفح الكتاب، قد لا يعرف ما المقصود بتلك الأبيات أولًا لأجل أن يربط معناها باستدلال الشيخ، أو اعتراضه.

قال ابن القيم في نونيته:

فصل

وقضى بأن الله يجعل خلقه عدمًا ويقلبه وجودًا ثان

العرش والكرسي والأرواح والـ أملاك والأفلاك والقمران

إلى آخر الأبيات[1].

قال الشيخ أحمد بن عيسى في شرحه لهذا الأبيات: «هذا القول مبني على إثبات الجواهر...» الخ، ثم أورد كلام شيخ الإسلام في الرد على من قال ذلك عند كلامه على سورة الإخلاص، فذكر كلامًا طويلا[2].

فالمؤلف لم يبين للقارئ القول المبني على إثبات الجواهر، وهذا يرجع عندي أنها كتبت لأهل العلم لا المبتدئين بطلبه، كما تصور الشيخ سليمان بن حمدان على ما سيأتي[3]، فهي لا تعد ملاحظات قادحة حتى تفوت أولئك الأعلام، وينبه عليها مثلي.

ثالثًا: عدم ذكره لأقوال أئمة الدعوة النجدية:

من الأشياء التي أرى أنها من المآخذ، تركه لكلام أئمة الدعوة في تعليقهم على النونية، فالشيخ أحمد قد تتلمذ على بعض أحفاد إمام الدعوة وتلاميذه، كالشيخ

(١) الكافية الشافية لابن القيم (ص٣٧) باعتناء عبد الله العمير، دار ابن خزيمة.

(٢) توضيح المقاصد (١/ ٨٥).

(٣) علماء نجد لابن بسام (١/ ٤٥١).

عبد الرحمن بن حسن وحمد بن ناصر والطبقة التي تليهم، مثل حمد بن عتيق عبد اللطيف بن عبد الرحمن وغيرهم من أئمة الدعوة.

من ذلك قول الشيخ أحمد بن عيسى في شرح أول الأبيات: «افتتح الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المنظومة بشيء من النسيب، وهو التغزل والتشبب وكلها بمعنى واحد، وأما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بها وافقهن وليس مما ذكر في شيء، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ، وقد نبه على ذلك قدامة في كتابه (نقد الشعر)»[1].

وقد انتقده الشيخ العلَّامة محمد بن مانع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على النسخة التي نقلها العلَّامة سليمان بن حمدان من خط المؤلف فقال: «اعلم أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ شرح هذه الأبيات التي افتتح ابن القيم بها النونية شرحًا إذا تأمله طالب العلم وجده بعيدًا عن مقاصد ابن القيم.

وللعلَّامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن شرح لأول هذا النظم، ذكر فيه أن قاضي الحسن هو العقل، لأن أهل السنة يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين.

ثم بنى شرحه على ذلك، وهو شرح يقبله العقل ويليق بمقام الناظم -رحم الله الجميع-»[2].

قال الشيخ عبد اللطيف: «وقاضي الحسن يراد به العقل المحسن والمقبح، لأن أدلة الإثبات ضرورية؛ والتحسين والتقبيح العقلي ثابت عند أهل السنة والجماعة»[3].

---

(١) توضيح المقاصد (١/ ٣٨).

(٢) توضيح المقاصد (١/ ٣٨) طبعة المكتب الإسلامي.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٤٣٤-٤٣٩).

وقد يـراد بقاضي الحسن أئمة أهل السنة والحديث من سلف الأمة وأئمتها[١].

وفي النونية مباحث كثيرة وقواعد ومقاصد لابن القيم، فلو طرز هذا الكتاب بشيء من أقوالهم في تلك المباحث لكان لكتابه شأن عظيم، وقد ذكر في هذا الكتاب أقوالًا كثيرة لأئمة متأخرين ممن عاصر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ولم يذكر ولو قولًا واحدًا لإمام من أئمة الدعوة السلفية، مع أنه قد ذكر شيئًا من أقوالهم واستشهد بها في ردوده على دحلان والنبهاني وغيرهما.

ومن المعلوم أنه لا يوجد في العصور المتأخرة من هم أعلم الناس بالكتاب والسنة، والفهم الصحيح وفهم السلف، وكذلك معرفة التوحيد بأنواعه الثلاثة أكثر من أئمة الدعوة النجدية، وكلام السلف فيه تأصيل لأصول الدين وفروعه، وكلام أئمة الدعوة السلفية فيه تطبيق لذلك التأصيل، لأنهم أعلم الناس بأقوال السلف والمراد منها، فمن جمع بين التأصيل والتطبيق جمع الخير كله.

وقد ذكر لي الشيخ عبد السلام بن برجس أن الشيخ جاء للرياض قادمًا من مكة قابله الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن مفتي الديار النجدية في وقته، وحكى له ما حصل له من كيد القبوريين ومحاربته لهم، قال له الشيخ عبد الرحمن: شرهنا عليك إنك ما راسلتنا[٢]، والذي يظهر لي أنه لم يذكر أقوالهم؛ خوفًا من نفور الناس من الدعوة؛ لأن نشر دعوة الشيخ المجدد في مكة بدون ذكر اسمه يفي بالمقصود، والله أعلم.

---

(١) التعليق على الكافية الشافية، للعلّامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (ص٢١).

(٢) **الشرهة**: هي عتاب مع الحب.

قال الشيخ سليمان بن حمدان في تراجم متأخري الحنابلة: «بقي الشيخ المترجم بمكة حتى توفي الشريف عون، فرجع إلى بلده شقراء، وشرع في التعليق على قصيدة ابن القيم، وكان له اطلاع تام على الملل والنحل وأسماء الرجال، فلم يقدر له إتمامه على مطلوبه لاشتغاله بالقضاء، فكان ما كتبه عبارة عن مسودة لم تستوف الأبيات، لكنها تعين الطالب على فهم بعض المباحث، وكثيرًا من أبياتها لم يتكلم عليها، وكان في عزمه تكميله لكن فاجأه الأجل المحتوم...»[(١)].

انتهى ما أردت نقله عن ابن حمدان.

وفي هذا الكلام مؤاخذات:

الأول: قوله: (فكان ما كتبه عبارة عن مسودة لم تستوف الأبيات) وقد ذكرنا فيما سبق أن ما كتبه بمكة كان مسودة، لكنه بيّض تلك المسودة حينما أملاها على حمد بن ناصر الذي تحققنا أنه هو العسكر، وذكرنا سماع تلميذه محمد عارف خوقير لها بمكة كما في كتابه «مسند الإثبات الشهيرة».

الثاني: قوله: (وكثيرًا من أبياتها لم يتكلم عليها، وكان في عزمه تكميله، لكن فاجأه الأجل المحتوم...) يرد عليه من وجوه:

الوجه الأول: يرد على هذا القول العنوان نفسه «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد».

قال الشيخ أحمد بن عيسى في مقدمة الكتاب: «ولما كنت قد نبغت في هذه الفنون قديمًا... عنَّ لي أن أضع عليها شرحًا، يفتح مغلقها، ويقيد مطلقها، ويكحل

---

(١) تراجم متأخري الحنابلة (ص٢١) ونقله عنه ابن بسام في علماء نجد (١/ ٤٥٠).

جفونها، ويسهل حزونها..»[1]. فمن العنوان وهذا الكلام يتضح أن الشيخ لم يرد إلا التعليق والتوضيح، وفرق بين الشرح والتعليق.

الوجه الثاني: أن الأبيات التي لم تشرح في بعض المواضع قد شرحت من قبل، لأن المواضيع والمسائل المتكررة يتحاشاها كثير من المؤلفين خوفًا من الملل والسآمة. وكذلك التطويل.

قال الشيخ أحمد في مقدمة الكتاب: «... ومع ذلك لم أوثر الإطالة خوفًا من الملالة والسآمة»[2]. والأبيات التي تم شرحها من قبل وتكرر معناها يشير إليها بقوله: «تقدم معنى هذه الأبيات»[3].

الوجه الثالث: هناك أبيات لم تشرح من قبل ولم يتكرر معناها، لكنها واضحة في المقصود، لا تحتاج إلى شرح، ولم يقصد المؤلف شرحها.

الثالث: قوله: «لكنها تعين طالب العلم على فهم بعض المباحث» كلام مردود.

وفي تقديري أنه كتبها للعلماء لا لطلاب العلم، ففيها من المسائل والتراجم والآثار ما لا يقدر عليه طلاب العلم المبتدئين.

الرابع: قوله: «فكان ما كتبه مسودة...» كلام مردود، لأن المسودة كتبها في مكة، ثم قدم المجمعة، وأملاها على حمد بن ناصر، وأصلح بعض المواضع، وزاد في مواضع أخرى، ثم قرئت عليه كاملة بعد انتهائه منها.

---

(١) توضيح المقاصد (١/ ٤).
(٢) توضيح المقاصد (١/ ٥).
(٣) توضيح المقاصد (٢/ ٤٩).

على أن نسخة حمد بن ناصر أصح نسخ النونية، وهي التي بين أيدينا ولله الحمد. فالكتاب جيد في الجملة، وقد تميز بكثرة الأدلة والنقول عن عدد من العلماء في مختلف العصور.

ومسودة الكتاب التي كتبها بمكة، هي موجودة عند أخينا الشيخ محمد بن ناصر العجمي، كما أخبرني بنفسه في مكالمة هاتفية، لكنها ليس كاملة، وقد أشبعت الكلام عنها عند كلامي عن النسخ الخطية للكتاب.

المبحث التاسع
وصف الطبعات الموجودة للكتاب

طبع الكتاب ثلاث طبعات اعتمادًا على نسخة واحدة، نقلها ابن حمدان من من خط المؤلف وعلق عليها ابن مانع، وهي مليئة بالأخطاء.

وقد طبع الكتاب ثلاث طبعات:

الطبعة الأولى: سنة ١٣٨٢هـ بالمكتب الإسلامي بدمشق على نفقة الأمير علي بن عبد الله آل ثاني، وعدد صفحات الكتاب (١١٨٨ صفحة).

الطبعة الثانية: كانت سنة ١٣٩٢هـ، مصورة عن الأولى.

الطبعة الثالثة: كانت سنة ١٤٠٦هـ، وهي مصورة عن التي قبلها.

فجميع طبعات الكتاب بمثابة الطبعة الواحدة؛ لأن الثالثة مصورة عن الثانية، والثانية عن الأولى، وعدد الصفحات واحدة، والأخطاء والتصحيفات، والتحريفات لم تتغير في جميع الطبعات.

الفصل الثاني

الموازنة بين شرح ابن عيسى، والشروح الأخرى

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الموازنة بين شرح ابن عيسى وشرح ابن سعدي

المبحث الثاني: الموازنة بين شرح ابن عيسى وشرح محمد خليل هراس.

المبحث الثالث: الموازنة بين شرح ابن عيسى وشرح ابن عثيمين.

المبحث الأول

الموازنة بين شرح ابن عيسى وشرح ابن سعدي

والموازنة هنا ستكون من عدة أمور:

الأول: من جهة تحليل الألفاظ:

أما شرح ابن عيسى، ففيه عناية تامة بتحليل الألفاظ من بداية مقدمة ابن القيم إلى نهاية شرحه للنونية.

قال ابن القيم في أول النونية[1]:

«حكم المحبة ثابت الأركان ما للصدود بفسخ ذاك يدان»

قال الشيخ أحمد في شرحه[2]: «قوله «الصدود»: هو اسم مصدر يصد صدودًا».

قال في مختار الصحاح: «صد يصد -بضم الصاد- صدودًا، أعرض عنه، وصده عن الأمر: منعه، وصرفه عنه، من باب رد». انتهى.

فالشارح يعتمد في تفسير الألفاظ في الغالب -على القاموس المحيط- ثم مختار الصحاح، ولا يقف عند تفسير الكلمة فقط، بل يأتي بشواهد ذلك من كتاب الله، ومن سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم من كلام العرب وأشعارهم.

لكن في مواطن كثيرة يغيب عنه تفسير الألفاظ الواردة في الأبيات ثم ربطها بمقصد الناظم، وهذا مما يعاب عليه في هذا الشرح. فيهتم مثلًا بضبط اللفظ وينسى تفسير معناه، وقد يذهل أحيانًا عن ضبط اللفظ وتفسير معناه.

---

(١) توضيح المقاصد (١/ ٣٧).

(٢) توضيح المقاصد (١/ ٤٠).

قال الناظم -وهو يتكلم عن توحيد الخرافيين- من النونية (٢/ ٣٤٩- بشرح ابن عيسى):

فانظر إلى تبديلهم توحيده ... بالشرك والإيمان بالكفران

إلى أن قال بعد خمسة أبيات:

كمعير للناس بالزغل الذي ... هو ضربه فاعجب لذا البهتان

قال الشارح (٢/ ٣٥٠) معقبًا:

«الزغل بفتح الزاي» ولم يزد على ذلك، فلم يشرح الأبيات، ولم يفسر اللفظ ولم يربطه بالأبيات؛ لكي يظهر مقصود الناظم -رحم الله الجميع-.

ثم ساق الأبيات التي بعدها وأولها:

يا فرقة التنقيص بل يا أمة الـ ... دعوى بلا علم ولا عرفان

وذكر بعدها تسعة أبيات آخرها قول الناظم:

والله يشهد ذا بجذر قلوبكم ... وكذاك يشهده أولو العرفان

ثم قال الشارح معقبًا (٢/ ٣٥٠): «قوله: بجذر قلوبكم...إلخ، الجذر بالذال المعجمة قال في مختار الصحاح: جذر كل شيء أصله، بفتح الجيم الأصمعي، وبكسرها عن أبي عمرو. وفي الحديث: «إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال».

فهنا فسر معنى الجذر بما نقله عن الرازي في مختار الصحاح، واكتفى بذلك دون ربط اللفظ بمقصود الناظم في هذا البيت، فضلًا عن إهماله لبقية الأبيات دون شرح أو تعليق.

أما ابن سعدي في «توضيح الكافية الشافية» فيذكر خلاصة ما تدل عليه الأبيات، وقد فاته شيء كثير بطبيعة الحال،لكن شرحه الآخر الذي خصه لأبيات

التوحيد من النونية وسماه «التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين» هو شرح عظيم، وهو لا يقوم على تحليل الألفاظ بقدر ما يربط معاني الأبيات بمقصود ابن القيم والتنبيه على بعض المسائل، ولو شرح ابن سعدي النونية كاملة بمثل هذا الشرح الأخير لكان لذلك شأن آخر.

الثاني: من جهة شمولية المعنى:

أما شرح الشيخ أحمد بن عيسى فله في شمولية المعنى منهج يمكن أن يلخص في النقاط التالية:

الأول: أحيانًا يكتفي بذكر قول لبعض أهل العلم يدل على معنى الأبيات.

مثال ذلك: قال ابن القيم في نونيته[1]:

وجميع ما في الكون من بدع … وأحداث تخالف موجب القرآن

فأساسها التأويل ذو البطلان … لا تأويل أهل العلم والإيمان

إلى آخر الأبيات[2].

قال الشيخ أحمد في شرح هذه الأبيات: «اعلم أن كلام الناظم في هذه الأبيات هو معنى ما ذكره شيخ الإسلام في التدمرية، فإنه قال: «القاعدة الخامسة: إنا نعلم ما أخبرنا من وجه دون وجه، فإن الله قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، إلى أن قال: فإن لفظ التأويل قد صار متعدد الاصطلاحات مستعملًا في ثلاثة معانٍ:

---

(١) الكافية الشافية لابن القيم (ص١٣٦) بتحقيق على الحلبي - دار ابن الجوزي - سنة ١٤٢٥هـ.

(٢) الكافية الشافية (ص١٣٦ - ١٣٧).

أحدها: وهو اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه وأصوله ـ أن التأويل: «هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به...»، وذكر كلامًا طويلًا في ذلك[١].

الثانية: أحيانًا يشرح البيت شرحًا إجماليًّا دون أن يشير إلى قول أحد[٢].

الثالثة: أحيانًا يشرح الأبيات شرحًا تفصيليًّا، ويبدأ في أثنائه بسرد النقول عن الأئمة[٣].

بينما نجد ابن سعدي في توضيح الكافية الشافية يلخص في كل فصل ما تدل عليه الأبيات تلخيصًا إجماليًّا يركز فيه على مقصود الناظم من خلال سياق هذه الأبيات دون أن يستوعب فيه معاني جميع الأبيات، ولا يعول على تلك التفاصيل، ولا النقول التي ذكرها ابن عيسى»[٤].

والشرح بذكر المعنى الإجمالي، ثم تطريزه بأقوال أهل العلم، هو الأفيد لطالب العلم.

الثالث: ربط الأبيات بعضها ببعض:

فالشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال تلخيصه لأبيات كل فصل يتضح ربطه لمعاني الأبيات التي جعلها الناظم تحت فصل واحد. وبعبارة أوضح يحرص الشيخ ابن سعدي على ذكر المقصود من كلام الناظم تحت كل باب.

وقد سار على ذلك فـي الكتاب كله؛ لأنه التزم أن يأتي بخلاصة ما تحت كل فصل[٥].

---

(١) توضيح المقاصد (٢/ ١٢-١٣).
(٢) انظر: توضيح المقاصد (٢/ ٢٦، ٢٩-٣٥).
(٣) انظر: توضيح المقاصد (٢/ ١٠١).
(٤) انظر: توضيح الكافية الشافية (ص٣٣، ٤٢).
(٥) انظر: على سبيل المثال: (ص٢٦-٥٣) من توضيح الكافية الشافية.

أما الشيخ أحمد بن عيسى، فلم يلتزم بمنهج الربط للأبيات مع بعضها؛ لأن منهجه في الشرح قائم على شرح كل بيت على حده، لكنه في بعض المواطن يكتفى بشرح بيت واحد، أو كلمة واحدة من أبيات كثيرة تندرج تحت فصل واحد، فلا يكون قد أعطى المعنى الكامل حقه؛ مع أن مقصود الناظم لا يتضح إلا من خلال معرفة ما تدل عليه جميع الأبيات!![1].

والذي يتركه ابن عيسى بدون شرح، أو يكتفي بشرح بعضه، إما أن يكون مكررًا أو أن تكون الأبيات غير المشروحة لاتحتاج إلى شرح لوضوحها، وتوضيح الواضح من العبث، كما يقال في المثل.

الرابع: الاستدلال للأبيات:

لما قارن ابن القيم بين الفرق وبيَّن فسادها بسبب الاعتقاد، استثنى أهل الحديث فقال:

إلا طوائف بالحديث تمسكت	**تعزى مذاهبها إلى القرآن**
قالوا الذي تبغيه فوق عباده	**فوق السماء وفوق كل مكان**

إلى آخر الأبيات.

قال الشارح ابن عيسى: «يشير الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إلى أن هذا الركب أقروا بما دل عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، من العقائد التي تضمنها هذا الفصل، وذكر نصوص الفوقية والعلو والاستواء والصعود، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ

(١) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٣٨٦)، (٢/ ٦١-٦٢)، (٢/ ٨٥-٨٦).

﴿يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]... وذكر بقية الآيات، ثم ذكر حديث الإسراء بطوله[١]، وذكر بعده عدة أبيات يستدل لها بآية، أو حديث»[٢].

بينما نجد ابن سعدي يسرد مقصود ابن القيم من الأبيات التي ذكرها على وجه الإجمال[٣].

الخامس: التراجم والتعريف بالأماكن والبقاع:

تميز شرح ابن عيسى بكثرة التراجم والأعلام وكثرة التعاريف للأماكن والبقاع وغيرها، لكون الشيخ أحمد كان مشهورًا بسعة علمه بالتراجم والأعلام، ولا يكتفي بذكر الترجمة فقط، بل يذكر أحيانًا ما قيل في الرجل من أشعار وقصص ومواقف وغيرها من المِلَح[٤]، بينما لا نجد شرح ابن سعدي كذلك.

وبالجملة، فشرح الشيخ أحمد تميز عن شرح ابن سعدي بأشياء منها:

أولًا: تحليله للألفاظ.

ثانيًا: مصادر البيت.

ثالثًا: استدلاله للبيت الذي فيه إشارة لدليل.

رابعًا: تراجم الرجال والتعريف بالبقاع والأماكن والبلدان، وغيرها.

أما شرح ابن سعدي فتميز بذكر المعنى الإجمالي للأبيات، وقد فاته شيء كثير؛ لأنه لم يشرح إلا الفصول المعنونة، وهناك فصول كثيرة غير معنونة لم يعرج عليها أبدًا.

ولو جمع شرح ابن سعدي مع شرح ابن عيسى في كتاب واحد لكان لذلك شأنًا عظيمًا.

---

(١) انظر: توضيح المقاصد (١/ ١٩٧-١٩٨).

(٢) انظر: توضيح المقاصد (١/ ١٩٨-١٩٩).

(٣) انظر: كلام ابن سعدي في توضيحه على نفس الأبيات (ص٢٦)، وما بعدها.

(٤) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٧٤، ٨٣، ٢٩٣).

المبحث الثاني

الموازنة بين شرح ابن عيسى وشرح محمد خليل هراس

الموازنة سوف تشمل أمورًا:

أولًا: النقل لكلام أهل العلم:

أما شرح الشيخ أحمد بن عيسى فقد تميز في ذلك بما يلي:

١- كثرة النقولات والاستشهاد بأقوال أهل العلم ونصوصهم على المسائل التي يذكرها الناظم، فلا تكاد تمر صفحة إلا وفيها نقل من كتب أهل العلم يطول أحيانًا ويقصر أحيانًا بحسب الحاجة.

من ذلك نقله كلام العلماء في التحذير من ابن عربي وكتابه الفصوص حيث نقل من كتاب: «القول المنبي في ترجمة ابن عربي» للسخاوي عددًا كبيرًا من العلماء وفتاواهم وكتبهم، في التحذير من ذلك بلغت ٢٦ صفحة[(١)].

٢- اهتمامه بتوثيق نقوله لأقوال أهل العلم من مظانها.

٣- إذا نقل من كتاب عليه مآخذ وملاحظات نبه على ذلك في موضعه.

بينما نجد شرح خليل هراس يفتقد لهذه المزايا المذكورة، فليس فيه نقول إلا قليلة جدًّا.

وإذا نقل عن أحد قولًا عليه ملاحظات لا يعقبها برد ولا تفنيد، لكنه إذا نقل عن أحد من أهل العلم حرص على تمييز النص المنقول، فيضعه بين قوسين، ويشير إلى انتهائه بوضع رمز (اهـ) في نهايته ولا يدخله في كلامه، أو كلام غيره.

---

(١) انظر: توضيح المقاصد (١/ ١٤٨-١٦٤).

وهذه الميزة تميز بها شرح هراس عن شرح الشيخ ابن عيسى؛ لأن الأخير عند نقله لكلام العلماء يُدخِل أحيانًا كلام بعضهم ببعض، وأحيانًا يمزج كلامهم بكلامه، فلايعرف القارئ هل الكلام للناقل أو المنقول عنه.

وقد كنت عند عمي العلامة الشيخ عبدالله بن جبرين في بيته -أظنه في عام ١٤١٩هـ- وكان يتحدث معي عن مؤلفات ابن عيسى، فذكر منها كتاب (الرد على شبهات المستغيثين بغير الله) فقلت له: فقط، فقال لي وهو ينفض يده في وجهي: وله شرح النونية، فقلت له: قد شرحها محمد خليل هراس، فقال بيده يبعدها عنه الى جهة اليمين: (إيه) بإمالة الياء، تهوينًا من شأنه أمام شرح ابن عيسى.

ثانيًا: منهج الشرح للأبيات:

تميز شرح ابن عيسى عن شرح هراس بما يلي:

١- يهتم بشرحه لغريب الألفاظ في جميع النونية، وقد يتوسع في الشرح ويستشهد بلغة العرب وأشعارها، كما يهتم كثيرًا بشرح المصطلحات الفلسفية والعقدية، وينقل أحيانًا أقوال الفلاسفة من كتبهم، ويناقشهم ويرد عليهم، مما يدل على أن له باع طويل في كتب المنطق والفلسفة.

٢- يحرص على ربط أجزاء الكتاب بعضه ببعض بالإحالة إلى الموضع الذي وردت فيه المسألة تجنبًا للتكرار(١).

بينما تميز شرح خليل هراس بترتيب جيد لمادة الكتاب، فهو يذكر الأبيات أولًا، ثم يبدأ بشرح المفردات والألفاظ الغريبة ثم يشرح الأبيات شرحًا تحليليًا، لكنه لم يستمر على هذه الطريقة إلا أول خمس صفحات من الكتاب(٢).

---

(١) انظر: توضيح المقاصد (٢/ ٩١) (٢/ ١٣٢) (٢/ ١٣٣).

(٢) انظر: شرح النونية لمحمد خليل هراس (١/ ١٦-٢٠).

ثم يبدأ يسوق الأبيات ويتبعها بالشرح مباشرة، ويوضح المفردات أثناء شرحه وقد لا يشرحها، ثم رجع إلى الطريقة الأولى في صفحات قليلة من المجلد الثاني من الكتاب[1]، والأبيات التي فيها إشكال ولم يتعرض لها ابن عيسى، نجد هراس في شرحه يردد الألفاظ الواردة في تلك الأبيات فقط، دون تعويل على معنى، فإذا قرأت شرحه فيها لم تخرج بفائدة.

ولا أنسى القول بأن هراس اعتمد في شرحه على شرح ابن سعدي اعتمادًا كليًّا، فكان كتاب توضيح الكافية الشافية هو مادة شرحه للنونية.

ومن خلال هذا العرض نجد شرح ابن عيسى تميز عن شرح خليل هراس باهتمامه بتحليل الألفاظ من أول الكتاب إلى آخره، بينما لا نجد مثل هذا في شرح هراس الذي اكتفى بالشرح الإجمالي للأبيات وقد فاتته ألفاظًا كثيرة لم يتكلم عنها.

ثالثًا: المسائل والأبيات التي غاب معناها:

يشترك الشيخان ابن عيسى، ومحمد خليل هراس في ترك الخوض فيما عجزًا عن معرفته ولم تدركه أفهامهما، بل يصرحان بعجزهما عن فهم تلك الأبيات، ولا يتكلفان الكلام عليها بغير علم، وهذا من ورعهما وأمانتهما[2] رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

رابعًا: الأدلة النقلية والعقلية:

فالشيخ أحمد يهتم كثيرًا بعزو الآيات القرآنية، ونصوص الأحاديث النبوية التي يشير إليها الناظم رَحِمَهُٱللَّهُتَعَالَىٰ، وقد يستطرد في ذكر الأدلة.

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٥٧، ١٥٩، ١٩٠، ١٩١، ٢٧٧).

(٢) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٤٥٧)، وشرح خليل هراس (١/ ٢٥٢).

بينما يورد خليل هراس الآيات التي يستدل بها الناظم ولا يزيد عليها[(١)].

ولا يورد الشيخ أحمد الحديث إلا ويذكر من خرجه من أهل العلم إلا ما ندر، وقد يفصل -أحيانًا- في الحكم على بعض الأحاديث.

خامسًا: الأعلام الواردين في النظم:

نجد الشيخ ابن عيسى يهتم كثيرًا بتراجم الأعلام الواردين في نظم النونية، فلا يكاد يمر على علم إلا ويترجم له بتوسع، وقد يذكر أحيانًا بعض الملح والطرف الخاصة بالمترجم له، ويذكر في الغالب المصدر الذي نقل عنه[(٢)]، ولديه مكتبة ضخمة تضم كتب الرجال، حتى أن تلميذه شمس الحق العظيم آبادي صاحب عون المعبود شرح سنن أبي داود أطلع على تسمية شيوخ أبي دوود للغساني من مكتبة شيخه ابن عيسى.

بينما نجد الشيخ هراس يترجم لبعض الأعلام الواردين في النظم باختصار[(٣)].

سادسًا: الأحداث التاريخية والقصص:

يعتني الشيخ أحمد بالحوادث التاريخية التي يشير إليها الناظم ويفصل فيها، ويوثق نقله من مصادر كثيرة[(٤)]، بخلاف هراس فإنها قليلة عنده، وإن أوردها فمن غير توثيق[(٥)].

---

(١) انظر: شرح النونية للهراس (١/ ٣٧، ٤٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧)، (٢/ ٨، ١٤، ١٧، ٣٨٧).

(٢) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٢٤٥-٢٤٨) (٢/ ٩٠).

(٣) انظر: شرح النونية لهراس (١/ ٩٣)، (١/ ١٤٠)، (٢/ ١٤٩).

(٤) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٣٦٢) (٢/ ٣) (٢/ ٩) (٢/ ٨٨) (٢/ ١٥٩).

(٥) انظر: شرح خليل هراس (١/ ١٢١).

سابعًا: المسائل التي كثر فيها الخلاف:

نجد الشيخ أحمد بن عيسى رَحِمَهُ اللَّهُ يفصل كثيرًا في المسائل التي كثر فيها الخلاف، فلا يكاد يمر على مسألة خلافية إلا ويذكر المسألة، ويسوق الأدلة وأقوال العلماء في ذلك على وجه التفصيل، ويناقش ويرجح[(١)].

بينما نجد الشيخ هراس إذا ذكر المسألة الخلافية يؤيد الراجح ببعض الأدلة على وجه الاختصار الذي لا يتجاوز الأسطر المعدودة.

ثامنًا: الاعتراضات والملاحظات:

يورد الشيخ أحمد بن عيسى بعض الاعتراضات والملاحظات المفيدة على الناظم، مما يدل على سعة إطلاعه وعلمه وتمكنه.

ويتوافق خليل هراس مع ابن عيسى في إيراد بعض الاعتراضات والملحوظات على بعض المسائل أو الألفاظ التي ترد في أبيات الناظم، مما يدل على التأصيل والبحث والنظر ونصره ما يراه صوابًا، وعدم التبعية والتقليد من غير فكر ولا تمحيص، وإن كان قد لا يوافق على بعض اعتراضاته[(٢)].

تاسعًا: التعليقــات:

تميز شرح الشيخ أحمد بكثرة التعليقات في حواشي الكتاب، فالشيخ أحمد له تعليقات طفيفة على شرحه في هامش الكتاب، وغالبها تصحيح أخطاء، فصحح كثيرًا، وشطب كثيرًا، ونسي منها ما هو من طبيعة البشر؛ ثم جاء بعده الشيخ سليمان

---

(١) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٩٨-١٠٦) (٢/ ١٣٣-١٤٦).

(٢) انظر: شرح خليل هراس (٢/ ١٤٩)، (٢/ ١٨٥).

ابن سحمان[١]، فعلق على بعض تلك الأخطاء في حواشي النسخة الخطية، ثم جاء بعده الشيخ عبد الله العنقري، فعلق على هذا الشرح في الهامش، ثم جاء الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان فعلق على النسخة الأصلية، ثم نسخ الكتاب، فجاء الشيخ محمد بن عبد العزيز ابن مانع فعلق على أوائل النسخة التي نسخها ابن حمدان، وكل هذه التعليقات مهمة جدًّا وكل منها تكميل لما كتبه ابن عيسى.

أما شرح خليل هراس فله تعليقات مفيدة في حواشي شرحه وهي قليلة جدًّا[٢].

(١) المعروف بـ(منجنيق الدعوة) أي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية. قال ذلك الشيخ سليمان بن محمد بن ناصر الجربوع، قاضي الأرطاوية، المتوفى سنة (١٤٢٠هـ)، ذكر ذلك لي ابنه الشيخ عبد العزيز.

(٢) انظر: شرح هراس (٢/ ١٤٩) (٢/ ١٨٥).

المبحث الثالث

الموازنة بين شرح ابن عيسى والشيخ ابن عثيمين رحمهما الله

أولًا: الإيجاز والتطويل:

نجد أن الشيخ محمد بن صالح العثيمين يميل في شرحه للنونية إلى الاختصار، وعدم التطويل خوفًا من الملل والسآمة.

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله في شرحه للنونية (١/ ١٩٤): «ومن قاعدتنا -إن شاء الله- في هذا الكتاب: ألا نطيل في الشرح، بمعنى: ألا نتكلم على كل كلمة، وفي كل بيت، لكن كلما أخذنا قطعة بينا المراد منها، لئلا نبقى طويلًا في هذا الكتاب، وتضيع الفائدة المقصودة من دراستنا فيه».

فيأتي بعد نهاية الشرح بخلاصة الأبيات، وبمقصود ابن القيم بهذه الأبيات، وربما يذكر قواعد تأصيلية يستنبطها من كلام ابن القيم وهي مهمة جدًّا[١]، وكثيرًا ما يربط أبيات الناظم بواقع الناس لأجل حل مشكلة يقع فيها الناس كثيرًا، مثال ذلك قول الناظم في مقدمة نظمه:

«... ومن المحال أن يذكر القلب من هو محارب لصفاته نافر عن سماعها، معرض بكليته عنها، زاعم أن السلامة في ذلك».

فعلق الشيخ بقوله (١/ ١٤٨): «هذه مشكلة تقع لبعض الناس يقول: لا فائدة من البحث في أسماء الله وصفاته، أتركونا من هذا البحث، هذا شيء فرغ الناس منه....» ثم استطرد في كلام مهم يدل على علم وعمق وفهم وتأصيل.

(١) شرح ابن عثيمين (١/ ١٤٥-١٤٧) (١/ ٢٥٣).

إلى أن قال (١٤٩): «وأيضًا البحث مع الجهمية والمعتزلة مفيد مع البحث مع الشيوعيين والملحدين والزنادقة، لأن هناك مقدمات في مناظرة هؤلاء، تفيد طالب العلم في مناظرة الشيوعيين والزنادقة والملحدين....».

ومعنى ذلك أن أفكار الفرق القديمة قد تفرقت في غيرها. وذكر كلامًا بعد ذلك هو خلاصة لمقصود الناظم -رحم الله الجميع[1]-.

وكثيرًا مايذكر في ثنايا شرحه إشكالًا قد يورده بعض الناس فيجيب عنه.

مثال ذلك قول الناظم:

وهو الذي حقًّا على العرش استوى لكنه استولى على الأكوان

قال الشيخ محمد معلقًا (١/ ٣٠٠): «مسألة: كيف يقال استولى على الأكوان؟!».

فأجاب عن ذلك بقوله (١/ ٣٠٠-٣٠١): «فالجواب أن يقال إن الله استولى على الأكوان حقيقة فهو وليها وهي ملكه بلا شك، والذي أنكره أهل السنة على أهل التضليل لما قالوا: استوى على العرش بمعنى: استولى على العرش....».

وذكر كلامًا متينا في هذا المعنى وخلص بنتيجة قال فيها (١/ ٣٠١):

«فالحاصل أن كلمة استولى على الملك ليس فيها إشكال أو استولى على الخلق ما فيه إشكال، الإشكال في تفسير استوى استولى من وجهين...» فذكرهما.

أما الشيخ ابن عيسى فنجده إذا فصل في الشرح يطيل جدًّا، وغالب شرحه -بحسب التتبع- إنما هو نقول، حتى لو لم يصرح باسم الكتاب أو المؤلف، كما

(١) شرح القصيدة النونية لابن العثيمين (١/ ١٥٠).

في شرحه لمقالة الصوفية، فإنه أطال جدا، ونقل فيها من كتاب «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي» للبقاعي، و«القول المنبى عن ترجمة ابن عربي» للسخاوي في ثمان وأربعين صفحة(١).

وقد يختصر -أحيانًا-، فيذكر معنى الأبيات الواردة إجمالًا بما لايتجاوز السطرين(٢)، مع التنبيه على أن جميع هذه الاستطرادات مهمة، ومفيدة كما سيأتي.

ثانيًا: النقــول:

نجد أن الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه للنونية لا يعتمد على النقول كثيرًا، بل إنَّ غالب شرحه للنونية مبني على فهمه لكلام الأئمة، خصوصًا شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وربما نقل عنهما كما في (٢/ ٣٢) ونقل عن ابن عيسى كما في ترجمة ابن سينا والطوسى وغيرهم(٣)، أما ابن عيسى فقد بنى غالب شرحه على النقول(٤)، بل قد ينقل عن شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم نصًّا بالصفحات(٥).

ثالثًا: المسائل الخلافيــة:

يتميز ابن عيسى بالاستطراد في المسائل الخلافية، وذكره للأدلة والنقول عن السلف، ثم أقوال العلماء المتأخرين، ويصرح بترجيح أحد الأقوال في بعض المواضع، وقد يفهم ترجيحه من خلال عرضه من غير تصريح.

---

(١) انظر: توضيح المقاصد (١/ ١٣٧ - ١٨٥).

(٢) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٣٤٠).

(٣) انظر: شرح النونية لابن العثيمين (٢/ ٣٣ - ٣٧).

(٤) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٣٦٠ - ٣٦٢) (١/ ٣٣٤).

(٥) انظر: توضيح المقاصد (١/ ١٧) (١/ ٧٢) (١/ ١٣٧) (١/ ١٣٨) (١/ ١٨٦) (١/ ١٩٣) (١/ ٢٢٥) (١/ ٢٤٩) (١/ ٢٤٩) (١/ ٢٦٧) (١/ ٢٧٢).

فقد ذكر عند قول الناظم:

والعبد عندهم فليس بفاعل   بل فعله كتحرك الأجفان

أن العبد عند الجهمية ليس بفاعل، بل هو مجبور على أفعاله...» فذكر كلامًا كثيرًا في عدة صفحات، واستطرد كثيرًا[١]، بينما نجد ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعلق على نفس الأبيات بكلام مختصر[٢].

رابعًا: المعاني الكلية والجزئية:

نجد الشيخ ابن عيسى يركز كثيرًا على المعاني الجزئية للأبيات، فيقوم بتفسير معاني الكلمات الواردة في الأبيات، ثم يتكلم عن المسألة التي ساق الناظم تلك الأبيات من أجلها بنقل عن شيخ الإسلام أو تلميذه ابن القيم أو غيرهما، حتى يصل أحيانًا إلى عشر صفحات[٣]. وهكذا سار على هذا المنهج في الكتاب كله[٤].

أما شرح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه مبني على التركيز على المعاني الإجمالية للأبيات دون التعريج على التعريف بالمفردات والمسائل الخلافية[٥].

ومن خلال مقارنتي بين الشرحين، وجدت أكثر الإشكالات العويصة في أبيات النونية، لم يعرج عليها شرح ابن عيسى، بينما ذكرها الشيخ ابن عثيمين ووجهها التوجيه الصحيح المناسب، ولا أبالغ إن قلت جميع الإشكالات الواردة في أبيات النونية تكلم عنها الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

---

(١) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٥٨ - ٦٤).

(٢) انظر: شرح القصيدة النونية للشيخ محمد بن العثيمين (١/ ٧١).

(٣) انظر: توضيح المقاصد (١/ ٧١ - ٨٢).

(٤) انظر: توضيح المقاصد (٢/ ٣ - ١٥) (٢/ ٢١ - ٢٢).

(٥) انظر: شرح النونية لابن عثيمين (١/ ٢١١).

الفصل الثالث

الردود على نونية ابن القيم

وفيه أربع مباحث:

المبحث الأول: تمهيد: فيه التعريف بالسبكي والكوثري، وفيه مطلبين:

المطلب الأول: ترجمة مختصرة للتقي السبكي.

المطلب الثاني: ترجمة مختصرة للكوثري.

المبحث الثاني: دراسة كتاب السبكي، وفيه مطالب:

المطلب الأول: عنوان الكتاب.

المطلب الثاني: نسبة الكتاب إلى مؤلفه وفيه مسائل:

الأولى: الأدلة على صحة نسبة الكتاب للمؤلف.

الثانية: المشككين في الكتاب والرد عليهم.

المطلب الثالث: السمات العامة للكتاب.

المطلب الرابع: استعراض سريع لمحتويات الكتاب.

المبحث الثالث: أهم المسائل المردود فيها على ابن القيم.

المبحث الرابع: القواعد التي اعتمد السبكي والكوثري عليها في الرد على ابن القيم وبيان ضعفها وسقوطها.

المبحث الأول

تمهيد

إن القصيدة النونية من أهم الكتب التي كتبها ابن القيم، وتعتبر خلاصة لماكتبه في أبواب العقائد، بل إن جميع المباحث التي ذكرها في كتابيه اجتماع الجيوش الإسلامية والصواعق المرسلة[١]، قد أتى بها في تلك القصيدة وصاغها بطريقة تبهر كل من نظر فيها، وزاد عليها مباحث مهمة جدًّا تعد خلاصة نتاجه الفكري، ثم ختم تلك القصيدة بتلخيص لكتابه «حادي الأرواح» وأجاد في وصف الجنة بطريقة بديعة ودقيقة ومشوقة، فأتى في تلك القصيدة بما لامزيد عليه، وقد ذكر فيها لتقرير ذلك ما لا يحصى من الأدلة الشرعية والعقلية، وجمع ونقل كمًّا هائلًا من أقوال السلف وإجماعاتهم، فقرر فيها العقيدة السلفية أحسن تقرير، وفي المقابل أبان فيها عن عوار تلك الفرق الضالة، وهدم قواعدهم من أساسها، فكانت كالصاعقة على أهل البدع والضلال، خصوصًا عندما انتشرت تلك القصيدة في عصر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد حاول أهل البدع النيل من تلك القصيدة بطريقتين[٢]:

الأول: القدح في ناظمها والنيل منه لإسقاطه، ونبزه بكل قبيح، لعلمهم أن القدح في الناظم، يوجب القدح في المنظوم.

ومن قرأ في التاريخ، ونظر في الكتب التي حكت مقالات أهل البدع، لاح له من أول وهلة أن أهل البدع لا يلجأون إلى مقارعة الحجة بالحجة[٣]؛ إذ هم أضعف

(١) بل الذي ينظر في الكتابين، يجد التشابه في كثير من الأبواب.

(٢) انظر: الكافية الشافية (١/ ١٠٧).

(٣) أهل الحق والسنة أقوياء بالحجة والبيان وبالسيف والسنان وكل في موضعه.

من ذلك، فمتى ما انكسرت شوكتهم، لجأؤا مباشرة إلى استخدام القوة لا وجهًا لوجه، بل بالتحريش، وإيغار صدور الولاة على أهل الحق، أو الطعن من فيهم الخلف،أو الكذب عليهم أو اتهامهم بما هم منه براء، أو غير ذلك من مكائدهم التي قد تصل إلى القتل أحيانا كما هو مشاهد في كتب التاريخ، بل من قرأ قصة ابراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه، وقصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون عرف صحة ماقلناه.

الثاني: محاولة القدح في هذه القصيدة السلفية كلما حانت لهم الفرصة، والباطل يسقط بمقارعة الحق له، ولا يسقط الحق بقارعة الباطل، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء:١٨]، الآية.

وكان من أبرز من تصدى لهذه المنظومة السلفية وحاول النيل منها:

١- تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي، المتعصب، القبوري الخرافي الأشعري المحترق، المتوفى سنة (٧٥٦هـ) في كتابه السيف الصقيل وسيأتي الكلام عنه.

٢- ابنه الصوفي القبوري الخرافي الأشعري الشافعي المتعصب، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي - كما نقله عنه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين[(١)].

٣- محمد بن زاهد الكوثري القبوري الخرافي الشافعي المتعصب، المتوفى سنة (١٣٧١هـ) في تعليقه على السيف الصقيل الذي سماه: «تبديد الظلام المخيم على نونية ابن القيم» وسيأتي الكلام عن ذلك.

---

(١) إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٢/ ٨).

وقبل الدخول في مناقشتهم أحببت أن أمهد بمقدمة أبين فيها المنهج العام لكتاب السبكي،بعد التعريف بالأول والثالث، ولن أعرج على تاج الدين؛ لأنه ليس له دور بارز مثل أبيه والكوثري.

المطلب الأول

ترجمة تقي الدين السبكي

(٦٨٣هـ - ٧٥٦هـ)

هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام، أبي الحسن السبكي، تقي الدين، حامل لواء القبورية، أخذ عن علماء أفذاذ في جميع الفنون، منهم الشرف الدمياطي، صاحب «ثواب العمل الصالح» وسمع من ابن الصواف والموازيني، وغيرهم.

ثم ولي قضاء الشام، وولى مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد الذهبي والشافية والبرانية والمسرورية وغيرها.

وأخذ العلم عنه تلامذة أفذاذ،منهم ابن كثير، والحافظ المزي الذي كاد أن ينجرف معهم، لولا أن الله حفظه بابن تيمية.

ومن تلامذته أيضًا: ابن رجب وابن جماعة والعراقي وآخرون.

ومؤلفاته كثيرة، منها ما ذكرها عنه تلامذته، ومنها ما وجد بخط يده أنه من تأليفه، ومما هو مشهور رده على ابن تيمية في مسألة شد الرحال ومسألة طلاق الثلاث بلفظ الواحد، ومما ليس بمشهور «السيف الصقيل» وسيأتي الكلام عنه.

وكان السبكي على مذهب الشافعي في الفروع، لكنه كان قبوريًّا صوفيًّا خرافيًّا أشعريًّا متعصبًا، ومن قرأ كتاب الصارم المنكي لابن عبد الهادي في الرد على السبكي، عرف مبلغ علم هذا الرجل.

بل من قرأ فصولًا من كتاب السيف الصقيل، عرف شناعة هذا الرجل، وجرأته على الحق وأهله، بل وشدة عداوته لأهل السنة والحديث.

المطلب الثاني
ترجمة محمد بن زاهد الكوثري
(١٢٩٦- ١٣٧١)

هو محمد بن زاهد بن الحسن بن علي الكوثري الجركسي التركي، مجنون أبي حنيفة. وكوثر نسبة إلى أحد أجداده أو إلى قرية الكواثر بضفة نهر (سبز) ببلاد القوقاز.

ولد ونشأ في قرية من أعمال (دوزجة) بشرق الآستانة، وتفقه في جامع الفاتح بالآستانة، ودرس فيه، وتولى رياسة مجلس التدريس.

وقد اضطهده (الاتحاديون) خلال الحرب العالمية الأولى لمعارضته لهم، وأرادوا اعتقاله فركب إحدى البواخر إلى الإسكندرية سنة (١٣٤١هـ)، وتنقل زمنًا بين مصر والشام، ثم استقر في القاهرة، موظفًا في دار المحفوظات يترجم فيها الوثائق التركية إلى العربية، وكان يجيد العربية، والتركية، والفارسية والجركسية.

وقد تميز هذا الرجل بجنونه وتعصبه لأبي حنيفة تعصبًا لم ير في التاريخ مثله، بل كان سبَّابًا، شتَّامًا، طعَّانًا للسلف، لم يسلم من لسانه حتى الصحابة كما سيأتي، بل لو جمعت سبابه وشتائمه لكانت مجلدًا ضخمًا.

وقد تصدى له عدد كبير من علماء عصره، وردوا عليه تعصبه، بردود يشكرون عليها، بل لا أبالغ إن قلت: حتى الصوفية الخرافيين خرج منهم من ساهم في الرد عليه، وقمع بدعته وسبابه للسلف والصحابة، وعلى رأسهم أحمد صديق الغماري، وسيأتي الكلام في ذلك عند الرد عليه في المبحث الثالث من هذا الفصل.

المبحث الثاني
دراسة كتاب السبكي

المطلب الأول
عنوان الكتـــاب

قبل الكلام عن محتوى ما في كتاب السبكي رأيت من الأهمية بمكان أن أتكلم عن إثبات صحة نسبته إلى مؤلفه، وعنوانه والرد على المشككين فيه، فأقول:

عنوان الكتاب كاملًا هو: «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل»، وهذا الموجود على طرة النسخة المطبوعة، والكتاب ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين[1] بعنوان «السيف الصقيل» بينما هو في النسخ الخطية «الرد على نونية ابن القيم» وقد نقل عنه الزبيدي في بعض المواضع.

والسؤال المطروح: من أين جاء الزبيدي بهذا العنوان؟!

قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تصفحت الكثير من كتب التراجم والمعاجم، فلم أر هذا النبز لابن القيم ولا لغيره من أهل العلم، وقد سألت كثيرًا من علماء الأمصار عن هذا النبز المذكور، فلم أر من يعرني عليه جوابًا.

وفي حج عام (١٣٩٧هـ) اجتمعت بالشيخ عبدالله بن الصديق الغماري صاحب طنجة، فسألته عن ذلك، فأفاد بأنه لما خرج هذا الكتاب بهذا الاسم، صار استغرابه من عامة أهل العلم بمصر.

قال: فكنت ذات يوم في مكتبة الشيخ حسام الدين المقدسي بمصر أنا وأخي أبو الفيض أحمد الغماري، فجاء إلينا الكوثري فسأله أخي عن ذلك فقال: إن زفيلًا

---

(١) (١/٨-١١)، دار الفكر.

اسم لجد ابن القيم من قبل أمه، والمراد نبزه بذلك على عادة العرب حينما يريدون التحقير لشخص ينسبونه إلى جده لأمه. ومن ذلك قول المشركين في حق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقد أَمِر أمْر ابن أبي كبشة»[1]، فسأله الشيخ أحمد: أين وجدت ذلك الاسم لجد ابن القيم لأمه فلم يجب»[2].

وقابله الشيخ محمد بن مانع رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بمصر سنة ١٣٦٨هـ، فسألة عن كلمة زفيل فلم يجب[3].

فالذي يظهر لي أن هذا اللقب من وضع الكوثري للأسباب التالية:

أولًا: أن هذا اللقب إنما جاء متأخرًا، فليس في كتب المتقدمين ما يشير إلى ذلك.

ثانيًا: أن عنوان المخطوط الذي هو بخط السبكي ليس فيه هذا العنوان، والمؤلف أعرف بكتبه وعناوينها من غيره.

ثالثًا: هل يصح أن يقال: إن هذا اللقب فات جميع المتقدمين الذين ترجموا لابن القيم، وظفر به الكوثري المتأخر!! هذا بعيد جدًّا».

رابعًا: أن عنوان الكتاب موجود في النسخة المطبوعة، وشرح الإحياء للزبيدي. وكلاهما طبعا تحت إشراف الكوثري!! فماذا يعنى هذا...؟

فالذي يظهر لي أن هذا العنوان من اختلاق المحتال الكذاب الدجَّال محمد زاهد الكوثري، وهوغير مأمون على تراثنا الإسلامي، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩١٧) ط. العبيكان.

(٢) انظر كتاب: ابن القيم حياته وآثاره، لبكر أبو زيد (ص٣٢ - ٣٣).

(٣) انظر: تعليقات العلامة ابن مانع على مقالات الكوثري للشيخ سليمان الخراشي (ص١٧٦).

المطلب الثاني

إثبات صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه

المسألة الأولى: الأدلة على صحة نسبة الكتاب لمؤلفه:

يمكن أن يستدل على ذلك بما يلي:

١- النسخ الخطية للكتاب:

الكتاب له نسختان خطيتان:

الأولى: النسخة الخطية المحفوظة بالمكتبة الخالدية بمدينة القدس برقم: (٤٤٣٦)[١]، وتقع في ٢٥ لوحة، وهي من (٨١-١٠٥) ضمن مجموع بخط المؤلف نفسه، وقد ذكر الباحث عبدالله بن محمد العجلان أنه وقف على هذه النسخة الخطية النادرة وقام بتصويرها.

وهذا الكتاب موجود في المكتبة الخالدية بالقدس، ضمن سبع رسائل للتقي السبكي بخطه، ومنها الرسالة السادسة بعنوان: «شرح القصيدة النونية المتضمنة الرد على الأشاعرة» لابن القيم سنة (٧٤٩ هـ)[٢].

الثانية: نسخة مخطوطة بعنوان: (الرد على نونية ابن قيم الجوزية)، وهي محفوظة ضمن الخزانة التيمورية برقم: (٣٥٨)، وهي منقولة من النسخة الأولى التي بخط المؤلف، وقد نُسخت سنة ١٣١٨هـ[٣].

---

(١) عليها مطالعة للشيخ محمد المظفري، وتملك للعلامة محمد بن يحيى الشهاوي الحنفي، كما كتب على طرة المخطوطة.

(٢) انظر: المخطوطات العربية في فلسطين للدكتور صلاح الدين المنجد (ص٤٩).

(٣) انظر: فهرس الخزانة التيمورية (٤/ ٤٧).

قال خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام»[١] في ترجمة «والكتاب منه نسخة خطية في المكتبة التيمورية برقم (٣٥٨)[٢] وهي منقولة عن السابقة، كتبت سنة (١٣١٨هـ)».

قال الزركلي[٣] في الأعلام عند ترجمته لأبي الحسن السُّبْكي حيث عدّ السيف الصقيل من مؤلفاته وقال: «رأيته بخطه في ٢٥ ورقة في المكتبة الخالدية بالقدس»[٤].

وهذه النسخة التي عَنَاها الزركلي هي التي بين أيدينا، وتقدّم الكلام عنها.

٢- كتابة المخطوط كانت في زمن مؤلفه سنة ٧٤٩هـ أي قبل وفاة السُّبْكي بسبع سنوات تقريبًا، قال السُّبْكي: «شرعتُ فيه يوم السبت الرابع والعشرين من صفر سنة ٧٤٩، وفرغت منه يوم السبت مستهل شهر ربيع الأول من السنة»[٥].

ويُلحظ أيضًا تردد السُّبْكي في إكمال الكتاب، فقد ختم كتابه في يوم السبت مستهل شهر ربيع الأول سنة (٧٤٩هـ)، ثم استأنف الكتابة في نفس اليوم، وانتهى منه في ذلك اليوم! كما في المخطوط[٦].

---

(١) الأعلام للزركلي (٥/ ١٦).

(٢) انظر: فهرس التيمورية (٤/ ٤٧).

(٣) هو خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، أديب مؤرخ، ولد في بيروت، ونشأ بدمشق، من مؤلفاته: الأعلام، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، ديون شعري، توفي سنة ١٣٩٦هـ.
انظر: الأعلام (٨/ ٢٦٧).

(٤) الأعلام (٥/ ١١٦).

(٥) السيف الصقيل (ص٢١١).

(٦) مخطوط السيف الصقيل (ل١٠٤).

٣- نَسب الكتابَ للسُّبْكي الزبيديُّ في «إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين»، ونقل منه في مواطن كثيرة من كتابه، وممن نسبه إليه الزركلي -كما تقدم، وكذلك كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

٤- أسلوب ومنهج الكتابة الذي تميز به السُّبْكي، لا يكاد يختلف في هذا الكتاب عن بقية كتبه، وهذا جليٌّ لمن أدام النظر فيها، وإنْ كان في هذا الكتاب قد جاوز مصنفُه الحد في النبز وكَيْلِ الشتائم!!.

فلا يستغرب أن يصدر عن مثل من السبكي، وكان قد أساء إلى شيخ شيخ الإسلام، كما في مسألة الطلاق ومسألة شد الرحال وغيرها، ولعل السبب في ذلك أن ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ قد استفز المعطلة ووضعهم وسفه آرائهم، وأثبت أنهم من أغبى الفرق، وأكثرهم تناقضًا في منطق الشرع والعقل، فجعلهم بمنزلة الثيران والنساء والحمير، فلعل هذا هو الذي أثار حفيظة التقي السبكي، فصار ينبز ابن القيم بتلك الألفاظ.

المسألة الثانية: المشككون في الكتاب للتقي الرد عليهم:

شكك بعض أهل العلم في ثبوت نسبة كتاب: «السيف الصقيل» للسُّبْكي كأبي المعالي الألوسي في «غاية الأماني» ووافقه بعض المعاصرين في ذلك.

ولعلي أُجمل أسباب تشكيكهم في نسبة الكتاب للسبكي بما يلي:

١ لم ينسب هذا الكتاب أحدٌ من المُترجمين المعاصرين لأبي الحسن السُّبْكي، مع استفاضتهم في ترجمته وتقصي مصنفاته كابنه عبد الوهاب في طبقات الشافعية الكبرى، أو ترجمته التي أفردها لوالده في كتابه: «إعلام الأعلام بمناقب شيخ الإسلام قاضي القضاة علي السُّبْكي» وكذلك صلاح الدين الصفدي -أبرز تلامذة

السُّبْكي- في كتابيه «أعيان العصر»، و«الوافي بالوفيات»، وهذان -أعني عبد الوهاب السُّبْكي وصلاح الدين الصفدي- هما أكثر من استوعب مصنفات أبي الحسن السُّبْكي، وأشمل من ترجم له.

٢- أنّ هذا المصنَف لو كان من مصنفات السُّبْكي لسارت به الركبان، وخصوصًا لدى الأشاعرة المناوئين لابن القيم في زمانه، فإذا كان هذا الكتاب ليس له ذكر في مصنفات السابقين، فلا يجوز نسبته للتقي السبكي.

٣- أنّ زفيلًا لا يُعرف في أسماء الرجال، وليس له ذكر في كتب التراجم والأعلام.

والجواب عن هذه الأمور أن يقال:

إنَّ عدم نسبة هذا الكتاب لأبي الحسن السُّبْكي ممن ترجم له من معاصريه؛ يعود -والله أعلم- إلى أنّ المترجمين له ينقل بعضهم من بعض؛ فإهمال السابق لذكر الكتاب، ينبني عليه إهمال اللاحق، كما أنّ عدم العلم بالشيء ليس علمًا بالعدم، فلا يعني عدم ذكر الكتاب، عدم صحة نسبته له، والواقع أنه قد كتبه بخطه، وبيّن فيه المدة التي قضاها في كتابته.

وقد يقال: إن إهمال ذكر المترجمين لهذا الكتاب يرجع إلى أمور:

(أ) ما حشاه السُّبْكي في كتابه من قاموس الشتائم والمغالطات، مع ضعف الحجة والبيان؛ فأُهمل ذِكْره!!، وذكره في مصنفاته سيقط مكانته عند عامة الأشاعرة الذين يرون أنه شيخ الإسلام!!.

(ب) معرفة المعاصرين للسُّبْكي تردده في الردِّ على ابن القيم يقول: «ليتني ما شرعت في الكلام مع هذا...»، وقد تقدّمت الإشارة إلى تردد السُّبْكي في إكمال الكتاب.

(جـ) وقع بعد فراغ السُّبْكي من تصنيف كتابه، عقدُ مجلس للصلح بين السُّبْكي وابن القيم رَحِمَهُمَاٱللَّهُ وكان ذلك في عام ٧٥٠هـ؛ فلعلَ المترجمين له قد نظروا إلى هذا الجانب.

[٢] ومن شبهاتهم في التشكيك في نسبة هذا الكتاب للتاج السبكي قولهم: «بأنّ هذا المصنف لو كان من مصنفات السُّبْكي لسارت به الركبان».

والجواب عنه: بأن أرباب البدع المعاصرين قد فرحوا بهذا الكتاب فرحًا شديدًا، وهوّلوا بها فيه من جعجعة بلا طحن، وصار حالهم كمن قيل فيه:

أخذوا الصحيفة فهي في اوهامهم ... كالكنز يأخذه الفقير المعدم
طاروا بها فرحًا وبين سطورها ... دهياء بارزة النواجذ صيلم

وقد تبنى أحد رؤوس مبتدعة عصرنا -وهو محمد زاهد الكوثري- التعليق عليه، وتكميله، وَطَبعَ هذا الكتاب أكثر من طبعة!

ثم إنّ السُّبْكي له ما يزيد على المئة والخمسين مصنفًا كما ذكر تاج الدين السُّبْكي، والذي ذكره الصفدي لا يتجاوز المائة والعشرون مصنفًا، فقد يكون الكتاب مما لم يذكر، وليس عدم ذكرهما للسيف الصقيل دليلًا على أنه ليس من تصنيف أبي الحسن السُّبْكي، وقد بخطه وعليه اسمه وأنه من تأليفه.

[٣] قولهم: بأنّ زفيلًا لا يُعرف في أسماء الرجال، وليس له ذكر في كتب التراجم والأعلام، وقد سبق سياق كلام الشيخ بكر أبي زيد في ذلك.

قلت: ولم يذكر أحدٌ ممن ترجم لابن القيم هذا النبزا، ولم يُعرف به، إلا أنّ ذلك لا يعني أنّ الكوثري هو من انفرد به؛ فأول من ذكر ذلك الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» -كما تقدم-، والزبيدي قد كتب كتابه -كما في آخره- سنة

١٢٠١هـ أي أنّ بينه وبين تأليف السُّبْكي لكتابه حوالي (٤٥٠سنة) فيُحتمل أنّ هذا العنوان من وضع المناوئين لابن القيم في الأعصار المتأخرة!، وعدم ذكر الكتاب بهذا العنوان لا يعني عدم نسبته للسُّبْكي.

والذي يترجح عندي أنّ عنونةَ الكتاب بالسيف الصقيل في الرد على ابن زفيل جاء متأخرًا، ولا وجود له على نسخة الكتاب المخطوطة، والذي جاء في أول صفحة من المخطوط: «كتاب فيه الكلام على قصيدة العلامة شمس الدين ابن القيم» وهي ليست بخط السُّبْكي، إنما خطه وقع في منتصفها من قوله: «شرعتُ فيه يوم السبت الرابع والعشرين من صفر سنة ٧٤٩، وفرغت منه يوم السبت مستهل شهر ربيع الأول من السنة». وقد سبق أن ذكرت الراجح في ذلك، وأنه من اختلاق الكوثري، بدليل تلكئه أمام الغماري في مكتبة حسام الدين المقدسي، وابن مانع لما سأله في عام ١٣هـ عن هذا اللقب من أين مصدره، فلم يجب.

وأختم هذه الدراسة بمقارنة قام الباحث عبدالله العجلان -وفقه الله- للمخطوط مع النسخة المطبوعة بتعليق محمد زاهد الكوثري، وتبين له أن الكوثري عَمِل على إخراج الكتاب، إلا أنّه لم يراعِ في هذا الإخراج الأمانة العلمية، والضوابط المنهجية للتحقيق.

ويمكن تلخيص النتيجة التي توصل إليها الباحث، فيما يلي:

(أ) وضع الكوثري عناوين للكتاب في المتن، ولم يشر إلى ذلك، مما يوهم بأنها من وضع المصنف!.

(ب) يقوم الكوثري بإكمال الأبيات الناقصة أحيانًا.

(جـ) يضيف أحيانًا ما يوضح مراد المصنف، ويشير إلى ذلك بوضعه بين معكوفتين.

(د) إصلاح اللحن في اللغة، فعلى سبيل المثال، قول المصنف: «إنّ هؤلاء الطوائف الثلاثة الشافعية والمالكية والحنفية وموافقيهم من الحنابلة مسلمين!»، وفي المطبوع:مسلمون! (٢٣)؛ لأنّ خبر إنَّ يكون مرفوعًا، وهو ما أثبته الكوثري، وهو الراجح لغةً، إلا أنّ بعض الكوفيين ينصب الجزأين بإنّ وأخواتها، ويستشهدون على ذلك بقول الراجز:

كأنّ اذنيه إذا تشوفا قادمةً او قلمًا محرفا

(هـ) كثيرًا ما يتصرف الكوثري بالمتن بزيادة كلمة أو حذفها، بل يتعدى ذلك أحيانًا إلى قرابة نصف السطر، ومن ذلك حذفه عبارة للسُّبكي في قوله: «أجمع المسلمون على أن الله قادر على أن يعدم الخلق ثم يعيده وعلى أن إنكار ذلك كفر، وهذا كان كفر قريش، وكلام هذا الناظم متضمن إنكار ذلك».

(و) يحذف الكوثري عبارات اللعن أو الشتم أحيانًا، ومن الأمثلة على ذلك: قول السُّبْكي: «ليتني ما شرعت في الكلام مع هذا الحمار»، وقوله: «فما أراد هذا الكلب إلا أن يُقرر...»، وقوله: «ما هذا إلا تيس...»، وقوله: «لعنه الله ولعنهم...» الخ.

(ز) يقلب المعنى أحيانًا! فعلى سبيل المثال: فسر السُّبْكي: «المعطل» بأنه لا وجود له الآن عندهم؛ لأن المعطل هو المنكر للصانع.

ومماسبق يظهر ماترجح لدي أن العنوان من اختلاق الكوثري، والله أعلم.

المطلب الثالث
السمات العامة للكتاب

يمكننا أن نضع النقاط الرئيسة لتلك السمات التي اتصف بها كتاب السيف الصقيل وحاشيته التي تعد تكملة له في النقاط التالية، فنقول[١]:

أولًا: الضعف العلمي في الرد:

الناظر في حجج ابن القيم في نونيته، يعجب من كثرة الأدلة التي يوردها عند تقريره لأي مسألة، وكلام أهل العلم حولها.

وفي المقابل إذا نظرنا إلى ما كتبه السبكي، وبعده الكوثري في الرد على النونية نجده مبنيًّا على الجهل والمغالطة، كما قال شيخ الإسلام في الرسالة التدمرية في بيان حال أهل الباطل: «....فإن هؤلاء يسفسطون في العقليات ويقرمطون في السمعيات»[٢].

فلا يستغرب أن نجد ردودهما على ابن القيم، مبنية على الظنون، وقلة التحقيق العلمي، وإلزام مالا يلزم، فلا يتحققون مما قاله، بل يكتفيان بقولهما: أظنه ولعله، وقد يكون.... وهكذا.

وقد تصفحت الكتاب من أوله إلى آخره، فلم أجد لهما ردًّا علميًّا صحيحًا على مسألة من المسائل، بل غالب ما ذكراه إنما هو سب وشتم وتحقير وسخرية.

وهذه صفة أهل الباطل، لأنهم لا يستطيعون مقارعة الحجة بالحجة،فهم أضعف من أن يحتجوا على باطلهم بالعلم.

---

(١) انظر: الكافية الشافية (١/ ١١٣) بتحقيق محمد العريفي ورفاقه، وقد استفدت منه بعض ماذكرته هنا في التمهيد، وزدت عليه ماوجدته من كلام الغماري الذي طحن الكوثري، وبين مخازيه في كتابه «بيان تلبيس الكوثري»، ورسائله إلى ابن أخته عبدالوهاب أبي خبزه.

(٢) انظر: الرسالة التدمرية (ص٩٤) بشرك البراك.

وكلنا يعلم أن دين الله تعالى مؤيد ومنصور بالقرآن والسنة الصحيحة، فمن عدل عنهما فلا ينصر أبدًا.

وأكتفي بمثال واحد يدل على جهل هؤلاء المتعصبين:

قال السبكي في (ص٢٧): «وأما رابعًا فما ذكره عن أبي جهل وغيره، أنه لم يكن فيهم منكر للخالق، يكفي في الرد عليه أن كل من سمعه يتخذه ضحكة».

أقول: هذا من جهل السبكي، فمشركي قريش مقرون بالخالق، ولم يكن ذلك كافيًا في إدخالهم في الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف:٩]، وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧][(١)].

ومع علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك الإقرار منهم، حاربهم وسبى نساءهم وذراريهم، وقتل منهم من قتل، وأسر منهم من أسر، فمن عاب على من حكى ما دل عليه القرآن وما فعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو كافر خارج من ملة الإسلام.

والكوثري لم يعلق على قول السبكي ولم يخطئه، ولم يذكر الآية، مع وضوح الخطأ، بل أخذ يردد ما ذكره السبكي دون تمحيص، وهكذا يصنع التعصب الأعمى.

والأمثلة على جهلهما أكثر مما ذكرت.

ثانيًا: التناقض الواضح في كلام السبكي والكوثري:

التناقض دائمًا هو سمة أهل الباطل، لأن الباطل ليس من عند الله ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]. وقد رأيت في كلام السبكي والكوثري كثيرًا من التناقضات.

---

(١) الآيتان صريحتان عن أن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، وإنما الخلاف بينهم وبين الرسل في توحيد العبادة.

فأما تناقضات السبكي فهي كثيرة جدًّا، على أن تناقض السبكي ليس مقصورًا على كتابه هذا، بل هو عام في جميع كتبه التي شن بها حربًا لا هوادة فيها على أهل السنة السلفيين:

١- قال السبكي[١]: «والمتبع للقرآن لا يغيره، ولا يغير لفظه، بل يتمسك به من غير زيادة ولا نقصان، وكذلك الأحاديث الصحيحة، يقف عند ألفاظها ولا يزيد في معناها ولا ينقص».

أقول: ليتك التزمت بتلك النصيحة الغالية ياتقي الدين، فلم تأوَّل العلو والاستواء، والنزول، ولا صفة الكلام بكلام تَمُجُّه الأسماع، ولا يقبله شرع ولا عقل.

٢- وقال في موضع آخر بعد الكلام السابق بصفحات: «فالمُقْدِمُ على هذا التأويل لم يرتكب محذورًا، ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه...»!![٢]. وهذا يناقض كلامه السابق.

٣- ولما نقل نصوص العلو التي ذكرها ابن القيم في نونيته، قال السبكي بعدها: «هذه الأحاديث كلها قد ذكرها الأئمة وذكروا تأويلاتها من قديم الزمان إلى الآن».

أقول: إن كنت تقصد بهؤلاء الأئمة أمثال مالك وسفيان والشافعي وأحمد والبخاري وإسحاق وحماد بن سلمة وغيرهم من أصحاب القرون المفضلة، فلن تظفر - ولو بقيت عمر نوح - بحرف واحد يدل على التأويل.

---

(١) السيف الصقيل (ص٦٥).
(٢) السيف الصقيل (ص٨٧).

قال الأوزاعي: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته»(١).

وإن كنت تقصد به رؤوس المعطلة الذين تأولوا الصفات أمثال الجعد والجهم والمريسي وابن الثلجي، فهؤلاء قد كفرهم السلف، وأما من تبعهم في التأويل وسار على طريقة الأشعري قبل رجوعه أمثال الجويني وابن فورك والرازي وأضرابهم ممن تأثر بعلم الكلام والفلسفة، فأكثرهم قد رجع عن الكلام وتاب منه قبل موته، وبعضهم بات حائرًا، وبعضهم قال عند موته: «أموت ولا أعرف شيئًا»، لأنهم لايجعلون للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في باب معرفة الله لاعلوما عقلية ولانقلية.

وشاركهم في هذا الملاحدة من وجوه متعددة، ويكفي أن أصل مقالتهم في التعطيل مأخوذة من تلامذة اليهود والمشركين، وضلال الصابئين. ثم أين الوقوف عند ألفاظ الأحاديث، وعدم الزيادة عليها والنقصان(٢)؟!

٤- وقال أيضًا -في مسألة التكفير-: «وإن كنا لم نقل بالتكفير ولا بالقتل، فلا أقل من القدر الذي ينكف به ضررك عن المسلمين»(٣).

أقول: الواقع أن السبكي رمى ابن القيم بالكفر والإلحاد -والعياذ بالله- في أكثر من موضع، بل نجده يتكلم بألفاظ سوقية تعكس مدى التربية التي تلقاها من شيوخه المعطلة مثل قوله: «التيس - والنحس - الحمار» وغيرها، ولاغرابة فقد كفروا ابن تيمية وسعوا في قتله وسجن بسببهم مرات وكرات.

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥٠) بإسناد صحيح.

(٢) الكافية الشافية (١/ ١١٩ - عالم الفوائد).

(٣) (ص١٨١).

وفي المقابل بمجرد الكلام على شيوخه بما فيهم من بدعة تقوم قيامته؛ لأن المساس بشيوخه المعطلة مثل الرازي، والجويني، والباقلاني، وابن فورك أمر محرم، أما المساس بمقام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونسبه الأحاديث المكذوبة إليه واعتقاد أن ظاهر القرآن كفر يجب تأويله أمر محمود.

أما الكوثري، فتناقضاته كثيرة جدًّا، ولا أبالغ إن قلت: إن للكوثري في كل مسألة رأيين متناقضين، لا يمكن الجمع بينهما إلا إذا جمع بين الليل والنهار، فالمسألة التي يقول بها أبو حنيفة، يؤيدها الكوثري بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية بحسب القواعد الحديثية والأصولية التي ذكرها أهل العلم؛ ثم نجده في موضع آخر يطعن في تلك القواعد أشد الطعن، بل ربما يلعن من قال بها من أهل العلم إذا خالفت رأي أبي حنيفة في مسألة أخرى.

وقد كشف تلك التناقضات الشيخ المحدث أحمد بن محمد الصديق الغماري المتوفي سنة (١٣٨٠هـ) -تلميذ عبد الحي العلَّامة عبد الحي الكتاني صاحب فهرس الفهارس- في كتابه المسمى «بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري»، أو «رد الكوثري على الكوثري».

قال عبد الله الصديق الغماري شقيق أحمد صديق الغماري في بدع التفاسير قائلًا -بعد كلام سبق-: «فكتب شقيقنا[1] ردًّا عليه، جمع فيه سقطاته العلمية، وتناقضاته التي منشؤها تعصبه البغيض، وقسا عليه بعض القسوة»[2].

(١) يعني: أحمد.
(٢) بدع التفاسير لعبدالله الغماري (ص١٨١).

لكنه مات دون إتمامه، كما في فتح الملك العلي[١]، والذي صده عن إتمامه أخاه عبد الله، لأنه كان صديقًا حميمًا للكوثري[٢]، ولو أكمله لكان عجبًا.

وعندي أن أحمد الغماري أحسن حالًا من الكوثري مع أن الغماري -كما قيل- صوفي غارق في التصوف، لكنه يحب الحديث وأهله، ويثني عليهم، ويدافع عنهم، ويثني على كتب ابن القيم، ويوصي بها، ويثني على شرح ابن أبي العز الحنفي للطحاوية، ويوصي بقرائتها، ودافع عن كتب التوحيد التي تهجم عليها الكوثري، ومنها كتاب التوحيد لابن خزيمة، ورد عليه الغماري في كتابه «التمزيق والخرق في الرد على إحقاق الحق»، و«إحقاق الحق» هو كتاب الكوثري الذي وسم فيه كتاب التوحيد لابن خزيمة بكتاب الشرك، بل دافع عن الرواة الذين طعن فيهم الكوثري في كتابه المشهور «تأنيب الخطيب» حيث طعن في ثلاثمائة راوي للحديث.

فرد عليه الغماري بكتابه «سوط التأديب»، ودافع عن الصحابة الذين طعن الكوثري فيهم.

قال الغماري في كتابه «بيان تلبيس الكوثري»[٣] -بعد كلام سبق-: «أما صاحبنا[٤]، فما يدعوه إلى ذلك إلا مجرد البغض والحنق، وفرط التعصب المذهبي الجنسي، على قوم ليسوا من أهل مذهبه، ولا هم أعجام من جنسيته، إذ ليس هو من أهل الجرح والتعديل، ولو كان من أهله، فما هذا زمانه، ولا الناس محتاجون في ذلك إلى رأيه، وأكثر من تكلم فيهم من رواة الأخبار ونقله الآثار، حتى ينصب

---

(١) (ص١١٩).

(٢) انظر: ذم الأشاعرة والمتكلمين والفلاسفة للغماري (ص٣٥)، دار التوحيد للنشر -الرياض.

(٣) (ص٤٦).

(٤) يعني الكوثري.

نفسه مجرحًا من جديد، بعد انقراض زمن الرواية بألف سنة، وعند انتهاء الأمر، وظهور أشراط الساعة، وقرب خروج الدجال، الذي إن ظهر وهو حي يؤلف، فسيكفيه مهمة جرحه.

بل غالب من طعن فيهم وشبع من أعراضهم، أئمة وفقهاء وصوفية، ومتكلمون، وحفاظ مصنفون، لا مجرد رواة ناقلين، كما تراه في تعاليقه على ذيولي «تذكرة الحفاظ» الذين جلهم، بل كلهم من أهل القرن الثامن والتاسع، كما سنوافيك بجملة وافرة منهم.

فما شأنه في التناقض إلا عجيب، ولا أمره في مسلكه هذا إلا مدهش غريب...».

وقال في موضع آخر من نفس الكتاب[1] -بعد ما ذكر طعن الكوثري في الخطيب البغدادي والحافظ ابن حجر بما يستحى من ذكره- ما نصه: «... وهكذا أطلق عنان قلمه في التكفير والتضليل والتبديع والتكذيب، وما إلى ذلك من أنواع الثلب، والإذاية، والإهانة، والإقذاع في سائر أئمة الإسلام.

ولم يقف عندهم، بل اجترأ على صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجرهم إلى الميدان، وأدخلهم تحت مطرقة نقده، وحشرهم في زمرة الضعفاء والمجروحين الذين يرد بهم الحديث، فخرق بذلك إجماع أهل الحق من المسلمين، وابتكر طريقًا لم يجترئ عليه إلا غلاة المبتدعين.

فقد انتقد الأئمةُ أبا حنيفةَ رَحِمَهُ اللهُ بردهِ سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمر العرنيين بشرب ألبان الإبل وأبوالها للتداوي، فاضطر هو -الكوثري- للطعن

---

(١) (ص٥٣).

في الحديث وإبطاله انتصارًا، لرأي أبي حنيفة، فلما لم يجد منفذًا من سنده، ولا مخرجًا من باب رجاله، وهو في الصحيحين، التجأ إلى الطعن في أنس[1] صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخديمة، فأنزله حضيض مجزرة نقده، وقدحه لأعراض الأئمة والعلماء...؛ لأنه كذب على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخبر عنه بما لا أصل له... فلم تنفعه خدمته، ولا عادت عليه بركة دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأصبح في نظرك من الزمنى[2] والكذابين الذين لا يصح قولهم، ولا يقبل تفردهم مع خرقك إجماع أهل الحق في ذلك.

فقبحك الله ما أوقحك! وأقل حياءك، وخوفك من الله، وما أخس لسانك، وأخبث جنانك، وأجرأ قلمك على انتهاك حرمات الله!.

وتبًّا لمذهب هذا من قواعده وأصوله، إن صح ما افتريته عليه، بل هذا أدل دليل على بعده عن الحق وتوغله في الباطل، وعلى صدق الأئمة فيما رموه به وحذروا من بدعة وضلالة...».

أما عن تناقضات الكوثري في تعليقه على السيف الصقيل فكثيرة جدًّا:

١- منها قوله -معقبًا على قول السبكي في ابن القيم (فهو الملحد لعنه الله)- ما نصه: «فالأولى كف اللسان الآن عن اللعن، وأما استنزال المؤلف -يعني السبكي- اللعنة عليه فكان في حياة الناظم وهو يمضي في زيغه وإضلاله -عامله الله بعدله-».

أي أن لعن الرجل المسلم جائز في حياته، وأما بعد موته فلا يجوز، ومع هذا لم يلتزم هذا الكوثري بما ألزم به نفسه، بل غلبت عليه شعوبيته في بغض كل ما

(١) راوي الحديث وستأتي ترجمته.

(٢) المرضى.

ليس من جنسه، وخصوصًا العرب، وقد رمى ابن القيم بما هو بريء منه، فالله المستعان.

ثالثًا: التدليس، والتلبيس، والغش، والخداع:

قال الكوثري معقبًا على استدلال الناظم بقول ابن عبدالله بن رواحة ما نصه: «وهذه قصة تذكر في كتب المحاضرات والمسامرات دون كتب الحديث المعتمدة، ولم ترد في كتب الحديث بسند متصل ولو في وجه واحد، وأما ما وقع في الاستيعاب من قول ابن عبد البر (... رويناه من وجوه صحاح) فهو سهو من الناسخ، وأصل الكلام (... ورويناه من وجوه غير صحاح) فسقط (غير) فتتابعت النسخ على السهو».

أي: فلا نثبتها إذا كانت على هذا النحو؟! مع أن هذه القصة قد أخرجها أهل الحديث في كتبهم المعتمدة كالدارمي في الرد على الجهمية والمقدسي في إثبات صفة العلو والذهبي في كتابه العلو والسير له، وكذلك أخرجها ابن عساكر في تاريخه، والتاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى[1].

وأما قوله: «وأما ما وقع في الاستيعاب من قول ابن عبد البر (رويناه من وجوه صحاح) فهو سهو من الناسخ وأصل الكلام (من وجوه غير صحاح) فسقط لفظ

---

(١) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (ص٥٦)، وتاريخ دمشق لابن عساكر(ص٤٣٠ - جزء عبدالله ابن جابر)، السير للذهبي (١/ ٢٣٨)، طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (١/ ٢٦٤- ٢٦٥) وغيرهم. وقد ادعى بعض المحققين أن في المتن نكارة؛ لأن ابن رواحة أوهم زوجته بأنه يقرأ القرآن، وقرأ شعرًا، وهي دعوى غير مسلمة، وغاية ما في الأمر أنه أوهم زوجته بذلك، ولا يعد ذلك كذبا، والقصة لها أصل، قد رواها ابن أبي شيبة (٨/ ٩٠٥) بإسناد مرسل، وذكرها عدد من الأئمة في كتب العقائد، ولم يذكروا تلك النكارة.

(غير) فتتابعت النسخ على السهو...» فهو من كيس الكوثري، فلم يأت بدليل على ما قاله، لأن الكلام لم يوافق هواه ومشربه[1].

ثم إن هذا القول قد نقله عنه ابن قدامة في كتابه العلو وابن عبد البر في التمهيد، ونقله الذهبي في كتابه العلو وكتابه العرش، كما نقله عنه عدد من الأئمة الحفاظ، وهم جميعًا أقرب إلى عصر المؤلف من هذا الكوثري الذي جاء بعد مضي ١٣٠٠ سنة، وادعى بفهمه الثاقب شيئًا فات هؤلاء الأئمة الحفاظ.

وهذا لون جديد من الطعن في السنة، لأن مثل هذا القول الساقط يعلم بطلانه أصغر طالب علم في الحديث، فضلًا الكوثري الذي يعلم أن هذا يخالف منهج أهل الحديث الذي يقوم على التثبت، بل يخالف قواعد الشرع المبني على سقوط الدعوى إذا كانت عارية عن البينة.

وربما يأتي من يطعن في صحيح البخاري ويقول وقع خطأ من ناسخ الأصل ثم تتابعت النسخ الخطية على هذا الخطأ، فيأتي بالكافي للكليني ويقول هذا هو صحيح البخاري!!

ولا يخفى على كل أحد دعوى الرافضة القائمة على تحريف القرآن، وأن الموجود بين أيدينا ليس هو القرآن الحقيقي، وأن عندهم مصحف فاطمة ليس فيه من قرآنكم حرف واحد.

رابعًا: احتواء الكتاب على القبيح من القول مع الطعن في أئمة السنة:

تميز هذا الكتاب بخروج السبكي والكوثري عن الآداب الإسلامية، فضلًا عن أدب أهل العلم وأخلاقهم.

---

(١) الكافية الشافية (١/ ٢٢٤).

أما السبكي فقد طعن في الدارمي طعنًا قبيحًا؛ وذلك بنقله عن كتاب النقض على السجزي لإمام الحرمين، وهذا كتاب لا ندري عن صحة ثبوته عنه، ولم يذكره أهل العلم ضمن مؤلفات إمام الحرمين، وإنما نقل عنه السبكي والكوثري وهما غير ثقتين في نقلهما، بل هما في مقياس أهل النقد من الكذابين الوضاعين الذين يجب جرحهما بما يوجب الحذر منهما، كما هو حال الأئمة من أهل النقد مع الرواة.

ومن ألفاظ السبكي في حق ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١- التيس.

٢- الفدم البليد الفهم.

٣- صاحب قحة وبلادة.

٤- لعنه الله ولعنهم، أي من نقل عنهم وهو رَحِمَهُ اللَّهُ لم ينقل إلا عن السلف؟!.

٥- الخبيث في الأقذاع والسفاهة بما هو من صفته[1].

أما الكوثري، فقاموس السباب والشتائم، يبرأ إلى الله من صنيعه، فقد بلغ في الوقاحة والخبث والبدعة مبلغًا يفوق التصور.

ومن أمثلة ذلك:

١ قوله في (ص١١٦): «فيدور أمر القائل بما يستلزم الكفر لزومًا بينا بين أن يكون كافرًا أو حمارًا»؟

قلت: ومن المعلوم أن الحكم على المعين يدور بين الكفر وعدمه، لا على الكفر والسب!!.

---

(١) انظر: السيف الصقيل (ص٢٣، ٢٦، ٣١، ٣٤، ١١٦) وغيرها كثير.

[٢] قوله في (ص٥٩): «لكن الناظم بالغ الجهل، ظاهر البلادة، حتى في مثل هذه المسائل... وحق مثله أن يقرع إيقافًا له عند حده».

أقول: ابن القيم لم يأت بشيء من عنده، بل جل ما ذكره، إنما هو نقول عن السلف، ومعناه أن جميع من نقل عنهم ابن القيم جهلة أصحاب بلادة!! ويكفي ذلك في سقوط قوله.

[٣] وقوله (ص٦٢): «والناظم مِنْ اتبعْ الناسِ لابن تيمية في سخافاته!! فيدور بين أن يكون مصابًا في عقله، أو دينه قنبًا لمن يتخذ مثله قدوة».

يعني ما ألفه ابن تيمية في العقائد كله سخافات، مع أن كتاب الواسطية، والحموية، والتدمرية، كلها آيات قرآنية، وأحاديث، وآثارًا عن الصحابة والتابعين، وأتباعهم من علماء السلف وغيرهم، ممن لا يلحق الكوثري غبارهم في العلم والثقة والزهد والإتقان، ولا يتلفظ بمثل هذا إلا من هو قليل الدين والمروءة وممن هانت عليه نفسه في سبيل الشيطان والهوى، نعوذ بالله من الهوى، المفضي بصاحبه إلى التوى.

بل إن مثل هذا الاستهزاء بمثل تلك الكتب، يعد ردة عن الإسلام.

وقد طعن هذا المتعصب في ثلاثمائة راوٍ -كما ذكرنا- من رواة الأحاديث، جلهم من الثقات المعروفين دفاعًا عن أبي حنيفة، وذلك في كتابه المعروف «تأنيب الخطيب» رد على الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي ساق ترجمة أبي حنيفة في تاريخه بأسانيدها، ومن أوثق فقد برئ كما يقال.

وكان بين أولئك رواة وأئمة مشهورين، منهم،الدارمي صاحب النقض، وابن أبي حاتم صاحب الرد على الجهمية، وابن أبي داود صاحب القصيدة في

السنة، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة المشهور بإمام الأئمة، وصاحب الحملة الموفقة -بحمد الله- على الكلابية شيوخ الأشاعرة، والإمام السجزي صاحب الرد على من أنكر الحرف والصوت، وأبي عبد الله بن بطة صاحب كتاب الإبانة، وعبد الله بن أحمد صاحب كتاب السنة، والآجري صاحب الشريعة، ومن المتأخرين الذهبي صاحب كتاب العلو، وكتاب العرش وهما كتابان اثنان للذهبي، وأخطأ من ظن أنهما كتاب واحد(١)، وغيرهم كثير(٢).

إلا أنه كان شديد الوطئة على هؤلاء الذين ذكرناهم أكثر من غيرهم؛ لكونهم ألفوا في الرد على شيوخه من الجهمية، والكلابية، والأشاعرة، والماتردية، والذي جند نفسه للدفاع عن باطلهم.

وقد ذَكَرَ هؤلاء -الذين طعن فيهم الكوثري- من الآثار السلفية ما يقطع ظهور المعطلة، ويمنع تلاعبهم بالنصوص التي عمدوا إلى تضعيفها، أو تأويلها. وقد تميزت كتب العقائد السلفية بكثرة إيراد النصوص الشرعية، فالذي يمكنه تأويل نص واحد، لا يمكنه تأويل بقية النصوص.

وقد رد على الكوثري الجهمي عدد من العلماء منهم:

١- الشيخ العلامة المحدث، ذهبي العصر عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني في كتابه الشهير «التنكيل بما في تأنيف الكوثري من الأباطيل».

وكان قد رد عليه قبل ذلك في كتاب سماه «الطليعة» فرد الكوثري على المعلمي في كتاب سماه «الترحيب»، وأجاب فيها بإجابات تدل على إصراره على الباطل، وتعنته وعدم رجوعه، فرد عليه المعلمي بالرد المذكور.

---

(١) وممن فرق بين كتاب العلو وكتاب العرش الشيخ أحمد بن عيسى صاحب هذا الشرح في كتابه تنبيه النبيه والغبي في الرد على المدراس والحلبي.

(٢) النونية (١/ ١٤٠) بتحقيق العريفي ورفاقه.

قال الشيخ المعلمي في كتاب «التنكيل» (١/ ١٢): «القسم الثاني في تراجم الأئمة الذين طعن فيهم الكوثري وهم نحو ثلاثمائة، منهم أنس بن مالك وهشام بن عروة بن الزبير بن العوام، والأئمة الثلاثة، ومنهم الخطيب...».

وكان للكوثري -والحق يقال- إطلاع هائل على علم الرجال، ولكن علمه كان حجة عليه، وقد استخدم في طعونه طرقًا كثيرة منها:

١ أن يأتي إلى الراوي الثقة، فينظر إلى من يشترك معه في نفس الاسم وهو ضعيف،فيضعفه به على أنه هو المقصود في السند، وينزل كلام عليه كلام الأئمة، ثم يحتاجه في سند آخر ليؤيد مذهبه أو تعصبه لأبي حنيفة فيوثقه هناك.

وقد كشف مثل هذا التلاعب -أيضًا- المحدث أحمد صديق الغماري في كتاب بيان تلبيس الكوثري[1].

٢ ومنها أن يأتي إلى متعاصرين نالا من بعضهما، وتكلم كل منهما في الآخر، أو كلام متأخر في متقدم، فيسوق كلام أحدهما ويخفي كلام الآخر، وقد نال الترمذي من الشافعي، ونال ابن حزم من الترمذي، ولم يتلفت أهل العلم لكل ذلك، لأن كلام الأقران يطوى ولا يروى، وكلام المتأخر في المتقدم لا يضره إذا كان إمامًا مشهورًا، أو كان الجرح لدافع التعصب، أو كان غير مفسرًا.

وقبل أن أسوق كلام أحمد الصديق الغماري في الكوثري، أقول بهذه المناسبة:

كل المعظمين للكوثري كأبي غده، والسقاف، وعبد الله بن الصديق الغماري وشقيقه عبد العزيز أخوا أحمد الغماري، هم أصحاب بدع وخرافات، وفي قلوبهم داء لادواء له على الحديث وأهله السلفيين.

---

(١) (ص٣٠٨) تحت عنوان بيان تناقضه في الرجال.

ومن نظر في تصانيفهم تحقق مما أقول، وأنهم على سنن التعطيل الذين يسلطون طاغوت التعطيل على ما ورد في الأحاديث والآيات من أخبار الصفات، وهم في الوقت نفسه معظمين لأحمد الغماري لأنه صوفي على طريقتهم.

وكان من أولئك الذين تتلمذوا على الكوثري عبد الفتاح أبي غدة، المؤلف الحقيقي لكتاب «براءة الأشعريون(١)..!!»، لكنه هو وأمثاله ذهلوا وصدموا لما رأوا ردود الغماري على الكوثري ودفاعه عن عقيدة السلف، بل ووصايته بها، وقد كتب الغماري ردودًا قوية على الكوثري، قسى فيها بعض القسوة، وهي من حجج الله على المعطلة(٢)، وهي كما يلي:

١- منها: «سوط التأديب في الرد على التأنيب» وهو رد على الكوثري في كتابه تأنيب الخطيب.

٢- ومنها: «التمزيق والخرق في الرد على إحقاق الحق».

٣- ومنها «بيان تلبيس الكوثري» وغيرها.

وهذه الكتب لا نعلم عنها شيئًا إلا الأخير، ولا يبعد أن تكون قد وصلت إليه أيادٍ آثمة.

أما كلامه في الكوثري فهو كثير، وكانت طعون الكوثري في العلماء في مجالسه الخاصة، وفي بعض كتبه وتعليقاته،لكنه كان يخفي ذلك أمام الشيخ أحمد الغماري، وقد جاء في الرسالة التي أرسلها أحمد الغماري إلى صهره محمد الأمين بوخبزة بتاريخ ٩/ ٢/ ١٣٧٢هـ يقول فيها: «وأما الشيخ زاهد الكوثري، فإنه

---

(١) كما أخبرني بعض أصحاب دور النشر بدمشق لما كنت هناك.

(٢) مصداقًا لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر**».

حقًّا عدو السنة والسلف الصالح والأئمة إلا الحنفية ومن وافقهم، لفرط تعصبه للحنفية، وللجنسية التركية أيضًا، حتى إنه متهم بالشعوبية، مع أنه عالم فاضل مطلع واسع الاطلاع والدراية، مع المشاركة في كثير من الفنون، لكن فرط تعصبه أوصله إلى درجة المقت، بل درجة الجنون حتى إنه طعن في مالك والشافعي وأحمد وعبد الرحمن بن مهدي والبخاري.

وهذه الطبقة، بل تكلم في أنس وأبي هريرة وبعض الصحابة...»[(١)].

وقال في موضع آخر[(٢)]: «والكوثري حنفي متعصب، خبيث مبتدع محتال، يبغض العرب وأهل الحديث والشافعية، وخصوصًا الحافظ[(٣)]، ثم السيوطي، فهو الذي يشيع تلك القبائح عن الحافظ، وكل ما قاله ابن تاويت[(٤)]، فهو كلام الكوثري حرفًا بحرف، ليس لابن تاويت في ذلك كلمة واحدة، وأنا فما كان يجترئ أن يذكر ذلك أمامي، ولكنه ذكر ذلك حرفيًّا للأخ عبد العزيز، ومنه سمعته حرفيًّا»[(٥)].

وقال معقبًا في موضع آخر بطعنه في ابن عباس-«فانظر إلى هذا المجرم القليل الدين، كيف يستهين بصاحب رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وابن عمه... كل ذلك من أجل أبي حنيفة، حتى لا يسقط له قول، ولا يرد له رأي...»[(٦)].

---

(١) ذم الأشاعرة والمتكلمين والفلاسفة لصادق سليم (ص٣٦).

(٢) من نفس الكتاب.

(٣) يعني ابن حجر العسقلاني صاحب الفتح قال الغماري في تلبيس المفترى (ص٥١): «وأما الحافظ فإنه ـ أي الكوثري ـ يحكى عنه في مجالسه أنه لفرط غرامه بالزنا كان يتبع النساء في الشوارع!!».

(٤) هو محمد بن تاويت الطنجي، أديب بحاثة من أهل طنجة، ولد بها، وتعلم بالقاهرة، مات سنة (١٣٩٤هـ). من آثاره: التعريف بابن خلدون، أخلاق الوزيرين، وغيرها.
انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٦٢)، ويظهر أن ابن تاويت كان يشبع تلك القبائح نقلًا عن الكوثري؟!

(٥) ذم الأشاعرة والمتكلمين والفلاسفة (ص٣٦).

(٦) بيان تلبيس المفترى (ص٦٣).

وقال متعقبًا إياه في موضع آخر: «... فهذا أقسى ما يكون من الوقاحة والإجـرام، وقلة الحياء، وصفاقة الوجه، وثلامة العرض، وانخرام المروءة، والاستهزاء بالدين، والسخرية بشريعة سيد المرسلين.

هذا -والله- أكبر دليل على فراغ قلب صاحب هذه المقالة[1] من الإيمان، وأنه شيطان بعث ليتلاعب بدين الإسلام، وهو أوضح برهان على صدق ما قلناه مرارًا أنه على استعداد للكفر بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورد قوله لو شافهه بخطأ أبي حنيفة»[2].

المطلب الرابع

استعراض سريع للكتاب وتكملته

الكتاب في أصله ردٌّ على نونية العلَّامة ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكنَّ مؤلفه لم يستوف النونية كاملة، وإنما أورد مقتطفات منها للردّ عليها، وقد ظهر جليًّا في أسلوب المصنف الضعفُ في الحجة والبيان، والتناقض الظاهر في عباراته[3]، وافتقاده لأصول المناظرة والجدل؛ ولذا فإن المعلِّق عليه اعتذر عن ذلك بقوله: «والتقي السُّبْكي أوجز في رده مكتفيًا بلفت النظر إلى كلمات الناظم الخطرة في الغالب بدون أن يناقشه فيها كثيرًا»[4].

---

(١) الكوثري.

(٢) بيان تلبيس المفترى (ص١٢٤-١٢٥).

(٣) انظر أمثلة لذلك في دراسة الدكتور/ ناصر الحنيني لكتاب الكافية الشافية لابن القيم (١/ ١١٣-١٢٠). وقد أشبعنا الكلام عن ذلك في المطلب الثالث من المبحث الثالث، وذلك في السمات العامة للكتاب.

(٤) السيف الصقيل مع تكملته (ص١١).

ولعل هذا الكتاب من أوائل الكتب التي طعن مؤلفها في ابن القيم من خلال الرد على تلك القصيدة المشهورة رَحِمَهُ اللَّهُ، وعنوانه كما في المخطوطة: «كتاب فيه الكلام على قصيدة العلامة شمس الدين ابن القيم» وقد ذكره الزركلي في الأعلام في ترجمة السبكي، وطبع باسم: «السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل»، كما مر معنا.

ولقد ابتدأ السبكي في تأليف هذا الكتاب في ٢٤/ ٢/ ٧٤٩هـ، وفرغ منه في مستهل ربيع الأول من السنة نفسها، وقد تم طبع الكتاب مع تكملته وتعليق الكوثري عليه في مطبعة السعادة سنة (١٣٥٦هـ)، ويقع في ١٩٠ صفحة، إذ أن السبكي لم يستوف الرد على النونية كاملة، فاختار بعض المواضع للرد على ابن القيم، فأكمله الكوثري وعلق عليه.

قال الكوثري -معتذرًا عن السبكي- في المقدمة: «فوجب تقويض دعائمها، بنشـر كتاب السبكي مع تعليق كلمات عليه في مواضع رأيناه في حاجة إلى التعليق».

كما قام الكوثري بوضع عناوين دون أي إشارة، وقد يكمل الأبيات الناقصة أحيانًا، ومرة أخرى يوضح مراد المؤلف.

وكثيرًا ما يتصرف الكوثري بكلام السبكي بزيادة كلمة أو حذفها، بل يتعدى ذلك أحيانًا إلى قرابة نصف السطر، كما مر معنا.

وسوف نستعرض بعض محتويات الكتاب، مع التعليق عليها:

١- قال التقي السبكي: «ليتني ما شرعت في الكلام مع هذا الحمار».

وقال في موضع آخر: «ما أراد هذا الكلب إلا أن يقرر...»، وفي موضع آخر: «ما هذا إلا تيس»، وفي موضع آخر: «لعنه الله ولعنهم». يعني أن ابن القيم عنده كلب وحمار وتيس، وملعون!!

وهكذا يستمر المؤلف في شحن كتابه بمثل تلك العبارات التي يُستحيَى من ذكر بعضها، فالكتاب كله سب ولعن وشتم، وقد نهى الله تعالى عن سب المشركين كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام:١٠٨]، والمسلم أولى بالكف عنه من الكافر، بل قد نهى رسول الله ﷺ عن اللعن، كما ثبت ذلك في عدة أحاديث، فمن خلال ما سبق يظهر لنا أسلوب السبكي في الرد وضعف حجته[(١)] وتناقضه[(٢)].

٢- السبكي يحذر من علم الكلام في موضع، ويذكر أقوال الأئمة في التحذير منه، ثم يقع في عين ما حذر منه في موضع آخر.

---

(١) من ذلك قوله في (ص٢٧) من السيف الصقيل: «وأما رابعًا: فما ذكره عن أبي جهل وغيره أنه لم يكن فيهم من ينكر للخالق يكفي في الرد عليه أن كل من سمعه يتخذه ضحكة».
وقال أيضًا: في (ص٩١) من نفس الكتاب -معقبًا على قول الناظم: وثامنها رفيع الدرجات- ما نصه: «ما بقي من هذا المتخلف هذا النجس أن يجعل لله سلمًا يصعد وينزل في درجاته، تعالى الله عما يقول».
وقال أيضًا في (ص١١٩) من نفس الكتاب: «ثم استمر هذا السفيه في سفهه».
قلت: كأن السبكي لم يسمع قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧]، وقوله تعالى: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ [غافر:١٥]. فياعجبًا كيف يصف السبكي من يتمسك بالكتاب والسنة بأنه سفيه» وهل ظاهر الكتاب والسنة سفاهة؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.
إن المعطلة زعموا أن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة كفر يجب أن ننـزها عنه، كما صرح به الصاوي في حاشيته على الجلالين.

(٢) من ذلك أنه وصف ابن القيم بالكفر والإلحاد في كذا موضع من كتابه «السيف الصقيل» كما في (ص٢٩، ٣٧، ٥٥)، ثم نجده في موضع آخر يقول مخاطبًا ابن القيم كما في (ص١٤٥): «وإن لم نقل بالتكفير ولا بالقتل»؟!
قلت: عجبًا لهذا التناقض!، يكفر ابن القيم في مواضع كثيرة من كتابه، ثم يقول بعد ذلك: «ولم نقل بالتكفير...».

قال التقي السبكي في السيف الصقيل[(١)]: «ليس على العقائد أضر من شيئين: علم الكلام والحكمة اليونانية، وهما في الحقيقة علم واحد: هو العلم الإلهي، لكن اليونان طلبوه بمجرد عقولهم، والمتكلمون طلبوه بالعقل والنقل»، وهذا يناقض:

١ خوضه في علم الكلام المذموم، فإنه استخدم التأويل الكلامي بصرف النصوص عن ظاهرها إلى معنى غير ظاهر.

٢ ادعاءه أن نصوص الصفات ظاهرها عنده التجسيم[(٢)]، فيجب تأويلها.

٣ أن إثبات الصفات يلزم منه حلول الحوادث[(٣)]، فلا بد من تأويلها. ولهذا أوَّل صفة الاستواء[(٤)] بالاستيلاء وحرف صفة الكلام إلى الكلام النفسي[(٥)]، والعلو المطلق بعلو القدر والقهر دون الذات.

وهذا كله من علم الكلام المذموم.

٣- ومن ذلك أنه وقع في ثلب أهل الحديث، وشبع من أعراضهم، يطلق على أهل الحديث والسنة بأنهم حشوية[(٦)] حيث قال: «وأما الحشوية فهي طائفة رذيلة جهال ينسبون إلى أحمد بن حنبل...»[(٧)]، ومعلوم من هم أهل الحديث، لأن الإمام أحمد علم على السنة، وكل من تبنى عقيدة السلف صرح بأنه على مذهب أحمد، حتى الأشعري الذي ينتسب إليه السبكي، لما ترك مذهب المعتزلة صرح باعتناق مذهب أحمد.

---

(١) السيف الصقيل (ص١٣).
(٢) انظر: السيف الصقيل (ص٦٨).
(٣) انظر: (ص١٧، ٧١) من نفس الكتاب.
(٤) انظر: (ص٩٨) من نفس الكتاب.
(٥) انظر: (ص٦٩) من نفس الكتاب.
(٦) السيف الصقيل (ص١٤).
(٧) المصدر السابق (ص١٦).

فهل يرضى السبكي أن ينسب إمامه الأشعري إلى أولئك الجهال الأراذل المتسبين لأحمد؟.

قال محمد بن إسماعيل الترمذي: «كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أبي عبدالله أحمد بن حنبل فقال له أحمد بن الحسين: يا أبا عبدالله ذكروا لابن أبي فتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: أصحاب الحديث قوم سوء. فقام أبو عبدالله وهو ينفض ثوبه فقال: زنديق زنديق زنديق، ودخل البيت»[1].

وقال أحمد بن سنان القطان: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث، إذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه[2].

وقال أحمد بن سلام الفقيه: ليس شيء أثقل على أهل الإلحاد والبدع، ولا أبغض إليهم من سماع الحديث[3].

٤- **ومن تلبيسه**: تسميته القصيدة النونية «الكافية الشافية» بأنها من علم الكلام حيث قال: «فوجدت له تصنيفًا في علم الكلام الذي نهى العلماء عن النظر فيه»[4].

قلت: انظر إلى الكذب المجرد، فالقصيدة النونية ليست إلا تقريرًا لعقيدة أهل السنة، والرد على المتكلمين، لكنه غاظه ردود ابن القيم على المتكلمين، خصوصًا أصحابه الأشاعرة، فثارت ثائرته.

---

(١) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص٤).
(٢) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص٤).
(٣) أخرجه الحاكم في علوم الحديث (ص١٩).
(٤) السيف الصقيل (ص١٩).

والعجيب أنه يصم كتاب النونية بعلم الكلام، ثم يثني على المتكلمين من الأشاعرة فيقول: «والفرقة الأشعرية هم المتوسطون في ذلك»(١).

وقال في موضع آخر: «والأشعرية أعدلها؛ لأنها بنت أصولها على الكتاب والسنة والعقل الصحيح»(٢).

قلت: هذه دعوى لا تستند إلى دليل، فموقفهم من كتاب الله تعالى أن الصفات الواردة فيه ظواهر، والأخذ بتلك الظواهر تجسيم، والتجسيم كفر.

أما السنة فيردونها لأنها خبر الواحد، وخبر الواحد ظني، ويعولون على العقل لأنه أصل النقل، وإذا جاءت أحاديث تؤيد خرافاتهم خرسوا عن ذكر أسانيدها، واستدلوا بالأخبار الضعيفة والمكذوبة في خدمة الشرك الأكبر، وهذا عين ما فعله السبكي مع ابن تيمية(٣).

أما دعواه بأنهم متبعون للعقل الصحيح فهي دعوى يكذبها كل من عرف هؤلاء المعطلة، كما سيأتي، بل لا يأخذون بفهم الصحابة رضي الله عنهم، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

فهل الصحابة قالوا: إن أول واجب على المكلف النظر أو القصد إلى النظر.

وهل قالوا بالجوهر والعرض والجزء الذي لا يتجزأ.

---

(١) السيف الصقيل (ص١٥).

(٢) نفس المصدر السابق (ص١٦).

(٣) انظر: الصارم المنكي لابن عبد الهادي (ص٦، ١٠).

والحاصل من خلال ما تقدم يتضح لنا تناقضات السبكي، وضعف حجته، وتهافت ردوده، ولو تتبعت جميع أقواله في ذلك لطال بي المقام، ولكنني أكتفي هنا بمسألتين أعرضهما على وجه التفصيل، كما في المبحث التالي.

المبحث الثالث
صفة العلو والجهة

المطلب الأول
صفة العلـــو

تواترت النصوص من الكتاب والسنة على علو الله على عرشه، وأنه بائن من خلقه، كما حكاه الإمام الأوزاعي، والإمامان الجليلان أبي حاتم وأبي زرعة الرازيان، ما ذكره أبو الحسن الأشعري في كتبه:

١- قال إمام أهل الشام أبوعمرو الأوزاعي: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله استوى على عرشه، ونؤمن بما ورد في السنة من صفاته جَلَّ وَعَلَا»(١).

علق شيخ الإسلام بقوله: «وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه، والنافي لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف كان خلاف ذلك القول»(٢).

٢- وقال الإمامان الجليلان أبو حاتم وأبوزرعة الرازيان: «أجمع أئمة الإسلام في جميع الأمصار في الحجاز والعراق ومصر وغيرها على إثبات صفات الله تعالى، وأنه على عرشه، بائن من خلقه، وعلمه في كل مكان، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله»(٣).

٣- قال أبو الحسن الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر: «وأجمعوا أنه فوق سماواته، وأول من أنكر علو الله على عرشه في الإسلام هم الجهمية»(٤).

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ١٠٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ١٧٦، ١٨٢).

(٤) انظر: رسالة لأهل الثغر للأشعري (ص٧٥).

٤- وقال عبدالله بن المبارك: «نعرف ربنا فوق سبع سماواته على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية إنه هاهنا في الأرض، بل على العرش استوى»[١].

٥- وقال هشام بن عبدالله الرازي- وكان قاضيًا- فجيء له برجل قد حبس بتهمة التجهم فتاب منه، فقال له ليمتحنه: «أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال ذلك الجهمي: لا أدري ما بائن من خلقه» فقال هشام: «ردوه إلى الحبس؛ فإنه لم يتب»[٢].

٦- وقال عبدالعزيز الكناني: قال لي أحد الجهمية: «إن الله في كل مكان، لا كالشيء في الشيء، ولا كالشيء على الشيء، ولا كالشيء خارجًا عن الشيء، ولا مباينًا للشيء، فقلت: «فقد دللت بالقياس والمعقول على أنك لا تعبد شيئًا»[٣].

ومن قال بنفي صفة العلو فقد فارق السنة والجماعة وقال بقول الجهمية.

٧- قال محمد بن الحسن الشيباني: «فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة؛ لأنه وصف الله بصفة لا شيء»[٤].

٨- وقال الإمام أحمد بن حنبل لمن أنكر علو الله تعالى على خلقه: «فعند ذلك تبين للناس أنكم لاتؤمنون بشيء»[٥].

لذا ضلل الأئمة من أهل السنة والجماعة من أنكر صفة العلو.

---

(١) رواه أبوداود في مسألة (ص٢٦٢) وعبدالله بن أحمد في السنة (١/ ١١٩).

(٢) ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٩) وانظر: العلو للذهبي (ص١٣٣).

(٣) انظر: درء التعارض (ص٦/ ١١٨-١١٩)، مجموع الفتاوى (٥/ ٣١٧).

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤٣٢-٤٣٣).

(٥) الرد على الجهمية والزنادقة لأحمد بن حنبل (ص١٠٥-١٠٦).

٩- قال الإمام أبوحنيفة: «من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه فوق العرش، ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض»(١).

١٠- وقال إمام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة: «من لم يقر بأن الله على عرشه، قد استوى فوق سبع سماواته، بائن من خلقه فهو كافر يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على بعض المزابل، حيث لا يتأذى المسلمون أو المعاهدون بنتن ريح جيفته، وكان ماله فيئًا، لا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر»(٢).

فتبين بما سبق أن قول الجهمية قول محدث، وهو أن الله تعالى في كل مكان، ثم أحدث المتأخرين من المتكلمين مقالة خبيثة: هي أن الله تعالى لا فوق العالم ولا تحته. وهؤلاء المتأخرين من أهل الكلام خالفوا المتقدمين منهم.

١٢- قال الذهبي: «مقالة السلف وأئمة السنة، بل الصحابة ورسوله ﷺ والمؤمنون: أن الله فوق سمواته... ومقالة الجهمية الأولى أنه في جميع الأمكنة، ومقالة متأخري المتكلمين: أن الله تعالى ليس في السماء ولا على العرش، ولا على السماوات، ولا على الأرض، ولا داخل العالم ولا خارج العالم ولا هو بائن عن خلقه ولا هو متصل بهم.... قال لهم أهل الأثر: .... فإن هذه السلوب نعوت المعدوم تعالى الله جَلَّجَلَالُهُ عن العدم، بل هو متميز عن خلقه موصوف بما وصف به نفسه في أنه فوق العرش بلا كيف»(٣).

---

(١) الفقه الأبسط لأبي حنيفة (ص٤٩-٥٢).

(٢) رواه الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص٥٤) والصابوني في عقيدة السلف (ص٢٠).

(٣) العلو (ص١٠٧، ١٩٥).

ومقصوده بمتأخري المتكلمين هم الكلابية والأشعرية، أما متقدميهم فكانوا على العكس: يثبتون صفة العلو والاستواء موافقة لأهل السنة.

١٣- قال محمد بن سعيد بن كلاب: «.... فرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو صفوة الله من خلقه وخيرته من بريته وأعلمهم جميعًا به، يجيز السؤال بأين، ويستصوب قول القائل إنه في السماء، ويشهد له بالإيمان عند ذلك، وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون الأين، ويحيلون القول به[1]، ولو كان خطئًا لكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحق بالإنكار له، وكان ينبغي له أن يقول لها: لا تقولي ذلك فتوهمين أن الله عَزَّ وَجَلَّ محدود، وأنه في مكان دون مكان، ولكن قولي: إنه في كل مكان، دون ما قلت، كلا لقد أجازها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع علمه بما فيه، وأنه أصوب الأقاويل، والأمر الذي يوجب الإيمان لقائله، ومن أجله شهد لها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإيمان حين قالته.

فكيف الحق في خلاف ذلك، والكتاب ناطق به شاهد له»[2].

١٤- وقال ابن كلاب -أيضًا-: «كيف وقد غرس في بنية الفطرة، ومعارف الآدميين من ذلك مالا شيء أبين منه ولا أوكد، لأنك لاتسأل أحدًا من الناس عربيًا ولا عجميًا، ولا مؤمنًا ولا كافرًا: أين ربك؟ إلا قال: في السماء -إن أفصح- أو أومأ بيده أو أشار بطرفه -إن كان لا يفصح- ولا يشير إلى غير ذلك من أرض ولا سهل ولا جبل، ولا رأينا أحدًا داعيًا له إلا رافعًا يديه إلى السماء، ولا وجدنا غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول: في كل مكان كما يقولون.

---

(١) يجعلونه مستحيلًا!!

(٢) درء التعارض (٦/ ١٩٣ - ١٩٤).

وهم يدعون أنهم أفضل الناس كلهم، فتاهت العقول، واهتدى جهم بن صفوان وحده، وخمسون رجلًا معه، نعوذ بالله من مضلات الفتن(١).

والمتأخرون من أهل الكلام الذين عناهم الذهبي من الأشاعرة هم الغزالي والجويني والرازي والسبكي، وإن لم يصرح بذلك، فلا يوجد من اشتهرت عنهم هذه الأقوال من متأخري الأشاعرة إلا هؤلاء»(٢).

المطلب الثاني

الجهـــة

يرى السبكي أن الله تعالى منزه عن علو الذات لتعاليه عن الجهة والمكان، ويتأول ذلك بعلو القدر والقهر فيقول: «والفوقية بمعنى القهر وعلو القدر متفق عليها، والجهة هي عين النزاع، ويلزم منها قدم الجهة»(٣).

وقال أيضًا: «نص في العلو: أما في الذات فلا»(٤).

فالشبهة عند السبكي في نفي العلو هي أن إثبات علو الذات يلزم منه الجهة، والجهة مخلوقة، والله منزه أن يحل في مخلوق(٥).

---

(١) درء التعارض (٦/ ١٩٤).
(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص٢٤)، الرازي في محصل أفكار المتقدمين (ص١٥٧-١٥٨)، الإرشاد للجويني (ص٥٨)، درء التعارض (٦/ ١٩٤)، المواقف للإيجي (ص٢٧١)، السيف الصقيل (ص١٠١، ١٠٩).
(٣) السيف الصقيل (ص١٠١).
(٤) السيف الصقيل (ص١٥٩).
(٥) انظر: المواقف للإيجي (ص٢٧١)، غاية المرام للآمدي (ص١٨٠ - ١٨١).

ثم قال مستنكرًا: «أين قال الله ورسوله إنه فوق سمواته... وأين قال ربنا إنه بائن من خلقه!! ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقات، فقد نسبت إلى قول الله ما لم يقله»[١]. انتهى كلام السبكي.

والجواب من وجوه:

الأول: أن الجهة من الألفاظ التي أحدثها المتكلمون، فإنها لم ترد في الكتاب والسنة، ومن القواعد المقررة عند أهل العلم أن ما أحدثه المتكلمون من ألفاظ أطلقوها على الله تعالى، لا تقبل مطلقًا ولا ترد مطلقًا حتى يستفصل عن المراد منها، فإن كان مرادهم بالجهة جهة مخلوقة، فلا شك في بطلانها؛ فإن الله تعالى ليس في جهة بهذا المعنى، فالله تعالى ليس داخلًا في شيء من خلقه ولا حالًا فيها، لأن الله تعالى ليس في مخلوق ولا المخلوق في الله تعالى، بل الله تعالى فوق المخلوقات كلها.

وإن كان مرادهم من لفظ الجهة العدمية غير المخلوقة بمعنى أن الله تعالى فوق هذا العالم، فهذا المعنى صحيح؛ لأن ما رواء هذا الكون ليس فيه جهه مخلوقة حتى تكون ظرفًا لله تعالى، ولا يلزم أن يكون الله تعالى مظروفًا فيها، بل المراد أن الله تعالى فوق هذا العالم بائن من خلقه، وهذا مراد من أثبت الجهة لله تعالى من السلف[٢].

فنفي الجهة بهذا المعنى تعطيل للرب بالكلية، وليس هذا مذهب أهل السنة، بل هو طريق أهل البدع من المعطلة.

قال السلطان محمود سبكتكين: «لما سمع ابن فورك الأشعري ينفي فوقية الله تعالى على خلقه قال له: «فلو أردت أن تصف المعدوم، كيف تصفه بأكثر من هذا»[٣]؟!

(١) السيف الصقيل (ص٢٤).
(٢) انظر: التدمرية (ص٦٦-٦٧)، مجموع الفتاوى (٣/ ٤١)، درء التعارض (١/ ٢٥٣ - ٢٥٤).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧).

وقال الإمام ابن عبد البر: «وهم -المعطلة- نافون للمعبود، يلاشون -أي يقولون لا شيء- والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم أئمة الجماعة»(١).

قلت: «إثبات الجهة لله تعالى، وهي الفوقية والعلو، صحيح لا بد منه، وهي عقيدة الصحابة والتابعين، وأئمة هذا الدين من أهل السنة والجماعة، وأما إنكار الجهة بهذا المعنى فهو مذهب المعطلة»(٢).

وقد صرح القاضي عياض والنووي والزبيدي بأن إثبات الجهة هو مذهب المحدثين والفقهاء، وأن دهاة المتكلمين ينفون الجهة(٣).

وقال ابن رشد: «القول بالجهة: وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة يثبتونها لله تعالى حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخروا الأشاعرة... وظواهر الشرع كلها تقتضى إثبات الجهة»(٤).

وقال القرطبي: «وقد كان السلف الأُوَلُ لا يقولون بنفي الجهة، ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق بها كتابه، وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة.... وإنما جهلوا كيفية الاستواء»(٥).

---

(١) التمهيد (٧/ ١٤٥).
(٢) انظر: حوار مع أشعري للدكتور محمد الخميس (ص٨٥).
(٣) انظر: شرح مسلم للنووي (٥/ ٢٤-٢٥)، شرح الأحياء للزبيدي (٢/ ١٠٥).
(٤) مناهج الأدلة لابن رشد (ص١٧٦-١٨٥٢).
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٢١٩-٢٢٠).

قلت: أنظر إلى كلام النووي وابن رشد والقرطبي؛ قد صرحوا بأن السلف الأولين من المحدثين والفقهاء يثبتون العلو لله تعالى، وصرح ابن رشد بأن المعتزلة هم الذين نفوا العلو، وتبعهم على ذلك متأخرو الأشاعرة.

وقد تقدم كلام ابن المبارك بالتصريح بأن الجهمية أول من نفى صفة العلو، فلما أنكر الجهمية صفة العلو صرح الأئمة بإثباتها والرد على من نفاها.

قال الإمام قتيبة بن سعيد: «هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة، نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه وعلمه في كل مكان»(١).

وقال علي بن المديني -وقد سئل: ما قول أهل السنة والجماعة- فأجاب: «يؤمنون بالرؤية والكلام، وأن الله عَزَّوَجَلَّ فوق السماوات، وعلى العرش استوى»(٢).

فهذه النصوص من الأئمة في غاية الوضوح والصراحة، في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، وتوضيح عقيدة أن الله تعالى فوق العالم وعلى العرش استوى.

فكيف يدعي السبكي أن نفي العلو هو عقيدة أهل السنة والجماعة.

هذا من التلبيس والكذب عليهم.

الوجه الثاني: أما دعواه بأن الله منزه عن علو الذات والمكان، فنقول: لفظ المكان من الألفاظ المحدثة التي أحدثها المتأخرون من أهل الكلام، وأطلقوها على الله تعالى.

ذلك أنهم لم يقفوا على النصوص، بل تجاوزوا ذلك، وخاضوا في كيفية الصفات.

---

(١) العلو للذهبي (ص١٢٨)، اجتماع الجيوش (ص٢٣١).

(٢) اجتماع الجيوش (ص٢٣٤).

وقد تقدم موقف السلف من الألفاظ المحدثة التي أطلقت على الله تعالى، أنها لا تقبل مطلقًا ولا ترد مطلقًا، بل يستفصل عنها، فإن قصد بها قائلها معنى صحيحًا، قبلت وطولب بالتعبير الصحيح، وإن قصد بها معنى باطلًا، ردت من جهة اللفظ والمعنى.

وعلى هذا فنقول: يستفسر ما المراد بالمكان؟ فإن قصد به شيء مخلوق، وأن الله تعالى مظروف لظرف مخلوق، فهذا معنى باطل بلا شك.

ولا يلزم من قولنا: «إن الله تعالى فوق العالم بائن من خلقه» أنه مظروف في شيء مخلوق، وإن كان مراده من المكان ما فوق العالم فهذا المعنى صحيح، لأن الله تعالى فوق العالم بائن من خلقه.

لكن الأشاعرة ومنهم السبكي يعنون بقولهم: «ولا له مكان» أن الله تعالى لا فوق العالم ولا داخله، وأنه لا فوق العالم إله يعبد، ولا رب يصلى له ويسجد، ولا وراء الكون خالق خلق هذا الكون، ولا عرج بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ربه أصلًا. هذا مقصود هؤلاء المعطلة نفاة العلو ومنهم السبكي(١).

الوجه الثالث: أما قوله: «أين قال الله ورسوله إنه فوق سمواته، وأين قال ربنا إنه بائن من خلقه.....» الخ.

فالجواب: إن العاقل ليعجب من هذا الكلام، مع كثرة أدلة العلو وتنوعها، والتي فيها دلالة واضحة على علو الله تعالى على خلقه، بل قد تتبع بعض الأئمة تلك الأدلة فوجدها تربوا على ألف دليل، مع دليل الفطرة(٢).

---

(١) انظر: نقض المنطق (ص٥٠)، مجموع الفتاوى (١٤/ ٥٨ - ٥٩).

(٢) الجواب الصحيح (٣/ ٨٤)، الصواعق (٤/ ١٢٧٩).

قال محمد بن عثمان بن أبي شيبة -في تقرير دليل الفطرة-: «وأجمع الخلق جميعًا أنهم إذا دعوا الله رفعوا أيديهم إلى السماء، فلو كان الله عَزَّوَجَلَّ في الأرض السفلى ما كانوا يرفعون أيديهم إلى السماء، وهو معهم في الأرض، ثم تواترت الأخبار أن الله تعالى خلق العرش فاستوى عليه بذاته، ثم خلق الأرض والسموات... فهو فوق السموات وفوق العرش بذاته، متخلصًا من خلقه»[(١)].

فالحاصل أن ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ ذكر أدلة العلو في الصواعق، كما في المختصر وساقها في النونية منظومة بأبيات، ونحن نذكر منها ما يلي:

أولًا: التصريح بالفوقية مقرونًا بأداة: «من» المعينة للفوقية بالذات في قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل:٥٠].

ثانيًا: ذكرها مجردة عن الأداة كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، وهي ظاهرة في المراد، ولا يجوز صرفها عنه إلا بدليل ولا دليل.

ثالثًا: التصريح بعروج بعض المخلوقات إليه كقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤].

رابعًا: التصريح بالصعود إليه، وبرفعه بعض المخلوقات كقوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء:١٥٨]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر:١٠].

خامسًا: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتًا وقدرًا، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣].

سادسًا: التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [غافر:٢].

---

(١) العرش لابن أبي شيبة (ص٥١).

وأكتفي بهذه الأدلة، علمًا بأن ابن القيم قد ذكر عشرين وجهًا كما في مختصر الصواعق[١]..

والحاصل: رغم كثرة الأدلة ووضوحها، كيف يدعى السبكي أن الفوقية لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

أما محمد بن زاهد بن الحسن بن علي الكوثري، وقد تقدمت ترجمته[٢]. وكان عدوًّا لدودًا لأهل الحديث والسنة، كسب كثيرًا من الأتباع والأنصار من أهل الأهواء والأغراض؛ لكثرة اطلاعه الواسع، وسحر بيانه وجرأته، فعظمت به الفتنة[٣]، فتصدى للرد على عقيدة السلف.

ومن الكتب التي ألفها في الرد على عقيدة أهل السنة والجماعة حاشيته على كتاب «السيف الصقيل»، وكان سبب تأليف هذا الكتاب أن نونية ابن القيم التي طبعت مرارًا وتكرارًا، كانت شجى في حلقه، فأغاظه ذلك وأغضبه أنه لم يجد أحدًا يرد عليها من العلماء المعاصرين، فقد قال عن نونية ابن القيم: «طبعت مرارًا وتكرارًا مما لا بغية له من طبعه غير عدد القرش يملأ به الكرش... بدون أن يقوم أحد من العلماء المعاصرين للرد عليها... لكن ينبغي بعد تكرار طبعها مع تقاعس أهل العلم عن ردها مساق الإهمال، فوجب تقويض دعائمها بنشر كتاب السبكي مع تعليقات كلمات عليه في مواضع رأيناها في حاجة إلى التعليق، وقد سميت ما علقته: تكملة الرد على نونية ابن القيم»[٤].

---

(١) مختصر الصواعق (ص٢٠٥- ٢١٧) ط. مكتبة الرياض الحديثة.

(٢) انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ١٢٩).

(٣) بيان مخالفة الكوثري لعقيدة السلف للخميس (ص١٤).

(٤) حاشية الكوثري على السيف الصقيل (ص١٢).

وبلغ من حقده على ابن القيم لأجل تقرير مذهب أهل السنة والحديث والرد على المخالفين لهم في كتابه العظيم النونية أن وصف كتاب ابن القيم بأنه من أبشع الكتب وأوقحها، حيث قال الكوثري: «ونونية ابن القيم هذه من أبشع كتبه، وأبعدها غورًا في الضلال، وأشنعها إغراءً للحشوية ضد أهل السنة(١)، وأوقحها في الكذب... إنا نشير هنا إلى أن ابن القيم كلما نراه يزداد تهويلًا وصراخًا باسم السنة في كتابه هذا، يجب أن نعلم أنه هنا في تلك الحالة متلبس بجريمة خداع خبيث... ودس شنيعين»(٢).

قلت: رمتني بدائها وانسلت، فالكوثري أحق بهذا الوصف، فهو من المخادعين المدلسين، وكتبه شاهدة على ذلك، فهي مليئة بالتأويلات الفاسدة، والأقوال الضعيفة، والاصطلاحات الفلسفية، والعبارات الجافة المعقدة المحشوة بالجدليات والمتناقضات لكتب السلف الصالح المتقدمين، فلم يسلم من سلاطة لسانه أحد،حتى تناول بعض أصحاب النبي ﷺ كأنس بن مالك رضي الله عنه، فقد طعن فيه بالهرم وعدم الفقه كما في كتابه تأنيب الخطيب(٣)، وكذا طعن في الصحابي الجليل معاوية بن أبي الحكم، راوية حديث الجارية بأنه غير فقيه، وأنه يتكلم في الصلاة كما في تبديد الظلام(٤).

وقد تصدى له جملة من أهل السنة المعاصرين، حتى الصوفية، كتبوا في عليه -كما تقدم جملة من ذلك- مما يدلنا وضوح ضلالاته لكل أحد.

(١) يقصد بهم الأشاعرة والماتريدية.

(٢) المصدر السابق

(٣) (ص١١٧).

(٤) (ص٩٤، ٩٦)، وانظر: تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات (ص١١٧).

الحاصل أن آراء الكوثري، ليست بدعًا من آراء أهل الكلام المتقدمين، بل هي نفس آرائهم التي ردها الأئمة عليهم وفندوها، كالدارمي في الرد على المريسي، والرد على الجهمية، وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث، وكتابه: «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة»، والكناني في كتابه الحيدة وغير ذلك، فلا أطيل بمناقشتها.

المبحث الثاني

القواعد التي اعتمدا عليها

استند إليها السبكي والكوثري في رده على ابن القيم على قواعد، استخدمها جميع المعطلة لرد النصوص وهي كما يلي:

القاعدة الأولى: أن ظاهر نصوص الصفات غير مراد؛ لأن ظاهرها التجسيم والتشبيه والتركيب، وإثبات الصفات عنده يلزم منها حلول الحوادث(١). لذا وصف أهل السنة والحديث الذين يثبتون الصفات الواردة في الكتاب والسنة بالمجسمة(٢) ولمزهم بالحشوية، لأجل إثباتهم الصفات(٣)، ورمى علماء أهل الحديث المثبتين للصفات بالتجسيم، فقد قال عن الإمام الذهبي «مجسم»(٤) وأنه من أعلم دعاة التجسيم(٥)، وإنه انحرف انحرافًا شديدًا عن أهل التنزيه، يعني بهم الأشاعرة والماتريدية(٦)، وأن الإمام الذهبي قليل المعرفة بمدلولات الألفاظ(٧)، وأنه لم يمارس الشريعة، وأنه متابع في ذلك لابن تيمية، وأن ابن تيمية مخالف للإجماع(٨)، وقال مما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدسة القول بحلول الحوادث، وأنه يصف الله بأنه يمس ما يشاء من خلقه(٩)، وهذا كذب وافتراء، وتابعه ابن القيم في القول بالتجسيم، فهو عنده صدى لابن تيمية(١٠).

---

(١) تبديد الظلام (ص١٨٦، ١٩٠، ١٩٧).
(٢) المصدر السابق (ص١٦٥، ٢٠٠).
(٣) (ص١٨٦، ١٩٣، ١٩٦).
(٤) (ص٢٠).
(٥) (ص٢٠).
(٦) (ص٢٠٢).
(٧) (ص٢٠٤).
(٨) (ص١٩٠).
(٩) (ص٢٠٩).
(١٠) (ص٢٧، ٢١٩)

وأنه من ورثة علوم الصابئة عبده الأجرام السماوية[(١)]، وأنه يقول بالجسم[(٢)]، وأنه يقول بدعوى حوادث لا أول لها، ويقول بالمكانية لله تعالى[(٣)]، وأن الله تعالى متمكن على العرش تمكن استقرار[(٤)]، وأنه يقول بجلوس الله على العرش[(٥)].

وهذا كله كذب وافتراء، وزعم الكوثري أن ابن القيم فرق كلمة المسلمين، وهو سبب في توهين سلطان الدين[(٦)]؛ لذا عنده أن ابن القيم من حزب جنكيزخان، وغير ذلك من التهم والافتراءات.

سبحانك ربي هذا بهتان عظيم.

هذا صنيعه مع أئمة أهل السنة والحديث، وأما مع أئمة المعطلة فهو يثني عليهم، ويبالغ في ذلك.

فيقول عن الرازي[(٧)]: «سيف الله المسلول على المجسمة»، «تمكن ببيانه الواضح وبرهانه الدامغ من إزالة شرور المجسمة من بلاد المشرق، كما أجهز على المجسمة الذين أووا إلى الشام بكتابه: أساس التقديس».

قلت: قد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بكتابة العظيم: «نقض تأسيس الجهمية»، ونقض قواعده، فانهار بنيانه وطبع الكتاب حديثًا في عشر مجلدات، ولله الحمد.

---

(١) (ص١٧١).
(٢) (ص٩٠، ٩٤).
(٣) (ص١٩٤).
(٤) (ص١٩٢).
(٥) (ص٢٠٠).
(٦) (ص١٩٣).
(٧) (ص١٩٥).

القاعدة الثانية: وجوب تأويل الصفات على خلاف ظاهرها:

والتأويل عنده هو التأويل البدعي والكلامي وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى غير ظاهر، وهذا المعنى أحدثه أهل الكلام المعتزلة.

إذ أن التأويل في كتاب الله له معنيان:

الأول: التفسير. **الثاني:** العاقبة والمآل.

وكلا المعنيين يكونان في النص الطلبي والخبري، وأما صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر فهو محدث.

الحاصل أن الكوثري يوجب التأويل البدعي الكلامي، ويرى النصوص على خلاف ظاهرها، والتزم بهذا المنهج في أثناء التطبيق، فعطل صفة الاستواء، وحرف نصوصها إلى الغلبة والقهر[١]، وعطل صفة النزول، وحرف نصوصها إلى نزول ملك أو نزول أمره[٢].

وعطل صفة الكلام الحقيقي لله، وحرفها إلى الكلام النفسي[٣]، وعطل صفة العين وحرفها إلى معنى قائم بالله[٤]، وعطل صفة اليد وحرفها إلى القدرة أو النعمة، وعطل صفة القبض وحملها على المجاز[٥].

القاعدة الثالثة: القول بالتفويض إذا تعذر التأويل الكلامي[٦].

---

(١) (ص١٩٩، ١٢٧، ١٢٨).
(٢) (ص١٠٢، ١٠٣، ١٢٨).
(٣) (ص٦٨، ٧٠، ١٩٧).
(٤) (ص١٦٧).
(٥) (ص١٦٨).
(٦) (ص١٩٤، ١٩٥).

القاعدة الرابعة: أن الأخذ بظواهر نصوص الصفات مخالف للعقل عند الكوثري[١].

القاعدة الخامسة: منهج القرآن والسنة هو إثبات وجود الصفات كما وردت على المعنى اللائق بالله لا إثبات كيفيتها،لأن الكيف هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

وخالف الكوثري في هذه القاعدة فهو يخوض أحيانًا في ذلك كنفيه الصفات وخاصة صفة الكلام[٢].

القاعدة السادسة: الكوثري يرد خبر الواحد، فعنده لا يثبت به عقيدة ولا صفة لله تعالى[٣]، فقد قال: وإفادة خبر الآحاد العلم من هواجس الظاهرية» وهو من أهم قواعد التوحيد العلمي الخبري عند الكوثري.

أما التوحيد العملي الطلبي «توحيد العبادة، فأهل الكلام لا يدخلونه في مسمى التوحيد، ولا يعدونه من أنواعه.

والتوحيد المطلوب عندهم هو التوحيد العلمي الاعتقادي، أما التوحيد العملي الطلبي فقد أهملوه. لذا لا يحذرون من الشرك، وهذا ماوقع فيه الكوثري، ويتضح ذلك فيما يلي:

١ - غلوه في تعظيم القبور، فيرى جواز البناء عليها، وإيقاد الشموع والسرج عليها، وجواز الصلاة في مسجد فيه قبر، وجواز مسح القبر طلبًا للشفاء[٤].

---

(١) (ص٩٧).
(٢) (ص١٩٧).
(٣) (ص١٧٣).
(٤) (ص١٨٥).

٢- غلوه في تعظيم الصالحين، فأرواح الأولياء والصالحين عنده لها آثار في العلوم، وأن النفوس لما فارقت الأبدان زال عنها الغطاء.

قال الكوثري مقررًا ومستشهدًا بكلام الرازي[١]: «إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس، كامل الجوهر، شديد التأثير، ووقف هناك ساعة، وتأثرت نفسه من تلك التربة، حصل لنفس الزائر تعلق بتلك التربة...».

إلى أن قال: «كل ما حصل في نفس ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرفة، والآثار العلوية الكاملة؛ فإنه ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحي، وبهذا الطريق تصير تلك الزيارة سببًا لحصول المنفعة الكبرى، البهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور، فهذا السبب الأخير في مشروعية الزيارة».

إلى أن قال: «إن أرواح البشرية الخالية عن العلائق الجسمانية المشتاقة إلى الاتصال بالعالم العلوي بعد خروجها من ظلمه الأجساد، تذهب إلى عالم الملائكة ومنازل القدس، ويظهر فيها آثار في أحوال هذا العالم فهي المدبرات أمرًا»؟

وينقل عن التفتازاني قوله: «لهذا يتنفع بزيارة المقبور، والاستغاثة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات واستدفاع الملمات»[٢]، ثم ينقل عن الجرجاني قوله: «ولذلك كانت زيارة مراقدهم معدة لفيضان أنوار كثيرة،منهم على الزائرين كما يشاهده أصحاب البصائر»[٣].

---

(١) (ص١٨٣).
(٢) (ص١٨٤ - ١٨٥).
(٣) (ص١٨٥).

وينقل عن الشافعي كذبًا: «إني لأتبرك بأبي حنيفة، وأجيء إلى قبره كل يوم، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره، وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تقضى»(١).

ويذكر أن الحافظ عبدالغني المقدسي خرج في عضده شيء يشبه الدمل، فأعيته مداواته، ثم مسح به قبر أحمد بن حنبل فبرىء ولم يعد إليه(٢).

٣- يدعى الكوثري أن الأحاديث في وجوب خبر زيارة النبي ﷺ في غاية الكثرة.

قلت: وهذه الأحاديث إما ضعيفة أو موضوعة، كما صرح بذلك أئمة الإسلام في كتبهم مثل ابن عبدالهادي في الصارم المنكي وغيره من أهل العلم.

٤- من لم يوافقه في غلوه في قبر النبي ﷺ والصالحين، ففي قلبه بغض وضغينة نحو النبي ﷺ.

قال الكوثري عن شيخ الإسلام(٣): «فسعيه في منع الناس من زيارة النبي ﷺ، يدل على ضغينة كامنة فيه نحو الرسول ﷺ، وكيف يتصور إشراك بسبب الزيارة والتوسل»؟

قلت: هذا من تلبيس من الكوثري، فابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يمنع زيارة قبر النبي ﷺ ولا قبور الصالحين الزيارة الشرعية، وإنما منع شد الرحال إلى زيارة القبور اتباعًا لقول النبي ﷺ: **«لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»**.

---

(١) (ص١٨٥).
(٢) (ص١٨٥).
(٣) (ص١٧٩).

ومن معلوم أن من علامات الإيمان حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن علامات الكفر والردة بغض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فكيف يرى الكوثري شيخ الإسلام أنه مبغض للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! بل هو متبع للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحيي سنته.

٥- التوسل عند الكوثري هو توسل بذات الرسول أو الولي في حضوره وغيبته وبعد موته، والفرق بين التوسل بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته وبعد مماته مأخوذ من اليهود. قاله الكوثري في حق شيخ الإسلام[١]، وأن كلام شيخ الإسلام في مسألة التوسل متناقض في نفسه، وأنه أصيب في عقله ودينه، وأنه لا يخاف الله، وأنه رمي جميع المسلمين بالشرك[٢].

قلت: هذا افتراء وكذب على شيخ الإسلام سبحانك هذا بهتان عظيم.

---

(١) (ص١٧٧-١٧٩).
(٢) (ص١٧٧-١٧٩).

القسم الثاني

التحقيـــق

وصف النسخ الخطية المعتمدة

بعد البحث والتفتيش والتنقيب، عثرت -ولله الحمد- على نسختين خطيتين للكتاب:

النسخة الأولى: نسخة مصورة من مكتبة الملك فهد عن مكتبة الرياض السعودية الكائنة بالإفتاء ورقمها ٨٦/ ٣٦٧ وعدد أسطر كل صفحة قرابة ٢٥ سطرًا، وقد دخلت في المكتبة السعودية في تاريخ ١٨/ ٤/ ١٣٩٢هـ، ثم نقلت مع جميع مخطوطات المكتبة السعودية إلى مكتبة الملك فهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعدد صفحات المجلد الأول ٣٣٧ صفحة، وعدد صفحات المجلد الثاني ٣٧٦ صفحة، وعنوانها بخط المؤلف هكذا:

كتاب توضيح المقاصد وتصحيح القواعد

في شرح الشافية الكافية في العقائد

تأليف الفقير إلى ربه القدير

أحمد بن إبراهيم بن عيسى

الشرقي

لطف الله به آمين

وعلى الغلاف من الجهة اليسرى هذه العبارة: «انتقل في ملك الأمير عبدالله بن إبراهيم العسكر بالشراء الشرعي ٢٤/ ش/ سنة ١٣٣٢هـ».

وفي وسط الغلاف تعليقات بخط المؤلف هي من أصل الشرح.

والكتاب بعد التحري والسؤال عرفنا بحمد الله أنه بخط الشيخ حمد بن ناصر العسكر، كما سبق وهو خط لا بأس به، لكن يوجد سقط يسير في المجلد الأول في مواضع منه، وشطب في مواضع أخرى، وتعليقات كثيرة جدًّا في الحواشي بخط المؤلف نفسه، وإحالة لبقية كلامه في موضع آخر، وربما كان الموضع الآخر بعيد جدًّا، ويرمز لذلك بإشارة، تدل على معرفة الموضع التي به يتم الكلام، وهذا كان من أصعب المواضع التي واجهتني في المقابلة، ولا تكاد تمر بعشر صفحات إلا وتجد كلامًا بخط المؤلف كلامًا يدل على أن الكتاب قد قرئ عليه إلى هذا الموضع، كأن يقول في كل موضع يقف فيه: «بلغ قراءة على مؤلفه عفى الله عنه» أو «بلغ قراءة على مؤلفه»، وكثيرًا ما يقول: «بلغ» اختصارًا، ويعني به ما ذكرناه، وهذا في جميع الكتاب.

ووجدت في حواشي الكتاب تعقبات من إملاء الشيخ عبدالله العنقري والشيخ سليمان بن سحمان، ووجدت للشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان تعقب في موضع واحد.

وهناك تعقبات وتعليقات على كلام الشارح بخط لا أعرفه، وكذلك وجدت تصحيحات في الحواشي لأبيات النونية بخط لا أعرفه.

وقد رمزت لهذه النسخة بـ (ع).

النسخة الثانية: نسخة مصورة من وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، والجزء الأول يقع تحت رقم (٨٣٦/خ) والمجلد الثاني يقع تحت رقم ح/ (٢٣٠/خ)، وهو بخط صالح بن دخيل، وهو تملكات الشيخ عبد الله الدحيان رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم انتقل إلى وزارة الأوقاف، وهو بخط رقعة جميل جدًّا، وهي نسخة مقابلة،

وعليها تعليقات قليلة، وعلى الهامش فوائد، وبعض الكلام بالأحمر، وبعضه فوقه خط بالأحمر.

وعدد أوراق المجلد الأول (٢٤٠/ ق).

وحجم الورقة ٢١×١٧ سم وعدد الأسطر (٢٠س).

أما المجلد الثاني فعدد أوراقه (٢٢١/ ق)، وحجم الورقة ٢١×١٦,٨سم، وعدد الأسطر (٢٠س).

إلا أن المجلد الأول به آثار أرضة تبدأ من ورقة ١٠٥ نقطة ثم تكبر في الحجم إلى آخر المجلد الأول.

وحجم المكان التآكل ٣×٤ سم كحد أقصى تقريبًا.

وقد رمزت لهذه النسخة بـ (د).

الأخطاء التي وقعت في النسخة المطبوعة

لا تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب المطبوع إلا وفيها سقط أو تحريف أو تصرف من قبل المعلق يخل بالمعنى.

وسوف أشير إشارة إجمالية لكل نوع، وأكتفي بخمسة أمثلة، وأحيل القارئ على البقية في مواضعها.

أولًا: السقط:

أما السقط ففي أكثر من مائة وخمسين موضعًا، ما بين كلمة إلى عدة أسطر، وربما صفحات، وما تحته ساقط من الموضوع، وإليك الأمثلة التالية:

١- في المطبوع (١/ ٩٧): (وأطال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلام) سقط بعد قوله: (وأما عجب الذنب فسيأتي الحديث عنه).

٢- في المطبوع (١/ ١١٨): (فصل قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وقضى على أسماءه بحدوثها ... ويخلقها من جملة الأكوان

ما تحت الخط ساقط في المطبوع.

٣- في المطبوع (١/ ١٢٩): (وقوله وهو الصراط الذي عليه رب العرش...) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦].

سقط بعد هذا الكلام: (فلا يكاد يسلطهم علي، وقيل إن دين ربي هو الصراط، وقيل إن ربي يحملكم على صراط، وقيل إن ربي يدل على صراط، والأول أولى، والله عَزَّوَجَلَّ هو الحق، وصراطه حق ودينه حق، فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدي).

٤- سقط في المطبوع (١/ ٤٨٢) الكلام الآتي -كما في النسخة الخطية- (١٤٩/٩/٤٢): (قال في القاموس راغ الثعلب روغًا وروغانًا).

٥- في المطبوع: (١/ ١٠٠): (وهذا من الجنة)، والنسخة الخطية: (وهو من ريحان الجنة).

ويوجد ما يربوا على ثمان وستين موضعًا غير ما ذكرت تركتها اختصارًا[١].

ثانيًا: التحريفات والأخطاء المطبعية:

أما التحريفات فقد بلغت أكثر من أربعمائة موضع، وسأكتفي بنماذج منها، وأحيل القارئ على بقية المواضع.

وإليك بعض النماذج:

الصفحة	المطبوع	المخطوط
١/ ٤	هل الضلالات	أهل الضلالات
١/ ٩	وأول كتاب	أول كتابه
١/ ١٤	لا ينافي دلالته على صفة الرحمن	لا ينافي دلالته على صفة الرحمة
١/ ١٧	أحدثوا من غير محدث	أو حدثوا من غير محدث
١/ ١٩	وودى الأمانة	وأدى الأمانة
١/ ٢٢	إد ليس	إذ ليس
١/ ٢٣	فأن نزل تلك الصفة	فأنزل تلك الصفة
١/ ٢٤	يراد من القلب نسبانكم	يراد من القلب نسيانكم
١/ ٢٩	ورضي الله عن الشافعي حيث قال	ورضي الله عن الشافعي حيث يقول
١/ ٣٠	وإن جمعية كلام الله	وإن جميعه كلام الله

(١) انظر: رسالتي للدكتوراة (١/ ١٦٣ - الأصل).

١/ ٣١	فإن الله بعثه ليبلغ عنه كلام	فإن الله بعثه ليبلغ عنه كلامه
١/ ٤٣	فحبس الله عن أيديهم وألسنتهم فلم يتجاهروا عليه	فحبس الله عنه أيديهم وألسنتهم فلم يتجاهروا عليه
١/ ٤٤	أجاني من الشام	الجاني من الشام
١/ ٥١	ضرار من الإثبات وذباب عن التحقيق	فرارًا من الإثبات وذهابًا عن التحقيق
١/ ٥٢	يصفوا كلامهم صبعًا	يصفوا كلامهم وصفًا
١/ ٥٥	اجتمع من فينكم ألفًا ألف	اجتمع من فيئكم ألفي ألف
	قوله: يجب أن يعصى	يحب أن يعصى
١/ ٦١	ولا يعلم وجه امتنا هعل	ولا يعلم وجه امتناع الفعل

أما بقية التحرفيات فقد زادت على أكثر من مائة وستين موضعًا، وأحيل القاري على الرسالة، مع التنبيه على أن تلك التحريفات بمجموعها تدل دلالة لا مرية فيها على أن الكتاب المطبوع غير صالح لإعادة نشره مرة أخرى، والله أعلم(١).

ثالثًا: تصرفات الطابع:

تكاد تكون كل التعليقات التي في الحاشية بعيدة عن الصواب، ويتصرف الطابع في كثير منها تصرفًا يفسد المعنى، إما بزيادة أو نقص أو تقديم أو تأخير من دون أي إشارة، وهذه بعض الأمثلة:

١- قال في (١/ ١٠٦): قال الجوهري: الجسم الجسد وكذلك الجسمان... قال: وجماعة جسم الإنسان، أيضًا يقال له: (الجسمان...) إلخ، ثم أشار في الحاشية بقوله: (في الأصل: وقال جماعة، وهو خطأ).

---

(١) انظر: رسالتي للدكتوراة (١/ ١٦٤-١٦٥ - الأصل).

أقول: الذي في النسخة الخطية هكذا: (قال[1]: جماعة جسم الإنسان...) الخ. فالكلام لا يزال للجوهري، والضمير في (وقال) راجع إلى الجوهري، إذ هو القائل، وظن الطابع أنه قول جماعة، فقال: (وهو خطأ).

٢- قال في (١/ ١١٢): (وكما ذكره أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي في كتاب له). وفي النسخة الخطية: (كما ذكره أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي في كتاب الصوفية).

٣- قال في المطبوع (١/ ١٤٢): (...لكن ابن عربي أقربهم إلى الإسلام وأحسن، أما في مواضع كثيرة فإنه يفرق بين الظاهر والباطن)، وفي المخطوط (... لكن ابن عربي أقربهم إلى الإسلام وأحسن كلامًا في مواضع كثيرة...).

٤- قال في المطبوع (١/ ١٤٧): (... وإذا صار لأحدهم ذوق وَوَجَدَ له تَأَلُّه، وسلك طريق الاتحادية)، وقد ظن المعلق أن الجملة هنا ناقصة؛ وظن أنها (وَجَدَ) على وزن فعل، فزاد بعدها (له) فتغير المعنى.

والذي في المخطوط: (وإذا صار لأحدهم ذوق ووِجْدٌ: تأله وسلك طريق الاتحادية).

والوِجْدُ -بكسر الواو- هنا اصطلاح صوفي، ليس هو فعل (وَجَدَ) كما توهم الطابع، فالتأله الذي حصل له؛ لأجل الوِجْد الذي قام في نفسه، كما يدعي زنادقة الصوفية.

٥- قال في المطبوع (١/ ٢٢٨) وهو يذكر حديث ابن مسعود: (... إن الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفا...) الخ، ثم علق في

(١) الجوهري.

الحاشية بقوله: (في الأصل: كحجر وهو خطأ)، والواقع أنها في المخطوط (كجر سلسلة على الصفا) مطابقة للحديث، وليست خطئًا كما ظن الطابع.

٦- قال في المطبوع: (ثم انتقل من بخارى إلى جرجان...) الخ، ثم عرف جرجان في الحاشية، بينما في المخطوط (ثم انتقل من بخارى إلى جرجانية)، وجرجانية مدينة عظيمة على شاطئ جيجون، وهي غير جرجان كما توهمه الطابع. [انظر: معجم البلدان (٢/ ١٤٢-١٤٣) دار الكتب العلمية].

٧- في المطبوع: (وكان منجمًا لائقًا...) ثم علق الطابع بقوله: (هذه الكلمة لم تكن واضحة في الأصل)، وهي في المخطوط واضحة، لكنها لم تكن واضحة لأجل النسخة التي عنده، أو أنه لم يستطع قراءتها. والله أعلم.

٨- في المطبوع: (كان أخس الناس نصيبًا منه من كان أهل الملل أقرب، وأوفرهم نصيبًا منه من كان أبعد عن الملل)، وفي المخطوط: (كان أخسر الناس...) إلخ، وهو الصواب والمناسب لسياق الكلام؛ لأن التوفير يقابل الخسارة لا الخسة، وهو الموجود في النسخة المعتمدة لمنهاج السنة التي كتبها الشيخ أحمد بن عيسى بخطة.

٩- قال في (١/ ٣١١): (فصل في إلزامهم التشبيه للرب بالجماد الناقص إذا انتفت صفة الكلام) ثم ذكر شرح الأبيات، ثم قال: (فصل في إلزامهم القول بنفي الرسالة إذا انتفت صفة الكلام) فذكر شرح الأبيات، والذي في المخطوط العكس، فالطابع قدم فصل على فصل.

١٠- قال في المطبوع: (وهي ملحمة ما جرى قط في الإسلام مثلها...)، وفي المخطوط: (وهي ملحمة ما قط جرى في الإسلام مثلها)، وهي لفظة عامية،

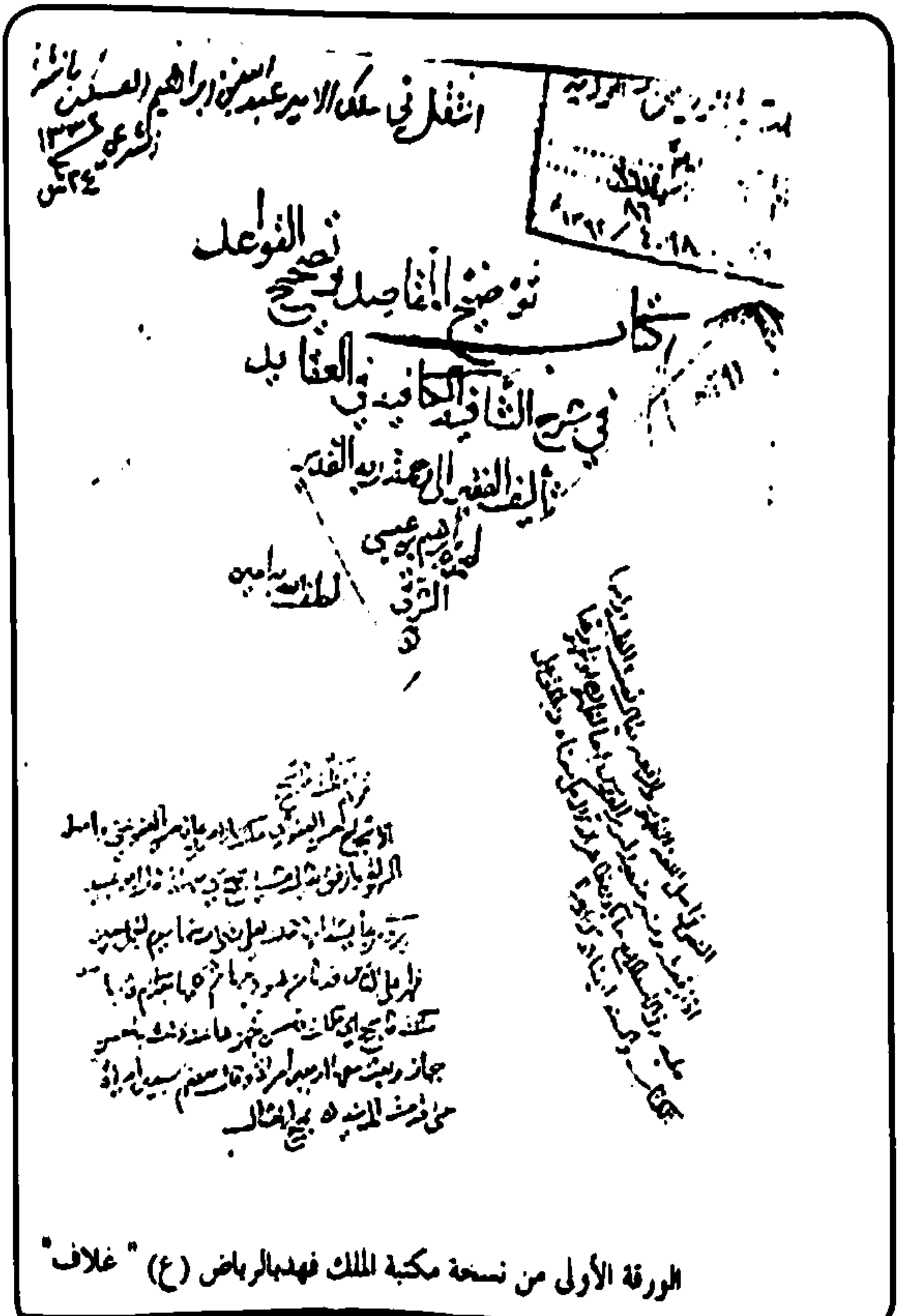
والشيخ ابن عيسى يستخدم الألفاظ العامية أحيانًا، وأما الطابع فظن أنها وهم فعدلها، بدون دليل.

١١- في المطبوع: (فلم يسوو بين ربين متماثلين)، وفي المخطوط (فلم يسوو بين متماثلين...).

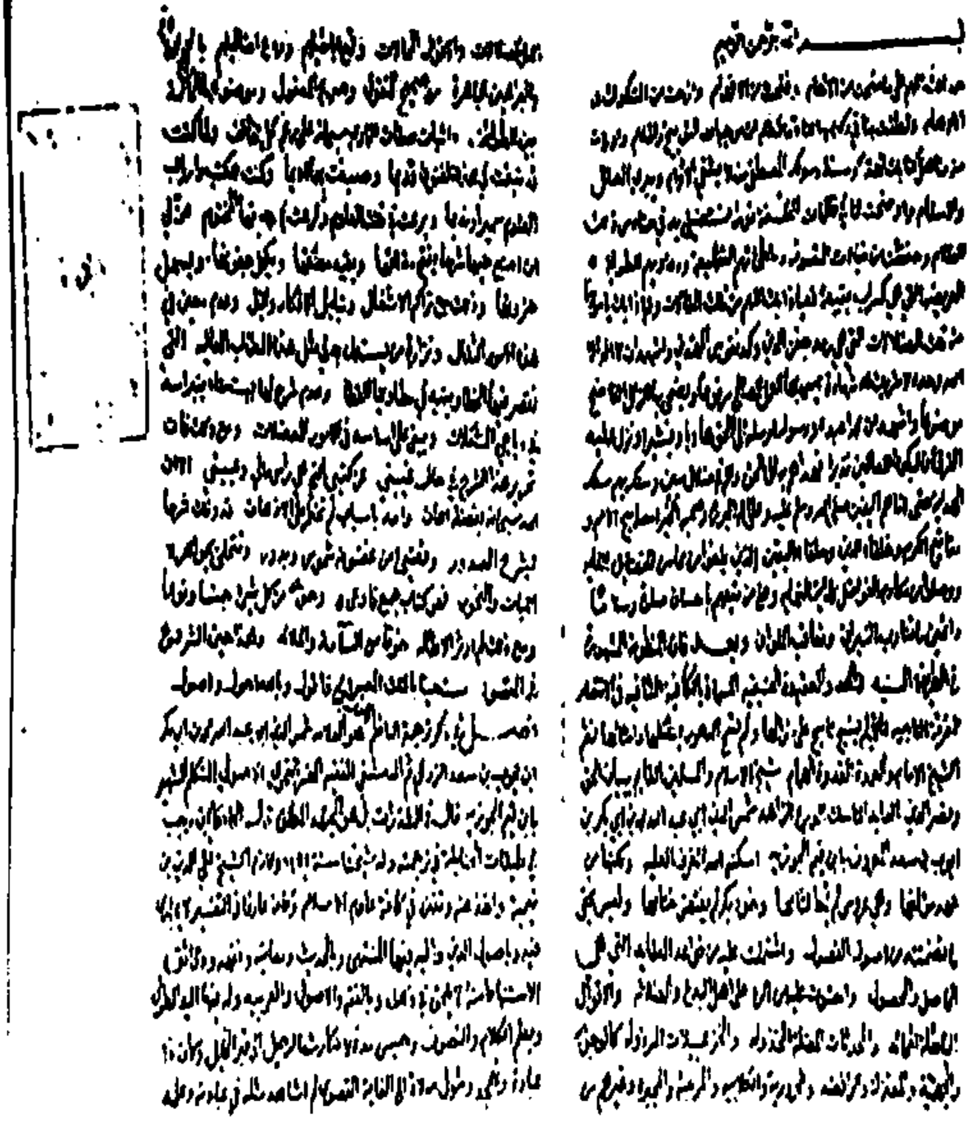
١٢- في المطبوع (١/ ٤١٣): (والتنزيل يستلزم علو المنزل عند من لا تعقل العرب من لغتها، بل ولا غيرها من الأمم إلا ذلك)، وفي المخطوط: (... والتنزيل يستلزم علو المنزل من عند، لا تعقل العرب من لغتها، بل ولا غيرها من الأمم إلا ذلك)، وكأن المحقق يصحح من عنده ما يظنه خطأً في النسخة الخطية، والواقع عكس ذلك.

والمكتب الإسلامي في بيروت برئاسة الأستاذ زهير الشاويش رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد كانت له اليد الطولى في إخراج تراث أهل السنة وطباعة كتب الحنابلة وكتب الحديث، ومع ذلك يجب أن يفرق بين الكتاب المحقق تحقيقًا علميًّا، وما طبع بتعليقات المكتب، فالأول ككتب الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يراجعها بعد الطباعة، والثاني كهذا الكتاب وأمثاله، والله أعلم.

نماذج من النسخ الخطية


كتاب توضيح المقاصد وتصحيح القواعد
في شرح الشافية الكافية في العقائد

الورقة الأولى من نسخة مكتبة الملك فهد بالرياض (ع) " غلاف "



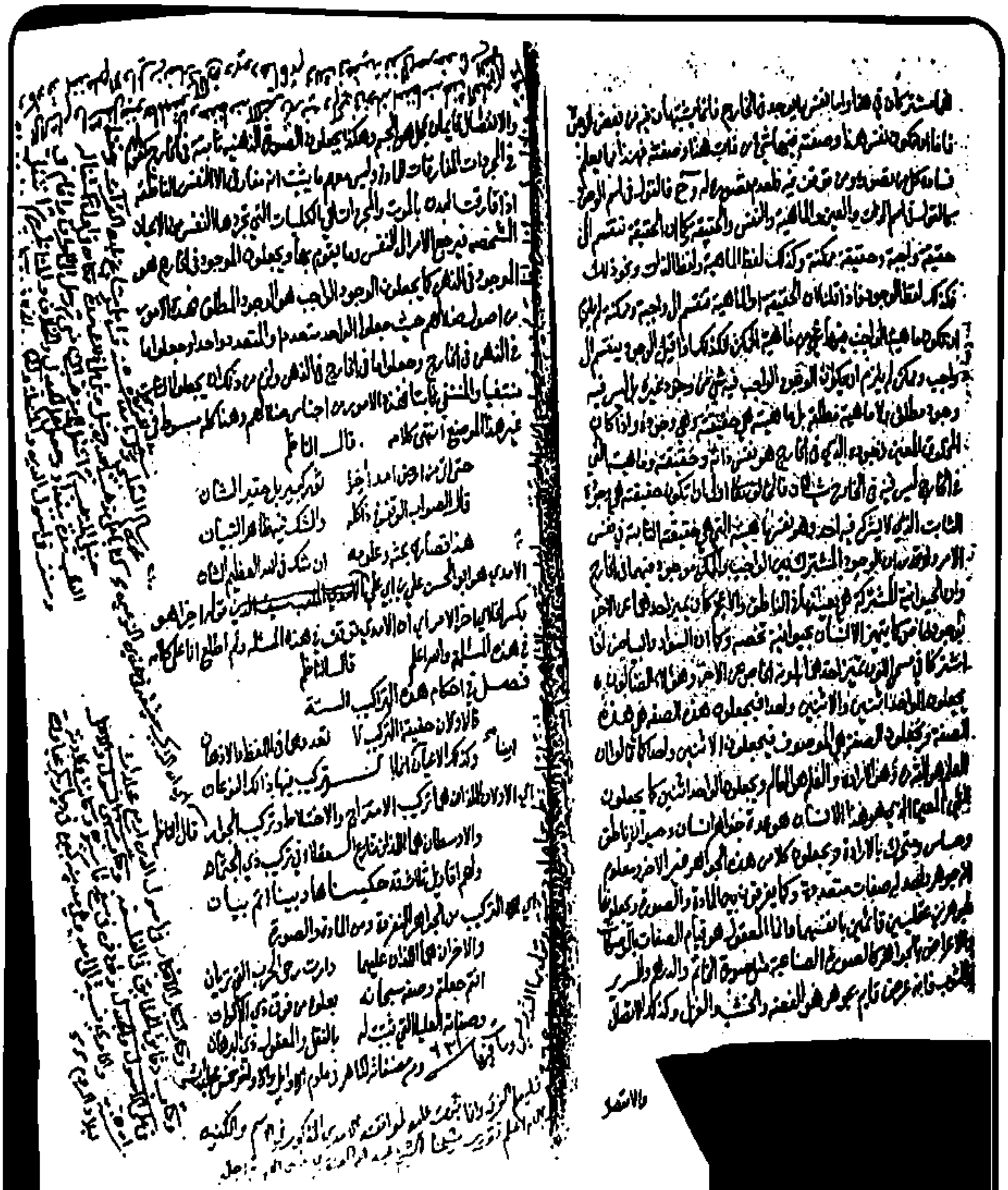
الورقة الأولى من نسخة مكتبة الملك فهد (ع) "بداية الكتاب"



ورقة من نسخة الملك فهد (ع) "منتصف الكتاب"



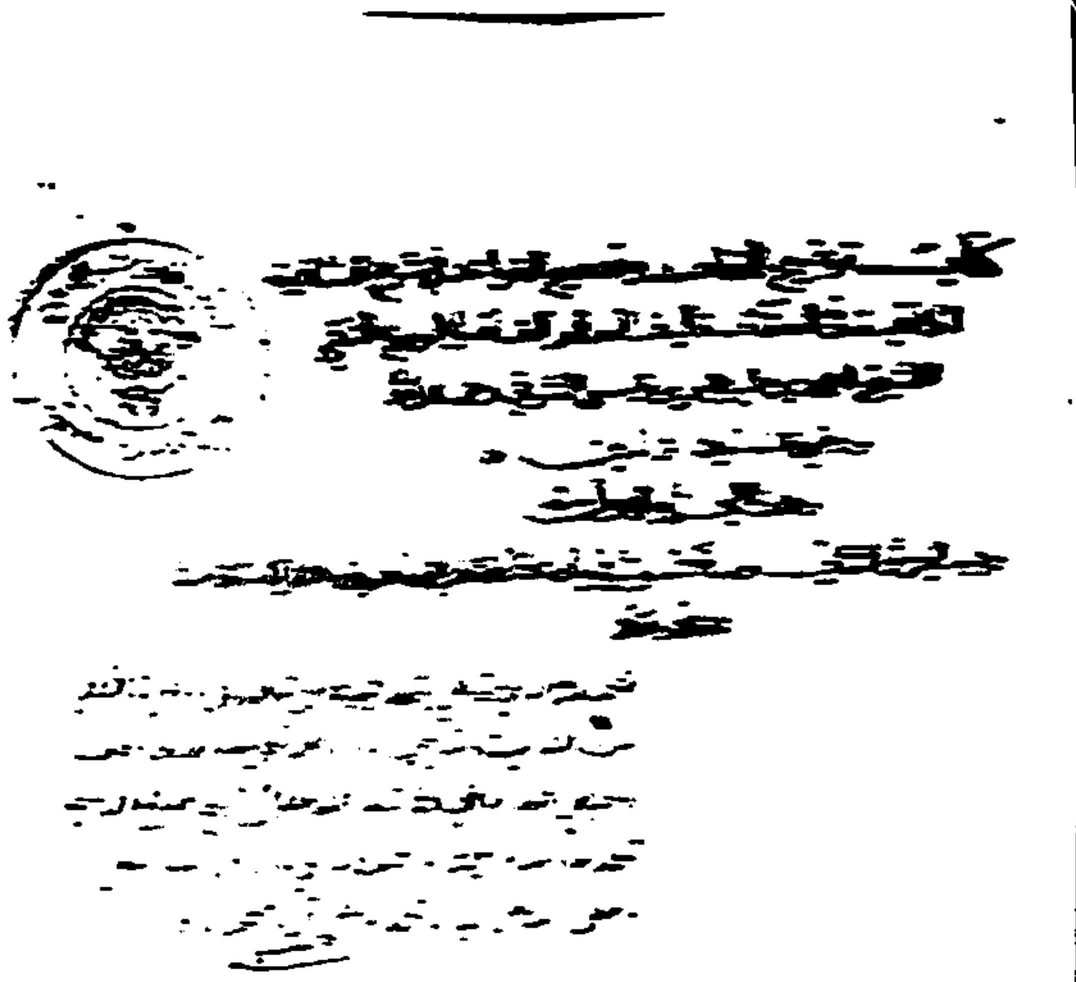
ورقة من نسخة الملك فهد (ع) "منتصف الكتاب"



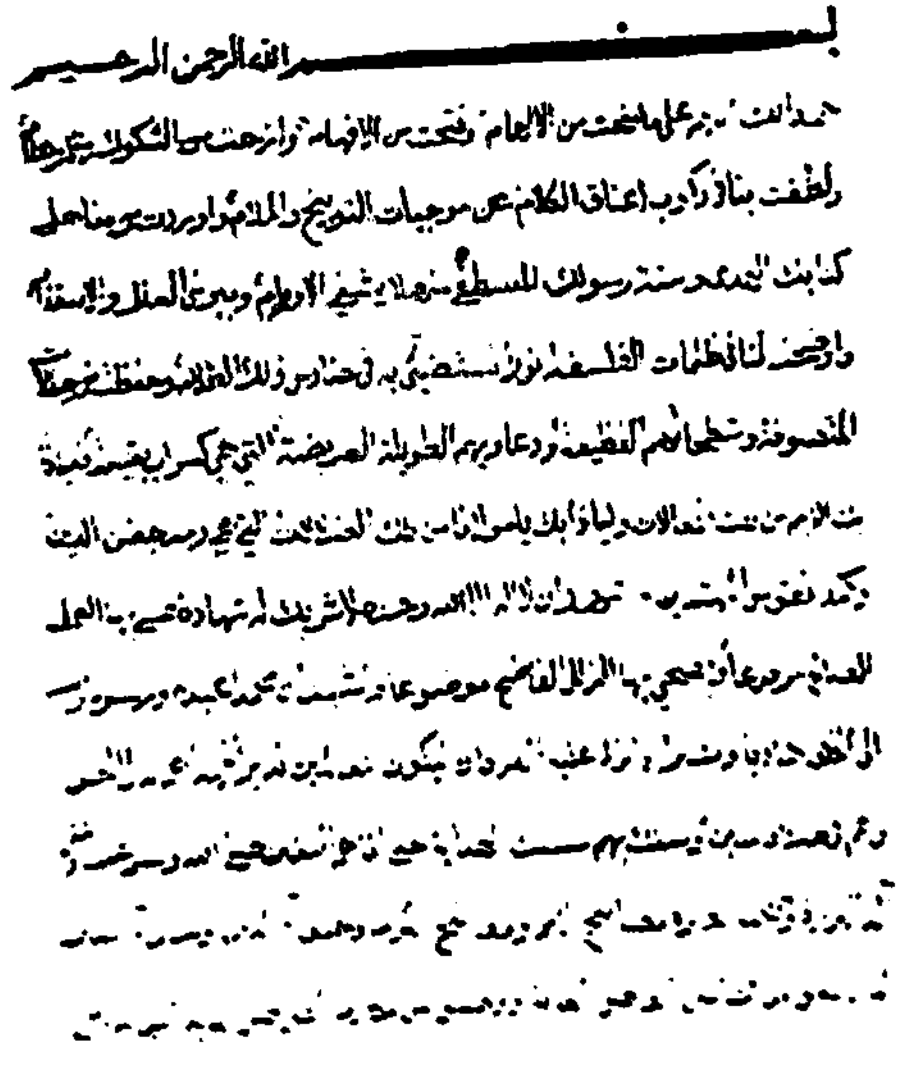
ورقة من نسخة الملك فهد (ع) "منتصف الكتاب"



الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة الملك فهد (ع)

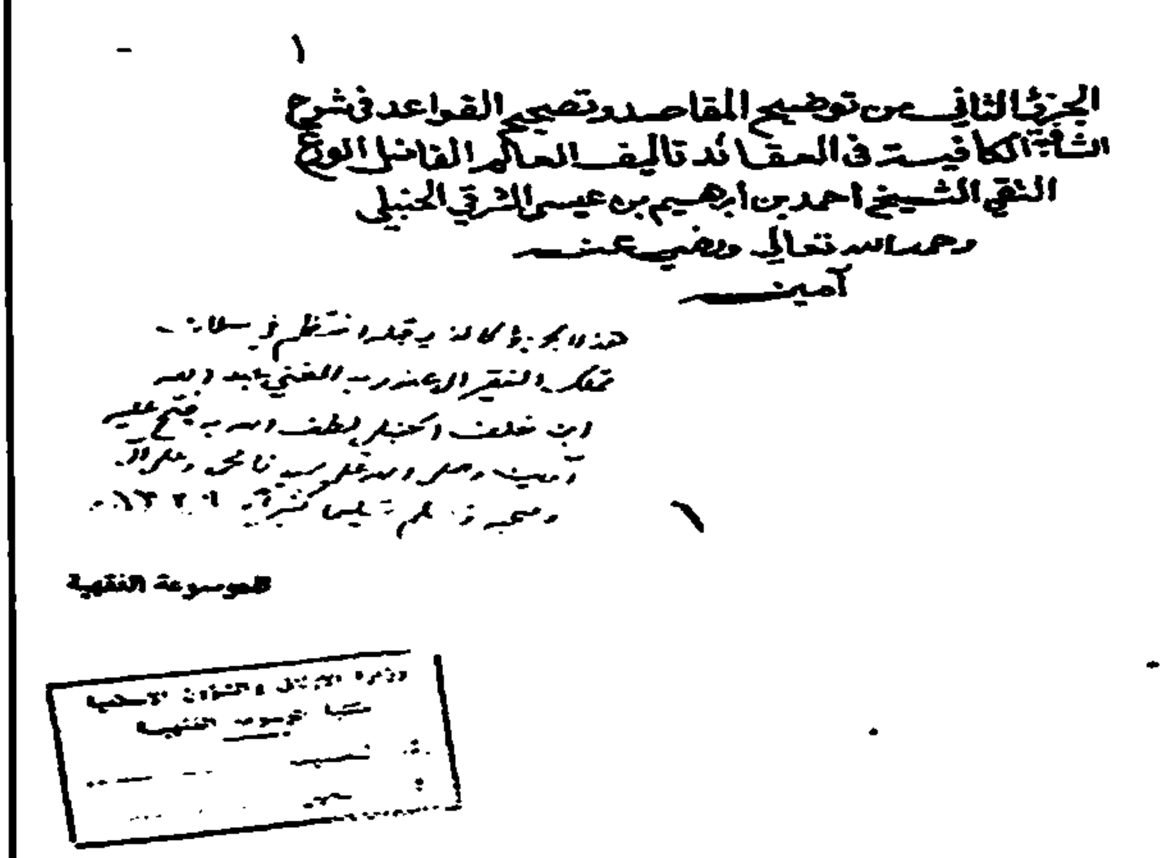


الورقة الأولى من نسخة مكتبة الأوقاف الكويتية (د) " غلاف المجلد الأول"

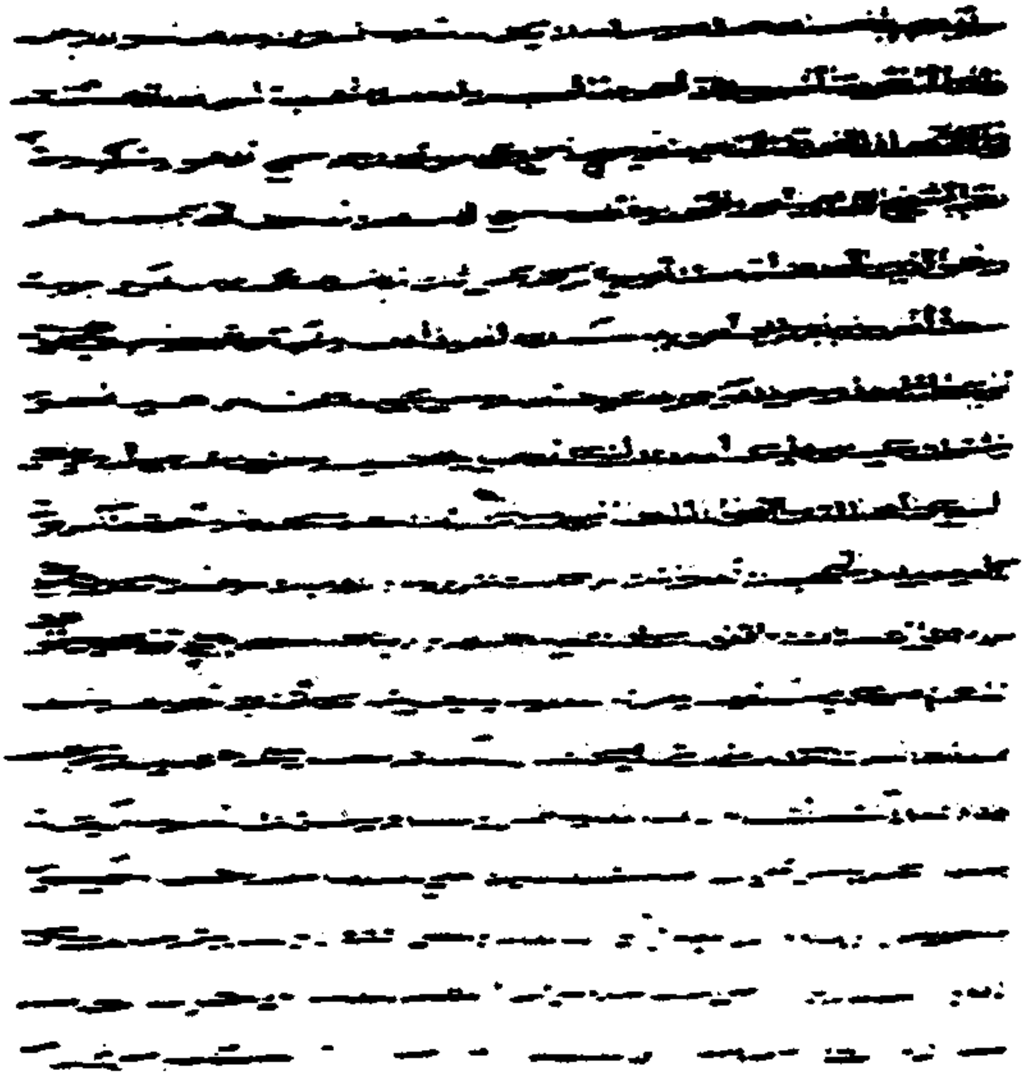


بسم الله الرحمن الرحيم

الورقة الأولى من نسخة مكتبة الأوقاف الكويتية (د) "بداية الكتاب"



الورقة الأولى من نسخة مكتبة الأوقاف الكويتية (د) " غلاف المجلد الثاني"



ورقة من نسخة مكتبة الأوقاف الكويتية (د) " منتصف الكتاب"

ورضوا بوحيك من سواه وما ارتضوا بسواه من آراء ذي الهذيان ٢٢١

يا رب ثبتهم على الايمان واجعلهم هداة التائه الحيران

وانصر على حزب النفاق عساكر الاثبات اهل الحق والعرفان

واقم لاهل السنة النبوية الانصار وانصرهم بكل زمان

واجعلهم للمتقين ائمة وارزقهم صبرا مع الايقان

تهديهم بامرك لا بما قد احدثوا ودعوا اليه الناس بالعدوان

واعزهم بالحق وانصرهم به نصرا عزيزا انت ذو السلطان

واغفر ذنوبهم واصلح شانهم فلانت اهل العفو والغفران

ولك المحامد كلها حمدا كما يرضيك لا يفنى على الازمان

ملء السموات العلا والارض والموجود بعد ومنتهى الامكان

مما تشاء وراء ذلك كله حمدا بغير نهاية بزمان

وعلى رسولك افضل الصلوات والتسليم منك واكمل الرضوان

وعلى صحابته جميعا والالى تبعوهم من بعد بالاحسان

تمت

الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة الأوقاف الكويتية (د)

هذا وقد واجهتني صعوبات كثيرة في هذا البحث، أذكر منها:

١- كثرة السقط والتحريف والكلمات الغامضة.

٢- كثرة الأبيات التي تركها المؤلف دون شرح أو تعليق، وهذه قد أخذت مني وقتًا طويلًا للتعليق على ما تبقى، أو شرح ما أهمل.

٣- يدخل كلامه في كلام غيره من غير تمييز، وهذه أخذت مني وقتًا للفصل بين الكلامين.

٤- كثرة الأخطاء النحوية، والكلمات المتكررة، والكلمات المقحمة.

٥- أن المؤلف عند انتهاء الصفحة يكمل بقيتها في غير الصفحة التي تليها، مع تسلسل الأرقام لمن لاينتبه، مما جعل كاتب النسخة الثانية يحتار أحيانًا في البحث عن بقية الكلام.

٦- بل الأصعب من ذلك أنه يكمل أحيانًا بقية جملة على غلاف المخطوط أو في نهايته، أو تجد ورقة في الوسط لا تدري أين مكانها، فهذه كلها جعلت البحث في غاية الصعوبة، لكن الله تعالى أعانني على التغلب على تلك الصعوبات بتوفيقٍ منه وفضلٍ، والله الحمد والذي بنعمتة تتم الصالحات

منهجي في التحقيق(١)**:**

منهجي في التحقيق كما يلي:

أولًا: جعلت المخطوط وفق الرسم الإملائي الحديث، وقسمت النص إلى فقرات، مراعيًا وضع علامات الترقيم في مواضعها.

(١) لابد من التنبيه على أن هذا الكتاب أصل لرسالتي الدكتوراة، وقد اختصرت ما كتبته منها قرابة النصف، رغبة في الفائدة، ومن أراد الاستزادة، فليرجع إلى رسالتي الأصلية.

ثانيًا: قابلت بين النسخ الخطية، واعتمدت الصحيح منها، كما رمزت لنسخة المؤلف بـ(ع)، وجعلتها هي الأصل، كما رمزت للنسخة الثانية بـ(د)، والنسخة المطبوعة بـ(م).

ثالثًا: إن كان الحديث في الصحيحين، اكتفيت بالعزو لهما، وإن كان في غيرهما اجتهدت في التخريج مراعيًا الاختصار.

رابعًا: علقت إلى ما يحتاج إلى تعليق، وشرحت الأبيات التي لم تشرح أو تحتاج إلى زيادة توضيح.

خامسًا: وضعت عناوين جانبية توضح المقصود من كل فقرة.

سادسًا: شرحت الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية.

سابعًا: ضبطت الكلمات الغريبة بالشكل.

ثامنًا: عرفت بالفرق والطوائف والبلدان عند أول موضع ترد فيه، أما الطوائف والفرق، فإني أذكر معتقدهم على وجه الاختصار، وقد أستطرد قليلًا.

تاسعًا: أترجم لغير المشهورين على وجه الاختصار، مع ذكر مايتطلبه حال المترجم من ذكر معتقد أو حال راو ونحوه، ومن لم أجد له ترجمة وضعت أمام اسمه علامة (!).

عـــاشرًا: وثقت النقول من مصادرها حسب الإمكان.

الحادي عشر: نسبت الأبيات إلى قائليها ومظانها من دواوين الشعر أو غيرها، فإن لم أجده نبهت الى ذلك.

الثاني عشر: جعلت أرقام الآيات في المتن، حرصًا على الاختصار.

الثالث عشر: وضع فهارس عامة للكتاب تشتمل على الآتي:

١-فهرس الآيات القرآنية.

٢-فهرس الأحاديث النبوية.

٣-فهرس الآثار.

٤-فهرس الأعلام.

٥-فرس الفرق والطوائف.

٦-فهرس الكلمات الغريبة والمصطلحات العلمية.

٧-فهرس الكتب الواردة في الكتاب.

٨-فهرس المراجع والمصادر.

٩-فهرس الموضوعات.

وأخيرًا أتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة شيخنا عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي على الجهد الذي بذله من وقته الثمين لتعليم تليميذه، والإشراف عليه، وصبره على ذلك، وسهره معه كثيرًا، كما أني أتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة شيخنا الدكتور محمد بن عبدالرحمن الخميس الذي شجعني كثيرًا على اختيار هذا الموضوع لرسالة للدكتوراه، كما أني أشكر جميع من ساعدني في المقابلة والتصحيح والفهرسة، كما أني أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ القدير عبد الله البسيمي الخبير بمخطوطات علماء الوشم، فقد استفدت منه كثيرًا، وكما أني لا أنسى الأستاذ عبدالله بن حمد بن محمد العسكر، الخبير بمخطوطات علماء سدير، فجزى الله الاثنين عني خير الجزاء.

كما أتوجه لصاحبي دار الخزانة بالكويت، وهما: الشيخ فيصل بن محمد العجمي، والشيخ عبيد بن عباد الخالدي اللذان تفضلا بطباعة هذا الكتاب القيم، فجزاهما الله عني خيرًا.

وبهذه المناسبة أتوجه لأهل الكويت وشبابها على وجه الخصوص -مع كثرة الفتن- أن يلتفوا حول علمائهم الكبار الذين أثبتوا وجودهم وكانوا سببًا لرجوع كثير من الشباب للمنهج السلفي الذي يتمثل في عقيدة أهل السنة، اعتقادًا ومنهجًا، وعلى رأسهم:

١- الشيخ أ.د. فلاح إسماعيل مندكار عالم الكويت وفقيهها بلا منازع.

٢- الشيخ د. حمد بن إبراهيم العثمان عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة سابقًا، وقد نفع الله بمؤلفاته، وخدم بها العقيدة السلفية.

٣- الشيخ سالم بن سعد الطويل، إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية.

كل هؤلاء من رؤوس المبتدعة المرجئة، وأهل السنة منهم براء.

وهذا وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن ينفع به قارئه وكاتبه وسامعه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الكتاب محققًا

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، رب يسر وأعن يا كريم

حمدًا لك اللهم على ما منحت من الإلهام، وفتحت من الأفهام، وأزحت من الشكوك والأوهام، ولطفت بنا في ركوب أعناق الكلام، عن موجبات التوبيخ والملام، وأوردتنا من مناهل كتابك الهدى، وسنة رسولك المصطفى، منهلًا يشفي الأوام، ويبرئ العلل والأسقام، وأوضحت لنا في ظلمات الفلسفة نورًا نستضيء به في حنادس ذلك الظلام، وحفظتنا من خيالات المتصوفة وشطحاتهم الفظيعة، ودعاويهم الطويلة العريضة، التي هي كسراب بقيعة، فعياذًا بك اللهم من تلك المقالات، ولياذًا بك يا مولانا من تلك الضلالات التي هي رمد جفن الدين، وكمد نفوس المهتدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، شهادة يمسي بها العمل الصالح مرفوعًا، ويضحي بها الزلل الفاضح موضوعًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله إلى الخلق(١) هاديًا وبشيرًا، ونزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيرًا، فهداهم به إلى الحق وهم في ضلال مبين، وسلك بهم مسلك الهداية، حتى أتاه(٢) اليقين، صلى الله عليه وعلى آله البررة وصحبه الخِيرَة، مصابيح الأمم، ومفاتيح الكرم، وخلفاء الدين، وحلفاء اليقين، الذين بلغوا من محاسن الفضائل الغاية، ووصلوا من مكارم الفواضل نهاية النهاية(٣)، وعلى (د/ ٢أ) من تبعهم بإحسان، صلاةً وسلامًا

(١) في (ع) و(د): «الحق» وهو تصحيف.

(٢) في (ع) و(د): «أتاهم»، وهو تصحيف.

(٣) في هذا التعبير مبالغة، ولا يوجد أحدٌ من البشر وصل إلى هذه الغاية إلا رسول الله ﷺ؛ فإنه وصل في أخلاقه وفضائله إلى الغاية التي لم ولن يصل إليها أحد من البشر، فهو سيد البشر، =

دائمَين ما تناوب النيّران، وتعاقب الملوان[1].

وبعد: فإن المنظومة المشهورة في الطريقة السنية، والعقيدة الحنيفية المسماة بـ«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»[2] لم ينسج ناسج على منوالها، ولم تسمع الدهور بشكلها وأمثالها، نظم الشيخ الإمام والعمدة القدوة الهمام شيخ الإسلام والمسلمين، القائم ببيان الحق ونصر الدين، العابد الناسك الورع الزاهد شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد المعروف بابن قيم الجوزية، أسكنه الله الغرف العليّة.

ولكنها من عهد مؤلفها وهي عروس، لم يُمَط لثامُها، وخُودٌ بكْرٌ لم يُفتَض ختامُها، وليس يخفى ما تضمنته من أصول الفصول، واشتملت عليه من قواعد العقائد التي هي الحاصل والمحصول، واحتوت عليه من الرد على أهل البدع والضلالة والأقوال الباطلة المحالة، والمحدثات المضلة المخذولة، والخزعبلات المرذولة، كالوجودية[3] ....

=وسيد ولد آدم - كما في الحديث- وقد قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، أما من بعده من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهم بلا شك أفضل من جميع البشر غير الأنبياء، وهم أيضًا يتفاضلون في الدرجات، فالأفضلية للعشرة المبشرين بالجنة ثم أهل بيعة الرضوان ثم أهل بدر، ثم الأمثل فالأمثل، ثم من جاء بعدهم، وهم -أيضًا- يتفاضلون بحسب تمسكهم بهدي رسول الله وصحابته من بعده، والله أعلم.

(١) النيران: هما الشمس والقمر، والملوان: هما الليل والنهار.
انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٥٢).

(٢) الراجح عند المؤلف أن عنوان الكتاب هو «الشافية الكافية...» إلخ، كما هو موجود على طرة كتاب المؤلف -بخطه- وهو يتفق مع نفس العنوان الذي ذكره عند كلامه على مؤلفات ابن القيم.

(٣) أصحاب وحدة الوجود من غلاة الصوفيه، وهي اختصار لكلمة «وحدة الوجود». وأصحاب وحدة الوجود هم الذين يجعلون وجود الخالق هو وجود المخلوق، وقد لا يرضى هؤلاء بلفظ الاتحاد، بل يقولون بالوحدة، لأن الاتحاد يكون افتعالًا بين شيئين، وهم يقولون: الوجود واحد =

والجهمية[١] والمعتزلة[٢] والرافضة[٣] والحرورية[٤] والكلابية[٥] والمرجئة[٦] والمجبرة[٧] وغيرهم من (ع/١٢) أهل الضلالات، والأقوال المحالات؛ وقَمَعَ

=لا تعدد فيه، ولم يفرقوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع، فإن الموجودات مشتركة في مسمى الوجود. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٣٠٨) ط. مجمع الملك فهد لطابعة المصحف الشريف، جامع الرسائل (١/ ٢٦٢) ط. دار العطاء، ومصرع التصوف للبقاعي (ص١٦٢) ط. عباس أحمد الباز.

(١) نسبة إلى جهم بن صفوان أبي محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي الكاتب المتكلم، أُس الضلالة ورأس الجهمية.
انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص٦٤)، ومقالات الإسلاميين (١/ ٢١٤) ط. مكتبة العلوم والحكم، والتنبيه والرد للملطي (ص٢٨) ط. المكتبة الأزهرية، والتبصير في الدين للإسفراييني (ص٦٣) ط. عالم الكتب.

(٢) هم الذين ينفون الصفات والقدر.
انظر: الملل والنحل (١/ ٥٦) ط. دار المعرفة، والفرق بين الفرق (ص٩٣) ط. دار الآفاق الجديدة، والتنبيه والرد (ص٣٥).

(٣) هم الشيعة، وسموا رافضة لأنهم رفضوا إمامة أبي بكر وعمر، وقيل: لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو الراجح.
انظر: مقلات الإسلاميين (١/ ٨٩)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٥٥)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٧٧) ط. دار الكتب العلمية، ومنهاج السنة (١/ ٤١٠) ط. مؤسسة قرطبة.

(٤) نسبة إلى حروراء، وهي قرية بالكوفة، نزل بها الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد رجوعه من صفين بعد التحكيم، فنسبوا إليها.
انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨١)، ومنهاج السنة (٥/ ٢٤٣)، وجامع المسائل لابن تيمية (٥/ ٣١٥).

(٥) أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، كان يقول: إن الإيمان هو المعرفة بالقلب والإقرار باللسان، وأن القرآن هو حكاية عن كلام الله، وينفي الصفات الاختيارية، ويقدم العقل على النقل.
انظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي (ص٨١)، مقالات الإسلاميين (١/ ٢٩٨).

(٦) هم من أخرج العمل عن مسمى الإيمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص١٣٢).

(٧) هم الذين سلبوا عن العبد قدرته وإرادته، فالعبد عندهم كالريشة في مهب الريح.
انظر: اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٦٢) ط. دار طيبة.

أباطيلهم، وردع أضاليلهم بالحجج الظاهرة، والبراهين الباهرة، من صحيح المنقول وصريح المعقول.

وموضوعها المحاكمة بين الطوائف، وإثبات صفات البارئ سبحانه على رغم كل مخالف.

ولما كنت قد نبغتُ في هذه الفنون قديمًا، وصبغتُ بها أديما[(١)]، وكنت للكتب وأرباب العلوم سميرًا ونديمًا، وبرعتُ في تلك العلوم، وكرعت في رحيقها المختوم[(٢)] عَنّ لي[(٣)] أن أضع عليها شرحًا يفتح مغلقها، ويقيد مطلقها، ويكحل جفونها، ويسهل حزونها، وذلك مع تراكم الأشغال، وتبلبل الأفكار والبال[(٤)]، وعدم معين في هذه الأمور الثقال، ونزارة من يستدل به في مثل هذه المطالب العالية، التي تقصر فيها الخُطا، ويتيه في مطاويها القطا، وعدم شرح لها يستضاء بنبراسه في دياجي المشكلات، ويُبنى على أساسه (د/٣أ) في الأمور المعضلات[(٥)].

ومع ذلك فإن تحرير هذا الشرح في حال غيبتي عن كتبي، التي هي رأس مالي وعيبتي، إلا أن الله سبحانه بفضله أعان وأمد بأسباب لم تخطر على الأذهان[(٦)].

---

(١) اقتبسها المؤلف من صاحب القاموس. انظر: القاموس (ص٣٣) ط. الرسالة.

(٢) يقال: «كرع في الماء: تناوله بفيه من موضعه»، والمعنى: أنه نهل من العلوم كثيرًا.
انظر: الأفعال المتعدية بحرف لموسى الملباني (ص٣١٢) ط. دار العلم للملايين.

(٣) مأخوذة من مادة عنن، يقال: عن يعن، أي: اعترض. انظر: تاج العروس (١٨/ ٣٨٦) ط. دار الفكر، جمهرة الأمثال للعسكري (١/ ٥٥٢). والمعنى: أنه لما بلغ في علوم العقائد مبلغًا عظيمًا عُرِضَ له كتاب الكافية الشافية الذي لم يشرح من قبل، فعزم على شرحه، والله أعلم.

(٤) في هذا إشارة إلى أنه بدأ بتأليف هذا الشرح المبارك يوم كان بمكة، وفيه احتمال أنه بدأ التاليف في المجمعة، لكن يرده أن تلميذه أبو بكر محمد عارف خوقير سمعها منه يوم كان بمكة كما في مسند الأثبات الشهيرة.

(٥) في هذا إشارة إلى أن الكتاب لم يشرح من قبل، أو أنه لم يقف على شرح قبل شرحه، والله أعلم.

(٦) يبدو لي -والعلم عند الله- أنه بدأ هذا الشرح المبارك في حال سفر، وهو بعيد عن مكتبته، ولعله بدأ بمسودة الكتاب يوم كان بمكة، ثم بيضة لما كان في المجمعة والله أعلم.

فدونك شرحًا يشرح الصدور، وتضيء من غضونه شموس وبدور، وتتحلى بجواهره اللبّات والنحور، فهو كتاب جمع فأوعى، وحوى من كل شيء جنسًا ونوعًا، ومع ذلك لم أوثر الإطالة، خوفًا من السآمة والملالة، وهذا حين الشروع في المقصود، مستعينًا بالملك المعبود.

فأقول، وبالله أَحُوْلُ وأَصُوْلُ:

فصل

في ذكر ترجمة الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ

هو العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، ثم الدمشقي، الفقيه المفسر النحوي الأصولي المتكلم(١)، الشهير بـ«ابن قيم الجوزية»(٢).

قال في «الشذرات»(٣): «بل هو المجتهد المطلق».

قال الحافظ ابن رجب(٤) في «طبقات الحنابلة» في ترجمته(٥):

«ولد شيخنا(٦) سنة (٦٩١هـ)، ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية(٧)، وأخذ

---

(١) قال شيخنا عبد العزيز الراجحي: «لولم يصفه بالكلام لكان أولى؛ لأن العبرة بالحال التي استقام عليها»..

(٢) اشتهر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بـ «ابن القيم» أو «ابن قيم الجوزية»؛ لأن أباه كان قيمًا للمدرسة الجوزية الكائنة بدمشق، فنسب ابنه إليه فقيل ابن قيم الجوزية، واشتهر بذلك، وهي من أشهر مدارس الحنابلة آن ذاك.
وقد ذكر بعضهم أنها من أحسن المدارس وأوجهها؛ فإن قضاة الحنابلة اشتهروا بها، وقد أوقفها أستاذ دار الخلافة العباسية: محيي الدين بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي الذي قتل مع الخليفة المستعصم في نكبة بغداد سنة (٦٥٦هـ). انظر: الدارس في تاريخ المدارس (١/ ٣١) ط. مكتبة الثقافة الدينية.

(٣) انظر: شذرات الذهب (٦/ ١٦٨) ط. دار ابن كثير.

(٤) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، الحافظ الثقة صاحب التصانيف، مات سنة (٧٩٥هـ)، وله تصانيف من أشهرها القواعد. انظر: شذرات الذهب (٨/ ٥٧٨).

(٥) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٨) ط. دار المعرفة.

(٦) في الذيل «شيخنا ولد سنة..» إلخ.

(٧) أبو العباس أحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني شيخ الإسلام، وشهرته تغني عن ترجمته (٦٦١-٧٢٨هـ).
انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٨٧).

عنه، وتفنن في كافة علوم الإسلام، وكان عارفًا في التفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيها المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه والأصول والعربية، وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام والتصوف، وحبس مدة لإنكاره[١] شد الرحيل إلى قبر الخليل، وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى.

لم أشاهد مثله في عبادته وعلمه (ع/٣ب) بالقرآن والحديث، وحقائق الإيمان، وليس هو بالمعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله، وقد أمتحن وأوذي مرات، وحبس مع شيخه شيخ الإسلام تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة[٢] منفردًا عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ، وكان في مدة حبسه، مشتغلًا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففتح عليه من ذلك خيرًا كثيرًا، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة[٣] (د/١٣)، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف، والخوض في غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحج مراتٍ كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته.

وسمعت عليه قصيدته النونية في السنة، وأشياء من تصانيفه غيرها، وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه وإلى أن مات، وانتفعوا به.

---

(١) في النسخ: «لإنكار..» والمثبت من الذيل.

(٢) **القلعة**: بالفتح ثم السكون: اسم لمعدن ينسب إليه الرصاص الجيد، وإذا أطلقت القلعة، فالمقصود بها القلعة العظيمة التي بدمشق، وفيها معدن الرصاص القلعي، وفيها تضرب السيوف القلعية، وهي الهندية القديمة. والغريب أن أهل هذه القلعة يمتنعون على مَلِكِهم إذا أرادوا، ويطيعونه إذا أرادوا، وفي هذه القلعة حبس شيخ الإسلام، وبها مات رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، والقلاع كثيرة، منها: قلعة أبي الحسن قرب صيدا بالشام، وقلعة أبي الطويل بإفريقية. انظر: المحكم والمحيط الأعظم (١/ ٢٢٠)، ومعجم البلدان (٤/ ٤٤٢).

(٣) اصطلاح صوفي.

قال القاضي برهان الدين الزرعي: «ما تحت أديم السماء أوسع علمًا منه، ودرَّس بالصدرية وأمَّ بالجوزية، وكتب بخطه مالا يوصف كثرةً، وصنف تصانيف كثيرة جدًّا في أنواع العلوم، وحصل له من الكتب ما لم يحصل لغيره»(١).

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير في «تاريخه»: «محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، إمام الجوزية، وابن قيّمها، سمع الحديث، واشتغل بالعلم، فبرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير، والحديث، والأصلين(٢)، ولما عاد الشيخ تقي الدين من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات، فأخذ عنه علمًا جمًّا، مع ما سلف له من الاشتغال، فصار فريدًا في بابه في فنون كثيرة مع كثرة الطلب ليلًا ونهارًا، وكثرة الصلوات والابتهال، وكان حسن القراءة والخلق مع كثرة التودد، لا يَحسِدُ أحدًا ولا يؤذيه، ولا يستغيبه ولا يحقد على أحد، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكتب بخطه الحسن شيئًا كثيرًا، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عُشرِهِ من كتب السلف والخلف(٣).

وبالجملة، فقد كان قليل النظير، بل عديم النظير في مجموعه، وأموره وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة، وكان متصديًا للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وجرت له بسببها فصول يطول شرحها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره(٤)، وقد كانت جنازته حافلة،

---

(١) كما نقله ابن عباد في شذرات الذهب (٨/ ٢٨٨).

(٢) علم أصول الدين وأصول الفقه.

(٣) لذا نقل هو وشيخه - شيخ الإسلام- عن مصنفات سلفية لم ينقل عنها سواهم، بل نسبوا كتبًا سلفية نادرة لمؤلفيها، لم يذكرها أصحاب التراجم، فكتبها عمدة لمن جاء بعدهم. والله أعلم.

(٤) انظر: الدرر الكامنة (١/ ٩٠).

شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة (د/٣ب)، وتزاحم الناس على نعشه، وكمل له من العمر ستون سنة رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وقال غيره في ترجمته[١]: ولد في سنة (٦٥١هـ) وسمع على جماعة كثيرين، مثل: سليمان بن حمزة الحاكم[٢]، وأبي بكر ابن عبد الدائم[٣]، وعيسى المطعم[٤] (ع/١٤أ) وأبي نصر محمد بن كمال الدين الشيرازي[٥]، وابن مكتوم[٦]، والبهاء ابن عساكر[٧]، وعلاء الدين الكندي[٨]، والوداعي[٩]، ومحمد بن أبي الفتح البعلي[١٠] ثم قرأ على الشيخ مجد الدين التونسي[١١] قطعة من المقرب[١٢].

---

(١) هو الصفدي في الوافي بالوفيات (٢/ ١٩٢) ط. جمعية المستشرقين الألمان.

(٢) سليمان بن حمزة بن أحمد بن قدامة، ولي القضاء في وقته عشرين سنة. مات سنة (٧٥١هـ).
انظر: شذرات الذهب (٨/ ٦٦)، والأعلام (٣/ ١٢٤) ط. دار العلم للملايين.

(٣) أحمد بن عبدالدئم بن نعمة المقدسي النابلسي الحنبلي، مات سنة (٦٦٧هـ).
انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٩٩) ط. دار المعرفة.

(٤) عيسى بن عبدالرحمن بن معالي الصالحي، مات سنة (٧١٩هـ).
انظر: ذيول العبر (ص٥٥) ط. دار المعرفة، الدرر الكامنة (٢/ ٣٦٣) ط. دار المعرفة، شذرات الذهب (٨/ ٩٤).

(٥) محمد بن محمد عماد الدين الشيرازي أبو نصر الدمشقي، مات سنة (٧٢٣هـ).
انظر: شذرات الذهب (٨/ ١١١-١١٢).

(٦) صدر الدين إسماعيل بن يوسف بن مكتوم السويدي الدمشقي الشافعي، مات سنة (٧١٦هـ).
انظر: الدارس في تاريخ المدارس (٢/ ٢٤٧)، شذرات الذهب (٨/ ٧١).

(٧) القاسم بن المظفر بن النجم بن محمود بن عساكر، مات سنة (٧٢٣هـ). انظر: شذرات الذهب (٨/ ١١٠).

(٨) علي بن المظفر بن ابراهيم الكندي، مات سنة (٧١٦هـ). انظر: شذرات الذهب (٨/ ٧١).

(٩) لم يتبين لي من هو.

(١٠) محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، مات سنة (٧٠٩هـ).
انظر: ذيول العبر (ص٤٧)، الوافي بالوفيات (٤/ ٣١٦)، شذرات الذهب (٨/ ٣٨).

(١١) أبو بكر بن محمد بن قاسم التونسي، مات سنة (٧١٨هـ). انظر: شذرات الذهب (٦/ ٨٦).

(١٢) «المقرب في النحو» لمحمد بن هشام الأندلسي مات سنة (٥٧٠هـ).
انظر: إيضاح المكنون (٣/ ٥٤٥).

وأما الفقه فأخذه عن جماعة: منهم الشيخ إسماعيل بن محمد الحراني[١]، قرأ عليه مختصر أبي القاسم الخرقي، والمقنع لابن قدامة، ومنهم ابن أبي الفتح البعلي.

ومنهم الشيخ الإمام العلامة تقي الدين ابن تيمية، قرأ عليه قطعة من المحرر تأليف جده[٢]، وأخوه الشيخ شرف الدين[٣]، وأخذ الفرائض أولًا عن والده[٤] ثم على الشيخ تقي الدين ابن تيمية.

وأما الأصول: فأخذها عن جماعة منهم الشيخ صفي الدين الهندي[٥]، وإسماعيل بن محمد، قرأ عليه أكثر الروضة لابن قدامة.

ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، قرأ عليه قطعة من المحصول، ومن كتاب الأحكام للسيف الآمدي.

وقرأ أصول الدين على الشيخ صفي الدين الهندي مثل: الأربعين والمحصل، وقرأ على شيخ الإسلام ابن تيمية كثيرًا من تصانيفه، واشتغل كثيرًا، وناظر واجتهد وأكب على الطلب، وصنف، وصار من الأئمة الكبار في علم التفسير والحديث

---

(١) إسماعيل بن محمد بن اسماعيل الحراني، يعرف بابن الفراء، مات سنة (٧٢٩هـ).
انظر: شذرات الذهب (٨/ ١٥٥).

(٢) عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي مجد الدين أبو البركات، مات سنة (٥٩٠هـ). انظر: معجم المؤلفين (٥/ ٢٢٧) ط. دار إحياء التراث العربي.

(٣) أبو محمد عبدالله بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني أخو شيخ الإسلام، مات سنة (٧٢٨هـ). انظر: شذرات الذهب (٨/ ١٣٦-١٣٧).

(٤) أبو بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الحنبلي، قيم الجوزية، والد الناظم، توفي فجأة سنة (٧٢٣هـ).
انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٥٢٥).

(٥) محمد بن عبدالرحيم بن محمد الأرموي ثم الهندي، مات سنة (٧١٥هـ). من آثاره: النهاية في أصول الفقه. انظر: شذرات الذهب (٨/ ٦٨).

والأصول -فقهًا وكلامًا- والفروع[(١)]، ولم يخلف الشيخ تقي الدين ابن تيمية مثله.

ومن مصنفاته[(٢)]:

١- «تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته والكلام على ما فيه من الأحاديث المعلولة» - مجلد.

٢- كتاب «سفر الهجرتين وباب السعادتين» - مجلد ضخم.

٣- كتاب «مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» -مجلدان- وهو شرح منازل السائرين لشيخ الإسلام الأنصاري كتاب جليل القدر.

٤- كتاب «عقد محكم الإخاء بين (د/ ٤) الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء» - مجلد ضخم.

٥- كتاب «شرح أسماء الكتاب العزيز» - مجلد.

٦- كتاب «زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء».

٧- كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» - أربع مجلدات - وهو كتاب عظيم جدًّا.

٨- كتاب «جلاء الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام وبيان أحاديثها وعللها» - مجلد.

٩- كتاب «بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل».

١٠- كتاب «نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول» - مجلد.

١١- كتاب «إعلام الموقعين عن رب العالمين» - ثلاث مجلدات.

---

(١) يعني: «......وإمامًا في الفروع».

(٢) من هنا يبدأ النقل من كتاب «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب (٢/ ٤٤٩-٤٥١).

١٢- كتاب «بدائع الفوائد» - مجلدان.

١٣- «الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية» وهي القصيدة النونية في السنة - مجلد.

١٤- كتاب «الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة» - في مجلدات.

١٥- كتاب «حادي الأرواح إلى (٤/٥ب) بلاد الأفراح» وهو كتاب صفة الجنة - مجلد.

١٦- كتاب «نزهة المشتاقين وروضة المحبين» - مجلد.

١٧- كتاب «الداء والدواء» - مجلد.

١٨- كتاب «تحفة المودود في أحكام المولود» - مجلد.

١٩- كتاب «مفتاح دار السعادة» - مجلد ضخم.

٢٠- كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو الفرقة الجهمية» - مجلد.

٢١- «رفع اليدين في الصلاة» - مجلد.

٢٢- «نكاح المحرم» - مجلد.

٢٣- «تفضيل مكة على المدينة» - مجلد.

٢٤- «فضل العلم» - مجلد.

٢٥- «عدة الصابرين» - مجلد.

٢٦- «كتاب الكبائر» - مجلد.

٢٧- «حكم تارك الصلاة» - مجلد.

٢٨- كتاب «نور المؤمن وحياته» - مجلد.

٢٩- كتاب «إغمام هلال رمضان».

٣٠- « التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير».

٣١- «جوابات عابدي الصلبان وأن ما هم عليه من دين الشيطان».

٣٢- «بطلان الكيمياء من أربعين وجهًا» - مجلد.

٣٣- «الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه» - مجلد.

٣٤- «الكلم الطيب والعمل الصالح» - مجلد.

٣٥- «لطيف الفتح القدسي».

٣٦- «التحفة المكية».

٣٧- كتاب «أمثال القرآن».

٣٨- «شرح الأسماء الحسنى».

٣٩- «أيمان القرآن».

٤٠- «المسائل الطرابلسية» - ثلاث مجلدات.

٤١- «الصراط المستقيم (د/ ٤ب) في أحكام أهل الجحيم» - مجلدان.

٤٢- كتاب «الطاعون» - مجلد لطيف.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وقت عشاء الآخرة، ليلة الخميس ثالث عشرين رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، وصلي عليه من الغد بالجامع عقب الظهر، ثم بجامع جراح، ودفن بمقبرة الباب الصغير وشيعه خلق كثير.

ورؤيت له منامات كثيرة حسنة، وكان قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في النوم، وسأله عن منزلته فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال: «وأنت كدت تلحق بنا، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة»[١].

---

(١) محمد بن إسحاق بن خزيمة الحافظ، إمام الأئمة، أبو بكر النيسابوري السلمي الشافعي، توفي سنة (٣١١هـ). انظر: السير (١٤/ ٣٦٥) ط. مؤسسة الرسالة.

ثم قال ابن رجب: «قُرِئَ على شيخنا الإمام العلَّامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب وأنا أسمع هذه القصيدة من نظمه في أول كتاب صفة الجنة»[١] وذكر بعض الميمية المشهورة.

وقال الحافظ السخاوي في حقه[٢]: «العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم، ومعرفة الخلاف، وقوة الجنان، المجمع عليه بين الموافق والمخالف، وصاحب التصانيف السائرة والمحاسن الجمة» اهـ.

۞۞۞

قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم)، ابتدأ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» اقتداءً بالكتاب العزيز، وتأسيًا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكاتباته للملوك وغيرهم، وامتثالًا لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» فهو أقطع»**[٣] رواه عبد القادر الرهاوي في الأربعين

---

(١) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥١).

(٢) الضوء اللامع (١١/ ٢٠٤). والسخاوي هو: محمد بن عبدالرحمن بن محمدالسخاوي عالم بالحديث والتفسير والأدب، مات بالمدينة سنة (٩٠٢هـ).
انظر: الضوء اللامع (٨/ ٢-٣٢) ط. دار مكتبة الحياة، نظم القعيان (ص١٥٢) ط. المكتبة العلمية، الكواكب السائرة لابن تغري بري (١/ ٥٣) ط. دار الكتب العلمية، النور السافر (ص٤٠).

(٣) أخرجه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٦) ط. دار إحياء الكتب العربية، من طريق الحافظ الرهاوي بسنده عن أحمد بن محمد بن عمران عن محمد بن صالح البصري عن عبيد بن عبد الواحد بن شريك عن يعقوب بن كعب الأنطاكي عن مبشر بن إسماعيل عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا به. وإسناده ضعيف جدًّا، آفته ابن عمران هذا.
قال الخطيب في تاريخه (٥/ ٧٧) ط. دار الكتب العلمية: «كان يضعف في روايته ويطعن عليه في مذهبه».
وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٢٠) ط. دار المعرفة: «فالرواية المشهورة فيه بلفظ (حمد الله) وما عدا ذلك من الألفاظ التي ذكرها النووي وردت في بعض طرق الحديث بأسانيد واهية».

البلدانية[١]، وكذا الخطيب[٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومعنى: ذي بال أي: حال شريف، يحتفل له ويهتم به ويبن يدي كل (ع/١٦) الأمور المهمة[٣].

وقوله: (أقطع........) أي ناقص البركة، وقد يكون غير معتد به، وروى أبو داود[٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم**» إسناده صحيح[٥].

تنبيــه:

اختلف العلماء فيما إذا كان الكتاب كله شعرًا، فجاء عن الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ منع (د/ ٥أ) ذلك[٦]، وعن الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «مضت السنة أن لا يكتب في الشعر بسم الله الرحمن الرحيم»[٧].

---

(١) ونقلها النووي في شرحه على مسلم (١/ ٤٣) ط. المطبعة المصرية الأزهر.

(٢) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الشافعي صاحب التصانيف الشهيرة. مات (٤٦٣هـ). انظر: السير (١٨/ ٢٧٠).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/ ١٦١) ط. دار الكتب العلمية.

(٤) في سننه (٥/ ١٧٢).

(٥) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦١٠) ط. دار الريان للتراث، وأحمد في المسند (٢/ ٤٧٣) ط. المكتب الإسلامي، وابن حبان في صحيحه (١/ ١٧٣).
قال الدارقطني: «تفرد به قرة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وأرسلة غيره عن الزهري عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقرة ليس بقوي في الحديث، والمرسل هو الصواب».
قال الحافظ في التقريب (ص٨٠٠): «قرة بن عبدالرحمن حيويل المعافري المصري يقال اسمه يحي صدوق له مناكير من السابعة».

(٦) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٢٦٣)، وأخرج ابن أبي شيبة وغيره كما في الدرّ المنثور (١/ ٣١) عن الشعبي قال: «كانوا يكرهون أن يكتبوا أمام الشعر بسم الله الرحمن الرحيم».

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣١) ط. دار الكتب العلمية.

وعن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ جواز ذلك[١]، وتابعه على ذلك الجمهور. وقال الخطيب: «وهو المختار»[٢]. انتهى.

ولاسيما إن كان المنظوم من نفائس العلوم.

قال بعض العلماء: الراجح عند الجمهور طلب البسملة في ابتداء الشعر ما لم يكن محرمًا أو مكروهًا.قال: وأما ما تعلق بالعلوم فمحل اتفاق[٣].

قوله: (بسم الله...) أي: باسم مسمى هذا اللفظ الأعظم الموصوف بأوصاف الكمال؛ فالباء متعلقة بمحذوف، وتقديره: فعلًا خاصًّا مؤخرًا، أولى من تقديره اسمًا عامًّا مقدمًا[٤].

أما أولوية كونه فعلًا؛ فلأنه الأصل في العمل، وحينئذ فمحل الجار والمجرورالنصب على المفعولية بالفعل المقدر.

وأما أولوية كونه خاصًّا، فلأنه أدل على المطلوب، فتقدير: أُأَلِفُ عند التأليف أولى من ابتدائي، وكذا عند القراءة ونحو ذلك، فيقدر عند كل أمر ما يناسبه.

وأما أولوية تقديره مؤخرًا، فلأمرين: أحدهما: الاهتمام بالابتداء باسم الله تعالى لفظًا وتقديرًا، لأنه تعالى مقدم ذاتًا، فقدم ذكرًا ليوافق الاسم المسمى[٥].

والثاني: لإفادة التخصيص، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٤]، لا يقال الأولى.

---

(١) نقله عنه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٧).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٦٩) ط. دار الكتب العلمية.

(٣) لم أعرف من قال بذلك.

(٤) لأنك لو ابتدأت بالفعل في التقدير لما كان الاسم مبتدأ به، فيفوت الغرض من التبرك باسم الله تعالى أول نطقك. انظر: تفسير الزمخشري (١/ ١٣)، وحاشية ابن المنير عليه، ط. دار الكتب العلمية.

(٥) انظر: الكشاف للزمخشري (١/ ١٢) وما بعدها.

ملاحظة: قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١]، لأنا نقول المطلوب الأهم، ثم القراءة؛ لأنها أول ما نزل عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وأول ما طرق المسامع الشريفة من الوحي، فكان الأنسب تقديم القراءة لمزيد الاعتناء بها والاهتمام، والله أعلم[(١)].

فائـدة: الاسـم في المخلـوق غـير المسـمى، وفي حـق الخالـق تعـالى لا غـير ولا عين[(٢)].

قال الإمام المحقق -ناظم هذه المنظومة- في كتابه بدائع الفوائد[(٣)]: «أسماء الله (د/ ٥ب) الحسنى في القرآن من كلامه تعالى، وكلامه غير مخلوق، ولا يقال هي غيره، ولا هي هو، وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون أسماؤه غيره، وهي مخلوقة». انتهى.

---

(١) لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٩).

(٢) في هامش (م) علق ابن مانع بقوله: «قوله: لا غير ولا عين يخالف ما استدل به من كلام ابن القيم حيث قال: لا يقال: هي غيره ولا هي هو» اهـ.
الذي يظهر -والله أعلم- أن الشارح لم يشبع المسأله بالكلام عليها، بل ذكرها اختصارًا، والصحيح أن هذه المسأله من الألفاظ المجملة التى يجب التوقف فيها، وعدم إطلاق النفي أو الإثبات إلا بعد الاستفصال. وهذه المسأله طالما غلط فيها كثير من الناس وجهلوا الصواب: فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك فهذا المراد به المسمى نفسه، وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحمن من أسماء الله تعالى ونحو ذلك، فالاسم هاهنا هو المراد لا المسمى، ولا يقال: غيره، لما في لفظ «الغير» من الإجمال، فإذا أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى.
انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٥-٢١٢)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص١٠٢) ط. مؤسسة الرسالة.

(٣) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٦-١٨) ط. دار الخير، بمعناه مختصرًا.

و(الله...) عَلَمٌ على ربنا سبحانه. قال الكسائي[١] والفراء[٢]: «أصله (ع/٧ب) الإله حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام؛ فصارتا لامًا واحدةً مشددةً مفخمةً»[٣].

قال الناظم في «بدائع الفوائد»[٤]: «زعم السهيلي[٥] وشيخه ابن العربي[٦] أن اسم الله غير مشتق[٧]؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه سبحانه قديم لا مادة له، فيستحيل الاشتقاق[٨].

تعقيب ابن القيم على كلام السهيلي وشيخه ابن العربي: ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى فهو باطل، ولكن من قال بالاشتقاق، لم يرد هذا المعنى ولا أَلَمَّ بقلبه، وإنما أراد أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى من العليم والقدير؛ فإنها مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، والقديم

(١) أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، وجالس في النحو الخليل مات بالري سنة (١٨٩هـ). انظر: السير (٩/ ١٣١).

(٢) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي الكوفي النحوي، مات سنة (٢٧٠هـ). انظر: السير (١٠/ ١١٨).

(٣) راجع تفسير ابن كثير (١/ ١٩٤)، البيان في غريب القرآن لابن الأنباري (١/ ٤٠).

(٤) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٢).

(٥) في نتائج الفكر (ص٥١).
والسهيلي هو: عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد الأندلسي المالقي النحوي المالكي الضرير الحافظ، صاحب التصانيف، مات سنة (٥٨١هـ). انظر الشذرات (٦/ ٤٤٥).

(٦) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي، قاضٍ من حفاظ الحديث، مات سنة (٥٤٣هـ). انظر: السير (٢٠/ ١٩٧)، والديباج المذهب (ص٣٧٦) ط. دار الكتب العلمية، والأعلام (٦/ ٢٣٠).

(٧) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٢/ ٣٤٣) ط. دار الفكر، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٧٢).

(٨) راجع الصواعق المرسلة (٢/ ٧٥٠) طبعة دار العاصمة، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦/ ٢٥).

لا مادة له. فما كان جوابكم عن هذه الأسماء، كان جواب من قال بالاشتقاق في الله تعالى».

ثم الجواب عن الجميع: «أنا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله، وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه: أصلًا وفرعًا، ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما متضمن للآخر وزيادة.

فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاقًا ماديًّا وإنما هو اشتقاق تلازم يسمى المتضمِن فيه بالكسر مشتقًّا، والمتضمن بالفتح مشتقًّا منه، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى» انتهى.

وقال أبو جعفر بن جرير[1]: «الله» أصله «الإله» أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة وهي ساكنة، فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مشدَّدة» انتهى.

وأما تأويل الله فإنه على ما روي لنا عن عبد الله بن عباس[2] قال: «هو الذي يأله كل شيء ويعبده كل خلق»، وساق بسنده عن الضحاك (د/ ١٦)[3] عن عبد الله ابن عباس قال: «الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين»[4].

(١) في تفسيره (١/ ٨٣) ط. دار الكتب العلمية.
وأبو جعفر: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، أبو جعفر، صاحب التصانيف، مات سنة (٣١٠هـ). انظر: السير (١٤/ ٢٦٧).

(٢) عبد الله بن عباس، حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، صحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوًا من ثلاثين شهرًا، توفي سنة ثمان، أو سبع وستين. انظر: السير (٣/ ٣٣١).

(٣) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني، صدوق كثير الإرسال من الخامسة، مات بعد المائة. انظر: التقريب (ص٤٥٩) ط. دار العاصمة.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٨٢).

فإن قال لنا قائل[١]: وما دل على أن الألوهية هي العبادة، وأن الإله هو المعبود وأن له أصلًا في فعل ويفعل، وذكر بيت رؤبة بن العجاج[٢]:

لله در الغانيات المدهِ سبحن واسترجعن من تألهي[٣]

يعني من تعبدي وطلبي الله بعملي.

ولا شك أن التألُّه التفعّل من أله يأله، وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بفعل يفعل بغير زيادة؛ وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع[٤].

وساق السند إلى ابن عباس أنه قرأ: ﴿وَيَذَرَكَ (ع/١٨أ) وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧]، قال: عبادتك، ويقول: إنه كان يعبد ولا يعبد[٥]، وذكر مثله عن مجاهد[٦].

فقد تبين قول ابن عباس ومجاهد أن أله: عبد، وأن الإلهة مصدره، وساق حديثًا عن أبي سعيد[٧] مرفوعًا أن عيسى أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه فقال المعلم: اكتب

---

(١) القائل ابن جرير في تفسيره (١/ ٨٢).

(٢) هو رؤبة بن عبد الله بن العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، وله ديوان رجز (مطبوع). مات سنة (١٤٥هـ). انظر الأعلام (٣/ ٣٤).

(٣) انظر: الكامل في الأدب (٢/ ١٠٥١) ط. مؤسسة الرسالة، العين (ص٣٥) ط. دار إحياء التراث العربي، معجم مقاييس اللغة (١/ ١٢٧) ط. دار الجيل.

(٤) سفيان بن وكيع بن الجراح الرؤاسي أبو محمد الكوفي، قال الذهبي: ضعيف. مات سنة (٢٤٧هـ).

انظر: تهذيب الكمال (٤/ ٢٧٦) ط. دار الكتب العلمية، والكاشف للذهبي (١/ ٣٣٣) ط. دار الفكر، والتقريب (ص٣٩٥).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٧).

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٢٧) وإسناده ضعيف لحال سفيان بن وكيع، ورواه ابن أبي حاتم وفي إسناده بشر بن عمارة، وهو ضعيف أيضًا ولعله يرتقي للحسن لغيره. ومجاهد هو مجاهد بن جبر المكي القرشي المخزومي، مولى بن مخزوم، إمام في التفسير والعلم، مات سنة (١٣١هـ)، وقيل غير ذلك. انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٥٠١)، والتقريب (ص٩٢١)، والأعلام (٥/ ٢٧٨).

(٧) هو الخدري، مشهور بكنيته، واسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، له ولأبيه صحبة، مات بالمدينة سنة (٦٣هـ). انظر: التقريب (ص٣٧١).

«بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال عيسى: أتدري ما الله؟ الله إله الآلهة[١].

[قوله]: «الرحمن الرحيم»: اسمان مشتقان من رُحم، بجعله لازمًا بنقله إلى باب فعل بضم العين وبتنزيله منزلة اللازم، إذ هما صفتان مشبهتان، وهي لا تشتق من متعد، والرحمن أبلغ من الرحيم؛ لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالبًا[٢] كما في قَطَعَ وقطَّع، ومن غير الغالب قد يفيد ناقص البناء ما لا يفيد زائده من المبالغة كحذر وحاذر، فإن حذر أبلغ من حاذر.

فالرحمن صفة في الأصل، بمعنى: كثير الرحمة جدًّا، ثم غلب على البالغ في الرحمة غايتها وهو الله، والرحيم ذو الرحمة الكثيرة.

قال الناظم في بدائع الفوائد[٣]: «أسماء الرب تعالى أسماء ونعوت؛ فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي فيها بين العَلَمِيَةِ والوصفية، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، لا ينافي اسميته وَصفِيتُه، فمن حيث هو صفة جرى تابعًا على اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع يعني كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن:١-٢].

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الملك:٢٠]، وهذا شأن الاسم العلم.

---

(١) إسناده حسن لغيره، أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٨١) من طريق إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحي بن أبي ملكيه عمن حدثه عن ابن مسعود به، و إسناده ضعيف لجهالة شيخ ابن ابي ملكية.
وأخرجه ابن مردوية كما في الدر المنثور (١/ ٢٩) من طريق إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى عن مسعر عن عطية عن أبي سعيد. وإسناده ضعيف لحال عطية، وهو العوفي، كما في الميزان (٣/ ٧٩).

(٢) زيادة المبني تدل على زيادة المعنى.

(٣) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٣) ط. دار المعرفة.

ولما كان هذا الاسم مختصًا به تعالى؛ حسن مجيئه مفردًا غير تابع كمجيء اسمه الله (د/٦ب) كذلك، وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمة كاسم الله؛ فإنه دال على صفة الألوهية، ولم يجيء قط تابعًا لغيره، بل متبوعًا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير؛ ولهذا لا تجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة...».

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الجمع بين الرحمن والرحيم؛ ففيه معنًى بديع، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، وكأن الأول الوصف، والثاني الفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته أي صفة ذات له سبحانه والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته أي صفة فعل له سبحانه، فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧]. ولم يجيء قط رحمن بهم فعلمت أن رحمن هو الموصوف (ع/٩ب) بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته»[1].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه النكتة لا تكاد تجدها في كتاب وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها»[2] انتهى.

ورحمة الله تعالى -جل شأنه وتعالى سلطانه- صفة قديمة قائمة بذاته[3] تعالى،

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٢٣).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) هذا البحث منقول من غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني (١/ ١١) ط. دار الكتب العلمية.

وتقييد صفة الرحمة وغيرها من الصفات بالقدم خلاف الأولى، لأن القديم خلاف الجديد، ويستعمل في كل ما تقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم، والأولى أن يعبر عن صفات الله بالأولية، لورود الأدلة في ذلك كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ الآية، وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء...» الحديث. =

تقتضي التفضل والإنعام[1]، وأما تفسيرها برقة في القلب تقتضي التفضيل فالتفضل غايتها فيراد منها غايتها كما يقوله من يقوله من المتكلمة كالزمخشري في كشافه، وغيره من النظار. فهذا إنما يليق برحمة المخلوق لا برحمة الخالق تعالى وتقدس، وبينهما بون، ونظير ذلك العلم، فإن حقيقة علمه تعالى القائمة به ليست مثل الحقيقة القائمة بالمخلوق، بل نفس الإرادة التي يرد بعضهم الرحمة إليها هي في حقه تعالى مخالفة لإرادة المخلوق، إذ هي في المخلوق ميل قلبه إلى الفعل أو الترك والله منزه عن ذلك وكذلك رد الزمخشري[2] لها في حقه تعالى إلى الفعل بمعنى الإنعام والتفضل[3]؛ فإن فعل العبد الاختياري إنما يكون لجلب نفع للفاعل أو

= والقائل بأن صفات الله قديمة: إن أراد مجرد الإخبار بذلك فقد جوَّزه بعض العلماء؛ لأن باب الإخبار واسع.

وإن أراد بذلك: أن لها بداية، فقد ظن أن الله مسبوق بعدم. وهذا كفر صريح.

والأولى التقيد بالنصوص حتى في باب الإخبار؛ لأن بعض الصفات الواردة في القرآن، يجوز الإخبار بها ولا يجوز الاشتقاق منها كالمجيء والمكر والغضب وغيرها.

وأيضًا التعبير عن الصفات بالقدم هو من الألفاظ المجملة، وفيه موافقة للمتكلمين.

انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٧٧ -تركي) ط. مؤسسة الرسالة، وشرح الطحاوية للبراك (ص٣٩-٤٠) ط. دار التدمرية، والهداية الربانية للراجحي (١/ ٥٠) ط. دار التوحيد.

(١) انظر: التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي (٢/ ٤٣٢)، وما بعدها.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي (٢/ ٤٣٢)، وما بعدها.

(٣) انظر: الكشاف (٢/ ٤٦٤)، وفي أساس البلاغة عدها من المجاز. انظر: أساس البلاغة (ص١٥٨) ط. دار المعرفة.

ومضمون هذا الكلام نفي صفة الرحمة؛ لأن الإنعام تفسير للصفة بغايتها، وهذا جمع بين التحريف والتعطيل، والصواب أن الله تعالى موصوف بالرحمة حقيقة، كما دل على ذلك اسماه: (الرحمن - الرحيم) والقول في صفة الرحمة كالقول في سائر الصفات، يجب إثباتها على مايليق بجلال الله تعالى. هذا مذهب أهل السنة والجماعة، أما تفسيرها بالرقة فهذا يناسب رحمة المخلوق. انظر: تعليقات الشيخ عبدالرحمن البراك على المخالفات العقدية في فتح الباري (١/ ٣٥). =

دفع ضرر عنه ولا كذلك فعله تعالى، فما فر منه أهل التأويل موجود في ما فروا إليه من المحذور.

وبهذا ظهر (د/١٧أ) أنه لا حاجة إلى دعوى المجاز في رحمته تعالى؛ فإنه خلاف الأصل، وهو إنما يصار إليه عند تعذر حمل الكلام على الحقيقة، ولا تعذر هنا كما لا يخفى، وأيضًا معيار المجاز صحة نفيه، كما إذا قيل: زيد أسد، أو بحر، أو قمر؛ لشجاعته، أو كرمه، أو حسنه، فإنه يصح أن تقول: زيد ليس بأسد، أو ليس ببحر، أو ليس بقمر، وهذا مما لا خلاف فيه بينهم، ولا يصح أن يقال: الله ليس برحيم، فلو كانت الرحمة مجازًا في حقه تعالى لصح ذلك، ولا ريب أن الرحمة صفة كمال وسائر الكتب السماوية مملوءة بذكرها وإطلاقها عليه تعالى.

ومن العجب أن تكون هذه الصفة العظيمة حقيقة في حق المخلوق مجاز في حق الخالق.

والحاصل أن الصفة تارة تعتبر من حيث هي هي، وتارة تعتبر من حيث قيامها به تعالى، وتارة من حيث قيامها بغيره تعالى، وليست الاعتبارات متماثلة؛ إذ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، والكلام على الصفات فرع عن الكلام في الذات، كما أنا نثبت ذاتًا ليست كالذوات فلنثبت رحمة ليست كرحمة المخلوق كما أشار إلى ذلك وقرره ونبه عليه وحرره الناظم في بدائع الفوائد[١].

قوله (٤/١٠أ): (الحمد لله الذي شهدت له بربوبيته جميع مخلوقاته، وأقرت له بالعبودية جميع مصنوعاته، وأدت له الشهادة جميع الكائنات:أنه الله الذي لا

= والزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، أحد أئمة المعتزلة، مات سنة (٥٣٨هـ). انظر: السير (٢٠/ ١٥١)، والميزان للذهبي (٤/ ٧٨).

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٩٠).

إله إلا هو، بما أودعها من لطيف صنعه وبديع آياته، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، ولا إله إلا الله الأحد الصمد، الذي لا شريك له في ربوبيته، ولا شبيه له في أفعاله ولا في صفاته ولا في ذاته، والله أكبر عدد ما أحاط به علمه، وجرى به قلمه، ونفذ فيه حكمه من جميع برياته.

ولا حول ولا قوة إلا بالله تفويض عبد لا يملك لنفسه (د/٧ب) ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا بل هو بالله وإلى الله في مبادئ أمره ونهاياته).

الحمد لغة: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل[١]. وعرفًا: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم على الحامد وغيره[٢].

والشكر لغة: هو الحمد[٣]، [و] اصطلاحًا وعُرفًا: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله[٤]، فبين الحمد والشكر عمومًا وخصوصًا من وجه، يجتمعان فيما إذا كان باللسان في مقابلة نعمة، وينفرد الحمد فيما إذا كان باللسان لا في مقابلة نعمة، وينفرد الشكر فيما إذا كان بغير اللسان في مقابلة نعمة[٥]، واختار

---

(١) انظر: التحبير شرح التحرير للمرداوي (١/ ٥١) ط. مكتبة الرشد، ودرر الحكام شرح غرر الأحكام لملا خسرو (١/ ٤)، وأسنى المطالب شرح روضة الطالب لزكريا الأنصاري (١/ ٣) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) نهاية المحتاج إلى أدلة المنهاج لابن شهاب الرملي (١/ ٢٥) ط. دار الفكر، دستور العلماء لعبد النبي نكري (٢/ ٤٤) ط. دار الكتب العلمية.

(٣) هذا هو قول اللحياني،كما حكاه عنه ابن منظور في اللسان (٣/ ٣١٤) ط. دار إحياء التراث العربي، وعلق ابن منظور على قوله بأنه «لم يفرق بين الحمد والشكر» وفعل مثله الأخفش.

(٤) كصرف النظر إلى مشاهدة مصنوعاته؛ ليستدل بها على عظم صانعها وبديع خلقه، والسمع إلى تلقي أوامره وإنذاراته، واللسان إلى التحدث بالنعم والثناء على المنعم.
انظر: تيسير التحرير لمحمد أمين (٢/ ١٦٥).

(٥) انظر: معاني القرآن للنحاس (١/ ٣١١) ط. جامعة أم القرى، وآداب الأكل لأحمد بن عماد الدين الأقفهسي (١/ ١)، ط. دار الكتب العلمية، وتفسير الثعلبي (١/ ١٠٨) ط. دار إحياء =

الجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت على الجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث؛ لأنه مع كونه على نسق الكتاب العظيم أليق بالمقام وتفاؤلًا بذلك، وهي وإن كانت خبرية لفظًا فهي إنشائية معنًى، و«ال» في الحمد للاستغراق أو الجنس أو العهد، أي: كل الحمد مستحق أو جنسه مختص ومملوك لله، وعلامة «ال» الاستغراقية أن يخلفها كل ونحوها.

و«ال» الجنسية إذا تعقبتها لام الاختصاص كان المعنى جنس الحمد مختص ومملوك له تعالى، فتفيد ما أفادته «ال» الاستغراقية ضمنًا وإن كانت «ال» للعهد، فالمعهود ثناء الله على نفسه وثناء ملائكته ورسله وأنبيائه وخواص خلقه، ولا نظر لغير ثنائهم.

واللام في «الله» للملك أو الاستحقاق أو الاختصاص(١)، ولما ابتدأ بالبسملة ابتداءً حقيقيًّا، وهو الإتيان بها قبل كل شيء، أعقبها بالحمد له ابتداءً إضافيًّا، أي بالنسبة لما بعدها، وهو ما يقدم على الشروع في المقصود في الذات، جمعًا بين حديثي البسملة (ع/١١أ) والحمدلة(٢)، ولم يعكس لموافقة الكتاب العزيز فإن الصحابة افتتحوا (د/٨أ) كتابته في الإمام الكبير(٣) بالتسمية والحمدلة، تلوها وتبعهم جميع من

=التراث العربي، والمخصص لابن سيده (٥/ ٢٣١) ط. إحياء التراث، وإحكام الإحكام لابن دقيق العيد (٢/ ٧٥) ط. دار الكتب العلمية، ومجموع الفتاوى (١١/ ١٣٣).

وقال ابن القيم: «الشكر أخص بالأفعال، والحمد أخص بالأقوال، وسبب الحمد أعم من سبب الشكر، ومتعلق الشكر وما به الشكر أعم مما به الحمد». انظر: عدة الصابرين لابن القيم (ص٢٩٣).

(١) انظر: التسهيل لابن جزيء (١/ ٦٥) ط. دار الكتاب العربي، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ١٣٠) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) قال شيخنا: الإمام الكبير هنا هو مصحف عثمان رضي الله عنه.

كتب المصحف بعدهم في جميع الأمصار، سواء في ذلك من يقول بأن البسملة آية، ومن لا يقول ذلك فكان أولى(١).

❁ قوله: (شهدت له بربوبيته جميع مخلوقاته...) إلخ، المخلوق هو المصنوع ومعنى شهادة المخلوقات بربوبيته سبحانه، أن العقل الصريح يقطع بأن المخلوق لا بد له من خالق، والمصنوع لا بد له من صانع، والحادث لا بد له من محدث لاستحالة حدوث الحادث بنفسه، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور:٣٥]. يقول سبحانه: أوحدثوا من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم، ومعلوم أن المحدَث لا يوجد بنفسه.

وطريق العلم بذلك أن يقال الموجود إما حادث وإما قديم، والحادث لا بد له من قديم فيلزم ثبوت القديم على كل حال، وذلك أن الفقر والحاجة لكل حادث وممكن وصف لازم لهما، فهي مفتقرة إليه دائمًا حال الحدوث وحال البقاء، ومن زعم من أهل الكلام أن افتقارهما إليه في حال الحدوث فقط كما يقوله من يقوله من المعتزلة وغيرهم، أو في حال البقاء فقط، كما يقوله من يقوله من المتفلسفة(٢) القائلين بمساواة العالم له(٣).

وكلا القولين خطأ كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في شرح عقيدة

---

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٨)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٩) (١٣/ ١٤٨-١٤٩).

(٣) المعتزلة يرون أن المخلوق محتاج إلى الله تعالى في حال النشأة (الحدوث) فقط، أما البقاء فليس محتاجًا إليه؛ لأنهم يقولون: إن العباد هم الخالقون لأفعالهم، فهم ليسوا بحاجة له في حال البقاء.

ولما أورد عليهم أن المقتول ينقض قاعدتهم، فروا من هذا الإيراد فقالوا: إن المقتول قطع عليه أجله، وهو جواب ضعيف كما هو ظاهر. =

شمس الدين الأصفهاني: «فالإمكان والحدوث متلازمان فكل محدث ممكن، وكل ممكن محدث، والفقر ملازم لهما، فلا تزال مفتقره إليه لا تستغني عنه لحظة عين وهو الصمد الذي يصمد إليه جميع المخلوقات ولا يصمد هو إلى شيء بل هو سبحانه الغني بنفسه المغني لما سواه»[١].

وله رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا المعنى:

والفقر لي وصف ذات لازم ابدًا ... كما الغنى ابدًا وصف له ذاتي[٢]

قال ابن المعتز:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

(د/ ٨ب)

= أما الفلاسفة فزعموا أن المخلوق محتاج إلى الله في حال البقاء لافي حال الحدوث، -عكس المعتزلة-، بمعنى أن العالم ليس له بداية، وإذا كان كذلك، فمعناه أنه لم لسبق بعدم، فيكون مساو لله تعالى، تعالى الله عن قولهم.

والجواب عن قولهم ظاهر؛ فإنها إذا كانت محتاجة إلى الله تعالى في حال البقاء ففي حال الحدوث أولى، فإن المخلوق يحتاج إلى من يحدثه، وإذا أحدثه، احتاج إلى من ينشؤه، فهو أحوج إلى غيره في بدايته لملازمته الضعف والخور ونحو ذلك. وإذا تساوت تلك المخلوقات مع الله في القدم تساوت معه في النشاة والبقاء ولافرق. وهو قول ظاهر الفساد، والجواب الثاني هو قول شيخ الإسلام في كلامه الآتي، وكل من المعتزلة والفلاسفة رد على الآخر فيما ذهب إليه.

انظر: درء التعارض (٣/ ١٣٩) ط. دار الكتب العلمية.

(١) العبارة مضطربة، ولعله أراد أن يقول: «ومن زعم من أهل الكلام أن افتقارها إليه في حال الحدوث فقط -كما يقوله من يقوله من المعتزلة وغيرهم- أو في حال البقاء فقط -كما يقوله من يقوله من الفلاسفة القائلين بمساواة العالم له- [فقد غلط] كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في شرح عقيدة شمس الدين الأصفهاني...» الخ.

وقول شيخ الإسلام لم أجده في شرح العقيدة الأصفهانية، وذكر مثله في درء التعاض (٣/ ١٣٩).

(٢) ذكره ابن عبد الهادي في العقود الدرية (ص٣٩١) ط. دار الكتاب العربي.

وللّه في كل تحريكة وتسكينة أبدًا شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد[(١)]

وسئل أبي نواس عن وجود الصانع فأنشد:

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين ناظرات بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك[(٢)]

قوله: (وأدت له الشهادة جميع الكائنات...) إلخ، في هذه البراعة الإشارة (ع/١٢) إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وسيأتي بسط الكلام على ذلك في توحيد الأنبياء والمرسلين.

---

(١) الأبيات لأبي العتاهية في دايوانه (ص٤٥) وأولها:

الا إننا كلنا بائد وأي بني آدم خالد
فيا عجبًا كيف يعصى الإله .... إلخ

وقد نسبها ابن كثير لابن المعتز. وانظر: المنتظم (١٠/ ٢٤١) ط. دار صادر.

(٢) لم أجده في ديوانه المطبوع، وقد نسبه إليه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٤٦٥) ط. دار الفكر، وابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٢٣٥) وفيه: «تفكر» بدل «تأمل»، انظر: الخلاصه المحبي (٤/ ٤٢٣). وأبو نواس: هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصياح الحكمي: (أبو علي) أديب شاعر، ولد بالأهواز من بلاد خوزستان، ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد، فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدحهم، وخرج إلى دمشق ثم إلى مصر ثم عاد إلى بغداد، فأقام فيها إلى أن مات سنة (١٢٦هـ). قال ابن عيينة: «هو أشعر الناس». وقال الجاحظ: «ما رأيت أعلم منه باللغة عداده في الطبقة الأولى من المولدين، وشعره عشرة أنواع، وكان المأمون يقول: لو وصفت الدنيا نفسها ما بلغت قول أبي نواس:

الا كل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق»

انظر: الشذرات (٢/ ٤٥١).

قوله: (الكائنات.........). قال في القاموس[1]: «الكون: الحدث كالكينونة، والكائنة: كالحادثة، وكوَّنه الله: خلقه، والله الأشياء: أوجدها»[2].

قوله: (وسبحان الله وبحمده...) إلخ، سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وانتصابه بفعل متروك إظهاره.

قوله: (ولا حول ولا قوة إلا بالله) أي: لا تحول من حال إلى حال ولا قدرة على ذلك إلا بالله.

وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بمعونة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله، والمعنى الأول أجمع وأشمل[3].

قوله: (وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا صاحبة له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا كفؤ له، الذي هو كما اثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه أحد من جميع برياته. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من بريته، وسفيره بينه وبين عباده، وحجته على خلقه، أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، أرسله على حين فترة من الرسل، وطموس من السبل، ودروس من الكتب، والكفر قد اضطرمت ناره، وتطايرت في الآفاق شراره، وقد استوجب أهل الأرض أن يحل بهم العقاب.

---

(١) انظر: القاموس (ص١٥٨٥) ط. الرسالة.

(٢) هذه عبارة القاموس وتوضيحًا لذلك نقول:
وكوَّنه: أي أحدثه، والله -تعالى- يوجد الأشياء ويحدثها.

(٣) هذا الكلام منقول برمته من كتاب الروض المربع شرح زاد المستقنع للبهوتي (ص٥) ط. مؤسسة الرسالة، والمعنى الثاني مروي عن ابن مسعود رضي الله عنه. وراجع: الدر المنثور للسيوطي (٥/٣٩٣).

وقد نظر الجبار تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ (د/ ١٩أ) إليهم، فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب[١]، وقد استند كل قوم إلى ظلم آرائهم، وحكموا على الله سبحانه بمقالاتهم الباطلة وأهوائهم، وليل الكفر مُدلَهِمٌ ظلامه، شديدٌ قتامه، وسبل الحق عافية آثارها، مطموسة أعلامها، ففلق الله سبحانه بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صبحَ الإيمان، فأضاء حتى ملأ الآفاق نورًا، وأطلع به شمس الرسالة في حنادس الظلم سراجًا منيرًا، فهدى الله به من الضلالة، وعلَّم به من الجهالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وكثَّر به بعد القلة، وأعز به بعد الذلة، وأغنى به بعد العَيلة، واستنقذ به من الهلكة، وفتح به أعينًا عُميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه، وشرح الله له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار (ع/ ١١٣أ) على من خالف أمره، وأقسم بحياته في كتابه المبين، وقرن اسمه باسمه، فإذا ذُكر ذُكِر معه -كما في الخطب والتشهد والتأذين-، فلا يصح لأحد خطبة، ولا تشهد ولا أذان ولا صلاة، حتى يشهد أنه عبده ورسوله شهادة اليقين، فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع خلقه عليه، كما عرفنا بالله، وهدانا إليه وسلم تسليما كثيرًا) اهـ.

☜ قوله: (وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده...) إلخ. أي أخبر أني قاطع بالوحدانية.

☜ قوله: (وسفيره...). قال في القاموس[٢]: «وسفره تسفيرًا أرسله إلى السفر».

---

(١) قطعة من حديث عياض بن حمار المجاشعي، رواه مسلم (٤/ ٢١٩٧) ط. المكتبة الإسلامية.

(٢) انظر: القاموس (ص٥٢٣).

قوله: (وطموس من السبل)، «الطموس: الدروس والإمحاء يطمس ويطمس وطمسه طمسًا محوته، والشيء استأصلت أثره ومنه ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [المرسلات:٨]». قاله في القاموس(١).

قوله: (قتامه)، «القتام: كسحاب الغبار» قاله في القاموس(٢).

قوله: (عافية آثارها): قال في القاموس: «عفا شعر البعير كثر وطال فغطى وبره وقد عفيته وأعفيته»(٣).

قوله: (حنادس الظلم......): قال في القاموس (د/ ١٩): «الحندس: بالكسر، الليل المظلم، والظلمة جمع حنادس وتحندس: الليل أظلم»(٤).

قوله: (الصَّغار...): قال في القاموس(٥): «صغر ككرم وفرح صغارة صغرًا كعنب وكذا صغارًا وصغاره بفتحها وصغرًا بضمها وأصغره جعله صاغرًا» انتهى.

قوله: (وقرن اسمه باسمه...) إلخ.

قوله: (كما في الخطب والتشهد والتأذين...): هذا ظاهر، وهذا كما قال حسان بن ثابت(٦) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

---

(١) انظر: القاموس (ص٧١٥).
(٢) انظر: القاموس (ص١٤٨٠).
(٣) انظر: المصدر السابق (ص١٦٩٣). والمعنى أن طرق الحق طمست، فلا ترى.
(٤) انظر: المصدر السابق (ص٦٩٥). والمعنى أن نور النبوة ظهر وأشرق بعد استدامة ظلمة الجهل.
(٥) انظر: المصدر السابق (ص٥٤٥).
(٦) دايونه (ص٤٨). وانظر: البداية والنهاية (٦/ ٢٨٥)، تاريخ دمشق (٣/ ٣٣).
وحسان بن ثابت: هو ابن المنذر الخزرجي الأنصاري الصحابي، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وكان يقطن المدينة، ومدح الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، ثم كان شاعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صدر الإسلام، وكان شديد الهجاء. توفي بالمدينة سنة (٥٤هـ)، وله ديوان شعر (مطبوع). =

اغـــر عـلـيــه لـلـنـبـوة خـاتـم   مـن الله مـيـمـون يـلـوح ويشهد

وضـم الإلـه اسـم الـنبي إلى اسمه   إذا قـال فـي الخمـس أشـهـد[١]

وشـــق لـــه مـــن اسمـــه ليجله   فـذو العـرش محمـود وهـذا محمد

قوله: (فصلى الله وملائكته...) إلخ، الصلاة من الله تعالى الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن غيرهم التضرع والدعاء بخير.

هذا هو المشهور والجاري على ألسنة الجمهور[٢]، ولم يرتض هذا الناظم في كتابه «جلاء الأفهام» و«بدائع الفوائد» وغيرهما، ورده من وجوه[٣]:

الأول: منها أن الله تعالى غاير بينهما في قوله تعالى: ﴿صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة:١٥٧].

الثاني: أن سؤال الرحمة يشرع لكل مسلم، والصلاة تختص بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهي حق له ولآله، ولهذا المعنى منع كثير من العلماء الصلاة على معين غيره، يعنى وغير سائر الأنبياء والملائكة، ولم يمنع أحد من الترحم على معين من المسلمين.

= انظر: مشاهير علماء الأمصار لابن حبان (ص٣٢) ط. دار الوفاء، السير (٢/ ٥١٢)، الإصابة (١/ ٣٢٥) ط. دار الكتاب العربي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (١/ ٢٧٠) ط. دار الكتب العلمية.

(١) في النسخ الخطية «المؤذن»، والمثبت من ديوان حسان.

(٢) هذا هو المشهور، لكن الراجح أن الصلاة من الله تعالى هي الثناء من الله على عباده في الملأ الأعلى. انظر: فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي (١/ ٨٨)، والحاوي الكبير للماوردي (٣/ ٣٤٧) ط. دار الكتب العلمية، وتفسير السمعاني (٤/ ٢٩٢) ط. دار الوطن، شرح السنة للبغوي (٣/ ١٨٩) ط. المكتب الإسلامي، وشعب الإيمان (٢/ ٢٢١) ط. دار الكتب العلمية.

(٣) انظر: جلاء الأفهام (ص١٦٢) ط. دار ابن الجوزي، وبدائع الفوائد (١/ ٢٥).

الثالث: أن رحمة الله عامة وسعت كل شيء، وصلاته خاصة لخواص عباده.

وقولهم: (الصلاة من العباد بمعنى الدعاء) مشكل أيضًا من وجوه:

أحدها: أن الدعاء يكون بالخير والشر، والصلاة لا تكون (ع/ ١١٤) إلا في الخير.

الثاني: أن دعوت يعدى باللام (د/ ١١٠)، وصليت لا يعدى إلا بـ(على) ودعاء المتعدي بـ(على) ليس بمعنى صلى.

وهذا يدل على أن الصلاة ليست بمعنى الدعاء.

الثالث: أن فعل الدعاء يقتضي مدعوًّا ومدعوًّا له؛ تقول: دعوت الله لك بخير، وفعل الصلاة لا يقتضي ذلك، لا تقول: صليت الله عليك ولا لك، فدل على أنه ليس بمعناه، فأي تباين أظهر من هذا؟ قال: ولكن التقليد يعمي عن إدراك الحقائق، فإياك والإخلاد إلى أرضه».

قال في «البدائع»[1]: «ورأيت لأبي القاسم السهيلي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كلامًا حسنًا في اشتقاق الصلاة... »، فذكر ما ملخصه: أن معنى اللفظة حيث تصرفت ترجع إلى الحنو والعطف، إلا أن ذلك يكون محسوسًا ومعقولًا، فالمحسوس منه صفات الأجسام، والمعقول صفة ذي الجلال والإكرام، وهذا المعنى كثير موجود في الصفات، والكثير يكون صفة للمحسوسات وصفة للمعقولات، وهو من أسماء الرب تعالى وتقدس عن مشابهة الأجسام، وصفات الأنام، فما يضاف إليه تعالى من هذه المعاني معقولة غير محسوسة.

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٥).

فإذا ثبت هذا؛ فالصلاة- كما قلنا- حنو وعطف من قولك صَلَيت، أي حنيت صلاك[1]، وعطفته فأخلق بأن تكون الرحمة -كما سمي- عطفًا وحنوًا تقول: اللهم اعطف علينا، أي ارحمنا.

قال الشاعر:

وما زلت في ليني له وتعطفي عليه كما تحنوا على الولد الأم[2]

وأما رحمة العباد فرِقَّةٌ في القلب، إذا وجدها الراحم من نفسه انعطف على المرحوم، وانثنى عليه، ورحمة الله للعباد جود وفضل، فإذا صلى عليه فقد أفضل عليه وأنعم.

وهذه الأفعال إذا كانت من الله ومن العبد، فهي متعدية بعلى مخصوصة بالخير، لا تخرج عنه إلى غيره، فرجعت كلها إلى معنى واحد، إلا أنها (د/ ١٠ب) في معنى الدعاء والرحمة صلاة معقولة، أي إنحناء معقول غير محسوس، ثم هو من العبد الدعاء؛ لأنه لا يقدر على أكثر منه، وثمرته من الله الإحسان والإنعام.

فلم تختلف الصلاة في معناها، وإنما اختلفت ثمرتها الصادرة عنها.

والصلاة التي هي الركوع والسجود، انحناء محسوس، فلم يختلف المعنى فيها إلا من جهة المعقول، وليس ذلك باختلاف في الحقيقة، ولذلك تعدت كلها بعلى، واتفقت في اللفظ المشتق من الصلاة (ع/ ١٥ب)، ولم يجز صليت على العدو، أي دعوت

---

(١) الصلا: وسط الظهر، يمينه وشماله. انظر: مطالب أولي النهى (١/ ١٥) ط. المكتب الإسلامي، شرح الزركشي، الكتب العلمية، القاموس المحيط (ص١٦٨١).

(٢) القائل هو معن بن أوس، انظر: تاريخ دمشق (٥٩/ ٤٣٠-٤٣١)، الأغاني (١٢/ ٧٧) ط. دار الفكر، خزانة الأدب (٧/ ٢٤٤) ط. دار ومكتبة الهلال، الأمالي للقالي (٢/ ٢٠٤) ط. دار الكتب العلمية.

عليه، فقد صار بمعنى الصلاة أرق وأبلغ من معنى الرحمة، وإن كان راجعًا إليه؛ إذ ليس كل راحم ينحني على المرحوم، ويتعطف عليه من شدة الرحمة. انتهى.

قوله: (وسلم...). السلام: بمعنى التحية، والسلامة من النقائص والرذائل.

وفي المطلع[1]: قال الأزهري[2]: «في قولك «السلام عليك» قولان:

أحدهما: اسم السلام، ومعناه اسم الله عليك، ومنه قول لبيد[3]:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر[4]

والثاني: سلم الله عليك تسليمًا وسلامًا، ومن سَلّم الله عليه سَلِم من الآفات كلها» اهـ.

قال الحافظ ابن الجزري[5] في «مفتاح الحصن»[6]: «وأما الجمع بين الصلاة

(١) المطلع على أبواب المقنع لمحمد بن أبي الفتح البعلي (١/ ٨٠).

(٢) في «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» (ص٩٢).
والأزهري: هو محمد بن أحمد الأزهري الهروي أبو منصور إمام في اللغة، ولد بهراة سنة (٢٨٢هـ)، ومات بها سنة (٣٧٠هـ). انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ١٤٤).

(٣) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، وفد على النبي ﷺ، ويعد من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم، مات سنة (٤١هـ). انظر: الأعلام (٥/ ٢٤٠).

(٤) انظر: خزانة الأدب للبغدادي (٤/ ٣١١)، قواعد الشعر لثعلب (ص٨٠) ط. مكتبة الخانجي، الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري (ص٤٣٩) ط. مؤسسة الرسالة.

(٥) محمد بن محمد... ابن علي بن يوسف العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي الجزري، مات سنة (٨٣٣هـ). انظر: كشف الظنون (١/ ٦٦٩)، ط. دار الكتب العلمية، ومعجم المؤلفين (١١/ ٢٩١).

(٦) ونقله عنه الرحيباني في مطالب أولي النهى (١/ ١٧)، ومفتاح الحصن شرح لكتاب الحصن الحصين وكلاهما لابن الجزري، واختصره أيضًا في كتاب سماه: عدة الحصن.
انظر: كشف الظنون (١/ ٦٦٩).

والسلام، فهو الأولى والأكمل والأفضل؛ لقوله تعالى: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة، فقد جرى عليه جمع منهم مسلم في صحيحه(١)، خلافًا للشافعية.

وفي كلام بعضهم: لا أعلم أحدًا نص على الكراهة(٢)، حتى أن الإمام الشافعي نفسه اقتصر على الصلاة دون التسليم في خطبة الرسالة(٣). والله أعلم.

قوله: (وقد نضر الجبار تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ...) إلخ، يشير إلى حديث عياض بن حمار المجاشعي(٤)؛ الذي رواه مسلم في صحيحه أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا، كل مال (د/ ١١أ) نحلته عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض؛ فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب.....» الحديث(٥).

۞۞۞

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١/ ٤٤).

(٢) لم أعرف من القائل، ولكن نقل النووي في شرحه على مسلم (١/ ٤٤): «نص العلماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ على كراهة الاقتصار على الصلاة عليه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من غير تسليم...». ونقله ابن جماعة في المنهل الروي (ص٩٤) ط. دار الفكر، وكلاهما من أئمة الشافعية.

(٣) الرسالة للإمام الشافعي (ص٨) ط. دار الكتب العلمية.

(٤) عياض بن حمار المجاشعي التميمي، له صحبة، عداده في أهل البصرة. لم أجد من ذكر سنة وفاته، إلا أن الحافظ قال في التقريب: «عاش إلى حدود الخمسين». انظر: أسد الغابة (٤/ ٣١٠) ط. دار إحياء التراث، وتهذيب الكمال (٨/ ١٠٦)، والتقريب (ص٧٦٤).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها أهل الدنيا أهل الجنة (٤/ ٢١٩٧).

قال الناظم[(١)]:

«أما بعد: فإن الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، إذا أراد أن يكرم عبده بمعرفته، ويجمع قلبه على محبته؛ شرح صدره لقبول صفاته العلى، وتلقيها من مشكاة الوحي، فإذا ورد عليه شيء منها؛ قابله بالقبول وتلقاه بالرضى والتسليم، وأذعن له بالانقياد، فاستنار به قلبه واتسع له صدره، وأمتلأ به سرورًا ومحبة.

فعلم أنه تعريف من تعريفات الله تعالى، تعرف به إليه على لسان رسوله، فأنزل تلك الصفة من قلبه منزلة الغذاء أعظم ما كان إليه فاقة، ومنزلة الشفاء أشد ما كان إليه حاجة، فاشتد بها فرحه، وعظم بها غناؤه، وقويت بها معرفته، واطمأنت إليها نفسه، وسكن إليها قلبه.

فجال من المعرفة في ميادينها، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها؛ لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته، وهو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى، وإن شرفه -أيضًا- بحسب الحاجة إليه، وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها، ومحبته وذكره، والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه، والزلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه؛ فكلما كان العبد بها أعلم؛ كان بالله أعرف، وله أطلب وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر؛ كان بالله أجهل (ع/١١٦)، وإليه أكره ومنه أبعد والله، ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه، فمن كان لذكر أسمائه وصفاته مبغضًا، وعنها نافرًا ومنفرًا، فالله له أشد بغضًا، وعنه أعظم إعراضًا وله أكبر مقتًا، حتى تعود القلوب إلى قلبين:

---

(١) زيادة للتوضيح.

قلب ذكر الأسماء والصفات قوته وحياته ونعيمه وقرة عينه [لو فارقه ذكرها ومحبتها (د/١١ب) لحظًا[1] طرفة عين؛ لاستغاث]:يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فلسان حاله يقول:

يـــراد مـــن الـقـلـب نسيانكم   وتـأبـى الـطبـاع على الناقل»[2]

قوله:

يـــراد مـــن الـقـلـب نـسـيـانـكـم   ....إلخ

هذا البيت للمتنبي[3] من قصيدِهِ.

والطِباعَ -بالكسر-: السجية، جبل عليها الإنسان، أو الطباع: ما ركب فينا من المطعم والمشرب وغير ذلك من الأخلاق التي لا نزايلها كالطابع كصاحب» قاله في القاموس[4].

ثم قال[5]: «ويقول:

وإذا تـقـاضـيـت الـفـؤاد تناسيا   ألفيت أحشائي بذاك شحاحا[6]

(١) قال أبو زيد: لحظ الرجل يلحظ ولحظانًا: إذا نظر بمؤخر عينه. انظر: غريب الحديث لإبراهيم ابن إسحاق الحربي (٢/ ٦٥١) ط. جامعة أم القرى.

(٢) انتهى كلام الناظم من مقدمة النونية، وما بعده كلام الشارح، والبيت للمتنبي، كما في ديوانه (١/ ١٩٩ ـ بشرح الواحدي). وانظر: نكت الهميان في نكت العميان (ص٨٨) ط. المطبعة الجمالية، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١/ ٣٦٨) ط. دار القلم.

(٣) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي المشهور بـ«المتنبي» أبو الطيب، شاعر حكيم، قتل في طريقه إلى العراق سنة (٣٥٤هـ). انظر: الأعلام (١/ ١١٥)، ومعجم المؤلفين (١/ ٢٠١).

(٤) القاموس (ص٩٦٠)، وقوله: «أو الطباع...» إلخ، هو تعريف آخر للطباع.

(٥) زيادة تُميِّز كلام الناظم عن الشارح.

(٦) لم أجد هذا البيت في شيء من دواوين الشعر، ولعله من نظم ابن القيم، لكن عجز البيت هو من نظم ابن الفارض في قوله:

وإذا دعيت إلى تناسي عهدكم   ألفيت أحشائي بذاك شحاحًا

انظر: ديوان ابن الفارض (ص١١٦) ط. المكتبة الأدبية.

ويقول:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر أحيانًا فننتكس[١]

ومن المحال أن يذكر القلب من هو محارب لصفاته[٢]، نافر من سماعها، معرض بكليته عنها، زاعم أن السلامة في ذلك، كلا والله إن هو إلا الجهالة والخذلان، والإعراض عن العزيز الرحيم، فليس القلب الصحيح قط إلى شيء أشوق منه إلى معرفة ربه -تعالى- وصفاته وأفعاله وأسمائه، ولا أفرح بشيء قط كفرحه بذلك.

وكفى بالعبد عمى وخذلانًا أن يضرب على قلبه سرادق الإعراض عنها، والنفرة والتنفير والاشتغال بما لو كان حقًّا لم ينفع إلا بعد معرفة الله، والإيمان به وبصفاته وأسمائه.

والقلب الثاني: قلب مضروب بسياط الجهالة، فهو عن معرفة ربه ومحبته مصدود، وطريق معرفة أسمائه وصفاته -كما أنزلت عليه- مسدود، قد قمش شبها من الكلام الباطل، وارتوى من ماء آجن غير طائل، تعج منه آيات الصفات وأحاديثها إلى الله عجيجًا، وتضج منه إلى منزلها ضجيجًا، مما يسومها تحريفًا وتعطيلًا، ويُؤَوِلُ معانيها تغييرًا وتبديلًا، قد أعد لدفعها أنواعًا من العدد، وهيأ لردها ضروبًا من القوانين) اهـ.

---

(١) لم أجد هذا البيت في شيء من دواوين الشعر، وقد ذكره ابن القيم في المدارج (٢/ ٤٤٠) ط. دار الكتاب العربي، والوابل (ص٩٩) ط. دار الكتاب العربي، وصحيح الكلم الطيب (ص١٣٢) ط. دار ابن الجوزي.

(٢) لأن القلب يشتاق لذكر المحبوب، والنافي للصفات لا يحب الله ولا يشتاق إليه، وإن تظاهر بذلك.

قوله: (من القوانين.....)، القانون: مقياس كل شيء، جمعه قوانين، قاله في القاموس[1].

ثم قال[2]: «وإذا دُعِيَ إلى تحكيمها أبى واستكبر، وقال تلك أدلة لفظية لا تفيد شيئًا من اليقين، قد أعد التأويل جنة يتترس بها من مواقع سهام السنة والقرآن، وجعل إثبات (د/ ١٢) صفات ذي الجلال تجسيمًا وتشبيهًا، يصد به القلوب عن طريق العلم والإيمان مزجى البضاعة» اهـ.

قوله: (مزجى البضاعة....).

قال في القاموس: «وبضاعة مزجاة، أي قليلة»[3] من العلم النافع الموروث عن خاتم الرسل والأنبياء، لكنه مليء بالشكوك والشبه والجدال والمراء.

قوله: (الجدال والمـراء....)، قال ابن الأثير في «النهاية»[4] -في معنى حديث-: **«ما أوتـي قـوم الجـدل إلا ضلوا»**[5]: «الجدل: مقابلي الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة.

والمراد به في الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة، وأما الجدل لإظهار الحق فإن ذلك محمود لقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]». انتهى.

---

(١) انظر: القاموس (ص١٥٨٢).

(٢) زيادة تميز كلام الناظم عن الشارح.

(٣) عبارة صاحب القاموس: «وبضاعة مزجاة: قليلة، أو لم يتم إصلاحها». انظر: القاموس المحيط (ص١٦٦٦).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٤٠) ط. دار الكتب العلمية.

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٣) -تحقيق: شاكر-، وابن ماجه (١/ ١٩) ط. قرطبة، والروياني في مسنده (٢/ ٢٧٤) من طريق حجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي أمامه بلفظ: «ما ضل قوم قط إلا أوتوا الجدل». وإسناده حسن لحال أبي غالب، قال عنه في التقريب (ص١١٨٨): «صدوق يخطئ».

وفي «مختصر الصحاح» للقرطبي: «جدل: بالكسر، جدلًا، أحكم الخصومة وجادله مجادلة وجدالًا خاصمه»[١]. انتهى. والمراء: أي الجدال والمخاصمة.

قال القرطبي في «مختصر الصحاح»: «ماريته أماريه مراءً جادلته»[٢] انتهى.

وقال المنذري في الترغيب والترهيب[٣]: «من المراء والجدال، وهو المخاصمة والمحاججة، وطلب القهر بالغلبة[٤]، وطلب الترهيب في تركه للمحق والمبطل» انتهى.

ثم قال[٥]: «فعلمنا أن الجدال والمراء مترادفان وأن العطف فيهما عطف المترادفين». انتهى.

ثم قال[٦]: (خلع عليه الكلام الباطل خلعه الجهل (ع/١٧ب) والتجهيل، فهو يتعثر بأذيال التكفير لأهل الحديث، والتبديع لهم والتضليل، قد طاف على أبواب الآراء والمذاهب؛ يتكفف أربابها، فانثنى بأخسر المواهب والمطالب، عدل عن الأبواب العالية الكفيلة بنهاية المراد وغاية الإحسان، فابتلي بالوقوف على الأبواب السافلة المليئة بالخيبة والحرمان، وقد لبس حلة منسوجة من الجهل والتقليد، والشبه والعناد، فإذا بذلت له النصيحة ودعي إلى الحق ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٦].

---

(١) انظر: مختار الصحاح (ص٤١) ط. دار الكتب العلمية، والصحاح للجوهري (٤/ ١٦٥٣) ط. دار العلم للملايين.

(٢) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٩١).

(٣) الترغيب والترهيب (١/ ٧٧) ط.العلمية.

(٤) في (ع) بعدها كلمة غير واضحة.

(٥) زيادة تميز كلام الناظم عن الشارح.

(٦) زيادة تميز كلام الناظم عن الشارح.

فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الإيمان، وما أشد الجناية به على السنة والقرآن، وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان إلى الرحمن، وما أثقل أجر ذلك الجهاد في الميزان، والجهاد بالحجة واللسان، مقدم على الجهاد بالسيف والسنان، ولهذا أمر به تعالى في السور المكية، حيث لا جهاد باليد إنذارًا وتعذيرًا، فقال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٢]، وأمر تعالى بجهاد المنافقين والغلظة عليهم، مع كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة:٧٣].

فالجهاد بالعلم والحجة؛ جهاد أنبياء الله ورسله، وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق، و«من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»(١).

وكفى بالعبد عمى وخذلانًا أن يرى عساكر الإيمان، وجنود السنة والقرآن وقد لبسوا للحرب لامته، وأعدوا له عدته، وأخذوا مصافهم ووقفوا مواقفهم، وقد حمي الوطيس (د/ ١٢ب)، ودارت رحى الحرب، واشتد القتال وتنادت الأقران: النزال، النزال، وهو في الملجأ والمغارات والمدخل، مع الخوالف كمين، وإذا ساعد القدر، وعزم على الخروج قعد على التل مع الناظرين، ينظر لمن الدائرة؛ ليكون إليهم من المتحيزين، ثم يأتيهم وهو يقسم بالله جهد أيمانه أني كنت معكم، وكنت أتمنى أن تكونوا أنتم الغالبين.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة (١٥١٧/٣)، باب ذم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو.

فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة؛ أن لا يبيعها بأبخس الأثمان، وأن لا يعرضها غدًا بين يدي الله ورسوله لمواقف الخزي والهوان، وأن يثبت قدميه في صفوف أهل العلم والإيمان، وأن لا يتحيز إلى مقالة سوى ما جاء في السنة والقرآن، فكأن قد كشف الغطاء وانجلى الغبار، وأبان عن وجوه أهل السنة (ع/١٨أ) مسفرة، ضاحكة مستبشرة، وعن وجوه أهل البدعة عليها غبرة، ترهقها قترة ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران:١٠٦].

قال ابن عباس: «تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة»[(١)]. فوالله لمفارقة أهل الأهواء والبدع في هذه الدار؛ أسهل من مرافقتهم إذا قيل ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴾ [الصافات:٢٢].

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وبعده الإمام أحمد: أزواجهم أشباههم ونظراؤهم[(٢)]، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير:٧]، قالوا: فيجعل صاحب

---

(١) في (د، ع): «والفرقة الضالة» وهو تحريف، وقد رجعت إلى متن النونية (ص١١) ط.مؤسسة الراجحي الخيرية فوجدته هكذا: «وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة».
والأثر أخرجه البغوي في معالم التنزيل (١/ ٨٧) ط. دار طيبة، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٧) ط. العلمية، وهناد في الزهد (١/ ٦٥) وغيرهم من طرق: عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر به، وإسناده ضعيف لحال سماك؛ فقد تغير بأخره، فكان ربما تلقن، كما ذكر الحافظ في التقريب (ص٤١٥)، وقد ذكر الأئمة أنه لا يحتج بروايته إذا انفرد بأصل، وقد بحثت عن هذا الأثر كثيرًا فلم أجد له متابعًا يتقوى به، لكن شواهده كثيرة. أما أثر أحمد، فقد ذكره ابن القيم في جلاء الأفهام (ص٣٤٥- مشهور)، ولم يشر المخرج إلى من خرجه، وقد بحثت عنه كثيرًا، ولم أجده.
قال الشنقيطي في الأضواء (٦/ ٦٨١) ط. مكتبة ابن تيمية: «وجمهور أهل العلم منهم عمر وابن عباس على أن المراد به أشباههم ونظراؤهم، فعابد الوثن مع عابد الوثن والسارق مع السارق، والزاني مع الزاني، واليهودي مع اليهودي، والنصراني مع النصراني، وهكذا. وإطلاق الأزواج على الأصناف مشهور في القرآن وفي كلام العرب» اهـ.

الحق مع نظيره في درجته، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته، هنالك -والله- يعض الظالم على يديه، إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذه الدار عليه يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩] اهـ.

ثم شرع الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في حكاية مناظرة حصلت بينه وبين بعض المعطلة[١] فقال: «فصل: وكان من قدر الله وقضائه، أن جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصفات والعلو، وبين معطل لذلك، فاستطعم المعطل المثبت الحديث؛ استطعام غير جائع إليه، ولكن غرضه عرض بضاعته عليه.

فقال له: ما تقول في القرآن ومسألة الاستواء؟.

فقال المثبت: نقول فيها ما قاله ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وما قاله نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير (د/ ١٣أ) تشبيه ولا تمثيل، بل نثبت له -سبحانه- ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وننفي عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات؛ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

---

(١) **التعطيل في اللغة:** مشتق من العطل، ومعناه الخلو من الشيء، يقال عطل الرجل من المال والأدب، فهو عطل. والتعطيل: التفريغ.

أما في الاصطلاح: فهو إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضها، وهو نوعان:

الأول: تعطيل كلي، كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الأسماء والصفات.

الثاني: تعطيل جزئي، كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض.

انظر: الاشتقاق لابن دريد (ص٣١٠ - عبدالسلام هارون)، المخصص لابن سيدة (٢/ ١٧٤)، مقالة التعطيل والجعد بن درهم للدكتور محمد بن خليفة التميمي (ص٢٢).

فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهًا، فالمشبه يعبد صنمًا، والمعطل يعبد عدمًا، والموحد يعبد إلهًا واحدًا صمدًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، والكلام في الصفات كالكلام في الذات، فكما أنا نثبت ذاتًا لا تشبه الذوات، فكذلك نقول في صفاته أنها لا تشبه الصفات، فليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فلا تُشَبهُ صفات الله بصفات المخلوقين.

ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته؛ لأجل شناعة تشنيع المشنعين وتلقيب المفترين، كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ع/١٩ب)؛ لتسمية الروافض[١] لنا نواصب[٢]، ولا نكذب بقدر الله، ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته؛ لتسمية القدرية[٣] لنا مجبرة، فلا نجحد صفات ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لتسمية الجهمية لنا

(١) فرقة من الشيعة، سميت رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مجمعون على أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوفيق، وأول من سماهم رافضة هو زيد بن علي بن الحسين بن علي؛ لما طلبوا منه التبرؤ ممن خالف عليًّا.
انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٦٥) (١/ ٨٩).

(٢) النواصب هم من ناصب العداوة والأذية لأهل بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان لهم وجود في صدر هذه الأمة، لأسباب وأمور سياسية معروفة، ولم يعد لهم وجود الآن.
انظر: التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة لابن سعدي (ص١٠٥)، والواسطية للفوزان (ص٢٠١) ط. دار المعارف بالرياض.

(٣) هذا لفظ عام يطلق على المعتزلة، القائلين بنفي القدر، والجهمية القائلين بالجبر، والمشهور بهذا اللفظ المعتزلة، فإذا قيل القدرية، فالمقصود بهم المعتزلة القائلون بنفي القدر، وإذا قيل الجبرية، فالمراد بهم الجهمية الذين نفوا قدرة العبد ومشيئته، ولا يمنع ذلك من إطلاق لفظ (القدرية) على الجبرية؛ لأنه من باب إطلاق اللفظ العام على بعض أفراده. والله أعلم. مجموع الفتاوى (٨/ ٢٥٨)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص١٠٨)، مجلة البحوث الإسلامية (٣٤/ ٢٣٥).

مجسمة[١] مشبهة حشوية[٢].

---

(١) **المجسمة**: التجسيم من الألقاب التي ألصقها النفاة زورًا وبهتانًا بأهل السنة، ومعناه التشبيه، وعندهم أن إثبات الصفات لله تعالى يقتضي التشبيه والتجسيم، وأهل السنة لما أثبتوا الصفات لله تعالى جعلوا الضابط في إثبات الصفات الذاتية عدم المشابهة بالمخلوقين، وعللوا ذلك بأن الله تعالى ليس كمثله شيء انطلاقًا من القرآن، وأما الصفات الفعلية كالنزول والضحك، والعجب، والغضب، والمحبة، والكره، وغيرها، فألحقوا بها عبارة يليق بجلاله، فقالوا: نزولًا يليق بجلاله، وضحكًا يليق بجلاله، وحبًّا يليق بجلاله، وكرهًا يليق بجلاله، واستواءً يليق بجلاله.
أما النفاة فلم يثبتوا هذه الصفات التي أثبتها أهل السنة ظنًّا منهم أن من أثبتها فهو مشبه ومجسم؛ لأنه إذا أثبت لله تعالى يدًا، وقدمًا، ووجهًا، وضحكًا وحبًّا، وبغضًا، فإن المخلوق له مثل ذلك.
وبطلان هذا ظاهر، لأن الاشتراك في الأسماء لا يوجب الاشتراك في المسميات.
انظر: التدمرية (ص١٢٨) ط. مطبوعات جامعة الإمام.

(٢) **الحشوية**: هي من الألقاب التي أطلقها المعطلة ظلمًا وزورًا على أهل السنة المتبعين للأثر.
قال التهانوي في تعريفهم: «وهم قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره، وهم من الفرق الضالة، وقد ضبطها بعضهم بسكون الشين، لأن أولئك الذين تمسكوا بالظواهر مجسمة، والجسم حشو، فعلى هذا القياس يقال عنهم حشْوية -بسكون الشين- نسبة إلى الحشو. وضبطها بعضهم بفتح الشين». قال السبكي: في شرح أصول ابن الحاجب: «الحشوية: طائفة ضلوا عن سواء السبيل، يجرون آيات الله على ظاهرها، ويعتقدون أنه المراد، سُمُوا بذلك لأنهم كانوا يجلسون في حلقة الحسن البصري، فوجدهم يتكلمون كلامًا، فقال: ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة، فنسبوا إلى حشاء، فهم حشوية بفتح الشين. وقيل: المراد بالحشوية طائفة لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها، بل يؤمنون بما أراده الله مع جزمهم بأن الظاهر غير مراد، ويفوضون المعنى إلى الله». وقيل: الحشوية طائفة يجوزون أن يخاطبنا الله بالمهمل، ويطلقون الحشو على الدين. وبهذا يتبين أن الأصل عند جميع النفاة من المعتزلة والأشاعرة ومن تبعهم تحريم إجراء نصوص الصفات على ظاهرها، وأن ظواهر النصوص الواردة في الصفات في الصفات غير مرادة، فيجب تأويلها، أو تفويض معناها وهذا باطل؛ لأن الله خاطبنا باللسان العربي الذي تدل عليه ظواهر النصوص، فالأجل عند أهل السنة ولغة العرب أن الكلام يراد به الحقيقة، وحقيقته الكلام هو ما يدل عليه ظاهرة، ولا يجوز صرف اللفظ عن ظاهرة إلا بدليل، ولا دليل عند المعطلة، والنصوص الواردة في صفات الله نؤمن بها على ظاهرها مع اعتقاد أن الله تعالى ليس كمثله شيء والله أعلم. انظر: كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٥٤٣) ط. دار الكتب العلمية. بتصرف.

ورحمة الله على القائل:

فـإن كـان تجسيما ثـبوت صفاته فـإنـي بحـمـد الله لهـا مثبت

إلى:

فـإن كـان تجسيمًـا ثـبوت صفاته لديكم فإني اليوم عبد مجسم[(١)]

ورضي الله عن الشافعي حيث يقول:

إن كـان رفـضـا حـب آل محمد فليشهد الـثقلان أنـي رافـضـي[(٢)]

وقدس الله روح القائل وهو شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول:

إن كـان نصبًا حب صحب محمد فليشهد الـثقلان أنـي ناصبي[(٣)]

(١) ذكرها الناظم في الصواعق (٣/ ٩٤٠).

(٢) ديوانه (ص١١٧).

(٣) نقلها الناظم عنه في المدارج (٢/ ٩١).

فصل

وأما القرآن فإني أقول[1]: إنه كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به صدقًا، وسمعه منه جبريل حقًّا، وبلغه محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحيًا، وإن ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم:١]، و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى:١-٢]، و﴿الٓر﴾ [يونس:١]، و﴿قٓ﴾ [ق:١]، و﴿نٓ﴾ [القلم:١]. عين كلام الله حقيقة، وأن الله تكلم (د/ ١٣ب) بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابه من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن جميعه كلام الله وليس قول البشر.

ومن قال: إنه قول البشر فقد كفر، والله يصليه سقر، ومن قال: ليس لله بيننا في الأرض كلام، فقد جحد رسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الله بعثه يبلغ عنه كلامه، والرسول إنما يبلغ كلام مرسله، فإذا انتفى كلام المرسل؛ انتفت رسالة الرسول، ونقول إن الله فوق سمواته، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، وأنه تعالى إليه يصعد الكلم الطيب، وتعرج الملائكة والروح إليه، وأنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه، وأن المسيح رفع بذاته إلى الله، وأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرج به إلى الله حقيقة، وأن أرواح المؤمنين تصعد إلى الله عند الوفاة، فتعرض عليه، وتقف بين يديه، وأنه -تعالى- هو القاهر فوق عباده، وهو العلي الأعلى، وأن المؤمنين والملائكة المقربين يخافون ربهم من فوقهم، وأن أيدي السائلين ترفع إليه، وحوائجهم تعرض عليه، فإنه -سبحانه- هو العلي الأعلى بكل اعتبار.

---

(١) القائل هو الناظم.

فلما سمع المعطل منه ذلك، أمسك ثم أسرها في نفسه، وخلى بشياطينه وبني جنسه، وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، وأصناف (ع/ ٢٠أ) المكر والاحتيال، وراموا أمرًا يستحمدون به إلى نظرائهم من أهل البدع والضلالات، وعقدوا مجلسًا بيتوا في مساء يومه ما لا يرضاه الله من القول ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال:٤٧].

وأتوا في مجلسهم بما قدروا عليه من الهذيان واللغط والتخليط، وراموا استدعاء المثبت إلى مجلسهم الذي عقدوه؛ ليجعلوا نزله عند قدومه عليهم ما لفقوه من المكر وتموه، فحبس الله سبحانه عنه أيديهم وألسنتهم، فلم يتجاسروا عليه ورد الله كيدهم في نحورهم، فلم يصلوا بالسوء إليه، وخذلهم المطاع، فمزقوا ما كتبوه من المحاضر، وقلب الله قلوب أوليائه وجنده عليهم من كل باد وحاضر، وأخرج الناس لهم من المخبآت[١] (د/ ١٤أ) كمائنها، ومن الجوائف والمنقلات دفائنها) اهـ.

قوله: (من المخبآت...)، «خبأه: كمنعه، ستره كخبأه واختبأه» قاله في القاموس[٢].

قوله: (كمائنها...). قال في القاموس[٣]: «كمن له كنصر وسمع، كمونًا استخفى، وأكمنه والكمين كأمير القوم يكمنون في الحرب».

قوله: (ومن الجوائف..) هي جمع جائفة، وهي طعنة تبلغ الجوف.

قوله: (ومن المنقلات..) جمع منقلة، وهي ما توضح العظم وتهشمه، وتنقل عظامه.

---

(١) ليست في (د).
(٢) القاموس المحيط (١/ ٤٨).
(٣) انظر: القاموس (ص١٥٨٤).

ثم قال[١]: «وقوى الله جأش المثبت[٢]، وثبت قلبه ولسانه، وشيد بالسنة المحمدية بنيانه، فسعى في عقد مجلس بينه وبين خصومه عند السلطان، وحكم على نفسه كتب شيوخ القوم السالفين وأئمتهم المتقدمين، وأنه لا يستنصر من أهل مذهبه بكتاب ولا إنسان، وأنه جعل بينه وبينكم أقوال من قلدتموه، ونصوص من على غيره من الأئمة قدمتموه، وصرخ المثبت بذلك بين ظهرانيهم حتى بلغه دانيهم لقاصيهم، فلم يذعنوا لذلك واستعفوا من عقده.

فطالبهم المثبت بواحدة من خلال ثلاث:

مناظرة في مجلس عام[٣]، على شريطة العلم والإنصاف، تحضر فيه النصوص النبوية والآثار السلفية، وكتب أئمتكم المتقدمين من أهل العلم والدين.

فقيل لهم: لا مراكب لكم تسابقون بها في هذا الميدان، وما لكم بمقاومة فرسانه يدان، فدعاهم إلى مكاتبته فيما يدعون إليه، فإن كان حقًّا قبله وشكركم عليه، وإن كان غير ذلك سمعتم جواب المثبت، وتبين لكم حقيقة ما لديه، فأبوا ذلك أشد الإباء، واستعفوا غاية الاستعفاء، فدعاهم إلى القيام بين الركن والمقام؛ قيامًا في مواقف الابتهال، حاسري الرؤوس.

نسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال.

---

(١) زيادة تميز كلام الناظم عن كلام الشارح.

(٢) في النسخ «جأش عقد المثبت» والزيادة مقحمة من الناسخ ولا يستقيم، والمثبت من متن النونية المصحح (ص١٤).

(٣) تصحفت إلى (ع) « عالم »، وفي الهامش بخط آخر غير خط المؤلف «عام» موافقة لما في (د) و(م).

وظن المثبت -والله- أن القوم يجيبونه إلى هذا، فوطن نفسه عليه غاية التوطين، وبات يحاسب نفسه، ويعرض ما يثبته وينفيه على كلام رب العالمين، وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين، ويتجرد من كل هوى يخالف الوحي المبين، ويهوي بصاحبه (ع/ ٢١ب) إلى أسفل سافلين.

فلم يجيبوا إلى ذلك أيضًا، وأتوا من الأعتذار بما دله على أن القوم ليسوا من أولي الأيدي والأبصار، فحينئذ شمر المثبت عن ساق عزمه، وعقد لله مجلسًا بينه وبين خصمه، يشهده القريب والبعيد، ويقف على مضمونه الذكي والبليد، وجعله عقد مجلس التحكيم بين المعطل (د/ ١٤ب) الجاحد، والمثبت المرمي بالتجسيم، وقد خاصم في هذا المجلس بالله وحاكم إليه، وبرئ إلى الله من كل هوى وبدعة وضلالة، وتحيز إلى فئة غير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان أصحابه عليه، والله سبحانه هو المسؤول أن لا يكله إلى نفسه، ولا إلى شيء مما لديه، وأن يوفقه في جميع حالاته لما يحبه ويرضاه، فإن أزمة الأمور بيديه، وهو يرغب إلى من يقف على هذه الحكومة أن يقوم لله قيام متجرد عن هواه، قاصدًا لرضى مولاه، ثم يقرؤها متفكرًا، ويعيدها ويبديها متدبرًا، ثم يحكم فيها بما يرضي الله ورسوله وعباده المؤمنين، ولا يقابلها بالسب والشتم كفعل الجاهلين والمعاندين، فإن رأى حقًّا قبله وشكر عليه، وإن رأى باطلًا رده على قائله، وأهدى الصواب إليه، فإن الحق لله ورسوله.

والقصد أن تكون[1] كلمة السنة هي العليا، جهادًا في الله وفي سبيله، والله عند لسان كل قائل وقلبه، وهو المطلع على نيته وكسبه، وما كان أهل التعطيل

---

(١) (ع، د): «يكون»، والتصويب من متن النونية، وهو المناسب لسياق الكلام.

أولياءه، إن أولياؤه إلا المتقون المؤمنون المصدقون ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1].

[التوبة:١٠٥].

(١) هذا الكلام، وإن لم يعين فيه أحدًا من هؤلاء بعينه، إلا أن كلامه يلمح إلى أنه يقصد بذلك شيخ الإسلام، وما جرى له مع خصومه، خصوصًا بعد تأليف الواسطية ثم التسعينية، ثم الحموية،فكأن السبكي رأى أنه كان مقصودًا بهذا النظم، لأنه كان من رؤوس أولئك الخصوم لأن هذا النظم فيه قمع المعطلة، -وعلى رأسهم الأشاعرة- فقد قمعهم بالسنة وأرداهم إلى الحضيض، بل أضحك منهم جميع العقلاء، وقد يقصد بذلك نفسه، فقد حصلت له فصول يطول شرحها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي، وقد يكون المقصود به الناظم نفسه، وماجرى له مع السبكي، والله أعلم.

فصل

وهذه أمثلة حسان مضروبة للمعطل والمشبه والموحد، ذكرتها قبل الشروع في المقصود، فإن ضرب الأمثال مما يأنس به العقل، لتقريبها المعقول من المشهود، وقد قال تعالى -وكلامه المشتمل على أعظم الحجج وقواطع البراهين-: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣]. وقد اشتمل منها على بضعة وأربعين مثلًا، وكان بعض السلف إذا قرأ مثلًا لم يفهمه يشتد بكاؤه ويقول: لست من العالمين، وسنفرد لها إن شاء الله كتابًا مستقلًّا متضمنًا لأسرارها ومعانيها، وما تضمنته من كنوز العلم وحقائق الإيمان، والله[1] المستعان وعليه التكلان:

المثل الأول: ثياب المعطِل (د/ ١٥أ) ملطخة بعذرة التحريف، وشرابه متغير بنجاسة التعطيل، وثياب المشبِه مضمخة بدم التشبيه، وشرابه متغير بدم التمثيل، والموحد طاهر الثوب والقلب والبدن، يخرج شرابه من بين فرث ودم لبنًا خالصًا (ع/ ٢٢أ) سائغًا للشاربين.

المثل الثاني: شجرة المعطل مغروسة على شفا جرف هار، وشجرة المشبه قد اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، وشجرة الموحد، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٥].

---

(١) (د، ع) «وبالله»، والتصويب من نسخة (طه، طت) من متن النونية. انظر: الكافية الشافية (١/ ٤٢) دار عالم الفوائد.

المثل الثالث: شجرة المعطل شجرة الزقوم، فالحلوق السليمة لا تبلعها، وشجرة المشبه شجرة الحنظل، فالنفوس المستقيمة لا تتبعها، وشجرة الموحد طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها.

المثل الرابع: المعطل قد أُعد قلبه لوقاية الحر والبرد كبيت العنكبوت، والمشبه قد خسف بعقله فهو يتجلجل في أرض التشبيه إلى البهموت(١)، وقلب الموحد يطوف حول العرش ناظرًا إلى الذي لا يموت.

المثل الخامس: مصباح المعطل قد عصفت عليه أهوية التعطيل، فطفئ وما أنار، ومصباح المشبه قد غرقت فتيلته في عَكَر التشبيه، فلا تقتبس منه الأنوار».

«العكر -بفتحتين-: دردي الزيت وغيره، وقد عكرت المسرجة -من باب طرب - اجتمع فيها الدردي، وعكر الشراب والماء والدهن آخره خاثره، وقد عكر فهو عكر وأعكره غيره وعكره تعكيرًا، جعل فيه العكر». قاله في «مختار الصحاح»(٢).

ثم قال الناظم(٣): «ومصباح الموحد ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيۡتُونَةٍ لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٌ﴾ [النور:٣٥].

---

(١) كناية عن نزول القدر -بسكون القاف-، يقال: (فلان انحط قدره إلى البهموت)، والبهموت -بفتح أوله وسكون ثانيه-، هو آخر الأرض السابعة، قال ابن التعاويذي:

امير على البلاد مولى ... لايجيب الساكت بغير السكوت
كلما زاد رفعة حطنا الله ... بتغفيله إلى البهموت

انظر: الوافي بالوفيات (٥/ ٢٦٥).

(٢) مختار الصحاح (١/ ١٨٨) ط. مكتبة لبنان شروق، ومن قوله: «العكر...» إلى هنا من كلام الشارح للتوضيح.

(٣) زيادة تميز كلام الناظم عن كلام الشارح.

المثل السادس: قلب المعطل متعلق بالعدم، فهو أحقر الحقير، وقلب المشبه عابد للصنم الذي قد نحت بالتصوير والتقدير، والموحد قلبه متعبد لمن ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

المثل السابع: نقود المعطل كلها زيوف، فلا تروج علينا، وبضاعة المشبه كاسدة فلا تنفق لدينا، وتجارة الموحد ينادي عليها يوم العرض، على رؤوس الأشهاد، ﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾ [يوسف:٦٥].

المثل الثامن: المعطل كنافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة، والمشبه كبائع الخمر، إما أن يسكرك وإما أن ينجسك، والموحد كبائع المسك، أما أن يحذيك، وإما (د/ ١٥ب) أن يبيعك، وإما أن تجد منه رائحة طيبة[١].

المثل التاسع: المعطل قد تخلف عن سفينة النجاة، ولم يركبها فأدركه الطوفان، والمشبه قد انكسرت به في اللجة فهو يشاهد الغرق بالعيان، والموحد قد ركب سفينة نوح، وقد صاح به الربان ﴿ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود:٤١].

المثل العاشر: منهل المعطل ﴿ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النور:٣٩] (ع/ ٢٣ب) فرجع خاسئًا حسيرًا، ومشرب المشبه من ماء قد تغير طعمه ولونه، وريحه بالنجاسة تغييرًا، ومشرب الموحد من كأس ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان:٥-٦].

وقد سميتها بـ«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»[٢].

---

(١) يشير إلى حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير...**» الحديث، أخرجه البخاري (٩/ ٦٦٠- فتح).

(٢) هذا هو الراجح في تسميتها، كما بيناه في قسم الدراسة؛ لأنه نص كلام الناظم.

وهذا حين الشروع في المحاكمة، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» اهـ.

قوله: (أما بعد...) أي أما بعد ما ذكر من حمد الله والصلاة والسلام على رسوله، إما نائبة عن مهما، ولتضمنها معنى الشرط لزمت الفاء في جوابها، وبعد: من الظروف المبنية، ما لم تضف لفظًا ومعنى، أو ينوى ثبوت لفظ المضاف إليها، أو تقطع عن الإضافة رأسًا؛ فتعرب حينئذ في الثلاثة، وإن حذف المضاف إليها، ونوي ثبوت معناه بنيت على الضم.

وهذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى غيره، أي بعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويستحب الإتيان بها في الخطب والمكاتبات؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأتي بها في خطبه، ومكاتباته للملوك وغيرهم.

واختلف في أول من نطق[(١)] بها: فقيل: داود عَلَيْهِ السَّلَامُ[(٢)]، وعن الشعبي أنها فصل الخطاب الذي أوتيه؛ لأنها تفصل بين المقدمات والمقاصد[(٣)].

وقيل: أول من نطق بها يعقوب[(٤)]، وقيل: أيوب، وقيل سليمان عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وقيل: قس بن ساعدة الأيادي[(٥)]، وقيل: كعب بن لؤي[(٦)]، وقيل: يعرب بن

(١) مطالب أولي النهى (١/ ١٧-١٨) وهو منقول منه برمته.

(٢) انظر: الأوائل للعسكري (ص١٥).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢/ ١٠) ط. مؤسسة التاريخ العربي.

(٤) نهاية المحتاج إلى أدلة المنهاج لابن شهاب الرملي (١/ ٣٧).

(٥) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري (٢/ ٣٥١)، والمعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني (ص٢٧).

(٦) هو: ابن غالب، من قريش من عدنان، أبو هصيص جد جاهلي، خطيب في سلسلة النسب النبوي، مات في الجاهلية قبل الإسلام سنة (٤٥٤م). انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٢٢٨).

قحطان[١]، والقول الأول، وهو أن أول من نطق بها داود؛ أشبه، كما قاله الحافظ (د/١٦أ) ابن حجر العسقلاني وغيره[٢].

قوله: (فإن الله جل ثناؤه...) إلخ، الفاء في جواب «أما»؛ النائبة عن «مهما» لتضمنها معنى الشرط.

قوله: (قد قمش...)، قال في القاموس[٣]: «القمش جمع القماش، وهو ما على وجه الأرض من فتات الأشياء، حتى يقال لرذالة الناس قماش، وما أعطاني إلا قماشًا: أي أردأ ما وجده».

قوله: (آجن..)، «الآجن: الماء المتغير الطعم واللون، أَجِن كضرب وفرح ونصر أجنا وأجنا وأجونا» قاله في القاموس.

قوله: (تعج منه آيات الصفات...) إلخ، قال في القاموس[٤]: «عج يعج ويعج كميل عجًا وعجيجًا؛ صاح ورفع صوته».

قوله: (وتضج...) إلخ، قال في القاموس[٥]: «ضج القوم إضجاجًا: صاحوا وأجلبوا، فإذا جزعوا وغلبوا (ع/٢٤أ) فضجوا يضجون ضجيجًا».

---

(١) يعرب بن قحطان ابن عابر، أحد ملوك العرب في جاهليتهم الأولى، يوصف بأنه من خطبائهم وحكمائهم وشجعانهم، وهو أبو قبائل اليمن كلها، وبنوه العرب هم العرب العاربة.
انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ١٩٢).

(٢) انظر الأقوال السابقة في الفتح (٢/ ٤٠٤) (٨/ ٢٢١)، مع التنبيه على أن هذا المبحث ينبغي أن يكون مكانه في أوائل مقدمة الناظم.

(٣) انظر: القاموس (ص٧٧٨).

(٤) انظر: القاموس (ص٢٥٣).

(٥) انظر: القاموس (ص٢٥١).

قوله: (الوطيس..)، «الوطيس: هو التنور، والآن حمي الوطيس، أي اشتد الحرب» قاله في القاموس.

قوله: (جُنة...)، الجنة: بالضم.

قال في القاموس[١]: «جنه الليل وعليه جنا وجنونًا، وأجنه ستره، وكل ما ستر عنك فقد جن عنك، وأجن عنه واستجنا استتر».

قوله: (جأش المثبت)، قال في القاموس[٢]: «الجأش رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع، ونفس الإنسان وقد لا يهمز جمع جؤوش».

قوله: (في مواقف الابتهال...)، قال ابن هشام[٣] في «تهذيب السيرة»[٤]: «نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين، ندعو باللعنة.

قال أعشى بني قيس بن ثعلبة[٥]:

لاتقعدن[٦] وقد أكلتها حطبًا نعوذ من شرها يومًا ونبتهل

يقول: ندعو باللعنة، وتقول العرب: بهل الله فلانًا أي لعنه، وعليه بهلة الله أي لعنة الله، ويقال بهله الله أي لعنه الله ونبتهل أيضًا نجتهد في الدعاء» انتهى.

وأما حكم المباهلة: فقد كتب بعض العلماء رسالة في شروطها المستنبطة من الكتاب والسنة والآثار وكلام الأئمة، وحاصل كلامه فيها: «أنها لا تجوز إلا في أمر

(١) انظر: القاموس (ص١٥٣٢).
(٢) انظر: القاموس (ص٧٥٦).
(٣) عبد الملك بن هشام البصري النحوي صاحب المغازي توفي سنة (٢٢٨هـ)، وقيل (٢٢٣هـ)، وقيل غير ذلك. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ١٧٧) ط. دار صادر.
(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٥٨٣) ط. دار المعرفة.
(٥) ديوانه (١٠٥-١١٢) ط. مؤسسة الرسالة.
(٦) في (ع، د) «لاتعبدا»، والتصويب من ديوان الأعشى.

مهم شرعًا؛ وقع فيه اشتباه وعناد، لا يتيسر دفعه إلا بالمباهلة، فيشترط كونها بعد إقامة الحجة، والسعي في إزالة الشبهة، وتقديم النصح والإنذار، وعدم نفع ذلك، ومساس الضرورة إليها» انتهى.

وهذا حين الشروع في شرح النظم فأقول -والله الموفق-: بحر هذه المنظومة المباركة هو الكامل، وهو مبني من ستة أجزاء:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن   متفاعلن متفاعلن متفاعلن
(د/ ١٦ب)

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

حكم المحبة ثابت الأركان   ما للصدود بفسخ ذاك يدان
أنى وقاضي الحسن نفذ حكمها   فلذا أقر بذلك الخصمان
وأتت شهود الوصل تشهد أنه   حقا جرى في مجلس الإحسان
فتأكد الحكم العزيز فلم تجد   فسخ الوشاة إليه من سلطان
ولأجل ذا حكم العذول تداعت الـ   أركان منه فخر للأذقان
وأتى الوشاة فصادفوا الحكم الذي   حكموا به متيقن البطلان
ما صادف الحكم المحل ولا هو استـ   ـوفى الشروط فصار ذا بطلان
فلذاك قاضي الحسن أثبت محضرا   بفساد حكم الهجر والسلوان
وحكى لك الحكم المحال ونقضه   فاسمع إذا يا من له أذنان
حكم الوشاة بغير ما برهان   إن المحبة والصدود لدان
(ع/ ٢٥ب)
والله ما هذا بحكم مقسط   أين الغرام وصد ذي هجران
شتان بين الحالتين فإن ترد   جمعا فما الضدان يجتمعان

افتتح الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المنظومة بشيء من النسيب، وهو التغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد.

وأما الغزل: فهو إلف النساء، والتخلق بها وافقهن، وليس مما ذكر في شيء، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ.

وقد نبه على ذلك قدامة وأوضحه في كتابه «نقد الشعر»[1].

❧ قوله: (حكم المحبة ثابت الأركان..)، ركن الشيء جانبه الأقوى، أي ولثبوت أركانه وشدتها لا يطيق الصدود فسخه.

❧ قوله: (إني وقاضي الحسن..)، أي كيف يقدر الصدود على فسخه، وقد ثبت وتأطدت[2] أركانه، وذلك أن قاضي الحسن نفذ حكمها، أي نفذ حكم المحبة.

وفي بعض النسخ نفذ حكمه (د/ ١٧أ)، والمعنى واحد.

❧ وفي قوله (قاضي الحسن..) وهو الجمال استعارة، وذلك أنه شبه الحسن في قوته وسلطنته على المحبوب، وقهره له بسلطنة القاضي الحسي، وقهره للخصوم، ونفاذ حكمه، فكذلك حسن هذه المحبوبة، حكم على محبها بالمحبة.

❧ وفي قوله: (حكم المحبة...) إلخ، براعة الاستهلال، هو أن يكون الابتداء مناسبًا للمقصود؛ لأن المنظومة المذكورة في المحاكمة بين الطوائف.

---

(١) لم أجده في نقد الشعر لقدامة، ولكن ذكره الحسن بن رشيق في العمدة في محاسن الشعر وآدابه (ص١٤٩).

وقدامة هو: جعفر بن أبي الفرج بن قدامة الكاتب، حكيم، منطقي، إخباري، أديب كاتب، ناقد، مات سنة (٣٣٧هـ). انظر: كشف الظنون (٢/ ١٩٧٣)، ومعجم المؤلفين (٨/ ١٢٨).

(٢) أي ثبتت، يقال: أطد الله ملكه تأطيدًا: ثبته. انظر: القاموس (ص٣٣٩). والمعنى: ثبتت أركانه تثبيتًا.

قوله: (فلذا أقر بذلك الخصمان)، أي لما حكم قاضي الحسن بالمحبة أقر الخصمان بها.

قوله: (وأتت شهود الوصل...) إلخ، أي لما حصل وصل هذه المحبوبة[1]، وشهدت به الشهود، تأكد الحكم، فلم يبقَ سبيل للوشاة إلى فسخه، وهذا معنى قوله (فتأكد الحكم العزيز....).

وقوله: (فسخ الوشاة...)، هذا من الكلام المقلوب، والمعنى لم تجد الوشاة إلى فسخه من سلطان، هذا إن كان لفظ تجد بالتاء، وإن كان اللفظ يجد بالتحتية؛ فهو ظاهر، وفسخ فاعل يجد، وفسخ مضاف، والوشاة مضاف إليه.

قوله: (ولأجل ذا حكم العذول تداعت الأركان منه...) إلخ، أي لما شهدت شهود الوصل بثبوت حكم المحبة؛ خر حكم العذول وسقطت أركانه.

وقوله: (وأتى الوشاة فصادفوا...) إلخ، أي لما أتى الوشاة صادفوا حكمهم باطلًا، وهو ما ذكره بقوله: (حكم الوشاة...) إلخ أي حكم الوشاة أن المحبة والصدود لدان، أي سواء؛ وذلك حكم جائر، ليس بمقسط.

وأشار إلى ذلك بقوله:

اين الـغـرام..........................

وهو شدة المحبة والصدود أي ليسا بسواء.

قوله: (فلذاك قاضي الحسن أثبت محضرًا...) إلخ، أي «إن قاضي الحسن أثبت محضرًا بفساد حكم الهجر والسلوان، والمحضر السجل والمشهد» قاله في القاموس[2].

---

(١) المقصود بالمحبوبة التي يتغزل بها الناظم هي قصيدته.

(٢) انظر: القاموس المحيط (ص٤٨١).

أي لما حصل الوصال حكم قاضي الحسن بفساد حكم الهجر والسلوان.

قوله: (شتان بين الحالتين...) إلخ، أي افترقت الحالتان وشتان بينهما (د/١٧ب).

قوله: (الصدود...) هو اسم مصدر صد يصد صدودًا. قال في «مختصر الصحاح»[(١)]: «صد يصد بضم الصاد صدودًا: أعرض عنه وصده عن الأمر منعه وصرفه من باب رد» انتهى.

قوله: (يدان...)، أن المراد باليد: القدرة؛ لتسمية الشيء بسببه؛ لأن القدرة هي تحرك اليد، يقال: فلان له يد في كذا وكذا، ومنه قول (ع/٢٦أ) زياد لمعاوية: إني قد أمسكت العراق بإحدى يدي، والأخرى فارغة[(٢)].

قوله: (الوشاة...)، الوشاة جمع واشٍ، يقال وشى كلامه أي كذب، ووشى به إلى السلطان.

قال العيني[(٣)]: «الوشاة جمع واش، من وشى به، ويشي وشاية؛ إذا نم عليه وسعى به فهو واش»[(٤)].

قوله: (لدان...)، «اللِدة كعدة الترب جمع لدات« قاله في القاموس[(٥)]. والترب بالكسر: اللد والسنن ومن ولد معك» قاله في القاموس[(٦)].

---

(١) كذا في (ع).

(٢) وكما قال تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة:٢٣٧] والنكاح كلام، وإنما معناه أنه مقتدر عليه.
انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٦٤).

(٣) محمود بن أحمد بن موسى العينتابي الحلبي ثم القاهري الحنفي المشهور بـ(العيني) بدر الدين، أبو محمد، مات سنة (٨٥٥هـ). انظر: الأعلام (٧/ ١٦٣) ومعجم المؤلفين (١٢/ ١٥٠).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/ ١٦٥).

(٥) انظر القاموس المحيط (ص٤٠٥).

(٦) (ص٧٨).

قوله: (والله ماهذا بحكم مقسط...)، القسط -بالكسر-: العدل، تقول: أقسط الرجل فهو مقسط، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢] أي ما هذا بحكم عادل.

قوله: (الغرام...)، الغرام: هو الحب اللازم للقلب الذي لا يفارقه، بل يلازمه، كما يلازم الغريم لغريمه، ومنه سمى عذاب الناس غرامًا؛ للزومه لأهله وعدم مفارقته لهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥].

قوله: (فما الضدان...)، الضدان: هما اللذان لا يجتمعان، وقد يرتفعان كالسواد والبياض.

۞۞۞

قال الناظم:

يا والهـا هانت عليه نفسه … اذ باعها غبنا بكل هوان

أتبيع من تهواه نفسك طائعا … بالصد والتعذيب والهجران

اجهلت أوصاف المبيع وقدره … أم كنت ذا جهل بذي الأثمان

واها لقلب لا يفارق طيره الـ … أغصان قائمة على الكثبان

ويظل يسجع فوقها ولغيره … منها الثمار وكل قطف دان

ويبيت يبكي والمواصل ضاحك … ويظل يشكو وهو ذو هجران

هذا ولو أن الجمال معلق … بالنجم هم إليه بالطيران

لله زائرة بليل لم تخف … عسس الأمير ومرصد السجان

قطعت بلاد الشام ثم تيممت … من أرض طيبة مطلع الإيمان

واتت على وادي العقيق فجاوزت … ميقاته حلا بلا نكران

واتت على وادي الأراك ولم يكن قصدا لها فألا بأن ستراني
واتت على عرفات ثم محسر ومنى فكم نحرته من قربان
واتت على الجمرات ثم تيممت ذات الستور وربة الأركان
هذا وما طافت ولا استلمت ولا رمت الجمار ولا سعت لقران
ورقت إلى أعلى الصفا فتيممت دارا هنالك للمحب العاني
أترى الدليل أعارها أثوابه والريح أعطتها من الخفقان
والله لو أن الدليل مكانها ما كان ذلك منه في إمكان
هذا ولو سارت مسير الريح ما وصلت به ليلا إلى نعمان
سارت وكان دليلها في سيرها سعد السعود وليس بالدبران
وردت جفار الدمع وهي غزيرة فلذاك ما احتاجت ورود الضان
وعلت على متن الهوى وتزودت ذكر الحبيب ووصلة المتدان

قوله: (واهًا......)، هي (د/١٨أ) كلمة يقولها المتعجب.

قال الجوهري: «إذا تعجبت من طيب الشيء (ع/٢٧ب) قلت: واها له ما أطيبه وكذلك في التفجع واها وواه أيضًا» انتهى(١).

قوله: (.....لا يفارق طيره الأغصان)، المراد بالأغصان: القدود(٢)، كقوله:

أأغصان بان ما أرى أم شمائل(٣)

---

(١) انظر: الصحاح (٦/ ٢٢٥٧).
(٢) القد: القوام. انظر: القاموس المحيط (ص٣٩٤).
(٣) عجزه:

.... وأقمار تم ما تضم الغلائل

والبيت لابن نباتة. انظر: المستطرف من كل علم مستظرف لأبي الفتح الأبيشهي (٢/ ٣٦٩) ط. دار الكتب العلمية.

قوله: (.....قائمة على الكثبان)، أي الأرداف؛ لأن ذلك يسمى الكثيب والنقا. واعلم أن للشعراء ألفاظًا صارت بينهم حقائق عرفية، وإن كانت في الأصل مجازًا لكثرة دورانها في كلامهم وتعاطيهم (د/١٨ب) استعمالاتها؛ لأنهم ألفوا ذلك من تداولها وتكرارها على مسامعهم.

فمن ذلك: الغصن إذا أطلقوه فهموا منه القوام، والكثيب إذا أطلقوه فهموا منه الردف، والورد إذا أطلقوه فهموا منه الوجه، والأقاح إذا أطلقوه فهموا منه الثغر، والراح إذا أطلقوه فهموا منه الريق، والنرجس إذا أطلقوه فهموا منه العيون، وكذا السيف والسهم والسحر والبنفسج والريحان العذار، كل هذه انتقلت عن وضعها الأصلي، وصارت حقائق عرفية نقلها الاصطلاح.

قوله: (يسجع...). قال في «مختار الصحاح»[(١)]: «السجع: الكلام المقفى وجمعه: أسجاع وأساجيع، وقد سجع الرجل من باب قطع، وسجع أيضًا تسجيعًا وكلام مسجع وأساجيع وسجعت الحمامة: هدرت، وسجعت الناقة: مدت حنينها على جهة واحدة» انتهى.

قوله: (لله زائرة بليل...) إلخ، قولهم لله فلان، أصله لله در فلان -بفتح الدال- وهو اللبن، فيحتمل أنه كناية عن فعل الممدوح، أو يراد به لبن ارتضاعه: أي ما أعجب هذا اللبن الذي نشأ به مثل هذا المولود الكامل في هذه الصفة. وعلى كل حال، فإضافته لله للتعظيم؛ لأنه منشىء العجائب.

قوله: (عسس الأمير....). قال في «مختار الصحاح»[(٢)]: «عس: من باب رد

---

(١) انظر: مختار الصحاح (ص١٥٥).
(٢) انظر: مختار الصحاح، (ص٢٢٧).

طاف بالليل، وعسا -أيضًا- وهو نفض الميل[١] عن أهل الريبة، فهو عاس، وقوم عسس كخادم وخدم وطالب وطلب وأعس وأعتس مثل عس» انتهى.

قوله: (من أرض طيبة...)، هي المدينة المنورة.

قوله: (وادي العقيق...). قال الشيخ محمد طاهر الفتني[٢] في «مجمع البحار»: «هو وادي من أودية المدينة[٣] (ع/١٢٨أ)، وورد أنه وادٍ مبارك، ومنه (أتاني آت بالعقيق[٤]...) والآتي جبريل، وورد أن العقيق ميقات أهل العراق، وهو موضع قريب من ذات عرق، وهو اسم مواضع كثيرة، وكل موضع شققته من الأرض فهو عقيق» انتهى.

وفي «منسك شيخ الإسلام»[٥]: «أن ذا الحليفة يسمى وادي العقيق».

۞۞۞

واتت على وادي الأراك ولم يكن   قصدًا لها فألا بأن ستراني

«الأراك -بالكسر-[١]: شجر من الحمض يستاك به، وإبل أَرَاكية: ترعاه» قاله في القاموس[٦]، أي إن هذه العروس أتت على وادي الأراك، وليس هو طريقًا لها، ولكن فعلت ذلك تفاؤلًا بأن ترى محبها.

(١) في المطبوع: «الأَرَاك كالإِرْك -بالكسر-». والمراد أنهما بمعنى، لا أن الأراك بكسر الأول.

---

(١) كذا في (ع).

(٢) ومحمد بن طاهر هو الكجراتي الهندي الصديقي، محدث، مفسر، لغوي، حرفي، عارف بالرجال، مات سنة (٩٨٦هـ). انظر: معجم المؤلفين (١٠/ ١٠٠).

(٣) وادى العقيق: وادٍ في المدينة، قال الشيخ منتخب الدين: «وبالمدينة عقيقان الأصغر فيه بئر رومة، والأكبر فيه بئر عروة، سمي بذلك لأنها عقا عن حرة المدينة».
انظر: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام لابن الضياء (١/ ١١٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام (٤/ ٢٢٨٩) ط. العصرية، من حديث ابن عمر برقم (٧٣٤٣) بلفظ: «أتاني الليلة آت من ربي وهو بالعقيق، أن صل في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة وحجة».

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٢٦/ ٩٩).

(٦) انظر: القاموس المحيط (ص١٢٠٢).

قوله: (سارت وكان دليلها في سيرها...) إلخ. قال العلامة العيني في «شرح الشواهد الكبرى»[(١)] في شرح قول الشاعر:

إذا دبران منك يومًا لقيته ... أؤمل أن ألقاك غدوا بأسعد[(٢)]

قال: «دبران»: «علم على الكوكب الذي بدبرها الثريا[(٣)]، وهو خمسة (د/ ١٩أ) كواكب في الثور يقال أنها سنامه...».

إلى أن قال: «والحاصل أن ذكر الدبران التي هي علم للكواكب الخمسة وكنى بها عن الأدبار الذي هو ضد الإقبال والسعد، وذكر الأسعد التي هي سعود النجوم[(٤)] وكنى بها عن السعد الذي هو ضد النحس.

والمعنى: إذا رأيت منك إدبارًا يومًا يعني شيئًا أكرهه، فلا أقطع رجائي منك ولكن أؤمل حصول خيرك من بعد ذلك بأن ألقاك في سعد وإقبال» انتهى.

---

(١) ويسمى «النحوية في شرح شواهد شروح الألفية»طبع في بولاق.
انظر: معجم المطبوعات (١/ ٥٧٢).

(٢) القائل كثير بن عبد الرحمن الخزاعي المعروف بكثير عزة. انظر: ديوانه (ص٦٨).

(٣) أي جاء خلفها، وهو كوكب وقاد، على إثر نجوم تسمى القلاص، وتزعم العرب في تكاذيبها: أن الدبران خطب الثريا وأراد القمر تزويجه إياها فأبت وقالت: ما أصنع بهذا السبروت الذي لا مال له. انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني (ص١٩٩)، والتذكرة الحمدوية لابن حمدون (٢/ ٣٩١)، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري (١/ ٣٦).

(٤) سعود النجوم: هي الكواكب التي يقال لكل واحد منها: سعد كذا. وهي عشرة نجوم، كل واحد منها يسمى سعدًا، أربعة منها منازل ينزل بها القمر وهي: سعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وهي في برجي الجدي والدلو. وستة لا يتنزل بها القمر وهي: سعد ناشرة، وسعد الملك، وسعد البهام، وسعد الهمام، وسعد البارع، وسعد مطر.
وكل سعد منها كوكبان بين كل كوكبين في رأي العين قدر ذراع وهي متناسقة.
انظر: الأزمنة لقطرب (١/ ٢٤) (١/ ٢٨)، والزبيح للبتاني (ص١٣١)، ولسان العرب (٢/ ١٩٦-١٩٧)، وتاج العروس (٥/ ٢١).

أي: لأن هذه العروس جاءت من الشام، والجائي من الشام يتيمم جهة مطلع سعد السعود؛ لأنه في جهة الجنوب ولو استدل بالدبران لما اهتدى.

ويحتمل أن مراد الناظم التفاؤل باسم سعد السعود؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعجبه الفأل[(١)] وكان يقول: «إذا بعثتم إليَّ بريدًا فابعثوه حسن الاسم حسن الوجه» أو كما قال[(٢)].

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

وعدت بزورتها فأوفت بالذي	**وعدت وكان بملتقى الأجفان**
لم يفجأ المشتاق إلا وهي دا	**خلة الستور بغير ما استئذان**
قالت وقد كشفت نقاب الحسن ما	**بالصبر لي عن أن أراك يدان**
فتحدثت عندي حديثا خلته	**صدقا وقد كذبت به العينان**
فعجبت منه وقلت من فرحي به	**طمعا ولكن المنام دهاني**
إن كنت كاذبة الذي حدثتني	**فعليك إثم الكاذب الفتان**
جهم بن صفوان وشيعته الألى	**جحدوا صفات الخالق الديان**

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن (٢/ ١١٧٠)، كتاب الطب، وإسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٢) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ١٥٨) ط. دار الكتب العلمية، وابن حبان في المجروحين (٢/ ٨٣) ط. دار المعرفة، من طريق عمر بن راشد عن يحيى بن أبي سلمة عن أبي هريرة به، وهو موضوع، فيه عمر بن راشد، قال ابن حبان: عمرو بن راشد كان يضع.
وأخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ١٧٢) ط. العلمية، من طريق النضر بن إسماعيل البجلي عن طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس، وإسناده ضعيف جدًّا لحال طلحة بن عمرو قال أحمد والنسائي: متروك. انظر: الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث (ص١٤٠) ط. مكتبة النهضة العربية.

قوله:

وعدت بزورتها فأوفت بالذي .... إلخ

أي: أنها وعدت بالزيارة فأوفت بها في المنام. ولهذا قال: (وكان بملتقى الأجفان...) وكما قال قبل ذلك: (لله زائرة بليل...).

قوله:

نقاب............................. ....

قال في القاموس[(١)]: «بالكسر: الرجل والعلامة وما تنقبت به المرأة».

قوله:

إن كنت كاذبة الذي حدثتني .... إلخ

هذا يسمى: حسن التخلص عند أهل البديع[(٢)].

قوله:

جهم (د/١٩ب) بن صفوان.... ....

هو على ما قال الذهبي في «الميزان»[(٣)]: «جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان التابعين وما علمته روى شيئًا لكنه زرع شرًّا عظيمًا» اهـ.

---

(١) انظر: القاموس (ص١٧٨).

(٢) حسن التخلص هو أن ينتقل الشاعر أو الناثر من فن من فنون الكلام إلى فن آخر أو من موضوع إلى موضوع آخر بأسلوب حسن غير مستنكر، وأحسنه مالا يشعر المتلقي معه بالإنتقال، لما أحدثه التمهيد المتدرج من تلازم.
انظر: الإتقان لعلوم القرآن للسيوطي (٣/ ٣٧٣) ط. دار الفكر، إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش (٤/ ٤٥٣) ط. دار ابن كثير، الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي(٢/ ٢٠) ط. مكتبة الآداب.

(٣) ميزان الاعتدال (١/ ٤٢٦) ط. دار الكتب العلمية.

وقال البخاري في رسالة «خلق أفعال العباد»[(١)]: حدثني أبو جعفر[(٢)] قال حدثني يحيى بن أيوب[(٣)] قال سمعت أبا نعيم البلخي قال: «كان رجل من أهل مرو صديقًا لجهم، ثم قطعه وجفاه.

فقيل له: لم جفوته؟ فقال: احتملت منه ما لا يحتمل (ع/٢٩ب)، قرأت يومًا آية كذا وكذا أنسيها يحيى، فقال: ما كان أظرف محمدًا فاحتملتها ثم قرأ سورة طه فلما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] قال: أما والله لو وجدت سبيلًا إلى حكها لحككتها من المصاحف فاحتملتها، ثم قرأ سورة القصص، فلما انتهى إلى ذكر موسى قال: ما هذا[(٤)]؟ ذكر قصته في موضع فلم يتمها، ثم رمى بالمصحف من حجره برجليه فوثبت عليه»[(٥)].

حدثني أبو جعفر قال: سمعت يحيى بن أيوب قال: «كنا ذات يوم عند مروان ابن معاوية الفزاري[(٦)] فسأله رجل عن حديث الرؤية، فلم يحدثه به قال: إن

---

(١) خلق أفعال العباد (٢/ ٤١) ط. دار أطلس.

(٢) محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي، وثقه أبو حاتم والنسائي والدارقطني وهو من طبقة أحمد. مات سنة (٢٦٠هـ) أو قبلها بقليل. انظر: تهذيب الكمال (٩/ ١٠١).

(٣) يحيى بن أيوب المقابري أبو زكريا البغدادي العابد، قال ابو حاتم: صدوق. مات سنة (٢٣٤هـ). انظر: تهذيب الكمال (٣١/ ٢٣٨).

(٤) في (د) و(ع) «ما هنا» وهو تصحيف.

(٥) إسناد هذه القصة حسن، وأخرجها عبد الله بن أحمد في السنة له (١/ ١٦٧)، وابن أبي حاتم في الرد على الجهمية كما في اجتماع الجيوش (ص٢٢٤).

(٦) هو مروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء الفزاري أبو عبدالله الكوفي، وهو ابن عم أبي إسحاق الفزاري المحدث المشهور، سكن مكة ثم دمشق، فمات بها. روى عن بهز بن حكيم وحميد الطويل وسليمان الأعمش وغيرهم، وعنه إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل وجمعة بن عبد الله البلخي أبا نعيم، قال أحمد بن حنبل: ثقة حافظ، لكنهم نقموا عليه روايته عن شيوخ مجهولين. مات سنة (١٩٣هـ). انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٥٦٧).

لم تحدثني به فأنت جهمي، فقال مروان: تقول لي جهمي، وجهم مكث أربعين يومًا لا يعرف ربه»[١].

وقال البخاري في كتاب «خلق أفعال العباد»[٢]: «بلغني أن جهما كان يأخذ من الجعد بن درهم[٣] وكان خالد القسري[٤] أمير العراق خطب فقال: إني مضح بالجعد بن درهم لأنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا».

ونقل البخاري[٥] عن محمد بن مقاتل[٦] قال: «قال عبد الله ابن المبارك[٧]:

ولا أقول بقول الجهم إن له ... قولًا يضارع أهل الشرك أحيانا

وعن عبد الله بن شوذب[٨] قال: «ترك جهم الصلاة أربعين يومًا على وجه الشك».

وذكر الطبري في «تاريخه»[٩] في حوادث سنة تسع وعشرين بعد المائة: «أن

---

(١) إسناده صحيح، وتركه للصلاة، كان مع السمنية حين ناظروه في ربه، فشك، فلم يدر من يعبد أربعين يومًا،كما ذكره من كلام البخاري وأحمد.

(٢) (ص٣٠).

(٣) الجعد بن درهم كان مؤدب مروان الحمار أول من ابتدع أن الله ما اتخذ إبراهيم خليلًا، وأن الله ما كلم موسى تكليمًا، قتل سنة (١٢٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٣).

(٤) خالد بن عبد الله بن يزيد القسري، أمير العراقيين، يماني الأصل، ولي الحجاز ثم الكوفة، قتل سنة (١٢٦هـ). انظر: التقريب (ص٢٨٨)، والأعلام (٢/ ٢٩٧).

(٥) في خلق أفعال العباد (٢/ ١٤).

(٦) أبو جعفر العباداني، أحد المشهورين بالصلاح والفضل والسنة، قال الحافظ: «صدوق عابد من العاشرة». مات سنة (٢٣٦هـ). انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٣٥٥)، والتقريب (ص٨٩٩).

(٧) عبد الله بن المبارك بن واضح أبو عبد الرحمن الحنظلي، الإمام الحافظ، جمع بين العلم والجهاد والتجارة، مات سنة (١٨١هـ). انظر: حلية الأولياء (٨/ ١٦٢) ط. دار الكتب العلمية، والسير (٨/ ٣٧٨).

(٨) البصري، الإمام العالم أبو عبد الرحمن، توفي سنة (١٥٦هـ). انظر: السير (٧/ ٩٢).

(٩) انظر: تاريخ الأمم والملوك (٧/ ٣٤٩) ط. دار المعارف.

الحارث بن سريج خرج على نصر بن سيار عامل خراسان لبني أمية، وحاربه والحارث حينئذ يدعو إلى العمل بالكتاب والسنة، وكان جهم حينئذ كاتبه، ثم تراسلا (د/ ٢٠أ) بالصلح، وتراضيا بحكم مقاتل بن حيان والجهم، فاتفقا على أن الأمر يكون شورى؛ حتى يتراضى أهل خراسان على أمير يحكم بينهم بالعدل، فلم يقبل نصر ذلك، واستمر على محاربة الحارث إلى أن قتل الحارث في سنة ثمان وعشرين بعد المائة في خلافة مروان الحمار.

فيقال: إن الجهم قتل في المعركة بل أسر، فأمر نصر بن سيار سالم بن أحوز بقتله فادعى جهم الأمان، فقال له سالم: لو كنت في بطني لشققته حتى أقتلك فقتله.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق محمد بن صالح مولى بني هاشم[1] قال: قال سالم حين أخذه: يا جهم، إني لست أقتلك؛ لأنك قاتلتني، أنت عندي أحقر من ذلك، ولكني سمعتك تكلم بكلام أعطيت الله عهدًا أن لا أملكك إلا قتلتك فقتله[2].

ومن طريق معتمر بن سليمان عن داود الطفاوي[3] «بلغ سالم ابن أحوز وكان

---

(١) محمد بن صالح بن مهران البصري أبو عبد الله موسى بني هاشم ولقبه أبو التيارح، روى عن معتمر بن سليمان ومعمر بن المثنى ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة وغيرهم، وعنه يحيى بن محمد بن صاعد وأحمد بن الحسين الصوفي الصغير وغيرهم، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الخطيب: «قدم بغداد وحدث بها وكان إخباريًا ناسبًا راوية للسير». مات سنة (٢٥٢هـ).
انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٣٨).

(٢) جهم بن صفوان أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي الكاتب المتكلم، أس الضلالة، ورأس الجهمية، كان صاحب جدل وذكاء، وكان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن وأن الله -تعالى- موجود في جميع الأمكنة، وقد قتله سلم بن أحوز سنة (١٢٨هـ).
انظر: السير (٦/ ٢٦)، ولسان الميزان (٢/ ٢٥٧) ط. دار التراث العربي.

(٣) في الأصل خلاد، وهو تحريف، وهو داود بن راشد الطفاوي، أبو بحر الكرماني ثم البصري الصائغ، قال الحافظ «لين الحديث من السابعة». انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٣٧٢)، تقريب التهذيب (ص٣٠٥).

على شرطة خراسان، أن جهم بن صفوان ينكر أن الله كلم موسى تكليمًا فقتله»[(١)].

ومن طريق بكير [ابن معروف (ع/ ٣٠أ) قال: «رأيت سالم بن أحوز حين ضرب عنق جهم فاسود وجه جهم»[(٢)].

وأسند أبو القاسم اللالكائي[(٣)] في كتاب «السنة» له[(٤)]: أن قتل جهم كان في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، والمعتمد ما ذكره الطبري أنه كان في سنة ثمان وعشرين بعد المائة[(٥)].

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق صالح بن أحمد بن حنبل قال: «قرأت كتاب داود بن هشام بن عبد الملك إلى نصر بن سيار عامل خراسان: أما بعد، فقد نجم قبلك رجل يقال له جهم من الدهرية[(٦)] قال فإن ظفرت به فاقتله»[(٧)].

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح السنة (٢/ ٤٢٤) ط. المطبعة الخيرية لمؤسسة الحرمين الخيرية.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح السنة (٢/ ٤٢٤).

(٣) الإمام الحافظ المجود المفتي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي، مات سنة (٤١٨هـ). انظر: السير (١٧/ ٤١٩).

(٤) الذي في أصول السنة للالكائي (١/ ٣٤٤) أن جعد بن درهم قتل سنة نيف وعشرين -يعني ومائة- وجهم قتل بعده بمرو في خلافة هشام بن عبد الملك.

(٥) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (٦/ ٣٣٥).
والذي يظهر لي أن المعتمد هو ما ذكره اللاَّلكائي؛ لأن خروج مقالة جهم كانت سنة ثلاثين، فكيف يقتل سنة ثمانية وعشرين؟!.

(٦) **الدهرية**: هم الذين ينفون الربوبية، ويحيلون الأمر والنهي والرسالة من الله تعالى، ويقولون: هذا مستحيل في العقول، ويقولون بقدم العالم، وينكرون الثواب والعقاب، ولا يفرقون بين الحلال والحرام، وينفون أن يكون في العالم دليل على صانع ومصنوع، وخالق ومخلوق، وينسبون النوازل التي تنزل بهم إلى الدهر.
انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٨٨)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٩)، وأساس البلاغة (ص١٣٧).

(٧) أخرجه اللالكائي في السنة (٢/ ٤٢٤) من طريق عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبي زرعة عن علي ابن ميسرة عن محمد بن صالح بن أبي عبيد الله عن أبيه قال: قرأت كتاب داود... فذكر الأثر.

وقد ذكر الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض حال الجهم كما سيأتي في شرح قول الناظم:

ولذلك لم يقر الجهم بالأر واح خارجة عن الأبدان

وقال علي بن الحسن[(١)]: «سمعت ابن مصعب[(٢)] يقول: كفرت الجهمية في غير موضع من كتاب الله، قولهم: إن الجنة تفنى، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص:٥٤] فمن قال إنها تنقطع فقد كفر.

وقال: أبلغوا الجهمية أنهم كفار وأن نساءهم (د/ ٢٠ب) طوالق[(٣)].

وقال زهير السجستاني[(٤)]: «سمعت سلام ابن أبي مطيع[(٥)] يقول: الجهمية كفار»[(٦)].

وقال وكيع[(٧)]: «احذروا[(٨)] هؤلاء المرجئة الجهمية، والجهمية كفار»[(٩)].

---

(١) هو: علي بن الحسن بن شقيق المروزي، ثقة حافظ من كبار العاشرة، مات سنة خمس عشرة، وقيل: بعد ذلك. انظر: التقريب (ص٦٦٢).

(٢) خارجة بن مصعب أبو الحجاج الضبعي، السرخسي، متروك، وكان يدلس عن الكذابين ويقال: إن ابن معين كذبه، من الثامنة، مات سنة ثمان وستين. انظر: التقريب (ص٢٨٣).

(٣) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٠٢).

(٤) تحرفت في (ع) و(د) إلى السختياني وهو: زهير بن نعيم البابي السلولي السجستاني نزيل البصر، وثقه الدورقي، من كبار العاشرة، مات بعد المائتين.
انظر: حلية الأولياء (١٠/ ١٤٧)، والتقريب (ص٣٤٢) أبو الأشبال.

(٥) سلام بن أبي مطيع سعد الخزاعي البصري عن أبي عمران الجوني، وكان صاحب سنة، وكان كثير الحج، ثقة من السابعة. انظر: السير (٧/ ٤٢٨).

(٦) إسناده صحيح.

(٧) وكيع بن الجراح الرؤاسي أبو سفيان ثقة حافظ عابد من كبار التاسعة، مات (٩٧هـ).
انظر: التقريب (ص١٠٣٧) أبو الأشبال.

(٨) في جميع النسخ الخطية: «أحدثوا» وما أثبتناه هو من إحدى نسخ خلق أفعال العباد، وهو الذي في التسعينية لشيخ الإسلام، ولعله هو الصواب، وهو المناسب لسياق الكلام، والله أعلم.
انظر خلق أفعال العباد (٢/ ٢٩ - تعليق).

(٩) خلق أفعال العباد (٢/ ٢٩).

وقال ابن أبي الأسود[(١)] سمعت ابن مهدي[(٢)] يقول ليحيى بن سعيد[(٣)]: لو أن جهميًا بيني وبينه قرابة ما استحللت من ميراثه شيئًا[(٤)].

وقال يزيد بن هارون[(٥)]: «الجهمي أضر من مائتي شيطان»[(٦)].

قال أبو عبد الله: «ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى[(٧)] ولا يسلم عليهم ولا يعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم»[(٨)].

---

(١) في الأصل ابن الأسود، وهو خطأ، والتصويب من كتاب خلق أفعال العباد، وهو الموافق لما في التراجم، وهو: عبد الله بن محمد بن أبي الأسود البصري أبو بكر، تخرج بخاله عبد الرحمن ابن مهدي، سمع من مالك وجعفر بن سليمان، ومعتمر بن سليمان، وطائفة، وعنه البخاري، وأبو داود، والترمذي بواسطة، وغيرهم.قال الخطيب: كان حافظًا متقنًا، سكن بغداد، وقال في التقريب: «ثقة حافظ سَماعُهُ من أبي عوانه وهو صغير، من العاشرة». مات سنة (٢٢٣هـ).
انظر: السير (١٠/ ٦٤٨)، والتقريب (ص٥٤١) أبو الأشبال.

(٢) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان، الإمام الناقد سيد الحفاظ، أبو سعيد العنبري، توفي بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومئة. انظر: السير (٩/ ١٩٢).

(٣) يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي أبو سعيد البصري، قال علي بن المديني: «لم أر أثبت من يحيى ابن سعيد القطان»، وقال أحمد بن حنبل: «ما رأيت مثل يحيى بن سعيد». مات سنة (١٩٨هـ).
انظر: تهذيب الكمال (١٠/ ٦٨٠)، والتقريب (ص١٠٥٥).

(٤) خلق أفعال العباد (٢/ ٣٢).

(٥) يزيد بن هارون بن وادي، أحد الأعلام الحفاظ المشاهير، قال ابن معين: ثقة، وقال العجلي: ثقة ثبت، مات سنة (٢٠٦). انظر: تهذيب التهذيب (١١/ ٨٠).

(٦) الذي في خلق أفعال العباد (٢/ ٣٣) «..وقال يزيد بن هارون: المريسي أضر من ماني».

(٧) النصارى: هم أمة المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد انحرفوا عن دينهم عندما غلوا في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعندما زعموا أنه ابن الله، تعالى الله عن قولهم، واختلف في أصل تسميتهم (نصارى): فقيل نسبة إلى الناصرة، وهي بلدة في فلسطين، وكان مبدأ خروجهم منها، وقيل: نسبة إلى الحواريين، حيث قالوا: نحن أنصار الله، وهم فرق كثيرة: فمنهم الملكانية، واليعقوبية، والفريسيون، وغيرهم.
انظر: الملل والنحل (١/ ٢٦٢-٢٧٢)، والبرهان (ص٩١-٩٢) ط. مكتبة المنار.

(٨) خلق أفعال العباد (٢/ ٣٣) وأبو عبدالله هو البخاري.

وسئل وكيع عن مثنى الأنماطي! فقال: «كافر»[١].

وقال عبد الله بن داود[٢]: «لو كان لي على المثنى الأنماطي سبيل؛ لنزعت لسانه من قفاه، وكان جهميًّا».

وحذر يزيد بن هارون من[٣] الجهمية وقال: «من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العباد فهو جهمي»[٤].

وقال ضمرة بن ربيعة[٥] عن صدقه[٦]: «سمعت سليمان التيمي[٧] يقول: لو سئلت عن الله لقلت: في السماء، فإن قال: فأين عرشه قبل السماء؟ لقلت: على الماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل الماء؟ قلت: لا أعلم»[٨].

---

(١) الصواعق (١/ ٣٦).
والأنماطي، لم أجد من ذكره ولكن يظهر من سياق الكلام ومن الأثر الذي بعده أنه كان من الجهمية المشهورين في عصر وكيع.

(٢) عبد الله بن داود بن عامر: الإمام الحافظ القدوة، أبو عبد الرحمن الهمداني الخُريبي، مات سنة (٢١٣). انظر: السير (٩/ ٣٤٦).

(٣) في (د) عن.

(٤) خلق أفعال العباد (٢/ ٣٧)، وللمؤلف- شارح النظم - رسالة خطية في شرح هذا الأثر، وهي عندي، وقد انتهيت من تحقيقها وصفها، وسترى النور قريبًا إن شاء الله.

(٥) ضمرة بن ربيعة الفلسطيني الرملي، دمشقي الأصل، قال أحمد بن حنبل: صالح الحديث من الثقات المأمونين. وقال النسائي: ثقة. مات سنة (٢٠٢هـ). انظر: تهذيب الكمال (٥/ ٢٨).

(٦) في الأصل:«صرد» وعلق في الهامش بقوله -كذا رواه- وهو تحريف بلا شك، وهوصدقة بن خالد الأموي أبو العباس الدمشقي، مولى أم البنين أخت معاوية، وقال في التقريب: «ثقة من السابعة».
مات سنة (١٧١هـ) وقيل (١٨٠هـ). انظر: تهذيب الكمال (٤/ ٦٩٢)، والتقريب (ص٤٥١).

(٧) سليمان بن طرخان التيمي، أبو المعتمر البصري، ولم يكن من بني تيم، وإنما نزل فيهم، قال في التقريب:« ثقة عابد». انظر: تهذيب الكمال (٤/ ٣٨٨)، وتقريب التهذيب (ص٤٠٩).

(٨) إسناده صحيح، وهذ هو منهج أهل السنة، وهو الوقوف عند نصوص.

قال أبو عبد الله[(١)]: «وذلك لقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥] يعني إلا بما بين».

وقال محمد بن يوسف[(٢)]: «من قال: إن الله ليس على عرشه فهو كافر، ومن زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر»[(٣)].

وقيل لمحمد بن يوسف: «أدركت الناس، هل سمعت أحدًا يقول القرآن مخلوق؟ فقال: الشيطان تكلم بهذا، ومن تكلم في هذا جهمي والجهمي كافر».

وقال ابن المبارك: «لا نقول كما قالت الجهمية: إن الله في الأرض هاهنا، بل على العرش استوى، وقيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: فوق سماواته على عرشه، وقال لرجل منهم: إن بطنك خال منه فبهت الآخر».

وقال سعيد بن عامر[(٤)]: «الجهمية شر قولاً من اليهود والنصارى قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان على أن الله على العرش وقالوا هم ليس على العرش».

وقال حماد بن زيد[(٥)]: «القرآن كلام الله نزل (ع/ ٣١ب) به جبريل ما يحاولون إلا أنه ليس في السماء إله»][(٦)].

---

(١) أي البخاري في خلق أفعال العباد (ص٣٧)، ولا يزال النقل مستمرًا من خلق أفعال العباد.

(٢) هو ابن واقد بن عثمان الضبي مولاهم القريابي، قال في التقريب: «ثقة فاضل، يقال: أخطأ في شيء من حديث سفيان وهو مقدم فيه مع ذلك عندهم علي عبد الرزاق من التاسعة». مات سنة (٢١٢هـ). انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٤٤٣)، وتقريب التهذيب (ص٩١١).

(٣) خلق أفعال العباد (٢/ ٣٩).

(٤) سعيد بن عامر الضبعي أبو محمد البصري، قال الحافظ: «ثقة صالح، وقال أبو حاتم: ربما وهم من التاسعة». مات سنة (٢٠٨هـ). انظر: تهذيب الكمال (٤/ ١٦٨)، وتقريب التهذيب (ص٣٨١).

(٥) حماد بن زيد بن درهم العلامة الحافظ الثبت أبو إسماعيل الأزدي، مات في سنة (١٧٩هـ). انظر: السير (٧/ ٤٥٦).

(٦) ما بين المعكوفتين ساقط من (ع) واستدركناه في (د).

وقال علي بن عاصم[١] (د/١٥): «ما الذين قالوا إن لله ولدًا أكفر من الذين قالوا:إن الله لا يتكلم».

وقال: «احذر عن المريسي[٢] وأصحابه؛ فإن كلامهم أبيجاد الزندقة[٣]، وأنا كلمت أستاذهم جهمًا فلم يثبت لي أن في السماء إلهًا».

وقال الفضيل بن عياض[٤]: «إذا قال لك الجهمي أنا أكفر برب يزول عن مكانه فقل أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء».

وحدثني أبو جعفر قال: «سمعت الحسن بن موسى الأشيب[٥] فنال منهم ثم قال: دخل رأس من رؤساء الزنادقة[٦] يقال له شمعلة![٧] على

(١) علي بن عاصم بن صهيب الواسطي أبو الحسن القرشي، قال في التقريب: «صدوق يخطئ ويصر، ورمي بالتشيع». انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٣٣٢)، تقريب التهذيب (ص٦٩٩).

(٢) بشر بن غياث بن أبي عريمة العدوي مولاهم البغدادي المريسي، وكان من كبار الفقهاء، نظر في الكلام فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، فمقته أهل العلم، وكفره عدة، مات سنة (٢١٨هـ). انظر: السير (١٠/ ١٩٩).

(٣) أي المدخل إليها. انظر: خلق أفعال العباد (٢/ ١٩- تعليق المحقق).

(٤) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي الخراساني، الإمام القدوة الثبت، وهو من أقران سفيان بن عيينة في المولد، ولكنه مات قبله بسنوات. انظر: السير (٨/ ٤٢١).

(٥) الحسن بن موسى الأشيب -بمعجمة ثم تحتانية- أبو علي البغدادي، قاضي الموصل ثقة من التاسعة. مات سنة (٢١٠هـ). انظر: السير (٩/ ٥٥٩)، التقريب (ص٢٤٣).

(٦) الزنديق لفظ يطلق على القائل بوجود إلهين اثنين، يعبر عنهما بإله النور، وإله الظلمة، أو خالق الخير، وخالق الشر، ويطلق الزنديق على من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو المنافق الذي يظهر خلاف ما يبطن، وبعضهم قال: أصل زندق، معربة من زن ودين، أي: من له دين النساء. والصحيح الأول.

والكلمة معربة من (زندي) أي المؤمن بكتاب زند، وهو كتاب زرادشت المجوسي القائل بوجود إلهين.

والزنديق كافر مع اعترافه بنبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن في معتقداته كفرٌ بالاتفاق، والزنادقة فرقة كافرة. انظر: المغني (٩/ ١٥٩)، وكشاف اصطلاحات الفنون، لعبد الحي اللكنوي (٢/ ٣٠٣).

(٧) لم أجد من ذكره، وهو من مشاهير الزنادقة في عصر المهدي -كما يدل عليه سياق القصة- فإنه =

المهدي[١] فقال: دلني على أصحابك، فقال: أصحابي أكثر من ذلك، فقال: دلني عليهم، فقال: صنفان ممن ينتحل القبلة، الجهمية والقدرية، الجهمي إذا غلا قال: ليس ثم شيء، وأشار الأشيب إلى السماء، والقدري إذا غلا قال: هما اثنان خالق خير وخالق شر، فضرب عنقه وصلبه».

قال وكيع: «الرافضة شر من القدرية[٢]، والحرورية شر منهما، والجهمية شر هذه الأصناف قال الله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤].

ويقولون: لم يتكلم ويقولون الإيمان بالقلب.

قال ابن عباس: لما كلم الله موسى كان النداء من السماء وكان الله في السماء وقال عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الله على عرشه فوق سمواته، وسمواته فوق أرضه مثل القبة.

=زعم أن أصحابه هم غلاة الجهمية الذين كفرهم السلف وأخرجوهم من فرق المسلمين، وقد قرنه الدارمي في الرد على الجهمية (ص١١٠) بماني بن فاتك الزنديق المشهور. فقال: «ماني وشمعلة الزنديقان» اهـ. انظر: خلق أفعال العباد (٢/ ٤١- تعليق المحقق).

(١) محمد بن عبد الله (المنصور) بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ولد سنة (١٢٧هـ)، وبويع بالخلافة سنة (١٥٨هـ)، وكان شديدًا على الزنادقة وأهل البدع.
انظر: السير (٧/ ٤٠٠).

(٢) القدرية: هم الذين يقولون: إن العبد هو الذي خلق فعل نفسه، وهو مستقل بإرادته، وقدرته، ومشيئته، وليس لله تعالى في فعل العبد مشيئة ولا خلق، وأول من قال بالقدر على أرجح الأقوال هو معبد الجهني الذي زعم أن لا قدر، وأن الأمر أُنُفٌ – أي مستأنف-، وكان من أصول هذا المذهب نفي علم الله تعالى، ولم ينتشر هذا -بحمد الله تعالى- لوجود الصحابة حيث وقفوا منهم موقفًا شديدًا وصل إلى حد البراءة منهم، بل وتكفيرهم، ثم ظهر مذهب آخر للجهمية وهو إثبات العلم لله تعالى إلا أنهم قالوا إن العبد هو الذي خلق فعل نفسه، فليس لله تعالى في فعل العبد لا خلق ولا مشيئة، وقد انتشر هذا المذهب على يد المعتزلة حتى عد أصلًا من أصولهم.
انظر: الملل والنحل (١/ ٥٦)، الفرق بين الفرق (ص٩٣)، التنبيه والرد للملطي (ص٣٥)، القضاء والقدر للدكتور المحمود (ص١٦٧-١٦٨) ط. دار الوطن.

وقال ابن مسعود(١) في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢] قال: «العرش على الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»(٢).

وقال قتادة(٣) في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤] قال: «يعبد في السماء ويعبد في الأرض»(٤).

وقال بعض أهل العلم: «إن(٥) الجهمية هم المشبهة(٦)؛ لأنهم شبهوا ربهم بالصمم، والأصم والأبكم الذي(٧) لا يسمع، ولا يبصر، ولا يتكلم، ولا يخلق، وقالت الجهمية: لا يتكلم ولا يبصر نفسه» انتهى(٨).

«[ثم(٩) إن أصل هذه المقالة (مقالة التعطيل للصفات)(١٠) إنما هو مأخوذ

---

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل أبو عبد الرحمن الهذلي المكي البدري، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا والهجرتين، ومناقبه غزيرة، روى علمًا كثيرًا، مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين. انظر: السير (١/ ٤٦١).

(٢) خلق أفعال العباد (ص٤٣).

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري، توفي في سنة (١١٨هـ). انظر: السير (٥/ ٢٦٩).

(٤) تفسير الصنعاني (٣/ ٢٠٣).

(٥) في (ع): «ليت».

(٦) المشبهة: هم الذين يشبهون الله بخلقه فيقولون: لله يد كيدي، وله قدم كقدمي، وله وجه كوجهي، من رؤس هؤلاء: هشام بن الحكم الرافضي، ومنهم الجواليقية أتباع هشام بن سالم الجواليقي الرافضي، ومنهم الحوارية أتباع الحواري، ومن المشبهة بعض غلاة الصوفية أهل الحلول والاتحاد، ومن المشبهة -أيضًا- الكرامية الذين يزعمون أن لله جسم، وغيرهم. وحكمهم أنهم كفار. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٩٧-١٠٠)، والملل والنحل (١/ ١١٨-١٣١)، ومنهاج السنة (٢/ ٥٩٨)، والفتاوى (٣/ ١٨٦) (١٢/ ٢٦٤-٢٦٥).

(٧) ساقطة من (ع).

(٨) في (ع) بعدها «ملتقطًا من مواضع».

(٩) في (ع) و(م) قبل هذا الكلام «وقال شيخ الإسلام ابن تيمية... الخ ما ذكره في الحموية».
ينظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٠).

(١٠) زيادة من (د) وفي (م) «إن أصل هذه المقالة مأخوذ..... » الخ.

عن تلامذة اليهود والمشركين وضـلال][1] (ع/ ١٣٠) الصابئين[2]؛ فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام، هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، أظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه، وقيل إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان![3]، وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد ابن الأعصم اليهودي[4]، وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي

---

(١) ساقطة من (ع).

(٢) **الصابئ في اللغة**: هو التارك دينه إلى دين غيره، وقد كان المشركون يسمون كل من ترك عبادة الأصنام وآمن بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صابئ، لأنهم تركوا دين الآباء والأجداد.
والصابئة سموا بذلك؛ لأنهم فارقوا دين التوحيد، وعبدوا النجوم وعظموها، ولما بعث الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان الناس على دين الصابئة، وكان منهم كنعان، والنمرود الذي ناظر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. ومن عقائدهم: أن الكواكب السبعة مدبرة للعالم، وهم أقدم من عباد الأصنام، لأنهم كانوا يعبدون تلك النجوم عند ظهورها، ولما أرادوا أن يعبدوها عند غروبها لم يجدوا طريقًا إلا أن يصوروا لها صورًا، ويضعوا لها الهياكل، فصنعوا أصنامًا لتلك الكواكب فعبدوها، فظهرت من هنا عبادة الأصنام.
انظر: الملل والنحل (٢/ ٩٥)، والبرهان في عقائد أهل الأوثان (ص٥٩)، وإغاثة اللهفان (٢/ ٢٤٩-٢٥٥) ط. دار المعرفة، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص١٤٣)، والتحفة المهدية (ص٤٥).

(٣) لم أجد له ترجمة، ويوجد بيان بن سمعان التميمي، وقد ذكره ابن حجر في اللسان وسماه: بيانًا الزنديق، ظهر بالعراق بعد المائة، وقال بألوهية علي، وأن فيه جزءًا إلهيًّا متحدًا بناموسه، ثم من بعده في ابنه محمد بن الحنفية ثم في أبي هاشم، ولد محمد بن الحنفية ثم من بعده في بيان هذا،قال ابن نمير: «قتله خالد القسري وأحرقه بالنار»، ويؤيد ذلك أن الجعد بن درهم قد أخذ مقالة التعطل عن أبان بن سمعان وقد قتله - أي الجعد - خالد القسري - أيضًا فلعله هو، والله أعلم.
انظر: لسان الميزان (٢/ ١٢٣).

(٤) رجل منافق من بني زريق - بطن من الأنصار مشهور في الخزرج - كان حليفًا لليهود، وقيل: كان يهوديًّا، وقد حاول اليهود سحر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يقدروا، فجاؤا إليه وكان ساحرًا حاذقًا، فقالوا له: أنت أسحر منا وقد سَحَرْنا محمدًا، فسحره منا الرجال والنساء فلم نصنع شيئًا، فسحر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة سبع في مشط ومشاطة، وجف طلعة ذكر في بئر ذروان، والقصة طويلة، راجع الفتح (١٠/ ٢٣٧).

الساحر[(١)] الذي سحر النبي ﷺ[(٢)]، وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل من أهل حران[(٣)]، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة[(٤)] -بقايا أهل دين النمرود والكنعانيين[(٥)] - الذي صنف بعض المتأخرين في سحرهم وكذلك، وأبو نصر

---

(١) سند هذه المقالة ينتهي إلى ساحر يهودي، مما يدل على خبثها، وخبث كل من قال بها وضلاله.

(٢) في مشط ومشاطه وجغ طلعة ذكر في بئر ذروان كما في البخاري في كتاب الطب (٤/ ١٨٣٩)، باب السحر.

(٣) **حرَّان**: بتشديد الراء آخره نون، مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم، وقيل: سميت بهاران أخي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه أول من بناها فعربت، فقيل حران.
وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، وكانت بها منازل الصابئة الحرانيين، وقد فتحت في أيام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على يد عياض بن غنم.
انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٧١-٢٧٢).

(٤) **الفلاسفة**: هم من ينتسبون إلى الفلسفة، والفلسفة كلمة يونانية مشتقة من (فيلا - صوفيا) ومعناها: محبة الحكمة، ومبدأ الفلسفة من الروم واليونان. وغيرهم عالة عليهم.
وقد مرت الفلسفة بعدة أطوار: فكان المراد بها قديمًا تفسيرًا عقليًا، ثم في القرون الوسطى أصبح المراد بها العلم بحقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح، ثم في القرن التاسع عشر، أصبحت تقتصر على المنطق، والأخلاق، وعلم الجمال، وما بعد الطبيعة، ويزعم الفلاسفة أن الفلسفة تتميز بصفات تنفرد بها عن غيرها، وهي: الشمول والوحدة، والتعمق في التعليل والتفسير، والبحث عن الأسباب القصوى، والمبادئ الأولى.
ولما كانت بتلك الصفات، وقع أتباعها في نزاعات أخرجتهم من دين الإسلام -إلا من رحم الله تعالى- ومنها القول بقدم العالم، والقول بأن النبوة مكتسبة، وإنكار البعث الجسماني، ومن أشهر رؤسهم: الفارابي، وابن سينا، وابن رشد، والغزالي، والرازي، وغيرهم كثير.
انظر: الفصل لابن حزم (١/ ٩٤)، وإغاثة اللهفان (٢/ ٥٦)، ومقدمة ابن خلدون (ص٥١٤)، والمعجم الفلسفي (٢/ ١٦٠).

(٥) نسبة إلى كنعان بن سام بن نوح، كانوا قد سكنوا في سواحل الشام، وبلاد بيت المقدس، وكانوا يعبدون الكواكب السبعة، ويعرف هؤلاء عند اليونانيين بالفينيقيين.
انظر: معجم البلدان (٤/ ٥٤٩) والبداية والنهاية (١/ ١٥٧).

الفارابي[١] دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته، وأخذها الجهم -أيضًا- فيما ذكره الإمام أحمد وغيره، لما ناظر السمنية[٢] بعض فلاسفة الهند[٣]، وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات، فهذه أسانيد جهم، ترجع إلى اليهود، والصابئين، والمشركين، والفلاسفة الضالين، إما عن الصابئين وإما من المشركين» انتهى[٤].

والمقصود الكلام على قول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

جهم بن صفوان «وشيعته الأُلَى»[٥]

---

(١) محمد بن محمد بن طرخان التركي، شيخ الفلسفة الحكيم، مات سنة (٣٣٩هـ).
انظر: السير (١٥/ ٤١٦).

(٢) السمنية: هم طائفة في الهند، تقول بتناسخ الأرواح، وقدم العالم، وينفون النظر والاستدلال، وزعموا أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، وهم الذين يسمون اليوم بالبوذية الذين يعيشون في الهند.
انظر: التبصير في الدين (ص٨٩)، والفرق بين الفرق (ص٢٥٣)، والمعجم الوسيط (١/ ٤٥٢).

(٣) فلاسفة الهند فرق كثيرة: منهم السمنية والبراهمة وكلهم يشتركون في القول بتناسخ الأرواح وبحلول الرب في كل مكان وبنطقه على كل لسان.
والبراهمة دين قديم من أديان الهند، وهم أشهر فلاسفة الهند، ومن مذهبهم أن العالم بما فيه من الأجسام على جهات ثلاث: متفق ومختلف ومضاد، وأن ذلك في الجملة هو جماد ونام، وأن الأفلاك والنجوم والبروج وغير ذلك من الأجسام السماوية ليست من العالم، بل هي أحياء ناطقة.
ومن أقوالهم: أن النظر إلى الثقيل يورث موت الفجأة !!.
انظر: مروج الذهب للمسعودي (١/ ١٧٣) ط. دار الفكر، والآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٢٢٤).

(٤) في هامش (د) «قوله انتهى لم يعز الشيء إلى من قال، وهو من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في المسألة المسماه بالحموية مع حذف وتصرف يسير، كاتبه» وهذا الاستدراك بخط الشيخ صالح بن دخيل الله كاتب هذه النسخة. وانظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٢).

(٥) تصحفت في (ع) و(د) «الأولى» والتصويب من (م).

الألى: اسم موصول، بمعنى الذين جحدوا صفات الخالق الديان، المعنى أن جهمًا وشيعته جحدوا صفات البارئ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن قولهم، والجهم هو أعظم الناس نفيا للصفات، بل وللأسماء الحسنى، قوله[1] من جنس قول الباطنية القرامطة[2]، حتى ذكروا عنه أنه لا يسمي الله شيئًا، ولا غير ذلك من الأسماء التي يسمى بها المخلوق؛ لأن ذلك بزعمه من التشبيه الممتنع.

وهذا قول القرامطة الباطنية.

وحكي عنه أنه لا يسميه إلا قادرًا فاعلًا؛ لأن العبد عنده ليس بقادر ولا فاعل؛ إذ كان هو رأس المجبرة.

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]:

بل عطلوا منه السماوات العلى ... والعرش أخلوه من الرحمن

---

(١) الضمير يعود على جهم وما بعدها من كلام الشارح أي قول جهم في الأسماء والصفات يشابه قول الباطنية والقرامطة.

(٢) القرامطة: هي إحدى فرق الباطنية، وهم ينتسبون إلى رجل يقال له: حمدان بن قرمط، رجل من أهل الكوفة، كان راعيًا مائلًا إلى الزهد والديانة، وقيل: إنه كان على دين المجوسية فصادفه أحد دعاة الباطنية ويدعى حسينًا الأهوازي، فدعاه إلى الباطنية بعدما أخذ عليه العهد الميثاق، وأتباعه من بعده هم فرقة من الزنادقة الملاحدة، أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون بنبوة زرادشت، ومزدك، وكانا يبيحان المحرمات،ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل، وأكثر ما يُفسِدون من جهة الرافضة، ويدخلون إلى الباطل من جهتهم؛لأنهم أقل الناس عقولًا، وقد خرجوا على المسلمين في خلافة المعتضد سنة (٢٨١هـ)، وحكموا البحرين، وعاثوا في الأرض فسادًا، وقطعوا الطريق على الحاج، وسرقوا ونهبوا وأراقوا الدماء واستحلوا الحرم، واقتلعوا الحجر الأسود، وذهبوا به البحرين.

انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٦٦)، والتبصير في الدين (ص٨٣)، والتنبيه والرد (ص٢٠-٢١)، والبرهان (ص٨٠-٨١)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٧٩).

(٣) ساقطة من (ع).

ونفوا كلام الرب جل جلاله ... وقضوا له بالخلق والحدثان
قالوا وليس لربنا سمع ولا ... بصر ولا وجه فكيف يدان
وكذاك ليس لربنا من قدرة ... وإرادة أو رحمة وحنان
كلا ولا وصف يقوم به سوى ... ذات مجردة بغير معان
وحياته هي نفسه وكلامه ... هو غيره فاعجب لذا البهتان
وكذاك قالوا ماله من خلقه ... أحد يكون خليله النفسان
وخليله المحتاج عندهم وفي ... ذا الوصف يدخل عابدو الأوثان
فالكل مفتقر إليه لذاته ... في أسر قبضته ذليل عان
ولأجل ذا ضحى بجعد خالد ... القسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسى الكليم الدان
شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك من أخي قربان

قوله: (وكلامه هو غيره)، أي: أن كلامه (د/ ٥ب) مخلوق من جملة المخلوقات؛ لأن كلامه غيره؛ وما كان غيره فهو مخلوق.

قوله:

وكذاك قالوا ما له من خلقه أحد ... إلخ

أي: إن الجهمية ينكرون الخلة (ع/ ٥ب) والمحبة، وإنما يثبتون الخلة، بمعنى الفقر والحاجة، فهم ينكرون أن الله سبحانه يُحِبُ أو يُحَبُ، أي فكل فقير لله فهو خليله بهذا المعنى؛ ولهذا ألزمهم الناظم بهذا الإلزام، أي أن الناس كلهم فقراء إلى الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية [فاطر: ١٥]، فيلزم على قول الجهمية أن جميع الخلق أخلاء الله، حتى عابدو الأوثان والأصنام!!

قوله:

كــلا ولا وصــــف يــقــوم بــه .... إلخ

أي أن الباري تعالى وتقدس عندهم لا يوصف إلا بأنه الوجود المطلق، والوجود المطلق؛ وإنما يكون في الأذهان لا في الأعيان.

قوله:

وحـــيـــاتـــه هـــي نـفـســه ....

أي أن الصفات ترجع إلى مجرد الذات المقدسة، فهذا حال الجهمية الأولين، وهم الجهمية الذكور[١]، وأما الجهمية المتأخرون الذين سماهم شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري[٢] صاحب منازل (د/ ٢١أ) السائرين الجهمية الإناث[٣].

فقد قال شيخ الإسلام المذكور في كتابه «ذم الكلام»[٤] باب في ذكر كلام الأشعرية[٥]: «ولما نظر المبرزون من علماء هذه الأمة، وأهل الفهم من أهل السنة

(١) الجهمية الذكور هم المعتزلة كما ذكره يحيى بن عمار. انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٩).

(٢) عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي أبو إسماعيل، شيخ خراسان، مات سنة (٤٨١هـ). انظر: السير (١٨/ ٥٠٣)، والأعلام (٤/ ١٢٢).

(٣) الجهمية الإناث هم الأشاعرة كما قاله يحيى بن عمار، وظاهر العبارة أن الجهمية الذكور، هم الجهمية الخلص أتباع جهم بن صفوان، لكن المشهور عن السلف أن كل من أنكر الصفات فهو جهمي، سواءً كان من أتباع جهم أو من أتباع واصل بن عطاء، فيدخل في ذلك الجهمية الخلص دخولًا أوليًّا ثم المعتزلة.
أما الجهمية الإناث فمراده بهم الأشاعرة الذين ينكرون الصفات الخبرية لا كل الصفات.
هكذا علل يحيى بن عمار سبب تسميتهم بذلك، والله أعلم. انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٩).

(٤) انظر: ذم الكلام للهروي (٥/ ١٣٥-١٤٢) ط. العلوم والحكم.

(٥) الأشاعرة: هم أتباع أبي الحسن الأشعري، يقولون بإثبات سبع صفات فقط، لأن العقل دل على إثباتها، وهي: السمع، والبصر، والعلم، والكلام، والقدرة، والإرادة، والحياة، وقالوا عن كلام الله بأنه معنى قائم بالنفس، إن عبر عنه بالعربية فهو قرآن، وإن عبر عنه بالسريانية فهو الإنجيل، =

طوايا كلام الجهمية، وما أودعته من رموز الفلاسفة، ولم تقف[١] منهم إلا على التعطيل البحت، وأن قطب مذهبهم، ومنتهى عقيدتهم ما صرحت به رؤوس الزنادقة قبلهم: أن الفلك دوار، والسماء خالية، وأن قولهم إنه تعالى في كل موضع، وفي كل شيء، ما استثنوا جوف كلب ولا خنزير ولا حشًّا؛ فرارًا من الإثبات وذهابًا عن التحقيق.

وإن قولهم:سميع بلا سمع، بصير بلا بصر عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، إله بلا نفس ولا شخص ولا صورة، ثم قالوا: لا حياة له ثم قالوا:لا شيء؛ فإنه لو كان شيئًا لأشبه الأشياء، حاولوا[٢] حول مقال رؤوس الزنادقة القدماء[٣]؛ إذ قالوا: الباري لا صفة، ولا لا صفة خافوا على قلوب ضعفى المسلمين، وأهل الغفلة، وقلة الفهم منهم، إذ كان ظاهر تعلقهم بالقرآن وإن كان اعتصامًا به من السيف، واجتنانًا به منهم، وإذ هم يرون التوحيد، ويخاوضون المسلمين ويحملون الطيالسة، فأفصحوا بمعانيهم، وصاحوا بسوء ضمائرهم ونادوا على خبايا نكثهم.

=وإن عبر عنه بالعبرانية فهو التوراة، وقالوا عن الإيمان بأنه التصديق بالقلب والعمل من فروع الإيمان لا من أصله،مع أن أبا الحسن رجع عن معتقده، وصرح باتباعه لأحمد كما في كتاب الإبانة، إلا أن أصحابه يحاولون التشكيك في كتاب الإبانة الذي فيه تصريحه بالرجوع، مع أن أبي القاسم ابن عساكر الإمام المؤرخ المحدث باتفاق الجميع، قد نسب كتاب «الإبانة» للإمام الأشعري، وهو إمام من أئمة الأشاعرة، بعد أبي الحسن.

انظر: الملل والنحل (١/ ١١٩)، والفرق بين الفرق (ص١٥١)، وتبيين كذب المفتري (ص١٥٢) ط. دار الكتاب العربي، ومذاهب الإسلاميين (١/ ٤٨٧-٥٦٤)، ونشأة الأشعرية وتطورها، لجلال موسى (ص١٣٦).

(١) في بيان تلبيس الجهمية «تقع».

(٢) كذا في النسخ الخطية موافقة لما في بيان تلبيس الجهمية، ولعل الصواب «حاموا» أي اقتربوا؛ لأن أصول عقائد الأشاعرة في الصفات وغيرها ترجع إلى الجهمية، ورؤوس الجهمية زنادقة.

(٣) يقصد بهم الجهمية الأقحاح.

فيا طول ما لقوا في أيامهم من سيوف الخلفاء، وألسن العلماء، وهجران الدهماء، فقد شحنت كتب[1] تكفير الجهمية من (ع/١٣٢) مقالات علماء الإسلام فيهم، ودأب الخلفاء فيهم، ودق عامة أهل السنة عليهم، وإجماع المسلمين على إخراجهم من الملة.

ثقلت عليهم الوحشة، وطالت عليهم الذلة، وأعيتهم الحيلة إلا أن يظهروا الخلاف لأوليهم، والرد عليهم، ويَصِفُوا كلامهم وصفًا يكون ألوح للأفهام، وأنجع في العوام، من أساس أولهم؛ ليجدوا بذلك المساغ، ويتخلصوا من خزي الشناعة، فجاءت مخاريق تراءى للغبي بغير ما في الحشايا، ينظر الناظر الفَهِم في جذرها[2]؛ فيرى مخ الفلسفة يكسى لحاء السنة، وعقد الجهمية ينحل ألقاب الحكمة.

ويردون على اليهود قولهم يد الله مغلولة، فينكرون (د/٢١ب) الغل، وينكرون اليد، فيكونون أسوأ حالًا من اليهود؛ لأن الله أثبت الصفة ونفى العيب، واليهود أثبتت الصفة وأثبتت العيب، وهؤلاء نفوا الصفة، كما نفوا العيب.

ويردون على النصارى في مقالهم في عيسى وأمه، فيقولون: لا يكون في المخلوق غير المخلوق؛ فيبطلون القرآن، فلا يخفى على ذوي الألباب: أن كلام أوليهم وكلام آخريهم خيط السحارة[3].

---

(١) في (ع) و(د) «كتاب»، والتصويب من الفتاوى الكبرى لابن تيمية، وهو المناسب لسياق الكلام.
(٢) في (ع) «خذرها»، وفي (د) «خدرها»، وفي (م) «حدرها» وكلها تحريفات.
(٣) خيط السحارة: شيء يلعب به الصبيان، إذا مد من جانب خرج على لون، وإذا مد من جانب آخر خرج على لون مخالف، ومنه قول الشافعي فيما خرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي (ص١٣٠): «ماأشبه أصحاب الرأي بخيط السحارة، تمده هكذا فيجيء أصفر، وتمده هكذا، فيجيء أخضر». وانظر: أساس البلاغة (ص٢٠٤). =

فاسمعوا يا أولي الألباب، وانظروا ما فضل هؤلاء على أولئك، أولئك قالوا: قبح الله مقالتهم-: إن الله موجود بكل مكان!! وهؤلاء، يقولون: ليس هو في مكان، ولا يوصف بأين، وقد قال المبلغ عن الله لجارية معاوية بن الحكم[(١)]: «أين الله؟»[(٢)].

وقالوا: هو من فوق، كما هو من تحت، لا يدرى أين هو، ولا يوصف بمكان، وليس هو في السماء، وليس هو في الأرض، وأنكروا الجهة والحد.

وقال أولئك: ليس له كلام، إنما خلق كلامًا.

وهؤلاء يقولون: تكلم مرة فهو متكلم به منذ تكلم، لم ينقطع الكلام، ولا يوجد كلامه في موضع، ليس هو به ثم يقولون: ليس هو في مكان، ثم قالوا ليس هو صوت ولا حروف.

وقالوا: هذا زاج وورق وهذا صوف وخشب، وهذا إنما قصد به النقش وأريد به النقر، وهذا صوت القارئ، أما ترى أن منه حسنًا ومنه قبيحًا، وهذا لفظه أما تراه يجازي به، حتى قال رأس من رؤوسهم: أو يكون قرآن من لبد. وقال آخر: من

= والمعنى أن هناك اتفاق في الباطن بين فرق المعطلة في التلاعب بالنصوص، وإن ظهر اختلاف في الظاهر، فإنما هو اختلاف في الألفاظ دون الحقائق، فالأشاعرة والمعتزلة بينهما ردود مشهورة، مع أنهما متفقتان في أكثر المسائل؛ لأن المعتزلة شيوخهم، وأقرب مثال على ذلك مسألة القرآن هل هو مخلوق أم لا، وسيأتي الكلام عن ذلك. انظر: الشيخ اسماعيل الهروي وآراؤه الاعتقادية لأمل الموسى (١/ ١٨٦- رسالة دكتوراه).

(١) معاوية بن الحكم السلمي، صحابي، كان يسكن بني سليم وينزل المدينة، قال البخاري: يعد في أهل الحجاز. روى عن النبي ﷺ بعض الأحاديث ولم أجد من أرخ لوفاته.
انظر: الإصابة (٣/ ٤١١)، وتقريب التهذيب (ص٩٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٩٤)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، وأبو داود في كتاب الصلاة، (٣/ ٥٨٧-٥٨٨)- دعاس -باب تشميت العاطس في الصلاة، والبخاري في جزء القراءة خلف الإمام (ص٢٠-٢١).

خشب، فراغوا فقالوا: هذا حكاية عبر بها عن القرآن، والله تكلم مرة ولا يتكلم بعد ذلك، ثم قالوا: غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر.

وهذا من فخوخهم يصطادون به قلوب عوام أهل السنة، وإنما اعتقادهم أن القرآن غير موجود، لفظته الجهمية الذكور بمرة، والأشعرية (ع/٣٣ب) الإناث بعشر مرات.

وأولئك قالوا: لا صفة، وهؤلاء يقولون: وجه كما يقال وجه النهار، ووجه الأمر، ووجه الحديث، وعين كعين (د/١٢٢) المتاع، وسمع كأذن الجدار، وبصر كما يقال جدارهما يتراءيان، ويد كيد المنة والعطية، والأصابع كقولهم:خراسان بين اصبعي الأمير، والقدمان كقولهم:جعلت الخصومة تحت قدمي، والقبضة كما قيل: فلان في قبضتي، أي أنا أملك أمره.

وقالوا: الكرسي: العلم، والعرش: الملك، والضحك: الرضى، والاستواء: الاستيلاء، والنزول القبول، والهرولة مثله، فشبهوا من وجه، وأنكروا من وجه، وخالفوا السلف، وتعدوا الظاهر، وردوا الأصل، ولم يثبتوا شيئًا، ولم يبقوا موجودا، ولم يفرقوا بين التفسير والعبارة بالألسنة، فقالوا:لا نفسرها نجريها عربية كما وردت.

وقد تأولوا تلك التأويلات الخبيثة؛ أرادوا بهذه المخرقة أن يكون عوام المسلمين أبعد غيابًا، وأعيا ذهابًا منها؛ ليكونوا أوحش عند ذكرها؛ وأشمس عند سماعها، وكذبوا، بل التفسير أن يقال وجه، ثم يقال كيف؟ وليس كيف في هذا الباب من مقال المسلمين.

فأما العبارة فقد قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة:٦٤]، وإنما قالوا هم بالعبرانية، فحكاها عنهم بالعربية، وكان يكتب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابه بالعربية فيها أسماء الله وصفاته؛ فيعبر بالألسنة عنها، ويكتب إليه بالسريانية فيعبر له زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] بالعربية، والله تعالى يدعى بكل لسان بأسمائه، فيجيب ويحلف بها فيلزم، وينشد فيجار، ويوصف فيعرف.

ثم قالوا: ليس ذات الرسول بحية، وقالوا: ما هو بعد ما مات بمبلغ[2]، فيلزم به الحجة، فسقط من أقاويلهم ثلاثة أشياء:أن ليس في السماء رب، ولا في الروضة رسول، ولا في الأرض كتاب، كما سمعت يحيى بن عمار[3]، يحكم به عليهم وإن كانوا[4] موهوها، ووروا عنها واستوحشوا من تصريحها، فإن حقائقها لازمة لهم. وأبطلوا التقليد، فكفروا آباءهم وأمهاتهم وأزواجهم وعوام المسلمين، وأوجبوا النظر في الكلام، واضطروا إليه بزعمهم، فكفروا السلف، وسموا الإثبات تشبيها؛ فعابوا القرآن، وضللوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (د/ ٢٢ب)، فلا تكاد ترى منهم رجلًا ورعًا نولا للشريعة معظمًا، ولا للقرآن محترمًا، ولا للحديث موقرًا، سلبوا التقوى، ورقة القلب، وبركة التعبد، ووقار الخشوع، واستفضلوا الرسول.

فانظر إلى أحدهم فلا هو طالب أثره، ولا (ع/ ٣٥أ) متبع أخباره، ولا مناضل

---

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان الأنصاري البخاري، أبو سعيد وأبو خارجة، صحابي مشهور، كاتب الوحي، قال مسروق: كان من الراسخين في العلم. مات سنة (٤٥هـ) أو (٤٨هـ). انظر: التقريب (ص٢٢٢).

(٢) لأنهم قالوا: إن الروح عرض، فالزمهم أهل السنة بانتفاء الرسالة بعد موته.

(٣) يحيى بن عمار بن يحيى بن عمار أبو زكريا الشيباني النيهلي السجستاني، توفي سنة (٤٢٢هـ). انظر: السير (١٧/ ٤٨١).

(٤) في (ع، د):«كان» والتصويب من ذم الكلام.

عن سنته، ولا هو راغب في أسوته، يتقلب بمرتبة العلم، وما عرف حديثًا واحدًا، تراه يهزأ بالدين، ويضرب له الأمثال، ويتلعب بأهل السنة ويخرجهم أصلًا من العلم، لا تنفر لهم عن بطانة إلا خانتك نولا عن عقيدة إلا رابتك، ألبسوا ظلمة الهوى، وسلبوا هيبة الهدى، فتنبو عنهم الأعينن وتشمئز منهم القلوب» انتهى.

قوله:

ولأجـــل ذا ضحـى بجـعـد خا لد القسري.......................... إلخ

أي: ولأجل إنكار الخلة والكلام ضحى خالد بن عبد الله القسري بالجعد بن درهم يوم الأضحى.

ولهذا قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك مـــن اخـــي قربـــان

وهو خالد بن عبد الله القسري[1] -بفتح القاف- قال في «تهذيب الكمال»: «خالد بن عبد الله بن يزيد بن كرز بن عامر البجلي القسري، أمير مكة للوليد بن عبد الملك[2]، وسليمان بن عبد الملك[3]، وأمير العراقين لهشام بن عبد الملك»[4].

---

(١) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري أبو القاسم. قال ابن عدي: أحاديثه كلها لا يتابع عليها لا إسنادًا ولا متنًا، ولم أرَ لهم فيه قولًا، بل غفلوا عنه، وهو عندي ضعيف، مات سنة (١٢٦هـ). انظر: السير (٥/ ٤٢٥)، وتهذيب الكمال (٨/ ١٠٨).

(٢) الخليفة، أبو العباس، الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، بويع بعهد من أبيه. فتح بوابة الأندلس، وبلاد الترك. توفي سنة (٩٦) هـ. انظر: السير (٤/ ٣٤٧).

(٣) سليمان بن عبد الملك بن مروان أبو أيوب الخليفة الأموي، ولي الخلافة يوم وفاة أخيه، مات سنة (٩٩هـ). انظر: الأعلام (٣/ ١٣٠).

(٤) هشام بن عبد الملك بن مروان، الخليفة أبو الوليد القرشي الأموي، استخلف بعهد معقود له من أخيه يزيد، مات سنة (١٢٥هـ). انظر: السير (٥/ ٣٥١)، شذرات الذهب (٢/ ١٠٢).

وقال البخاري[١]: «خالد بن عبد الله القسري، البجلي اليماني، كان[٢] بواسط[٣]، ثم قتل بالكوفة».

وقال أبو المليح الرقي[٤]: «سمعت خالد بن عبد الله يقول على المنبر: قد اجتمع من فيئكم هذا ألفي ألف لم يظلم فيها مسلم ولا معاهد».

وقال عبد الله بن أحمد بن زبر[٥]: ثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور[٦] ثنا الأصمعي[٧] قال: ثنا عبد الله بن نوح قال: «سمعت خالد بن عبد الله يقول: إني لأعشي كل ليلة تمرًا وسويقًا ستة وثلاثين ألفًا»[٨].

---

(١) في التاريخ الكبير (٣/ ١٥٨).

(٢) عبارة الأصل «قال البخاري: كان خالد بن عبد الله...»إلخ، وهي عبارة مقحمة من الناسخ، وعبارة البخاري كما في تاريخه «خالد بن عبد الله...» بدون «كان» في أوله.

(٣) واسط: مدينة في العراق سميت بهذا الاسم لتوسطها بين البصرة والكوفة؛ لأن المسافة بينها وبين البصرة خمسون فرسخًا، وبينها وبين الكوفة خمسون فرسخًا، وبالكيلو متر، فالمسافة بين واسط والبصرة ٢٤٠ كيلو متر، وبين واسط والكوفة كذلك؛ لأن الفرسخ يساوي ثلاثة أميال، والميل يساوي (٦/ ١) كيلو متر. انظر: معجم البلدان (٥/ ٤٠٠-٤٠٧).

(٤) الحسن بن عمر الرقي، سمع ميمون بن مهران والزهرى ثقة من الثامنة. التقريب (ص٢٤١) مات سنة (١٥٣هـ). انظر:الكاشف (١/ ١٨٠).

(٥) في النسخ «عبد الرحمن بن أحمد بن زيد» وهو تحريف، وهو عبد الله بن أحمد بن زبر منسوب إلى جده زبر، وهو عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن زبر القاضي تفرد بأشياء، قال الخطيب: كان غير ثقة، مات سنة (٣٢٩هـ). انظر: لسان الميزان (٣/ ٧١٣).

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن منصور، المحدث المُعمَّر أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن منصور الحارثي البصري، لقبه كُرْبُزان، حدث بأشياء لم يتابع عليها، وقال الدارقطني وغيره: ليس بالقوي. انظر: السير (١٣/ ١٣٨)، ميزان الاعتدال (٢/ ٥٨٦).

(٧) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الباهلي المعروف بـالأصمعي،أبو سعيد. أديب لغوي نحوي إخباري. مات بالبصرة سنة (٢١٦هـ).انظر: معجم المؤلفين (٦/ ١٨٧).

(٨) إسناد هذه القصة ضعيف، وقد رويت من غير طريق.

وقال الأصمعي: «دخل أعرابي على خالد بن عبد الله فقال: إني قد أنشدت فيك بيتين، ولست أنشدهما إلا بعشرة آلاف وخادم، فقال (ع/ ٣٥ب): له خالد: قل، فأنشأ يقول:

لزمت نعم حتى كأنك لم تكن سمعت من الأشياء شيئًا سوى نعم (د/ ٣٢أ)
وأنكرت لا حتى كأنك لم تكن سمعت بها في سالف الدهر والأمم

فقال خالد: يا غلام عشرة آلاف وخادم، فحملها.

قال: ودخل عليه أعرابي فقال إني قد قلت فيك شعرًا وأنشأ يقول:

أخالد إني لم أزرك لحاجة سوى أنني عاف وأنت جواد
أخالد إن الحمد والأجر حاجتي فأيهما يأتي وأنت عماد

فقال له: سل يا أعرابي، قال: قد جعلت المسألة إليَّ، أصلح الله الأمير: مائة ألف درهم. قال: أكثرت يا أعرابي، قال: أفأحطك أصلح الله الأمير، قال: نعم، قال حططتك سبعين ألفًا.

فقال له خالد: يا أعرابي ما أدري من أي أمر يك أعجب، فقال له: إنك لما جعلت المسألة لي سألتك على قدرك وما تستحقه في نفسك، فلما سألتني أن أحطك حططتك على قدري، وما أستأهله. فقال له خالد: والله يا أعرابي لا تغلبني يا غلام مائة ألف، فدفعها إليه».

قال خليفة[1]: «قتل خالد سنة ست وعشرين ومائة، وهو ابن نحو ستين سنة» انتهى مختصرًا، وقد تقدمت ترجمة الجهم.

---

(١) في تاريخه (١/ ٢٧٦). وخليفه بن خياط أبو عمرو العصفري البصري الإمام الحافظ العلَّامة الإخباري، الملقب بـ(شهاب)، قال في التقريب: صدوق ربما أخطأ من العاشرة. مات سنة (٢٤٠هـ) السير (١١/ ٤٧٢)، والتقريب (ص٣٠١).

وأما الجعد فهو ابن درهم، قال بخلق القرآن، هو الذي كان ينسب إليه مروان الجعدي، أصله من حران ويقال إنه من موالي بني مروان، وسكن دمشق.

قال الحافظ ابن عساكر[(١)]: «وقد أخذ بدعته عن بيان بن سمعان[(٢)]، وأخذها بيان عن طالوت بن أخت لبيد بن أعصم وزوج ابنته عن لبيد ابن أعصم الساحر -لعنه الله-، وأخذ عن الجعد: الجهم بن صفوان الجريري، وقيل الترمذي.

وأقام ببلخ[(٣)]، وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان[(٤)] في مسجده، ويتناظران

---

(١) في تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٥٥) والحافظ ابن عساكر: هو علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي المعروف بابن عساكر، ثقة متقن حافظ إمام أهل الحديث في زمانه، صاحب التصانيف المشهورة لكنه أشعري متعصب. مات سنة (٥٧١هـ). انظر: شذرات الذهب (٦/ ٣٩٥).

(٢) سبق ترجمته.

(٣) مدينة صغيرة في أفغانستان، وتبعد حوالي عشرين كيلا عن مزار شريف، وكان بها النوبهار، وهو أعظم بيت من بيوت الأصنام، لما سمع ملوك ذلك الزمان بشرف الكعبة واحترام العرب إياها، بنوا هذا البيت مضاهاة لها، وزينوه بالديباج والحرير والجواهر النفيسة ونصبوا الأصنام حوله، وكان يعظم وتحج الناس إليه، وتهدي إليه الهدايا، وكان البرامكة وملوك الهند والصين، يأتون إليه، فإذا وافوا سجدوا للصنم وقبلوا يد برمك، وكان برمك يحكم تلك البلاد كلها، فلم يزل برمك بعد برمك إلى أن فتحت خراسان في أيام عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانتهت السلالة إلى برمك أبي خالد، فرغب في الإسلام، وسار إلى عثمان، وضمن المدينة بالمال.
انظر: معجم البلدان (١/ ٥٦٨)، آثار البلاد (ص٣٣١).

(٤) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني البلخي صاحب التفسير، قال الذهبي في الكاشف: «متروك، لقيه علي بن الجعد»، وقال الحافظ: «كذبوه وهجروه ورمي بالتجسيم». مات سنة (١٥٠هـ).
انظر: تهذيب الكمال (١٠/ ٧٤)، وتقريب التهذيب (ص٩٦٨)، والكاشف (٣/ ١٥٤).
وذكر الحافظ أبو زرعة العراقي في ذيل الكاشف أنهما اثنان،فذكر نفس الاسم في ذيله استدراكًا على الذهبي في الكاشف، وزعم بأنه مات سنة (١٨٠هـ)، وهو وهم قطعًا، ولعله خلط بين مقاتل بن حيان ومقاتل ابن سليمان فكلاهما: ابن دوال دوز كما في تهذيب الكمال (١٠/ ٧٢) (١٠/ ٧٤) وكلاهما روى عن الضحاك، لكن الثاني لما رأى تعطيل جهم غلا في الإثبات حتى وصل إلى التشبيه، أما الأول فثقة وعالم صالح، فلا يوجد من اسمه مقاتل بن سليمان في نفس الطبقة، روى عن الضحاك إلا البلخي أبو الحسن لا غير، والله أعلم.

حتى نفي إلى ترمذ[(١)]، ثم قتل بأصبهان وقيل بمرو[(٢)]، وقتله نائبها سلم بن أحوز رَحِمَهُ اللَّهُ وجزاه عن المسلمين خيرًا.

وأخذ بشر المريسي عن الجهم، وأخذ أحمد بن أبي دؤاد[(٣)] عن بشر. وأما الجعد؛ فإنه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن، فتطلبه بنو أمية، فهرب منهم (د/ ٢٣ب) فسكن الكوفة، فلقيه بها الجهم بن صفوان، فتقلد عنه هذا القول، ثم قتله خالد بن عبد الله القسري يوم أضحى بالكوفة.

وقد روى البخاري في كتاب خلق «أفعال العباد»[(٤)] وابن أبي حاتم في كتاب السنة[(٥)] وغير واحد ممن صنف في كتب السنة ....

(١) ترمذ: بفتح التاء وكسر الميم على المشهور، وهي مدينة قديمة في جمهورية أوزبكتان، وكانت لها شهرة عظيمة في تاريخ الإسلام، فتحها المسلمون عام (٨٥هـ)، في عهد الدولة، وتعتبر من أمهات المدن، مطلة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، وقد خرَّجت عددًا من علماء الحديث منهم الإمام الترمذي صاحب الجامع. انظر: معجم البلدان (٢/ ٣١-٣٢).

(٢) أشهر مدن خراسان وأعظمها، وتسمى «مرو الشاهجان» وهو السلطان لجلالتها عندهم، والنسبة إليها مروزي على غير القياس، وبها نهران عظيمان يقال لهما: الرزيق والماجان، وهما نهران كبيران حسنان يخترقان شوارعها ومنهما تسقى أكثر ضياعها، وقد خرَّجت عددًا كبيرًا من العلماء، وتميز أهلها بلين الجانب، وحسن العشرة وتميزت بكثرة كتب الأصول المتقنة، وبها خزائن للوقف كثيرة حتى جاء التتار وخربوها وعبثوا بخزائنها، ومنها مرو الشاهجان لأن الجان هي النفس، أو الروح والشاه، والمرو هو الحجارة البيضاء التي توقد بها النار، مع أن تلك البلاد ليس بها تلك الحجارة. انظر: معجم البلدان (٥/ ١٣٢-١٣٦) بتصرف.

(٣) هو أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري ثم البغدادي رأس الجهمية، ورأس فتنة القول بخلق القرآن، مات مفلوجًا سنة (٢٤٠هـ). انظر: تاريخ بغداد (٤/ ١٤١-١٥٦)، والسير (١١/ ١٦٩-١٧١)، وميزان الاعتدال (١/ ٩٧)، والنجوم الزاهرة (٢/ ٣٠٢)، شذرات الذهب (٢/ ٩٣).

(٤) خلق أفعال العباد (١/ ٥).

(٥) كما في شرح أصول اعتقاد أهل السنه والجماعة اللالكائي (٣/ ٣٨٢)، والسنة للخلال (٤/ ٢٧٤).

كالطبراني[١] وابن أبي عاصم[٢] وعبد الله بن أحمد: «أن خالد بن عبد الله القسري خطب الناس في عيد أضحى فقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد (ع/ ١٣٦) بن درهم؛ أنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علوًّا كبيرًا، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر»[٣].

---

(١) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني، الإمام الحافظ الثقة محدث الإسلام، صاحب المعاجم الثلاثة، مات سنة (٣٦٠هـ). انظر: السير (١٦/ ١١٩).

(٢) أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل الشيباني أبو بكر، عالم بالحديث، زاهد، رحالة، مات سنة (٢٨٧هـ). انظر: الأعلام (١/ ١٨٩).

(٣) أخرج هذه القصة البخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٩- ١٠)، وعزاها ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٢١) لابن أبي حاتم في السنة، وذكرها الخلال في السنة (٥/ ٨٧)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص٧)، واللالكائي في شرح السنة (٢/ ٣١٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٠٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٤٢٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥/ ٤٨٧)، وابن الأثير في اللباب (٣/ ٣٩٢) ط. دار صادر، وذكرها من المتأخرين المزي في تهذيب الكمال (٨/ ١١٨)، وابن تيمية في المنهاج (٣/ ١٦٥)، وابن القيم في الصواعق (٣/ ١٠٧١)، وابن العماد في شذرات الذهب (١/ ١٦٩) وساقوها مساق الاحتجاج بها، وقد شكك عدد من الكتاب في صحة القصة، مع أن شهرتها تغني عن إسنادها.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام (٧/ ٣٣٨): «وهذه القصة مشهورة رواها قتيبة بن سعيد والحسن بن الصباح وعثمان بن سعيد الدارمي عن أبي سفيان المعمري...» ومما يدل على صحة الواقعة ما يلي:

أولًا: أن هذه القصة حدثت في عصر التابعين الذين وقفوا من تلك البدعة موقفًا حازمًا، ولما بلغهم قتلُ خالدٍ جعدًا، شكروا ذلك.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٠٣): «وقد روى أن ذلك بلغ الحسن البصري وأمثاله من التابعين فشكروا ذلك». =

قال غير واحد من الأئمة: «كان الجعد بن درهم من أهل الشام، وهو مؤدب مروان الحمار، ولهذا يقال له: مروان الجعدي نسبة إليه»[(١)].

وذكره الحافظ ابن عساكر في «التاريخ»[(٢)] وذكر: «أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه[(٣)]، وأنه كان كلما راح إلى وهب يغتسل ويقول: إنه أجمع للعقل، وكان يسأل وهبا عن ماهية الله عَزَّوَجَلَّ.

فقال له وهب يومًا: ويلك يا جعد، أنقص المسألة؛ إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يدًا؛ ما قلنا ذلك، وأن له عينًا ما قلنا ذلك».

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

والعبد عندهم فليس بفاعل	**بل فعله كتحرك الرجفان**
وهبوب ريح أو تحرك نائم	**وتحرك الأشجار للميلان**
والله يصليه على ما ليس من	**أفعاله حر الحميم الآن**
لكن يعاقبه على أفعاله	**فيه تعالى الله ذو الإحسان**

= ثانيًا: أن ميمونًا بن مهران (ت١١٧) -وهو من أقران مكحول والحسن والزهري- هو الذي رفع أمر الجعد لهشام بن عبد الملك وأعد الشهود الذين شهدوا على جعد بالكفر، كما ذكر ذلك البلاذري في أنساب الأشراف (٨/ ٢٤١).

ثالثًا: أن جعدًا لما أظهر بدعته وعلم بذلك هشام بن عبد الملك طلبه فهرب، فأرسل في أثره حتى ظفر به فسيره إلى خالد القسري ليقتله كما في الكامل لابن الأثير (٥/ ٤٢٩).

(١) انظر: البداية والنهاية (٩/ ٤٠٤-٤٠٥) والسير (٥/ ٤٣٣)، واللسان (٢/ ١٨٦-١٨٧)، والنجوم الزاهرة (١/ ٣٢٢)، والوافي بالوفيات (١١/ ٨٦) وغيرها.

(٢) تاريخ دمشق (٦٣/ ٣٧٨). وانظر: البداية والنهاية (٩/ ٣٥٠).

(٣) وهب بن منبه بن كامل اليماني، الأبناوي، ثقة من الثالثة. انظر: التقريب (ص٥٨٥).

والظلم عندهم المحال لذاته[١] أنى ينزه عنه ذو السلطان[٢]

ويكون مدحا ذلك التنزيه ما هذا بمعقول لذي الأذهان

أي: والعبد عند الجهمية ليس بفاعل، بل هو مجبور على أفعاله؛ ولذلك قال الناظم:

.... بل فعله كتحرك الرجفان

أو تحرك الأشجار عند هبوب الريح.

---

(١) في هامش (د) -بخط آخر غير خط المؤلف-:« قوله [والظلم...] إلخ، معناه: أن الظلم ممتنع لذاته، غير مقدور، كما صرح بذلك الأشعري والقاضي أبو بكر وأبو المعالي، والقاضي أبو يعلى وابن الزاغوني وغير هؤلاء، يقولون: «إنه يمتنع أن يوصف بالقدرة على الكذب والظلم وغيرها من القبائح، ولا يصح وصفه بشيء من ذلك».
قالوا: والدلالة على استحالة وقوع الظلم والقبيح؛ أن الظلم والقبيح ما شرع الله وجوب ذم فاعله، وذم الفاعل لما ليس من فعله، ولن يكون كذلك حتى يكون متصرفًا فيما غيره أملك به، وبالتصرف فيه منه، فوجب استحالة ذلك في حقه من حيث لم يكن آمرًا لنا بذمه، ولا كان، ممن يجور دخول أفعاله تحت تكليف من نفسه لنفسه، ولا يكون فعله تصرفًا في شيء غيره أملك به، فثبت بذلك استحاله تصوره في حقه.
وحقيقة قول هؤلاء: أن الذم إنما يكون من تصرف في ملك غيره، ومن عصى الأمر الذي فوقه. والله تعالى يمتنع أن يأمره أحد ويمتنع أن يتصرف في ملك غيره؛ فإن له كل شيء.
وهذا القول يروى عن إياس بن معاوية كما ذكره الشارح. اهـ. «منهاج»، ومعناه أن الجهمية تقول: أنه لا اختيار للعبد في أفعاله ولا إرادة له في ذلك، وإنما الله الذي فعل به ذلك. وعلى ذلك إذا عذبه يكون ظالمًا له، وإذا عذبه على فعله فيه، مع قولهم: إن الظلم محال لذاته.
وقوله: (أنى ينزه عنه...إلخ) معناه أنه إذا كان الظلم محالًا منه، فكيف ينزه عنه، وتنزيهه عنه ليس بمدح. هذا معنى قولهم».انتهى مانقلته من هامش (د)، وفيه أخطاء، تم تصحيحها من منهاج السنة (٣/ ٢٠-٢١).

(٢) في هامش (د) تعليق آخر بخط مغاير «قوله أنى ينزه...» إلخ: أي كيف ينزه، وأنتم تقولون: يعاقبه على أفعاله فيه! هذا تناقض وهو الظلم. تعالى الله» اهـ.

وقوله:

.... المحال لذاته ....

وذلك كالجمع بين الضدين وجعل (د/ ٢٤أ) الجسم الواحد في مكانين.

وأما المحال لغيره: فهو كإيمان من علم الله تعالى أنه لا يؤمن، وذلك؛ لأن الله تعالى أنزل الكتب وبعث الرسل بطلب الإيمان والاسلام من كل واحد، وكلفهم ذلك، وعلم أن بعضهم لا يؤمن.

وفي الحديث القدسي حديث أبي ذر في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه[(١)] قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي... إلخ**»[(٢)].

وفيه مسألتان[(٣)]:

أحداهما[(٤)]: في الظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه، ونفاه عن نفسه لقوله: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ ﴾ [هود:١٠١]، وقوله: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩]، وقوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق:٢٩]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء:٤٠]، فإن الناس تنازعوا في معنى هذا الظلم تنازعًا صاروا فيه بين طرفين متباعدين ووسط بينهما، وخيار الأمور أوساطها؛ وذلك بسبب البحث ومجامعته للشرع؛ إذ الخوض في ذلك بغير علم تام أوجب ضلال عامة الأمم؛ ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن التنازع فيه[(٥)].

---

(١) في صحيح مسلم «فيما يروي عن الله تعالى».

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٩٩-٣٠٠).

(٣) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/ ٤٠٢) ط. دار المعرفة.

(٤) في الأصل «أحدهما» وهو خطأ.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٥٩) من طريق إسماعيل عن داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن نفرًا كانوا جلوسًا بباب النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض: ألم يقل الله كذا وكذا، =

فذهب المكذبون بالقدر -القائلون بأن الله لم يخلق أفعال (ع/٣٧ب) العباد ولم يرد أن يكون إلا ما أمر بأن يكون- وغلاتهم المكذبون بتقدم علم الله، وكتابه بما سيكون من أفعال العباد من المعتزلة وغيرهم - إلى أن الظلم منه: هو نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض، وشبهوه ومثلوه في الأفعال[1] بأفعال عباده؛ حتى كانوا ممثلة الأفعال، وضربوا لله الأمثال، ولم يجعلوا له المثل الأعلى، بل أوجبوا عليه وحرموا ما رأوا أنه يجب على العباد ويحرم؛ بقياسه على العباد وإثبات الحكم في الأصل بالرأي.

وقالوا عن هذا: إذا أمر العبد ولم يعنه بجميع ما يقدر عليه من وجوه الإعانة كان ظالمًا له، فالتزموا أنه لا يقدر على أن يهدي ضالًّا، كما قالوا إنه لا يقدر أن يُضِل مهتديًا.

وقالوا عن هذا: إذا أمر اثنين بأمر واحد، وخص أحدهما بإعانته (د/ ٢٤ب) على فعل المأمور كان ظالمًا.

إلى أمثال ذلك من الأمور التي هي من باب الفضل والإحسان؛ جعلوا تركه لها ظلمًا، وكذلك ظنوا أن التعذيب لمن قام به سبب استحقاق ذلك، ومن لم يقم وإن كان ذلك الاستحقاق قد خلقه لحكمة أخرى عامة أو خاصة.

وهذا الموضع زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام.

فعارض هؤلاء آخرون من أهل الكلام المثبتين للقدر فقالوا: ليس للظلم منه حقيقة يمكن وجودها، بل هو من الأمور الممتنعة لذاتها؛ فلا يجوز أن يكون

=وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا، فسمع ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخرج فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان فقال: «بهذا أمرتم أو بهذا بعثتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض...» الحديث. إسناده حسن.

(١) في النسخ الخطية «بالأفعال»، والتصويب من الفتاوى الكبرى، وهو المناسب لسياق الكلام.

مقدورًا، ولا أن يقال إنه تارك له باختياره ومشيئته؛ وإنما هو من باب الجمع بين الضدين، وجعل الجسم الواحد في مكانين، وقلب القديم محدثًا والمحدث قديمًا، وإلا فمهما قُدِرَ وجوده في الذهن وكان وجوده ممكنًا، والله قادر[1] فليس بظلم، سواء فعله أو لم يفعله، وتلقى هذا القول عن هذه الطوائف من أهل الإثبات من الفقهاء وأهل الحديث من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم.

وربما تعلقوا بظاهر أقوال مأثورة كما روينا عن إياس بن معاوية[2] أنه قال ما ناظرت أحدًا بعقلي كله إلا القدرية، قلت لهم: ما الظلم قالوا: أن تأخذ ما ليس لك أو تتصرف فيما ليس لك، قلت: فلله كل شيء[3].

و[ليس] هذا من إياس [إلا] ليبين أن التصرفات الواقعة [هي] في ملكه، فلا يكون ظلمًا بموجب حدهم[4].

وهذا لا نزاع بين أهل الإثبات فيه؛ فإنهم متفقون مع الإيمان بالقدر على أن كل ما فعله الله فهو عدل؛ وفي حديث الكرب الذي رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود (ع/١٣٨أ) قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أصاب عبد قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك،**

(١) في (ع) بعد هذه الكلمة وضع هذه العلامة (﴿).

(٢) إياس بن معاوية بن قرة المزني، قاضي البصرة، وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء، ثقة من الخامسة. مات سنة (١٢٢هـ). انظر: التقريب (ص١٥٧)، والأعلام (٢/ ٣٣).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٢٤)، والبيهقي في الاعتقاد (ص١٥٠) ط. دار الآفاق الجديدة، والفرياني في القدر (ص٢٣٥) ط. دار ابن حزم، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠/ ١٥)، وغيرهم من طرق عن حماد بن زيد عن حبيب بن الشهيد قال: سمعت إياسًا بن معاويه يقول: «...فذكره».

(٤) يعني بموجب قياسهم، وهذا تعليق من ابن تيمية على كلام إلياس بن معاوية، كما في الفتاوى الكبرى، ومابين معكوفتين منه.

عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك (د/ ٢٥أ)، أو استأثرت به في علم الغيب عندك؛ أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله غمه وهمه وأبدله مكانه فرحًا».

قالوا: يا رسول الله، أفلا نتعلمهن؟ قال: «**بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن**»(١).

فقد بَيَّن أن كل قضائه في عبده عدل؛ ولهذا يقال: كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، ويقال: أطعتك بفضلك والمنة لك، وعصيتك بعدلك والحجة لك فأسألك بوجوب حجتك علي، وانقطاع حجتي إلا ما غفرت لي.

وهذه المناظرة من إياس، كما قال ربيعة بن عبد الرحمن(٢) لغيلان حين قال له غيلان: ناشدتك الله، أترى الله يحب أن يعصى؟

فقال: ناشدتك الله أترى الله يعصى قهرًا؟ فكأنما ألقمه حجرًا(٣).

فإن قوله: (يحب أن يعصى...) لفظ فيه إجمال. وقد لا يتأتى في المناظرة تفسير المجملات خوفًا من لدد الخصم، فيؤتى بالواضحات(٤)، فقال «أفتراه يعصى

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٩١) وفي إسناده أبو سلمة الجهني. قال الذهبي في الميزان (٤/ ٥٣٣): «لا يدرى من هو». وانظر: تعجيل المنفعة (٢/ ٤٧١) ط. دار الكتاب العربي.

(٢) غيلان بن مسلم الدمشقي، المشهور بغيلان القدري، أفتى الأوزاعي بقتله، فقتله هشام بن مروان، توفي في أوائل القرن الثاني. انظر: الكامل في الضعفاء (٦/ ٩)، لسان الميزان (٥/ ٤٢٤).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٨/ ٢٠٠) من طريق أبي بكر الشافعي عن عبد الله بن أبي الدنيا عن إسماعيل بن أبي الحارث عن كثير بن هشام عن عبد الله بن زياد قال قال غيلان ربيعة بن عبد الرحمن: «أنشدك الله...» بقية كلامه.

وأخرجه الفريابي في القدر (ص٢٨٨) عن الوليد بن عتبة الدمشقي عن أبي ضمره قال: «وقف غيلان على ربيعة بن عبد الرحمن...» فذكر كلامه.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ١٤٠).

قهرًا»؛ فإن هذا إلزام له بالعجز الذي هو لازم القدرية، ولمن هو شر منهم من الدهرية الفلاسفة وغيرهم، فكذلك إياس، رأى أن هذا الجواب المطابق لحدهم خاصم لهم، ولم يدخل معهم في التفصيل الذي يطول.

وبالجملة فقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا﴾ [طه:١١٢].

قال أهل التفسير من السلف: لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه سيئات غيره، ولا يهضم فينقص من حسناته، ولا يجوز أن يكون هذا الظلم هو شيء ممتنع غير مقدور عليه؛ فيكون التقدير: ولا يخاف ما هو ممتنع لذاته خارج عن الممكنات والمقدورات؛ فإن مثل هذا إذا لم يكن وجوده ممكنًا حتى تقولوا إنه غير مقدور، ولو أراده لخلق المثل، فكيف يعقل وجوده فضلًا عن أن يتصور خوفه؛ حتى ينفى خوفه.

ثم أي فائدة في نفي خوف هذا، وقد علم من سياق الكلام أن المقصود بيان أن هذا العامل المحسن يجزى على حسناته بلا ظلم ولا هضم؟ فعلم أن الظلم المنفي يتعلق (د/ ٢٥ب) بالجزاء، كما ذكره أهل التفسير وأن الله لا يجزيه إلا بعمله.

المسألة الثانية: إن الناس لهم في أفعال الله باعتبار ما يصلح منه، وما (ع/ ٣٩ب) يجوز منه، وما لا يجوز منه ثلاثة أقوال: طرفان ووسط.

فالطرف الواحد[1] طرف القدرية، وهم الذين حجروا عليه أن لا يفعل إلا ما ظنوا بعقولهم أنه الجائز له؛ حتى وضعوا له شريعة التعديل والتجويز.

فأوجبوا عليه بعقلهم أمورًا كثيرة، وحرموا عليه بعقلهم[2] أمورًا كثيرةً؛

(١) يعني الأول.

(٢) في (ع) «بعلقلهم» وهو خطأ، والتصويب من الفتاوى الكبرى.

لا بمعنى أن العقل آمرٌ له وناهٍ؛ فإن هذا لا يقوله عاقل، بل بمعنى أن تلك الأفعال علم بالعقل وجوبها وتحريمها، ولكن أدخلوا في ذلك من المنكرات ما بنوه على تكذيبهم بالقدر، وتوابع ذلك.

والطرف الثاني: طرف الغلاة في الرد عليهم، وهم الذين قالوا: لا ينزه الله عن فعل من الأفعال، ولا نعلم[1] وجه امتناع الفعل منه إلا من جهة خبره أنه لا يفعله، المطابق لعلمه أنه لا يفعله، وهؤلاء منعوا حقيقة ما أخبر؛ من أنه كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام:٥٤].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتابًا فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي**»[2].

أَوَ لَمَ يعلم هؤلاء أن الخبر المجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله وتركه؛ إذ الفعل يطابق المعلوم، فعلمه بأنه يفعل هذا وأنه لا يفعل هذا؛ ليس فيه تعرض لأنه كتب هذا على نفسه، وحرم هذا على نفسه، كما لو أخبر عن كائنٍ من كان أنه يفعل كذا، أولا يفعل كذا؛ لم يكن في هذا بيان لكونه محمودًا ممدوحًا على فعل هذا وترك هذا، ولا في ذلك ما يبين قيام المقتضي لهذا والمانع من هذا؛ فإن الخبر المحض كاشف عن المخبر عنه؛ ليس فيه بيان ما يدعو إلى الفعل، ولا إلى الترك، بخلاف قوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام:١٢]، وحرم على نفسه الظلم

---

(١) في النسخ الخطية: «ولايعلم» والمثبت من الفتاوى الكبرى.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (٤/ ٣١٠) باب قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، ومسلم في التوبة (٤/ ٤١٣).

(د/ ١٢٦أ)؛ فإن التحريم مانع من الفعل، وكتابته على نفسه داعية من الفعل، وهذا بين واضح؛ إذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته أنه يفعل؛ وهو كتابة التقدير، كما ثبت في الصحيح: «أنه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»[1].

فإنه قال: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:١٢]، ولو أريد كتابة التقدير؛ لكان قد كتب على نفسه الغضب كما كتب على نفسه الرحمة، إذ كان المراد مجرد الخبر عما سيكون، ولكان قد حرم على نفسه كل ما لم يفعله من الإحسان كما حرم الظلم.

ففرق بين فعله سبحانه، وبين ما هو مفعول مخلوق له، وليس في مخلوقه ما هو (ع/ ١٤٠أ) ظلم منه، وإن كان بالنسبة إلى فاعله الذي هو الإنسان هو ظلم، كما أن أفعال الإنسان هي بالنسبة إليه تكون سرقة وزنًا وصلاةً وصومًا، والله تعالى خالقها بمشيئته، وليس بالنسبة إليه كذلك.

إذ هذه الأحكام هي للفاعل الذي قام به هذا الفعل، كما أن الصفات هي صفات للموصوف الذي قامت به، لا للخالق الذي خلقها وجعلها صفات، والله تعالى خالق كل صانع وصنعته، كما جاء ذلك في الحديث[2] وهو خالق كل موصوف وصفته.

---

(١) أخرجه مسلم في القدر (٤/ ٣٤٨-٣٤٩) باب حجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٢/ ٦٦)، والبزار في مسنده (٧/ ١٥٨) ط. العلوم الحكم، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٠٩) من طرق عن على بن المديني عن مروان بن معاوية الفزاري عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة به.

وإسناده صحيح ورجاله ثقات غير مروان بن معاوية ثقة لكنه مدلس، وقد صرح بالسماع. =

ثم صفات المخلوقات ليست صفاتًا له، كالألوان والطعوم والروائح؛ لعدم قيام ذلك به، وكذلك حركات المخلوقات ليست حركات لهولا أفعال له بهذا الاعتبار؛ لكونها مفعولات هو خلقها. وبهذا الفرق تزول شبهٌ كثيرة.

والأمر الذي كتبه على نفسه يستحق عليه الحمد والثناء، وهو مقدس عن ترك هذا الذي لو تركه لكان تركه نقصًا، وكذلك الأمر الذي حرمه على نفسه يستحق الحمد والثناء على تركه، وهو مقدس عن فعله الذي لو كان؛ لأوجب نقصًا.

وهذا بين -ولله الحمد- عند الذين أوتوا العلم والإيمان، وهو أيضًا مستقرٌّ في عموم المؤمنين.

ولكن القدرية شبهوا على الناس بشبههم، فقابلهم من قابلهم بنوع من الكلام الباطل، كالكلام الذي كان السلف والأئمة يذمونه، وذلك أن المعتزلة قالوا: قد حصل الاتفاق على أن الله ليس بظالم كما دل عليه الكتاب والسنة، والظالم من فعل (د/٢٦ب) الظلم، كما أن العادل من فعل العدل، هذا هو المعروف عند الناس من مسمى هذا الاسم سمعًا وعقلًا.

قالوا: ولو كان الله خالقًا لأفعال العباد التي هي الظلم لكان ظالمًا(١).

= و تابعه الفضيل بن سليمان عن أبي مالك الأشجعي به:
أخرجه بن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٦) ط. الصميعي، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.
والفضيل بن سليمان صدوق له خطأ كبير.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٩٧) ط. دار الكتاب العربي: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن عبد الله أبي الحسن الكردي وهو ثقة».

(١) انظر: الفتاوى الكبرى (١/ ٤١١)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ١٥٣) والصفدية (١/ ٢٠٥)، دقائق التفسير (٢/ ١٤٤).

فعارضهم هؤلاء بأن قالوا: ليس الظالم من فعل الظلم، بل الظالم من قام به الظلم.

وقال بعضهم: الظالم من اكتسب الظلم وكان منهيًّا عنه.

وقال بعضهم: الظالم من فعل محرمًا عليه أو منهيًّا عنه.

ومنهم من قال: من فعل الظلم لنفسه، وهؤلاء يعنون أن يكون له [الناهي](١) والمحرم عليه غيره، الذي يجب عليه طاعته؛ ولهذا كان تصور الظلم منه ممتنعًا عندهم لذاته؛ كامتناع أن يكون فوقه آمر له ومساوٍ.

ويمتنع عند الطائفتين: أن يعود إلى الرب تعالى من أفعاله حكم لنفسه.

وهؤلاء لم يمكنهم أن ينازعوا أولئك في أن العادل من فعل العدل، بل سلموا ذلك لهم، وإن نازعهم بعض الناس منازعة عنادية.

والذي يكشف تلبيس المعتزلة أن يقال لهم: الظالم (ع/٤١ب) والعادل الذي يعرفه الناس -وإن كان فاعلًا للظلم والعدل- فذلك قائم به -أيضًا-، ولا يعرف الناس من يسمى ظالمًا ولم يقم به الفعل الذي صار به ظالمًا، بل لا يعرفون ظالمًا إلا من قام به الفعل الذي فعله وبه صار ظالمًا، وإن كان فعله متعلقًا بغيره، وله مفعول منفصل عنه، لكن لا يعرفون الظالم إلا بأن يكون قد قام به ذلك، فكونكم أخذتم في حد الظالم أنه من فعل الظلم وعنيتم بذلك من فعله في غيره.

فهذا تلبيس وإفساد للشرع والعقل واللغة، كما فعلتم في مسمى المتكلم؛ حيث قلتم هو من فعل الكلام ولو في غيره، وجعلتم من أحدث كلامًا منفصلًا عنه قائمًا بغيره متكلمًا، وإن لم يقم به هو كلامٌ أصلًا.

---

(١) مابين معكوفتين سقط من (ع، د)، واستدركناه من الفتاوى الكبرى.

وهذا من أعظم البهتان والقرمطة والسفسطة.

ولهذا ألزمهم السلف أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه، وكذلك -أيضًا- ما خلقه في الحيوانات، ولا يفرق حينئذ بين نطق وأنطق، وإنما قالت الجلود (د/ ١٢٧أ): ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت:٢١]، ولم تقل نطق الله بذلك.

ولهذا قال من قال من السلف كسليمان بن داود الهاشمي[1] وغيره ما معناه: إنه على هذا يكون الكلام الذي خلق في فرعون حين قال: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، كالكلام الذي خلقه في الشجرة حتى قالت: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه:١٤]؛ فإما أن يكون فرعون محقًّا، وإما أن تكون الشجرة كفرعون[2].

وإلى هذا المعنى تنحو الاتحادية من الجهمية وينشدون:

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه[3]

والمقصود الكلام على قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

والعبد عندهم فليس بفاعل

وسيأتي لهذا المقام زيادة بسط بحول الله تعالى في الكلام على قوله:

وقضى بأن الله ليس بفاعل .... إلخ

(١) سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي الفقيه.
قال الحافظ: «ثقة جليل، قال أحمد بن حنبل: يصلح للخلافة، من العاشرة، مات سنة تسع عشرة، وقيل بعدها». انظر: تهذيب الكمال (٤/ ٣٦٨) والتقريب (ص٤٠٧).

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى (١/ ٤١٢)، ومنهاج السنة (٥/ ٤٢٦)، وبغية المرتاد (١/ ٣٤٩).

(٣) الفتوحات المكية لابن عربي (٤/ ١٤) ط. دار صادر.

فصل

وكذاك قالوا ماله من حكمة ... هي غاية للأمر والإتقان
ما ثم غير مشيئة قد رجحت ... مثلا على مثل بلا رجحان
هذا وما تلك المشيئة وصفه ... بل ذاته أو فعله قولان
وكلامه مذ كان غيرا كان ... مخلوقا له من جملة الأكوان
قالوا وإقرار العباد بأنه ... خلاقهم هو منتهى الإيمان
والناس في الإيمان شيء واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن ... والاهم من عابدي الأوثان
وسل اليهود وكل أقلف مشرك ... عبد المسيح مقبل الصلبان
واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم ... أعداء نوح أمة الطوفان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف ... الخلاق أم أصبحت ذا نكران
واسأل شرار الخلق أعني أمة ... لوطية هم ناكحو الذكران
واسأل كذاك إمام كل معطل ... فرعون مع قارون مع هامان
هل كان فيهم منكر للخالق الرب ... العظيم مكون الأكوان
فليبشروا ما فيهم من كافر ... هم عند جهم كاملو الإيمان

أي: أن الجهمية نفت (ع/١٤٢) الحكمة في خلقه تعالى؛ فعندهم (د/٢٧ب) أنه لا حكمة في الأمر والنهي، بل ما ثم إلا الترجيح بمجرد المشيئة، بل خلق المخلوقات، وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة، وصرف الإرادة.

وهذا قول جمهور من يثبت القدر، وينتسب إلى السنة من أهل الكلام والفقه

وغيرهم، وهو قول أبي الحسن الأشعري وأصحابه، وهو قول كثير من نفاة القياس في الفقه من الظاهرية[١] كابن حزم وأمثاله[٢].

قال شيخ الإسلام[٣]: «لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان، والأكثرون على التعليل والحكمة، وهل هي منفصلة عن الرب لا تقوم به، أو قائمة، مع ثبوت الحكم المنفصل لهم فيه أيضًا قولان، وهل يتسلسل الحكم أو لا يتسلسل، أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي، فيه أقوال».

قال: «احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة:٣٢]، وقوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ [الحشر:٧]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة:١٤٣]، ونظائرها؛ ولأنه تعالى حكيم، شرع الأحكام لحكمة ومصلحة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

والإجماع واقع على اشتمال الأفعال على الحكم والمصالح جوازًا، عند أهل السنة، ووجوبًا عند المعتزلة فيفعل ما يريد بحكمته»[٤].

وقد أطال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه شرح منازل السائرين[٥] ومفتاح دار السعادة

---

(١) الظاهرية هم الواقفون عند ظواهر النصوص، من غير اعتبار القياس، بدعوى أن النصوص تفي بأحكام الوقائع حيثما تجددت، ومن مقتضى مذهبهم أن الحديث متى ثبت سنده صار قاعدة مستقلة بنفسها، يجب العمل به، من غير نظر للعلة، ومن غير أن تتحكم فيه القواعد المعتبرة بتخصيص أو تعميم، أو إطلاق أو تقييد... إلخ، يعني الجمود على النص. انظر: النبذ في أصول الفقه (ص١١٨).

(٢) انظر: شفاء العليل لابن القيم (١/ ٢٠٠) ط. دار الفكر، ومنهاج السنة (١/ ١٤٤).

(٣) منهاج السنة النبوية (٢/ ٣١٣).

(٤) لم أجد هذا النقل الآخر عن شيخ الإسلام.

(٥) مدارج السالكين (١/ ٩٢).

وغيرهما، فمما احتج به في مفتاح دار السعادة[1] قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً (ع/ ٤٣ب) مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية:٢١]، فدل على أن هذا حكم بشيء يتنزه الله عنه؛ فأنكره من جهة قبحه، لا من جهة كونه أنه لا يكون، ومن هذا إنكاره تعالى (د/ ١٢٨أ) على من جوز أن يترك عباده سدًى؛ لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم، وأن هذا الحسبان باطل، والله متعال عنه لمنافاته لحكمته فقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة:٣٦].

فأنكر سبحانه على من زعم أنه يترك سدىً؛ إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك، واستهجانه وأنه لا يليق أن ينسب ذلك إلى أحكم الحاكمين.

ومثله قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦]، فنزه نفسه سبحانه وباعدها عن هذا الحسبان، وأنه متعال عنه، فلا يليق به؛ لقبحه ومنافاته الحكمة.

وهذا يدل على إثبات المعاد بالعقل، كما يدل على إثباته بالسمع، ثم إنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسط القول، ووسع العبارة في أزيد من عشرة كراريس.

وفي منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام[2] قال: «أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة، ولكن تنازعوا في تفسير ذلك، فقالت طائفة: الحكمة ترجع إلى علمه بأفعال العباد، وإيقاعها على الوجه الذي أراده، ولم يثبتوا إلا العلم

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ١١) وما بعدها.

(٢) انظر: منهاج السنة (١/ ١٤١).

والإرادة والقدرة، وقال الجمهور من أهل السنة وغيرهم: بل هو حكيم في خلقه وأمره.

والحكمة ليست مطلق المشيئة؛ إذ لو كان كذلك لكان كل مريد حكيمًا، ومعلوم أن الإرادة تنقسم إلى محمودة ومذمومة، بل الحكمة تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة، والغايات المحبوبة، والقول بإثبات هذه الحكمة ليس هو قول المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة[1] فقط، بل هو قول جماهير طوائف المسلمين من أهل التفسير والفقه والحديث والتصوف والكلام وغيرهم.

فأئمة الفقهاء متفقون على إثبات الحكمة والمصالح في أحكامه الشرعية، وإنما تنازع في ذلك طائفة من نفاة القياس وغير نفاته، وكذلك ما في خلقه من المنافع والحكم والمصالح لعباده معلوم.

وأصحاب القول الأول كجهم بن صفوان وموافقيه، كالأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، يقولون: ليس في القرآن لام في تعليل أفعال الله (د/ ٢٨ب)، بل ليس فيه إلا لام العاقبة.

أما الجمهور فيقولون: لام التعليل داخلة (ع/ ١٤٤أ) في أفعال الله وأحكامه،

---

(١) **الشيعة**: اسم عام يطلق على كل من شايع عليًا، وقال إنه الإمام بعد رسول الله ﷺ، واعتقد أن الإمامة لا تخرج عنه، ولا عن أولاده.
وهم فرق كثيرة جدًّا: فمنهم من تخرجه بدعته عن الإسلام، ومنهم من لا تخرجه بدعته عن الإسلام، فمنهم الغلاة كالسبئية والكيسانية والخطابية والرافضة ومنهم غير الغلاة كالمفضلة، وللشيعة عمومًا آراءٌ متضاربة متناقضة، ومعتقداتهم قد تأثرت بجهات كثيرة: وثنية ومجوسية ويهودية ونصرانية وغيرها.
انظر: التعريفات للجرجاني (ص١٧١)، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (١/ ١٢٧-٢٧٠).

والقاضي أبو يعلى(١)، وأبو الحسن ابن الزاغوني(٢)، ونحوهما من أصحاب أحمد، وإن كانوا قد يقولون بالأول، فهم يقولون بالثاني أيضًا في غير موضع.

وكذلك أمثالهم من الفقهاء أصحاب مالك والشافعي وغيرهما.

وأما ابن عقيل في بعض المواضع، والقاضي أبو حازم ابن القاضي أبي يعلى(٣)، وأبو الخطاب(٤) فيصرحون بالتعليل والحكمة في أفعال الله؛ موافقة لمن قال ذلك من أهل النظر.

والحنفية هم من أهل السنة القائلين بالقدر، وجمهورهم يقولون بالتعليل والمصالح والكرامية(٥)، وأمثالهم هم أيضًا من القائلين بالقدر، والمثبتين لخلافة الخلفاء المفضلين لأبي بكر وعمر، وعثمان.

وهم -أيضًا- يقولون بالتعليل والحكمة، وكثير من أصحاب مالك والشافعي

---

(١) الشيخ الإمام الفقيه القدوة، محمد بن محمد بن الحسين بن الفراء البغدادي الحنبلي، أبويعلى، من كبار فقهاء الحنابلة في وقته، مات سنة (٤٥٨هـ). انظر: معجم المؤلفين (٩/ ٢٥٤).

(٢) الإمام العلامة شيخ الحنابلة، أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر بن الزاغوني البغدادي، مات في السابع عشر من المحرم سنة (٥٢٧هـ). انظر: السير (١٩/ ٦٠٥).

(٣) سبق.

(٤) الشيخ الإمام شيخ الحنابلة، محفوظ بن أحمد ابن حسن العراقي الكلوذاني ثم البغدادي الأزجي، مات سنة (٥١٠هـ). انظر: السير (١٩/ ٣٤٨).

(٥) فرقة إسلامية تنسب إلى «محمد بن كرَّام» الذي نشأ في سجستان (٢٥٦هـ)، وهم مجسمة، أطلقوا على الله لفظ «الجسم» وغلوا في إثبات الصفات حتى انتهى بهم الأمر إلى التشبيه والتجسيم، لكن الأشعري عدهم في المقالات من فرق المرجئة لقولهم: إن الإيمان هو التصديق دون اعتقاد القلب وعمل الجوارح، وقد عرفوا بالزهد والتقشف في العبادة، وقد تعددت فروعهم دون خلاف في الأصول، وكثر أتباعهم في خراسان، وما وراء النهر.

انظر: الملل والنحل (١/ ١٠٨)، ومقالات الإسلاميين (ص١٤١)، وخطط المقريزي (٢/ ٣٥٧)، وشرح حديث النزول لابن تيمية (ص٢٤٤-حاشية).

وأحمد يقولون بالتعليل والحكمة، بل وبالتحسين والتقبيح العقليين، كأبي بكر القفال[(١)]، وأبي علي ابن أبي هريرة[(٢)]، وغيرهم من أصحاب الشافعي، وأبي الحسن التميمي[(٣)]، وأبي الخطاب من أصحاب أحمد» انتهى كلامه.

قوله:

وكلامه مذ كان.................. .... إلخ

أي إن كلام الله غيره عندهم، وما كان غير الله؛ فهو مخلوق بائن عنه، خلقه الله في بعض الأجسام، فمن ذلك الجسم ابتدأ ولا يقوم عندهم بالله كلام، بل ولا إرادة.

أقول: قد حقق الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ ذلك بما يزيل اللبس والإيهام فقال في كتابه «بدائع الفوائد»[(٤)]: «اللفظ المؤلف من الزاء والياء والدال -مثلاً- له حقيقة متميزة متحصلةٌ، فاستحق أن يوضع له لفظ يدل عليه؛ لأنه شيء موجود في اللسان، مسموع بالآذان[(٥)].

فاللفظ المؤلف من (همزة الوصل والسين والميم) عبارة عن اللفظ المؤلف من (الزاي والياء والدال) مثلًا واللفظ المؤلف من (الزاء والياء والدال) عبارة عن

(١) محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي الشافعي أبو بكر، فقيه، محدث، مفسر، أصولي، لغوي، شاعر، نشر مذهب الشافعي في بلاد ما وراء النهر، توفي بالشاش في ذي الحجة سنة (٣٦٥هـ)، وقيل (٣٦٦هـ) وقيل (٣٣٠هـ). من تصانيفه: شرح رسالة الشافعي، التقريب في ستة مجلدات، محاسن الشريعة. انظر: معجم المؤلفين (١٠/ ٣٠٨).

(٢) أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة البغدادي القاضي، شيخ الشافعية، توفي سنة (٣٤٥هـ). انظر: السير (١٥/ ٤٣٠).

(٣) عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن أبو الحسن التميمي، فقيه حنبلي، توفي سنة (٣٧١هـ). انظر: الأعلام (٤/ ١٦).

(٤) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٨).

(٥) في (ع، د) «بالأذان»، ولعل الصواب ما أثبتناه، والله أعلم.

الشخص الموجود في الأعيان والأذهان، وهو المسمى والمعنى، واللفظ الدال عليه هو الاسم وهذا اللفظ أيضًا قد صار مسمى، من حيث كان لفظ الهمزة والسين والميم (د/ ٢٩أ) عبارة عنه.

فقد بان لك أن الاسم في أصل الوضع ليس هو المسمى؛ ولهذا تقول: سميت هذا الشخص بهذا الاسم، كما تقول حليته بهذه الحلية، فالحلية غير المحلى، فكذلك الاسم غير المسمى.

وقد صرح بذلك سيبويه[١]، وأخطأ من نسب إليه غير هذا، وادعى أن مذهبه اتحادهما[٢].

قال الناظم[٣]: وما قال نحوي قط ولا عربي أن الاسم هو المسمى ويقولون: أجل مسمى، ولا يقولون أجل اسم، ويقولون: مسمى هذا الاسم كذا (ع/ ٤٥ب)، ولا يقول أحد: اسم هذا الاسم كذا، ويقولون: بسم الله، ولا يقولون بمسمى الله، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا**»[٤] ولا يصح أن يقال تسعة وتسعون مسمى. ونظائره كثيرة جدًّا.

وقال[٥]: وإذا ظهر الفرق بين الاسم والمسمى، فبقي هنا التسمية، وهي التي

---

(١) عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر المعروف سيبويه، إمام النحاة، مات سنة (١٨٠هـ). انظر: معجم المؤلفين (٨/ ١٠).

(٢) كما في تهذيب اللغة للأزهري (١٣/ ٧٩) حيث قال: «الاسم غير المسمى، قيل له: فما قولك؟ فقال: ليس لي فيه قول» اهـ. انظر: لسان العرب (١٤/ ٤٠٢).

(٣) في بدائع الفوائد (١/ ٢٩).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات (٤/ ٢٠١٣)، باب لله مائه اسم غير واحد، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (٤/ ٢٠٦٢) باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها.

(٥) بدائع الفوائد (١/ ٣٠).

اغتر بها من قال باتحاد الاسم والمسمى، والتسمية عبارة عن فعل المسمى ووضعه الاسم للمسمى، كما أن التحلية عبارة عن فعل المحلي ووضعه الحلية على المحلى، فهنا ثلاث حقائق: اسم، ومسمى، وتسمية، كحلية ومحلى وتحلية، وعلامة ومعلم وتعليم.

ولا سبيل إلى جعل اللفظين منها مترادفين على معنى واحد؛ لتباين حقائقها، فإذا جعل الاسم هو المسمى بطل واحد من هذه الحقائق الثلاثة ولا بد.

فإن قيل: ما شبهة من قال باتحادهما؟

فالجواب: شبهته أشياء منها أن الله تعالى هو وحده الخالق، وما سواه مخلوق، فلو كانت مخلوقة؛ للزم أن لا يكون له اسم في الأزل ولا صفة؛ لأن أسماءه صفات، وهذا أعظم ما قاد متكلمي الإثبات إلى القول باتحادهما.

والجواب عن كشف هذه الشبهة: أن منشأ الغلط في هذا الباب من إطلاق ألفاظ مجملة محتملة لمعنيين: حق وباطل، فلا ينفصل النزاع إلا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل ألفاظه عليها.

ولا ريب أن الله تعالى لم يزل ولا يزال موصوفًا بصفات الكمال، المشتقة أسماؤه منها، فلم يزل بصفاته وأسمائه وهو إله واحد له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وصفاته وأسماؤه داخلة في مسمى اسمه، وإن كان لا يطلق (د/ ٢٩ب) على الصفة أنها إله يخلق ويرزق، فليست صفاته وأسماؤه غيره، وليست هي نفس الإله.

وبلاء القوم من لفظه «الغير»، فإنها يراد بها معنيان:

أحدهما: المغاير لتلك الذات المسماة «بالله»، وكل ما غاير الله مغايرة محضة بهذا الاعتبار، فلا يكون إلا مخلوقًا.

ويراد به مغايرة الصفة للذات إذا جردت عنها،فإذا قيل: علم الله وكلام الله غيره، بمعنى أنه غير الذات المجردة عن العلم والكلام؛ كان المعنى صحيحًا، ولكن الإطلاق باطل، فإذا أريد أن العلم والكلام مغاير لحقيقتة المختصة التي امتاز بها عن غيره، كان باطلًا لفظًا ومعنى.

وبهذا أجاب أهل السنة المعتزلة القائلين بخلق القرآن، وقالوا: كلامه تعالى داخل في مسمى اسمه، فالله تعالى اسم للذات الموصوفة بصفات الكمال، ومن تلك الصفات:صفة الكلام، كما أن علمه وقدرته (ع/١٤٧) وحياته وسمعه وبصره غير مخلوقة، وإذا كان القرآن كلامه وهو صفة من صفاته، فهو متضمن لأسمائه الحسنى، فإذا كان القرآن غير مخلوق، ولا يقال أنه غير الله، فكيف يقال:إن بعض ما تضمنه، وهو أسماؤه مخلوقة، وهي غيره.

فقد حصحص الحق -بحمد الله- وانحسم الإشكال، وأن أسماءه الحسنى التي في القرآن من كلامه، وكلامه غير مخلوق، ولا يقال:هو غيره ولا هو هو، وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون: أسماؤه غيره وهي مخلوقة، ولمذهب من رد عليهم ممن يقول: اسمه نفس ذاته لا غيره.

وبالتفصيل تزول الشبهة ويتبين الصواب.

ثم ذكر حجج القائلين بأن الاسم هو المسمى وأجاب عنها، وأطال وأطاب، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ والله أعلم.

قوله:

وإقرار العباد بأنه خلاقهم   هو منتهى الإيمان

هذا بيان لمذهب جهم وأتباعه في الإيمان؛ وذلك أن مذهبهم:أن الإيمان هو

المعرفة والتصديق، أي الإقرار بالله تعالى وبأنه خالق العالم، والأقوال والأعمال عندهم ليست من الإيمان.

وهذا مذهب الصالحي(١) والشيخ أبي الحسن الأشعري(٢) في المشهور من قوليه.

وعندهم أن إيمان الناس (د/ ٣٠ب) سواء، وأن الإيمان لا يتفاضل، بل إيمان أصدق الناس وأبرهم كإيمان أفسقهم وأفجرهم؛ ولهذا قال الناظم:

والناس في الإيمان شيء واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان

ثم قال على سبيل الإلزام:

فاسأل ابا جهل وشيعته من ... والهم من عابدي الأوثان

وسل اليهود وكل أقف مشرك ... عبد المسيح مقبل الصلبان

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٥٤٤) جمع ابن قاسم.

(٢) علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن سالم الأشعري من نسل أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل. ولد سنة (٢٦٠هـ)، ومات سنة (٣٣٠هـ) على الأرجح.

كان على مذهب المعتزلة عدة سنين ثم رجع عن الاعتزال، واختلف في رجوعه، هل كان طورًا أو طورين: فبعضهم قال: بقي على طور واحد وتابع فيه ابن كلاب، نتج عنه مذهب الأشعري الذي توسط فيه بين رأي المعتزلة وأهل السنة، وقد يتغافلون عن كتاب الإبانة، أو يفسرون ما جاء فيه من الإثبات على طريقة التفويض.

وآخرون قالوا: مر بطورين:

الأول: التوسط والسير على طريقة ابن كلاب كما سبق.

والثاني: الإثبات والتخلي عن طريقة ابن كلاب، والسير على منهاج أهل السنة والجماعة كما في كتاب الإبانة.

انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، وتبيين كذب المفتري (٣٥- وما بعدها)، والسير (١٥/ ٨٥)، والعبر (٢/ ٢٣). وانظر: ما يتعلق بأطواره كتاب موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٣٦١) وما بعدها فقد أجاد وأفاد.

واسـأل ثمـود وعـاد بـل سـل قبلهم ... أعــداء نــوح أمـــة الـطـوفــان

واسأل أبا الجن اللعين أتعرف الـ ... خـلاق أم أصبـحـت ذا نـكـران

واســأل شــرار الخلـق أعنــي أمة ... لـوطـيـة هـم نـاكـحـو الذكران

واسـأل كـذاك إمـام كل معطل ... فـرعـون مــع قــارون مــع هـامـان

أي: إن جميع هؤلاء معترفون بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا كان الإيمان هو التصديق كما زعمت الجهمية، فليبشر هؤلاء أن ليس فيهم كافر على مذهب الجهمية لأنهم مصدقون بالله سبحانه والله أعلم.

فصل

وقضى بأن الله كان معطلا والفعل ممتنع بلا إمكان
ثم استحال وصار مقدورا له من غير أمر قام بالديان
بل حاله سبحانه في ذاته قبل الحدوث وبعده سيان

قوله:

وقضى .... إلخ

قال في النهاية[١]: «قد تكرر في الحديث ذكر القضاء، وأصله الفصل والقطع، يقال:قضى يقضي قضاء فهو قاض؛ إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء إحكامه وإمضاءه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق».

وقال الأزهري[٢]: «القضاء في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقطاع الشيء وإتمامه، وكل ما أحكم علمه أو أتم أو حتم أو أدي أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضي».

قال: «وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الأحاديث، ومنه القضاء المقرون بالقدر، فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس، وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما، فقد رام هدم البناء ونقضه» انتهى

أي: وقضى جهم وحكم بأن الله كان معطلًا في الأزل -تعالى الله عن ذلك-

---

(١) النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٢)، ط. المكتبة العلمية، ت: طاهر الزاوى ومحمود الطناحي.
(٢) كما حكاه عنه ابن منظور في اللسان (١٥/ ١٨٦).

لا يفعل شيئًا ثم فعل من غير أمر قام به سبحانه وذلك فرارًا من القول بدوام فاعلية الرب (د/ ٣٠ب).

ولنبسط الكلام على هذه المسألة بحول الله تعالى فنقول:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «المسألة المصرية في القرآن»[١]: «اعلم أن المتكلمين من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم، سلكوا في إثبات (ع/٤٧ب) حدوث العالم، وإثبات الصانع طريقة مبتدعة في الشرع، مضطربة في العقل، وأوجبوها، وزعموا أنه لا يمكن معرفة الصانع إلا بها، وتلك الطريق فيها مقدمات، لها نتائج مجملة.

فغلط كثير من سالكيها في مقصود الشارع ومقتضى العقل، فلم يفهموا ما جاءت به النصوص النبوية، ولم يحرروا ما اقتضته الدلائل العقلية؛ وذلك أنهم قالوا: لا يمكن معرفة الصانع إلا بإثبات حدوث العالم، ولا يمكن إثبات حدوث العالم إلا بإثبات حدوث الأجسام.

قالوا: والطريق إلى ذلك، هو الإستدلال بحدوث الأعراض على حدوث ما قامت به الأعراض، فمنهم من احتج بالحركة والسكون فقط، ومنهم من احتج بالأكوان التي هي عندهم: الاجتماع والافتراق والحركة والسكون، ومنهم من احتج بالأعراض مطلقًا، وبني الدليل على أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث؛ لامتناع حوادث لا أول لها[٢].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٢١٣).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٦٦٣) (٣/ ١١٨٧)، وغاية المرام في علم الكلام للآمدي (١/ ٢٦٨) ط.المجلس الأعلى.

فقال لهم المعارضون لهم من أهل الملل[١] وغيرهم: أنتم أثبتتم حدوث العالم بطريق، وحدوث العالم لا يتم إلا مع نقيض ما أثبتموه، فما جعلتموه دليلًا على حدوث العالم لا يدل على حدوثه بل ولا يستلزم حدوثه، والدليل لا بد أن يكون مستلزمًا للمدلول؛ بحيث يلزم من تحقق الدليل تحقق المدلول، بل هو مناف لحدوث العالم مناقض له، وهو يقتضي امتناع حدوث العالم، بل امتناع حدوث شيء من الأشياء.

وهذا يقتضي بطلانه في نفسه، وأنه لو صح لم يدل إلا على نقيض المطلوب، ونقيض ما يقوله كل عاقل؛ فإن كل عاقل يعلم حدوث الحوادث في الجملة، سواء قيل بقدم الأفلاك، أو لم يقل بذلك، وذلك أن مبنى دليلكم على أن القادر يرجح أحد مقدوريه على (د/ ١٣١) الآخر بلا مرجح، وأن الإرادة الأزلية الذي نسبتها إلى جميع المرجحات على السواء، ترجح مرادًا على مراد بلا مرجح، غير المرجح الذي نسبته إلى جميع المرجحات نسبة واحدة لا تتفاضل، ومن المعلوم أن ترجيح وجود الممكن على عدمه بلا مرجح، أو ترجيح أحد المتماثلين على الآخر بلا سبب يقتضي ذلك؛ باطل في بديهة العقل.

ولو قيل: إن ذلك صحيح لبطل الدليل الذي يستدل به على ثبوت الصانع وحدوث العالم؛ فإن مبنى الدليل على أن المحدَث لا بد له من محدِث؛ وذلك يستلزم أن ترجيح الحدوث على العدم لابد له من مرجح، ولا بد أن يكون للمحدِث مرجِح قد حدث منه ما يستلزم وجود المحدَث، الذي جعله موجودًا، وإلا إذا لم يلزم وجوده؛ كان وجوده جائزًا ممكنًا كان محتملًا للوجود والعدم.

---

(١) المعارضون هم الفلاسفة وأهل السنة وغيرهم، وقد تسلط الفلاسفة على دليل المتكلمين هذا، فعارضوه بدليل عقلي آخر. انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٤٠)، ورسالة في شرح حديث عمران ابن حصين من مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٢٨).

فترجيح الوجود على العدم لا بد له من مرجح محدث (ع/١٤٨) له.

فكل ما أمكن حدوثه إن لم يحصل له ما يستلزم حدوثه؛ لم يحصل، فما شاء الله كان لا محالة، ووجب وجوده بمشيئة الله، وما لم يشأ لم يكن، بل يمتنع وجوده مع عدم مشيئة الله تعالى له، فما شاء الله حدوثه كان لازم الحدوث، واجب الحدوث بمشيئته لا بنفسه، وما لم يشأ حدوثه كان ممتنع الحدوث لازم العدم، واجب العدم؛ لأنه لم توجد مشيئة[1] الله المستلزمة لحدوثه.

ثم إن الفلاسفة الدهرية القائلين بقدم العالم قالوا: ما ذكرتموه من الدليل لا يدل على الحدوث، بل يقتضي عدم الحدوث؛ لأن حدوث الحوادث عن ذات لم تزل معطلة عن الفعل باطل، فيكون العالم قديمًا، وعبروا عن ذلك: أن جميع الأمور المعتبرة في كونه فاعلًا -إن وجدت- في الأزل؛ لزم وجود الفعل في الأزل، وإلا لزم تخلف المقتضى عن المقتضي التام، وحينئذ فإذا وجدت بعد ذلك؛ لزم الترجيح بلا مرجح، وإن لم توجد في الأزل، فوجودها بعد ذلك أمر حادث، فيقتضي أمرًا حادثًا وإلا لزم الحدوث (د/ ٣١ب) بلا محدث، وحينئذ فيلزم تسلسل الحوادث؛ فإن القول في هذا الحادث كالقول في غيره.

وهذا مما ينكره المعتزلة وموافقوهم المتكلمون.

قالوا: فأنتم بين أمرين: إما إثبات التسلسل في الحوادث، وإما إثبات الترجيح بلا مرجح، وكلاهما ممتنع عندكم، ثم زعم هؤلاء الفلاسفة أن العالم «قديم» بناء على هذه الحجة[2]، ومن سلك سبيل السلف والأئمة، أثبت ما أثبته الرسول من حدوث العالم بالدليل العقلي الذي لا يحتمل النقيض، وبين خطأ المتكلمين

---

(١) في النسخ الخطية «يوجد» والتصحيح من مجموع الفتاوى.

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢١٦).

من المعتزلة ونحوهم الذين خالفوا السلف والأئمة بابتداع بدعة مخالفة للشرع والعقل، وبين أن ضلال الفلاسفة القائلين بقدم العالم ومخالفتهم للعقل والشرع أعظم من ضلال أولئك، وبيان الاستدلال على حدوث العالم لا يحتاج إلى الطريق التي سلكها أولئك المتكلمون.

بل يمكن إثبات حدوثه بطريق أخرى صحيحة لا يعارضها عقل صريح، ولا نقل صحيح، وثبت بذلك أن كل ما سوى الله فإنه محدث كائن بعد أن لم يكن، سواء سمي جسمًا أو عقلًا أو نفسًا أو غير ذلك.

فإن أولئك المتكلمين من المعتزلة وأتباعهم لما لم يكن في حجتهم إلا إثبات حدوث أجسام العالم؛ قالت الفلاسفة ومن وافقهم من المتأخرين كالشهرستاني[(١)] والرازي[(٢)] والآمدي[(٣)] وغيرهم (ع/٤٩ب): أنكم لم تقيموا دليلا على نفي ما سوى الأجسام، وحينئذ فإثبات حدوث أجسام العالم لا يقتضي حدوث ما سوى الله إن لم تبينوا أن كل ما سواه جسم، وأنتم لم تثبتوا ذلك.

ولهذا صار بعض المتأخرين كالأرموي[(٤)] ومن وافقه [من أهل مصر كأبي عبدالله القشيري]: إلى أن أجسام العالم محدثه، وأما العقول والنفوس فتوقفوا عن

---

(١) محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني، من رؤوس الأشاعرة، مات سنة (٥٤٨هـ). انظر: السير (٢٠/ ٢٨٦)، وطبقات الشافعية لابن السبكي (٦/ ١٢٨).

(٢) العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي الرازي، انتشرت تآليفه في البلاد شرقًا وغربًا، وقد وظهر فيها بلايا عظائم، لكنه تاب في آخر حياته، كما ذكر ذلك في كتاب أقسام اللذات، والله يعفو عنه، مات سنة (٦٠٦هـ). انظر: السير (٢١/ ٥٠٠).

(٣) علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي الحنبلي، فقيه، أصولي، متكلم، منطقي، حكيم، مات سنة (٦٣١هـ). انظر: السير (٢٢/ ٣٦٤)، ومعجم المؤلفين (٧/ ١٥٥).

(٤) محمود بن أبي بكر بن حامد الأرموي، فقيه، أصولي، متكلم، حكيم، منطقي، أصله من أرمينيه، مات سنة (٦٨٢هـ). انظر: كشف الظنون (٢/ ١٧١٥)، ومعجم المؤلفين (١٢/ ١٥٥).

حدوثها، أو قالوا بقدمها، وإن كان حقيقة قولهم إنه موجب بالذات[١] لها، وأنه محدِث للأجسام بسبب حدوث لبعض التصورات والإرادات التي تحدث للنفوس فيصير ذلك سببًا لحدوث الأجسام.

وهذا القول كما أنه (د/ ١٣٢) معلوم البطلان في الشرع، فهو أيضًا معلوم البطلان في العقل، كما سنبينه إن شاء الله تعالى[٢].

فنقول الدليل الدال على أن كل ما سوى الله محدث، يتناول هذا وهذا[٣]، وأيضًا فإذا كان موجبًا بالذات كان اختصاص حدوث أجسام العالم بذلك الوقت دون ما قبله وما بعده يفتقر إلى مخصص[٤].

والموجب بذاته لا يصدر عنه ما يختص بوقت دون وقت[٥]؛ إذ لو جاز ذلك لم يكن موجبًا بذاته، ولجاز حدوث العالم عنه؛ ولأن النفوس التي يثبتها الفلاسفة هي عند جمهورهم عرض قائم بجسم الفلك فيمتنع وجودها بدون الفلك[٦].

---

(١) معنى موجب بالذات: أي أن تلك الأفعال تصدر عنه اضطرارًا، كخروج النور من السراج، ومعنى قول هؤلاء: أن العقول والنفوس ليست محدَثة، بل هي محدِثة، كما سيأتي من كلام شيخ الإسلام.نعوذ بالله من ذلك. انظر: منهاج السنة (١/ ٢٠٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٢١٧).

(٣) يعني: أن العقول والنفوس والأجسام، محدَثة، والدليل على حدوث ماسوى الله يتناول الاثنين، والله أعلم.

(٤) وأيضًا قولهم بأنه موجب بالذات يناقض قولهم بأن الإيجاد كان في وقت معين؛ لأن المضطر ليس له حيلة في اختيار الوقت !.

(٥) لأنه لا يعقل، إذ لو كان يعقل لما صدرت عنه تلك الأفعال اضطرارًا، هذا إن تنزلنا وقلنا بأنه موجب بالذات.

(٦) هذا من تناقضاتهم -أيضًا-؛ فإذا كانت النفوس عرض لايقوم بنفسه، بل لابد أن يقوم بغيره، فكيف يكون موجبًا بذاته، ومعنى كلام الفلاسفة أن الإله عندهم يفتقر إلى غيره، فإذا زال مايقوم به، زال الإله، هذا معنى قولهم، والله أعلم.

وعند ابن سينا[١] وطائفة: أنها جوهر قائم بنفسه لكنها متعلقة بالجسم تعلق التدبير والتصريف[٢]، وحينئذ فلو وجدت ولا تعلق لها بالجسم لم تكن نفسًا، بل كانت عقلًا، فعلم أن وجود النفس مستلزم لوجود الجسم.

فإذا قال هؤلاء: إن النفس أزلية دون الأجسام، كان هذا القول باطلًا بصريح العقل، مع أنه لم يعرف به قائل من العقلاء من قبل كان هؤلاء.

وإنما ألجأ هؤلاء إلى هذا؛ ظنهم صحة دليل المتكلمين على حدوث الأجسام، وصحة قول الفلاسفة بوجود موجود[٣] ممكن غير الأجسام، وإثبات الموجب بالذات، فلما بنوا قولهم على الأصل الفاسد لهؤلاء ولهؤلاء لزم هذا.

مع أنهم متناقضون في الجمع بين هذين، فإن عمدة المتكلمين على إبطال حوادث لا أول لها، وعمدة الفلاسفة على أن المؤثرية من لوازم الواجب بنفسه.

فإذا قالوا بقدم نفس لها تصورات وإرادات لا تتناهى؛ لزم جواز حوادث لا تتناهى، فبطل أصل قول المتكلمين الذي بنوا عليه حدوث الأجسام، فكان حينئذ موافقتهم للمتكلمين بلا حجة عقلية، فعلم أنهم جمعوا بين المتناقضين.

وأبو عبد الله بن الخطيب[٤] وأمثاله كانوا (ع/ ١٥٠) أفضل من هؤلاء، وعرفوا أنه لا (د/ ٣٢ب) يمكن الجمع بين هذا وهذا، فلم يقولوا هذا القول المتناقض، ولم يهتدوا

---

(١) العلامة الشهير الفيلسوف أبو علي الحسيني بن عبد الله بن الحسن بن سينا البلخي، وقد كفره الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال.

قال ابن خلكان: ثم اغتسل، وتاب، وتصدق بما معه على الفقراء، وردَّ المظالم، وأعتق مماليكه، وجعل يختم القرآن في كل ثلاث؛ ثم مات سنة (٤٢٨هـ). انظر: السير (١٧/ ٥٣١).

(٢) هو الفخر الرازي.

(٣) في هامش (ع): «وهم العقول والنفوس».

(٤) انظر: درء التعارض (٨/ ١٥٤).

إلى مذهب السلف والأئمة -وإن كانوا يذكرون أصوله في مواضع أخر ويثبتون أن جمهور العقلاء يلتزمونها-، فلو تفطنوا لما يقوم بذات الله من كلامه وفعاله المتعلق بمشيئته وقدرته ودوام اتصافه بصفات الكمال، خلصوا من هذه المحارات.

ونحن ننبه على بعض الطرق العقلية التي يعلم بها حدوث كل ما سوى الله تعالى، وهي أن يقال:

لو كان فيها شيء سوى الله قديم لكان صادرًا عن علة تامة موجبة بذاتها مستلزمة لمعلولها، سواء ثبت له مشيئة واختيار أو لم يثبت[1]؛ فإن القديم الأزلي الممكن الذي لا يوجد بنفسه لا يتصور وجوده إن لم يكن له في الأزل مقتضى تام يستلزم ثبوته، وهذا كما أنه معلوم بضرورة العقل، فلا نزاع فيه بين العقلاء. فلا يقول أحد: إن القديم الأزلي صادر عن مؤثر لا يلزمه أثره، ولا يقول إنه صادر عن علة غير تامة مستلزمة لمعلولها، ولا يقول إنه صادر عن موجب بذاته لا يقارنه موجبه ومقتضاه، ولا يقول إنه صادر عن فاعل بالاختيار يمكن أن يتأخر مفعوله، فإنه إذا أمكن تأخر مفعوله؛ أمكن أن يكون ذلك القديم الأزلي قديمًا أزليًا، فيكون ثبوته في الأزل ممكنًا، وليس في الأزل مايستلزم ثبوته في الأزل، فيمتنع ثبوته في الأزل؛ فإن ثبوت الممكن الأزلي بدون مُقتضٍ تام مستلزم له ممتنع بضرورة العقل؛ إذ قد علم بصريح العقل أن شيئًا من الممكنات لا يكون حتى يحصل المقتضى التام المستلزم لثبوته.

ومن نازع في هذا من المعتزلة وغيرهم وقال: إنه لا ينتهي إلى حد الوجوب، بل يكون العقل بالوجوب (د/ ١٣٣) أولى منه بالعدم، فإنه لم ينازع في أن القادر المختار

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٨٦).

يمتنع أن يكون مقدوره المعين أزليًّا مقارنًا له، بل هذا مما لا ينازع فيه لا هؤلاء، ولا غيرهم.

فتبين أنه لو كان شيء مما سوى الله أزليًّا للزم ان يكون له مؤثر تام مستلزم له في الأزل، سواء سمي علة تامة أو موجبًا بالذات أو قدر أنه فاعل بالإرادة وأن مراده المعين يكون أزليًّا مقارنًا له.

وإذا كان كذلك فنقول: ثبوت علة تامة أزلية ممتنع؛ لأن العلة التامة الأزلية تستلزم معلولها لا يتخلف عنها شيء من معلولها، فإنه إن تخلف عنها (ع/٥١ب) لم تكن علة تامة لمعلولها، فيمتنع في الشيء الواحد أن يكون موجبًا بذاته، وأن يتخلف عنه موجبه أو شيء من موجبه؛ فإن الموجب بالذات لشيء لا بد أن يكون ذلك الموجب جميعه مقارنًا لذاته، والعلة التامة هي التي يقارنها معلولها، ولا يتأخر عنها شيء من معلولها، فلو تأخر عنها شيء من معلولها؛ لم تكن علة تامة.

كذلك المتأخرون من الفلاسفة، يسلمون أن ليس علة تامة في الأزل لجميع الحوادث التي تحدث شيئًا بعد شيء؛ فإن ذلك جمع بين النقيضين؛ إذ يمتنع أن يكون علة تامة أزلية لأمر حادث عنه غير أزلي، وإن شئت قلت: يمتنع أن يكون موجبًا بذاته في الأزل لأمر حادث ليس بأزلي، سواء كان إيجابه له بواسطة أو بغير واسطة؛ فإن تلك الواسطة إن كانت أزلية، كان اللازم لها أزليًا، وإن كانت حادثة كان القول فيها كالقول في الحادث بتوسطها.

وهذا الذي سلموه معلوم -أيضًا- بصريح العقل، فالمقدِمة برهانية مسلمة، لكن يقولون: إنه علة تامة لما هو قديم، كالأفلاك عندهم، وليس علة تامة للحوادث.

وهذا -أيضًا- باطل؛ وذلك أن كل ما يقال إنه قديم كالأفلاك، ما أن يجب أن يكون مقارنًا للحوادث كما يقولون في الفلك: إنه يجب له لزوم الحركة، وإنه لم يزل متحركًا وإما أنه لا يجب أن يكون مقارنًا لشيء من الحوادث.

فإن كان الأول لزم أن يكون علة تامة للحوادث، وكونه علة تامة للحوادث محال؛ لأن ما قارنته (د/ ٣٣ب) الحوادث ولم يخل منها، بل هي لازمة له؛ امتنع صدوره عن الموجب بدونها، ووجود الملزوم بدون اللازم محال، فالموجب بذاته الذي هو علة تامة للفلك، يجب أن يكون علة تامة موجبة للوازمه، وعلة تامة في الأزل بحركته، لكن العلة التامة الأزلية لا يجوز أن تكون علة تامة أزلية للحوادث، لا الحركة ولا غيرها؛ لأنه يجب وجود معلولها الذي هو موجبها ومقتضاها في الأزل، وأن لا يتأخر عنها شيء من موجبها ومقتضاها ومعلولها.

والحركة التي توجد شيئًا فشيئًا، هي وغيرها من الحوادث التي تحدث شيئًا بعد شيء ليس كل واحد منها قديمًا، بل كل منها حادث مسبوق بآخر، فيمتنع أن يكون شيء منها معلولًا للعلة التامة الأزلية؛ لامتناع أن يكون حادث من الحوادث قديمًا، ويمتنع وجود مجموع الحوادث في الأزل، ويمتنع وجود المستلزم للحوادث إلا مع حادث من الحوادث أو مع مجموع الحوادث، وإذا كان كلاهما يمتنع أن يكون (ع/ ١٥٢أ) قديمًا، امتنع أن يكون الشيء مما يستلزم الحوادث قديمًا.

فامتنع أن يكون لشيء من الحوادث، أو ما يستلزم الحوادث علة تامة قديمة، فامتنع صدور الحوادث أو شيء منها أو من ملزوماتها عن علة تامة قديمة، فامتنع أن يكون شيء لا يخلو عن الحوادث صادرًا عن علة تامة أزلية، فامتنع أن يكون الفلك المقارن للحوادث علة تامة أزلية قديمة، ولو كان قديمًا لصدر عن علة تامة

قديمة، فإذا لم يكن قديمًا إلا إذا كان المقتضى التام ثابتا في الأزل، فثبوت المقتضى التام له ممتنع كما أن قِدَمَهُ ممتنع.

وأما إن قيل: إن الممتنع شيء غير مقارن للحوادث ولا مستلزم لها، مثل أن يقال:القديم أعيان ساكنة هي المعلول الأول.

فيقال: ذلك المعلول إما أن يجوز حدوث حال من الأحوال أما فيه، أو عنه أو غير ذلك، وإما أن لا يجوز، فإن جاز حدوث حال من الأحوال له امتنع (د/ ١٣٤) حدوث ذلك الحادث عن علة تامة أزلية، وهو الموجب بالذات كما تقدم، وكما هو معلوم ومتفق عليه بين العقلاء، فلا بد له من محدث، والمحدث إن كان سوى الله فالقول في حدوثه إن كان محدثًا أو في حدوث ذلك الإحداث له بعد أن لم يكن، كالقول في حدوث ذلك الحادث، وإن كان هو الله تعالى امتنع أن يكون موجبًا بالذات له، إذ القديم لا يكون موجبًا بالذات لحادث -كما بُيِّن- فامتنع ثبوت العلة القديمة، وإذا لم يكن الصانع موجبًا بالذات، فلا يكون علة تامة امتنع قدم شيء من العالم؛ لأنه لا يكون قديمًا إلا عن علةٍ تامة، وإن قيل:إنه لا يجوز حدوث لما فرض قديمًا معلولا للأول.

فهذا مع أنه لم يقل به أحدٌ من العقلاء، فهو باطل لوجوه:

أحدها: أن واجب الوجود يحدث له النسب والإضافات باتفاق العقلاء، فحدوث ذلك الغير أولى.

الثاني: أن الحوادث مشهودة في العالم العلوي والسفلي، وهذه الحوادث صادرة عن الله إما بوسط، أو بغير وسط، فإن كانت بوسط فتلك الوسائط حدثت عنها أمور بعد أن لم تكن؛ فلزم حدوث الأحوال للقديم، سواء كان هو الصانع أو كان هو الوسائط للصانع.

وإن قيل: القديم هو شيء ليس بواسطة في شيء آخر.

قيل: لا بد أن يكون ذلك (ع/ ٥٣ب) قابلًا لحدوث الأحوال؛ فإنه يمكن حدوث النسب والإضافات لله عَزَّوَجَلَّ بالضرورة واتفاق العقلاء، فإمكان ذلك لغيره أولى، وإذا كان قابلًا لها، أمكن أن يحدث له الأحوال كما تحدث لغيره من الممكنات، فإن الله لا يمتنع حدوث الحوادث عنه إما بوسط أو بغير وسط، فإذا كان ذلك قابلًا وصدور ذلك عن الصانع ممكن؛ أمكن حدوث الحوادث عنه أو فيه بعد أن لم يكن.

وحينئذ فالقول في حدوثها كالقول في حدوث سائر (د/ ٣٤ب) ما يحدث عنه، وذلك محال من العلة التامة المستلزمة لمعلولها.

فقد تبين بهذا البرهان الباهر أن كون الأول علة تامة لشيء من العالم محال. لا فرق في ذلك بين الفلك وغيره، سواء قدر ذلك الغير جسمًا أو غير جسم، وسواء قدر مستلزمًا للحوادث فيه أو عنه -كما يقوله الفلاسفة الدهرية كالفارابي وابن سينا وأمثالهما وسلفهما من اليونان.

فإنهم يقولون: الفلك مستلزم للحوادث القائمة به، والعقول والنفوس مستلزمة للحوادث التي تحدث عنها، وكل منها مقارن للحوادث؛ لا يجوز تقدمه عليها مع كون ذلك جميعه معلولًا للموجب بذاته[1] -، فإذا تبين أن الموجب بذاته يمتنع أن يصدر عنه في الأزل حادث، أو مستلزم لحادث؛ بطل كون صانع العالم علة تامة في الأزل، ومتى بطل كونه علة تامة في الأزل؛ امتنع أن يكون فيما سواه شيء قديم بعينه.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٢٥).

فبهذا تبين أن كل ما سوى الله محدث كائن بعد أن لم يكن، سواء قيل بجواز دوام الحوادث، أو قيل بامتناع ذلك.

فإنه إن قيل بجواز دوام الحوادث؛ لزم حدوث كل ما لا يخلو عن الحوادث، وإن قيل بجواز دوام الحوادث فكل منها حادث بعد أن لم يكن مسبوقًا[١] بالعدم، وكل من العالم مستلزم لحادث بعد أن لم يكن مسبوقًا بالعدم، وكل ما كان مصنوعًا وهو مستلزم للحوادث؛ امتنع أن يكون صانعه علة تامة قديمة موجبة له، فإذا امتنع ذلك، امتنع أن يكون من العالم ما هو قديم بعينه»[٢] والله أعلم.

وإذا أحطت خبرًا بهذا المقام واتضح لديك ما تقدم من الكلام، فاسمع كلام بعض أئمة الفلاسفة في هذه المسألة وهي القول بجواز تراخي الأثر عن المؤثر.

قال أبو الوليد ابن رشد[٣] في كتاب تهافت التهافت[٤] -بعد ما حكى قول الإمام أبي حامد الغزالي[٥] حاكيًا حجة الفلاسفة في قدم العالم (ع/ ١٥٤أ)- قال:

قولهم: يستحيل صدور حادث (د/ ١٣٥أ) من قديم مطلقًا؛ لأنا لو فرضنا القديم، ولم يصدر منه العالم مثلًا، ثم صدر، فإنما لم يصدر، لأنه لم يكن للوجود مرجح، بل وجود العالم ممكن عنه إمكانًا صرفًا، فإذا حدث لم يخل أن يتجدد مرجح،

---

(١) في (ع): «مسبوق»، وهو خطأ.

(٢) إلى هنا انتهى النقل من مجموع الفتاوى.

(٣) محمد بن أحمد بن رشد المالكي أبو الوليد، قاضي قرطبة ومفتيها، من مشاهير الفلاسفة. مات سنة (٥٩٤هـ). انظر: العبر للذهبي (٤/ ٢٨٧)، والسير (٢١/ ٣٠٧).

(٤) تهافت التهافت (ص٢٧) ط. دار الفكر.

(٥) الشيخ الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن الطوسي الغزالي الشافعي، من أئمة الأشاعرة، توفي سنة (٥٠٥هـ). انظر: السير (١٩/ ٣٢٢).

أو لا يتجدد، فإن لم يتجدد مرجح بقي العالم على الإمكان الصرف -كما كان قبل ذلك -، وإن تجدد مرجح؛ انتقل الكلام إلى ذلك المرجح، لِمَ رُجِحَ الآن؟ولم يرجح قبل، فإما أن يمر الأمر إلى غير نهاية، أو ينتهي الأمر إلى مرجح لم يزل مرجحًا.

قال أبو حامد(١): «الاعتراض من وجهين: أحدهما أن يقال: لِمَ تنكرون على من يقول:إن العالم حدث بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه، وأن يستمر عدمه(٢) إلى الغاية التي استمر عليها، وأن يبتدئ الوجود من حيث بدأ، وأن الوجود قبله(٣) لم يكن مرادًا؛ فلم يحدث لذلك، وأنه في وقته الذي حدث فيه مراد بالإرادة القديمة فحدث، فما المانع لهذا الاعتقاد وما المحيل له».

قال ابن رشد(٤): «قلت: هذا قول سفسطائي؛ وذلك أنه لما لم يمكنه أن يقول بجواز تراخي فعل المفعول عن فعل الفاعل له، وعزمه على الفعل إذا كان فاعلًا مختارًا، قال بجواز تراخيه عن إرادة الفاعل، وتراخي المفعول عن إرادة الفاعل جائز، وأما تراخيه عن فعل الفاعل له فغير جائز، وكذلك تراخي الفعل عن العزم على الفعل في الفاعل المريد.

فالشك باق بعينه، وإنما كان يجب أن يلقاه بأحد أمرين: إما بأن فعل الفاعل ليس يوجب في الفاعل تغيرًا، فيجب أن يكون له مغير في الخارج، أو أن من التغييرات ما يكون من ذات المتغير من غير حاجة إلى مغير يلحقه منه، وأن من التغييرات ما

---

(١) في تهافت الفلاسفة (ص٤٤) ط. مكتبة الهلال.

(٢) في تهافت الفلاسفة «العدم».

(٣) في النسخ «قبل» والمثبت من تهافت الفلاسفة، ولعله الأنسب.

(٤) انظر: تهافت التهافت (ص٢٩).

يجوز أن يلحق القديم من غير مغير؛ وذلك أن الذي يتمسك به الخصوم[١] ها هنا هو شيئان:

أحدهما: أن فعل (د/ ٣٥ب) الفاعل يلزمه التغير، وأن كل تغير فله مغير.

والأصل الثاني: أن القديم لا يتغير بضرب من ضروب التغير، وهذا كله عسير البيان، والذي لا مخلص للأشعرية منه هو إنزال فاعل أول، وإنزال فعل له أول؛ لأنهم لا يمكنهم أن يصفوا أن حالة الفاعل من المفعول المحدث تكون في وقت الفعل هي بعينها حالته في وقت عدم الفعل هنالك، ولا بد من حال متجددة أو نسبة لم تكن؛ وذلك ضرورة إما في الفاعل أو في المفعول أو في كليهما.

وإذا كان كذلك فتلك الحال المتجددة إذا أوجبنا أن لكل حال متجددة فاعلًا؛ فلا بد أن يكون الفاعل لها إما فاعل آخر، فلا يكون ذلك (ع/ ٥٥ب) الفاعل هو الأول، ولا يكون مكتفيًا بفعله بنفسه بل بغيره، وإما أن يكون الفاعل لتلك الحال التي هي شرط في فعله هو نفسه، ولا يكون ذلك الفعل الذي فرض صادرًا عنه أولًا، بل يكون فعله لتلك الحال التي هي شرط في المفعول قبل فعل[٢] المفعول.

وهذا لازم كما ترى ضرورة إلا أن يجوز مجوز أن من الأحوال الحادثة في الفاعلين ما لا يحتاج إلى محدث وهذا بعيد إلا على قول من يجوز أن ههنا أشياء تحدث من تلقائها وهو قول الأوائل من القدماء الذين أنكروا الفاعل وهو قول بين سقوطه بنفسه» انتهى كلامه.

---

(١) في هامش (ع): بخط آخر غير خط المؤلف «الفلاسفة»، وفي هامش (د) «يعني الفلاسفة»!. وفيه إشكال، وهو أن ابن رشد من الفلاسفة ويدافع عنهم، وينتمي إليهم، فكيف يفسر كلمة «الخصوم» بأنها الفلاسفة؟!، والذي يظهر لي -والله أعلم- أن العبارة صحيحة.

(٢) في النسخ الخطية « فعله» والمثبت من تهافت التهافت.

والمقصود من كلامه وما ذكره في رد حجة المتكلمين على جواز تراخي الأثر عن المؤثر.

۞۞۞

قال الناظم:

وقضى بأن النار لم تخلق ولا	**جنات عدن بل هما عدمان**
فإذا هما خلقا ليوم معادنا	**فهما على الأوقات فانيتان**
وتلطف العلاف من أتباعه	**فأتى بضحكة جاهل مجان**
قال الفناء يكون في الحركات لا	**في الذات واعجبا لذا الهذيان**
أيصير أهل الخلد في جناتهم	**وجحيمهم كحجارة البنيان**
ما حال من قد كان يغشى أهله	**عند انقضاء تحرك الحيوان**
وكذاك ما حال الذي رفعت يداه	**أكلة من صحفة وخوان**
فتناهت الحركات قبل وصولها	**للفم عند تفتح الأسنان**
وكذاك ما حال الذي امتدت يد	**منه إلى قنو من القنوان**
فتناهت الحركات قبل الأخذ هل	**يبقى كذلك سائر الأزمان**
تبا لهاتيك العقول فإنها	**والله قد مسخت على الأبدان**
تبا لمن أضحى يقدمها على الـ	**آثار والأخبار والقرآن**

أي: وحكم الجهم (د/ ١٣٦) بأن الجنة والنار لم تخلقا، وإنما يخلقان يوم المعاد، ثم إذا خلقتا يوم المعاد، فهما لابد فانيتان.

وإنما قال هذا الجهم طردًا للدليل، وهو الدليل المسمى بـ «دليل الأكوان»؛ إذ مبناه على قطع التسلسل وهو منع حوادث لا أول لها، فكذا يمتنع حوادث لا آخر لها.

وفي الغنية[١] للشيخ عبد القادر[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «وأما الجهمية فمنسوبة إلى جهم ابن صفوان وكان يقول: الإيمان هو المعرفة بالله ورسله وجميع ما جاؤوا به (ع/٥٦أ) من عنده فقط، ويزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله -تعالى- لم يكلم موسى، وأنه -تعالى- لم يتكلم، ولا يرى ولا يعرف له مكان، وليس له عرش ولا كرسي، ولا هو على العرش، وأنكروا الموازين[٣]، وعذاب القبر وكون الجنة والنار مخلوقتين، وادعوا أنهما إذا خلقتا يفنيان[٤]، وأن الله تعالى لا يكلم خلقه ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا ينظر أهل الجنة إليه، ولا يرونه فيها، وأن الإيمان معرفة القلب دون إقرار اللسان، وأنكروا جميع صفات الله تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا» اهـ.

قوله:

وتلطف العلاف ....

هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصري المعتزلي[٥]. قال الذهبي في «تاريخ (د/٣٦ب) الإسلام»[٦]: «أبو الهذيل العلاف البصري المتكلم واسمه محمد بن الهذيل كان من أجلاء[٧] القوم ورؤوسهم وأنكر الصفات المقدسة.

---

(١) الغنية لطالبي طريق الحق للشيخ عبد القادر الجيلاني (ص١٦٦) ط. مكتبة العلم الحديث.
(٢) عبد القادر بن أبي صالح عبد الله الجيلاني الحنبلي، أبو محمد، من كبار الصوفية، حتى نسبت إليه الطريقة القادرية، مات سنة (٥٦١هـ). انظر: السير (٢٠/ ٤٣٩).
(٣) في النسخ الخطية «وأنكر الميزان» والمثبت من الغنية، والموازين جمع ميزان، وقد وردت صيغة الجمع في سورة الأنبياء، والله أعلم.
(٤) كذا في (ع)، وتراجع لعلها «تفنيان».
(٥) رأس الاعتزال محمد بن الهذيل العلاف البصري، مات في سنة (٢٢٧هـ) وقيل بقي لسنة (٢٣٥هـ). انظر: السير (١٠/ ٥٤٢).
(٦) تاريخ الإسلام (١٦/ ٤٧٣).
(٧) في تاريخ الإسلام: «أجلاد».

يروى أن المأمون[١] قال لحاجبه: من بالباب؟ قال: أبو الهذيل العلاف، وعبد الله بن أباض الخارجي[٢]، وهشام بن الكلبي الرافضي[٣]. فقال: ما بقي من رؤوس جهنم أحدٌ إلا وقد حضر»[٤].

أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل[٥] صاحب واصل بن عطاء[٦]، وقد طال عمره، وصنف الكتب، ونيف على التسعين، مات سنة (٢٢٦).

قوله:

وتلطف العلاف ....[٧]

أي وتلطف العلاف بأن قال: الفناء يكون في الحركات، لا في الذوات[٨]؛ وذلك لأجل التزام دليل الأكوان[٩].

---

(١) عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، سابع الخلفاء العباسيين، وأحد أعاظم الملوك، مات سنة (٢١٨هـ). انظر: السير (١٠/ ٢٧٢).

(٢) عبد الله بن إباض المقاعسي المري التميمي، مؤسس الإباضية، اضطرب المؤرخون في سيرته وتأريخ وفاته، ورجح الزركلي أنها سنة (٨٦هـ). انظر: لسان الميزان (٣/ ٧٠٢) الأعلام للزركلي (٤/ ٦١).

(٣) العلامة الإخباري النسابة، هشام بن محمد بن السائب الكلبي الكوفي الشيعي. قال الدارقطني وغيره: متروك الحديث. مات سنة (٢٠٤هـ). انظر: السير (١٠/ ١٠١).

(٤) ذكر هذه القصة الخطيب في تاريخه (٤/ ٥٨٥-٥٨٦) ضمن أخبار أبي هذيل العلّاف، وفي إسنادها من لم أهتد إلى معرفته.

(٥) عداده في أهل البصرة، من رؤس تلاميذ عمرو بن عبيد المعتزلي وواصل بن عطاء، ذكره ابن قتيبة في المعارف في جملة القدرية، وأخذ عنه العلاف وهو من مشاهير المعتزلة. انظر: المعارف لابن قتيبة (ص٢٨٦) ط. دار المعارف، تسمية من لقب بالطويل ليحي بن الشهري (ص٧٨).

(٦) واصل بن عطاء أبو حذيفة المخزومي مولاهم البصري، كان هو وعمرو بن عبيد رأسًا في الاعتزال، قيل: مات سنة (١٣١هـ). انظر: السير (٥/ ٤٦٤).

(٧) زيادة للتوضيح.

(٨) انظر: الصواعق المرسلة (٣/ ١١٩٢)، ومختصره (٢/ ٤٨٣).

(٩) الأكوان يعبر بها عما يعتري الجسم من (اجتماع أو افتراق أو حركة أو سكون) ودليل الأكوان =

ثم قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ على طريق التهكم بمقالة أبي الهذيل هذه:

أيصير أهل الخلد في جناتهم وجحيمهم كحجارة البنيان

إلى آخر كلامه.

يقول: ما حال الذي عند تناهي الحركات يغشى أهله، وكذا الذي رفعت يداه أكلة من صحفة، وتناهت الحركات قبل فراغه من أهله وقبل وصول يد الآكل لفمه، وكذا تناهت الحركات للذي قدم يده إلى قنو من القنوان قبل الأخذ، أيصيرون هكذا أبد الأبد كالحجارة.

=هو دليل الأعراض، ويسميه بعضهم دليل الأكوان؛ لأن من مقدمات هذا الدليل: أن الأجسام لا تخلو عن الأعراض والأكوان، والأعراض زائلة، والأكوان متغيرة.

فبمجرد حصول تغير للجسم بالحركة أو السكون أو الاجتماع بغيره أو افتراقه عنه صار حادثًا؛ لأن ما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث، وإذا كان الاجتماع والافتراق والحركة والسكون التي تعتري الجسم حادثة، فالجسم حادث.

ومن هنا سماه بعضهم بـ«دليل الأكوان»؛ لأن الجسم كما تعتريه الأعراض وهي حادثة عنه بالزوال -كما سبق-، كذلك تعتريه الأكوان وهي حادثة عنه بالتغير.

والعلاف يمنع تسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل؛ لأنه لو قال بذلك لا نتقض عليه دليل الأعراض والأكوان الذي يثبت به حدوث العالم، ومعلوم أن نعيم الجنة دائم، وهو يناقض مذهب جهم والعلاف في منع حوادث لا تتناهى، والذي هو أحد مقدمات دليل الأعراض الذي أثبتوا به حدوث العالم.

وإنما قال العلاف بفناء الحركات طردًا لدليل الأعراض الذي أحد مقدماته أن الأكوان ومنها الحركات متغيرة، والتغير حدوث، والحدوث يمنع من وجود حوادث لا تتناهى، لأن الحركة من صفات الحدث، فلا يتصور عنده أن تتناهى، كحركات أهل الجنة.

والذي يظهر -والعلم عند الله- أن قول العلاف بفناء الحركات ليس تلطفًا بقدر ما هو تمشيًا مع مذهبه في دليل الأعراض، والذي في أحد مقدماته: أن الحركات متغيرة، وما كان متغيرًا فهو حادث، والله أعلم.

انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص١٠٣) ط. الكتاب العربي، والصواعق المرسلة لابن القيم (٣/ ١١٩٢).

قوله:

.... وخوان

«الخوان: كغراب وكتاب ما يؤكل عليه» قاله في القاموس[١].

ولهذا قال الناظم:

تبًّا لمن أضحى يقدمها ... على الآثار والأخبار والقرآن

تبا -بفتح التاء- والتباب: الهلاك، ومنه قولهم: أشابة أم تابة، أي هالكة من الهرم والتعجيز. قال في القاموس[٢]: «التب والتبب: النقص والخسارة وتبًّا له وتبًّا تبيبًا مبالغة وتببه قال له ذلك».

---

(١) انظر: القاموس (ص١٥٤١).

(٢) انظر: القاموس (ص١٨٨).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فصل

وقضى بأن الله يجعل خلقه | عدما ويقلبه وجودا ثان
العرش والكرسي والأرواح والـ | أملاك والأفلاك والقمران
والأرض والبحر المحيط وسائر الـ | أكوان من عرض ومن جثمان
(ع/ ٥٧ب)
كل سيفنيه الفناء المحض لا | يبقى له أثر كظل فان
ويعيد ذا المعدوم أيضًا ثانيا | محض الوجود إعادة بزمان
(د/ ٣٧أ)
هذا المعاد وذلك المبدا الذي | جهم وقد نسبوه للقرآن

هذا القول مبني على إثبات الجواهر[1].

(١) هذا القول المبني على إثبات الجواهر، هو قول جهم الذي زعم أن الجنة والنار غير موجودتين الآن، وأنكر العرش والكرسي والميزان وعذاب القبر، واختلف أصحابه في كيفية بعث الأجساد للمعاد بناء على القول بالجوهر الفرد، والجوهر الفرد هو الموجود الذي لا يقبل التجزئة لا في الواقع ولا في التصور، أما في الحوادث فهو الجزء الذي لا يتجزأ لا بالفعل ولا بقوة، ولا شك أن الذي يقول بإنكار المعاد كحال جهم وأصحابه يتصور أن جميع الأجسام ترجع إلى جواهر متناهية في الصغر لا تقبل القسمة، ثم بعد ذلك ينكر المعاد؛ لأن الذي لا يقبل القسمة لا ينعدم، ونحن نعتقد أن الأجسام تنعدم وتفنى بأمر الله تعالى، وقد غلا المتكلمون من المعتزلة والأشاعرة في التعويل على نظرية الجواهر المفردة ـ وهي في الأصل نظرية يونانية قديمة قال بها (ديمون كريتس) الفيلسوف الطبيعي اليوناني ـ وقد بنوا عليها كثيرًا من عقائدهم الكلامية، فجعلوها عمدة في الاستدلال على حدوث العالم، ووجود المحدث له.

والجوهر الفرد الذي اعتمده المتكلمون لترويج عقائدهم الفاسدة، نقضه الفلاسفة -القائلون بقدم العالم- انتصارًا لنظريتهم في (الهيولى والصورة)، فقام المتكلمون من جانبهم بإبطال نظرية الفلاسفة، في كلام يطول ذكره.

وهكذا ضرب الله أقوال بعضهم ببعض، ونجى الله أهل السنة من ذلك، بحمد الله.

انظر: بيان تلبس الجهمية لابن تيمية (١/ ٢٧) ط. الشيخ ابن قاسم، وشرح النونية لهراس (٢/ ٢٦).

قال شيخ الإسلام -في كلامه على سورة الإخلاص بعد كلام سبق-[(١)]:

«والمقصود هنا أن هؤلاء لما كان هذا أصلهم في ابتداء الخلق وهو القول بإثبات الجوهر الفرد، كان أصلهم في المعاد مبنيًّا عليه، فصاروا على قولين:

منهم من قال: تعدم الجواهر ثم تعاد، ومنهم من قال: تفرق الأجزاء ثم تجتمع.

فأورد عليهم الإنسان الذي يأكله حيوان، وذلك الحيوان أكله إنسان آخر، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا، لم تعد من هذا، وأورد عليهم أن الإنسان يتحلل دائمًا فما الذي يعاد؟

أهو الذي كان وقت الموت.

فإن قيل بذلك: لزم أن يعاد على صورة ضعيفة، وهو خلاف ما جاءت به النصوص، وإن كان غير ذلك فليس بعض الأبدان بأولى من بعض.

فادعى بعضهم أن في الإنسان أجزاءٌ أصلية لا تتحلل[(٢)]، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني، والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل ليس فيه شيء باق. فصار ما ذكروه في المعاد؛ مما قوى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان، وأوجب أن صار طائفة من النظار إلى أن الله يخلق بدنًا آخر تعود الروح إليه. والمقصود تنعيم الروح وتعذيبها سواء كان في هذا البدن أو في غيره. وهذا أيضًا مخالف للنصوص الصريحة بإعادة هذا البدن.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٤٧).

(٢) هؤلاء وافقوا الحديث الذي أخرجه النسائي (٤/ ١١١) من حديث أبي هريرة: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب» وهو صحيح.

وهذا المذكور في كتب الرازي[١] فليس في كتبه وكتب أمثاله في مسائل أصول الدين الكبار القول الصحيح، الذي يوافق المنقول والمعقول، الذي بعث الله به الرسول، وكان عليه سلف الأمة وأئمتها، بل يذكر بحوث المتفلسفة الملاحدة، وبحوث المتكلمين المبتدعة، الذين بنوا على أصول الجهمية والقدرية في مسائل الخلق والبعث والمبدأ (د/ ٣٧ب) والمعاد.

وكلا الطريقين فاسدة إذ بنوه على مقدمات فاسدة.

والقول الذي عليه السلف، وجمهور العقلاء من أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال إنما يذكر عن الفلاسفة والأطباء.

وهذا القول هو القول في خلق الله للأجسام التي يشاهد حدوثها أنه يقلبها ويحيلها من جسم إلى جسم هو الذي (ع/ ١٥٨أ) عليه السلف والفقهاء قاطبة والجمهور»[٢] انتهى.

۞۞۞

(١) انظر: النبوات لابن تيمية (١/ ٦٠) ط. المطبعة السلفية، وشرح ابن أبي العز على الطحاوية (١/ ٣٦٤).

(٢) هذا النقل فيه سقط من أصل مجموع الفتاوى، وقد وجدته عند ابن أبي العز في شرح الطحاوية، والعبارة هكذا (ص٥٩٨): «والقول الذي عليه السلف، وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل ترابًا، ثم ينشئها الله نشأة أخرى...» إلخ، ومن قوله: «إنما يذكر عن الفلاسفة والأطباء....» ليس في شرح ابن أبي العز، مع أنه نقل كلام شيخ الإسلام كاملًا بنصه، وهو معاصر له، فلايمكن أن تكون هذه العبارة من كلام شيخ الإسلام؛ لأن كلام السلف في المعاد، ليس هو كلام الفلاسفة المنكرين لمعاد الأبدان، وهذ يدل على أن بعض النسخ لتلك الفتاوى كتبت بأيدٍ غير أمينة. وقوله: «من حال إلى حال» يعني أن الإنسان إذا مات، واستحال جسمه إلى تراب، انقلبت طبيعته من رطبة الى يابسة؛ لأن طبيعة الجسم رطبة وطبيعة التراب يابسة، وليس المقصود بذلك أن يتحول من مادة الى مادة، لأنه يستحيل، وإذا استحال انعدم، ثم يعاد بعثه من التراب الذي استحال إليه، الى المادة التي استحال منها، والله أعلم.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

هذا الذي قاد ابن سينا والألى ... قالوا مقالته إلى الكفران
لم تقبل الأذهان ذا وتوهموا ... أن الرسول عناه بالإيمان
هذا كتاب الله أنى قال ذا ... أوعبده المبعوث بالبرهان[1]
أو صحبه من بعده أو تابع ... لهم على الإيمان والإحسان
بل صرح الوحي المبين بأنه ... حقا مغير هذه الأكوان
فيبدل الله السماوات العلى ... والأرض أيضًا ذان تبديلان
وهما كتبديل الجلود لساكني النيران ... عند النضج من نيران
وكذاك يقبض أرضه وسماءه ... بيديه ما العدمان مقبوضان
وتحدث الأرض التي كنا بها ... أخبارها في الحشر للرحمن
وتظل تشهد وهي عدل بالذي ... من فوقها قد أحدث الثقلان
أفيشهد العدم الذي هو كاسمه ... لا شيء هذا ليس في الإمكان
لكن تسوى ثم تبسط ثم تشهد ... ثم تبدل وهي ذات كيان
وتمد أيضًا مثل مد أديمنا ... من غير أودية ولا كثبان
وتقيء يوم العرض من أكبادها ... كالأسطوان نفائس الأثمان
كل يراه بعينه وعيانه ... ما لامرئ بالأخذ منه يدان

أراد المصنف أن ابن سينا (د/٤٢٨) والذين قالوا مقالته؛ وأنكروا المعاد وظنوا أن هذا الذي اعتقد جهم في المعاد هو ما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلذلك كفروا بالمعاد؛ لأن هذا شيء لا تقبله العقول.

---

(١) في هامش (ع) «في بالقرآن» وكأنها بدل «بالبرهان».

ثم بيَّن الناظم أمر المعاد على ما جاء به في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله:

بـل صـرح الـوحـي المـبـين..... .... إلخ

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم:٤٨]، والتبديل قد يكون في الذات -كما في بدلت الدراهم بالدنانير-، وقد يكون في الصفات -كما في بدلت الحلقة خاتمًا-، والآية تحتمل الأمرين(١)، وبالثاني قال الأكثر، وتبدل السماوات غير السماوات؛ لدلالة ما قبله عليه على الاختلاف الذي مر، وتقديم تبديل الأرض لقربانها؛ ولكون تبديلها أعظم أثرًا بالنسبة إلينا(٢).

وروى مسلم وغيره من حديث ثوبان(٣) قال: [جاء رجل من اليهود إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**في الظلمة دون الجسر**»(٤).

وروى (ع/ ٥٩ب) مسلم -أيضًا- وغيره من حديث عائشة(٥) قالت: «أنا أول

---

(١) في هامش (ع) يعلق العنقري بقوله: «قوله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾. تحتمل الأمرين، وبالثاني قال الأكثر أقول: الثاني هو قول أهل السنة. قال ابن كثير: تحت قوله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾. وهي هذه غير الصفة المألوفة المعروفة، يشير إلى هذه الأرض: أن تبديلها من تبديل (... كلمة مطموسة)، والله أعلم».

(٢) راجع المسأله في تفسير الطبري (١٣/ ٢٤٩).

(٣) يقال له: ثوبان النبوي مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سُبي من الحجاز، فاشتراه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعتقه، فلزم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه، وحفظ عنه كثيرًا من العلم، وطال عمره، واشتهر ذكره، حدث عنه شداد بن أوس، وأبو إدريس الخولاني، وخالد بن معدان، وغيرهم، نزل حمص، ومات بها سنة (٥٤هـ). انظر: السير (٣/ ١٥).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الحيض (١/ ٢٦٢) من حديث ثوبان.

(٥) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وسماها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحميراء، وهي أفقه النساء مطلقًا، وأفضل أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في خلاف شهير. ماتت سنة (٥٧هـ) على الصحيح. انظر: التقريب (ص١٣٦٤).

من سأل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الآية قلت: أين الناس يومئذ؟ قال: على الصراط»[1].

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد[2] قال: سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي ليس فيها علم لأحد**»[3].

وفيها أيضًا من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده**» الحديث[4].

وقد أطال القرطبي في بيان ذلك في تفسيره وتذكرته[5] وحاصله: أن هذه الأحاديث نص في أن الأرض والسموات تبدل وتزال[6]، ويخلق الله أرضًا أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر، وهو الصراط.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٤٥٦)، في كتاب صفات المنافقين، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة.

(٢) سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي، أبو العباس، من مشاهير الصحابة، كان اسمه حزنًا، فغيره النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومات سنة (٩١هـ). انظر: الإصابة (٢/ ٨٧).

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق (٤/ ٢٠٤٤)، ومسلم في كتاب صفة القيامة. وقوله: «...كقرصة نقي» يعني: الخبز الحواري، وهو المعمول من الدقيق النقي من الغش والنخال، وقيل: الأرض التي ليس فيها معلم لأحد. انظر: النهاية لابن الأثير (٥/ ٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ٢٠٤٣) كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ومسلم في كتاب المنافقين وأحكامهم (٤/ ٢١٥١).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٥١)، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة (ص٢١٥).

(٦) في هامش (ع) «علق العنقري بقوله: (وتزال..... الخ) أقول: في هذا الكلام نظر، والله أعلم» اهـ. يعني: أن الأرض لا تزال، وإنما يكون التبديل بالزيادة والنقصان فيها، وهذا قول أهل السنة -كما مر- وهو أحد الأقوال في تفسير الآية، والثاني أنها تبدل بغيرها. راجع: زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٢٣٧٥)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٦) وما بعدها.

قوله:

وكـــذاك يـقـبـض أرضـه وسمـاءه .... إلخ

دليلة ما في الصحيح (د/٣٨ب)، عن ابن عمر قال: لما قرأ النبي ﷺ على المنبر ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧] قال: «**يقبض الله سمواته بيده والأرضين بيده الأخرى ثم يمجد نفسه فيقول أنا الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن أنا الجبار أنا المتكبر أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئًا أنا الذي أعدتها أين الملوك أين الجبارون أين المتكبرون**» أو كما قال[١].

وقوله:

وتحـــدث الأرض الـــتي كـنـا بها

دليله قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [الزلزلة:٤]. عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال: «**أتدرون ما أخبارها؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها وتقول عمل كذا وكذا فهذه أخبارها**» رواه أحمد والترمذي وصححه والنسائي[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المنافقين من صحيحه (٤/ ٤٥٤)، وأخرجه البخاري (٤/ ٢٣٠٤) من حديث أبي هريرة بلفظ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه فيقول: أنا الملك...» الحديث.

(٢) أخرجه الترمذي في تفسير (٥/ ٤١٦)، وفي الزهد (٤/ ٥٣٥)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٣٤٢) ط. الرسالة، وأحمد (٢/ ٤٩٢) من طريق يحي بن أبي سليمان عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة به، وإسناده ضعيف لحال يحيى بن أبي سليمان.

وعن أنس[١] أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إن الأرض لتجيء يوم القيامة بكل عمل عمل على ظهرها»** وقرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١] حتى بلغ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أخرجه ابن مردويه والبيهقي[٢].

قوله:

وتقيء يوم العرض من أكبادها .... إلخ

قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة:٣] أي: ما في جوفها من الأموات والدفائن والأثقال جمع ثقل.

قال أبو عبيدة والأخفش: «إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها»[٣].

قال مجاهد: «أثقالها موتاها تخرجهم في النفخة الثانية»[٤].

وقد قيل للجن والإنس: الثقلان، وإظهار الأرض في موضع الإضمار لزيادة التقرير.

قال ابن عباس: «أثقالها الموتى والكنوز»[٥].

وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال (ع/ ٦٢أ): قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل**

---

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، روى عنه فأكثر، مات سنة (٩١هـ). انظر: الإصابة (١/ ٨٤).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٤٦٣) من طريق رشدين بن سعد بن يحيى بن أبي سليمان عن أبي حازم عن أنس به، وإسناده ضعيف لحال رشد بن سعد، لكن يشهد له ما قبله.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٤٧)، وفتح القدير (٥/ ٤٧٩) ط. دار الفكر.

(٤) تفسير مجاهد (٢/ ٧٧٥).

(٥) أخرجه الطبري في تفسير (٣٠/ ٢٦٦).

فيقول في هذا: قتلت، ويجيء القاطع فيقول في هذا: قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا: قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا»[1].

وهذا معنى قول (د/ ٣٩أ) الناظم:

ما لامرئ بالأخذ منه يدان

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وكذا الجبال تفت فتا محكما	**فتعود مثلا لرمل ذي الكثبان**
وتكون كالعهن الذي الوانه	**وصباغة من سائر الألوان**
وتبس بسا مثل ذاك فتنثني	**مثل الهباء لناظر الإنسان**

قال الله تعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ [الواقعة:٤-٥] أي: إذا حركت حركة شديدة يقال: رجه يرجه رجًّا إذا حركه، والرجه: الاضطراب، وارتج البحرُ وغيره: اضطرب.

قال المفسرون: «ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها وينكسر كل شيء من الجبال وغيرها»[2].

وقوله[3]: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ البس: الفت، يقال: بس الشيء إذا فته حتى يصير فتاتًا، ويقال: بس السويق إذا لته بالسمن أو بالزيت.

قال مجاهد ومقاتل: «المعنى أن الجبال فتت فتًّا»[4] وبه قال ابن عباس[5].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ١٢٩)، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد.

(٢) كذا قال القرطبي (١٧/ ١٩٦)، ونقله عنه الشوكاني في فتح القدير (٥/ ١٤٧).

(٣) زيادة للتوضيح.

(٤) انظر: تفسير مجاهد (٢/ ٦٤٥)، وذكره الواحدي في الوجيز (٢/ ١٠٥٨)، ولم يعزه لأحد.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٦٨) من طريق أبي صالح عن معاوية عن علي عنه.

وقال السدي: «كسرت كسرًا»[١].

وقال الحسن: «قلعت من أصلها»[٢].

وقال مجاهد أيضًا: «بست كما يبس الدقيق بالسمن أو بالزيت»[٣] والمعنى أنها خلطت فصارت كالدقيق الملتوت.

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة:٦] أي: غبارًا متفرقًا منتشرًا بنفسه، من غير حاجة إلى هواء يفرقه.

وقال مجاهد: «الهباء الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار»[٤].

وقيل: هو الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب. وقيل: ما تطاير من النار إذا اضطرمت.

قوله:

وتكون كالعهن الذي

أي: كالصوف المصبوغ ولا يقال للصوف عهن إلا إذا كان مصبوغًا.

قال الحسن: «تكون الجبال كالصوف الأحمر، وهو أضعف الصوف»[٥].

وقيل: العهن: الصوف ذو الألوان. فشبه الجبال به في تكونها ألوانًا كما في قوله: ﴿جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر:٢٧]، إذا بست وطيرت في الهواء، اشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح.

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٧٩) من غير إسناد.

(٢) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٧٩) ولم يذكر له سندًا.

(٣) انظر: فتح القدير (٥/ ١٤٧)، ولم ينقله عن أحد.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن مجاهد كما في الدر المنثور (٦/ ٢٤٦)، ولكنه قال شعاع الشمس من الكوة.

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٣٩٣) عن الحسن بغير إسناد.

وهذه الأقوال في معنى العهن في اللغة، وأول ما تتغير (د/٣٩ب) الجبال تصير رملًا مهيلًا، ثم عهنًا منفوشًا ثم هباء منثورًا.

۞۞۞

قال الناظم (ع/٥٩ب) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وكـذا البحـار فإنها مسجورة   قـد فجـرت تفجير ذي سلطان

وكـذلك القمـران يـأذن ربنا   لـهمـا فيجتمعـان يلتقيان

هـذي مكـورة وهـذا خاسف   وكلاهـمـا في النـار مطروحان

وكواكب الأفلاك تنثر كلها   كـلآلىء نـثـرت علـى ميدان

وكـذا السماء تشق شقا ظاهرًا   وتـمـور أيضًـا أيـمـا مـوران

وتصير بعد الانشقاق كمثل   هـذا المهل أو تـك وردة كدهان

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [الانفطار:٣] أي: أوقدت فصارت نارًا تضطرم.

وقال الفراء: «ملئت بأن صارت بحرًا واحدًا وكثر ماؤها». وبه قال الربيع بن خثيم[١] والكلبي[٢] ومقاتل والحسن والضحاك[٣].

وقيل: «أرسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلأت»[٤].

وقيل: «فجرت فصارت بحرًا واحدًا»[٥].

---

(١) في الأصل «الربيع بن خيثم»، وهو خطأ، وهو: الربيع بن خثيم بن عائد الثوري الكوفي، قال في التقريب (ص٣١٩): «ثقة، عابد، مخضرم». مات سنة (٦١هـ). انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٤٥٩).

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تفسير الطبري (٣٠/ ٦٦).

(٤) تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٤٢٤) ونقله القرطبي (١٩/ ٢٣٠).

(٥) تفسير العز (٣/ ٤٢٤)، ونقله الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٣٨٩).

وقال القشيري[(١)]: «هو من سجرت التنور أسجره سجرًا إذا أحميته»[(٢)].

قال ابن زيد[(٣)] وابن عطية[(٤)] وسفيان ووهب وغيرهم: «أوقدت فصارت نارًا»[(٥)]. وقال ابن عباس: «تسجر حتى تصير نارًا»[(٦)]. وقال أيضًا: «سجرت أي اختلط ماؤها بماء الأرض»[(٧)].

قوله:

هـــذي مــكــورة وهـــذا خـاسـف

الجمع وهو مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها[(٨)]. قال الزجاج: «لفت

---

(١) عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك النيسابوري، القشيري، صوفي أشعري، مات سنة (٤٦٥هـ). انظر: معجم المؤلفين (٦/ ٦)، الاستقامة لابن تيمية (١/ ٩- ١٦) مقدمة المحقق.

(٢) نقله عنه القرطبي في تفسيره (١٩/ ٢٣٠)، وكتابه يسمى بـ«لطائف الإشارات».

(٣) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الحموي المدني. مات سنة (١٨٢هـ). انظر: السير (٨/ ٣٤٩).

(٤) في الأصل «عطية» وهو خطأ، والتصويب من كتاب الكشف والبيان للثعلبي. وابن عطية: هو عبد الله بن عطية بن حبيب الدمشقي المقرئ المفسر، وكان ثقة. مات سنة (٣٨٣هـ). انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي (٢/ ٦٦٤) ط. دار عالم الكتب.

وهناك ابن عطية آخر مشهور، هو عبد الحق بن أبي بكر بن غالب بن عطية الغرناطي المالكي المتوفى سنة (٥٤٦هـ)، وهو صاحب «المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز».

وقد فرق بينهما في كشف الظنون فقال عن الأول (١/ ٤٣٩): «تفسير ابن عطية القديم». وقال عن الثاني (١/ ٤٣٩): «تفسير ابن عطية المتأخر». وانظر: هدية العارفين (٥/ ٤٤٧) (٥/ ٥٠٢).

(٥) الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي (١٠/ ١٣٧).

(٦) الدر المنثور (٨/ ٤٢٩).

(٧) تفسير الطبري (٣٠/ ٦٨).

(٨) لسان العرب (٤/ ٢١٨)، وكان على المؤلف أن يستشهد بقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾؛ لأن الناظم في هذه الأبيات أشار إلى ذلك.

كما تلف العمامة، يقال: كورت العمامة على رأسي أكورها كورًا وكورتها تكويرًا إذا لففتها»[(١)].

قال أبو عبيدة: «كورت مثل تكوير العمامة تلف فتجمع»[(٢)].

قال الربيع بن خثيم: «كورت أي رمي بها ومنه كورته فتكور أي سقط»[(٣)].

وقال مقاتل، وقتادة، والكلبي: «ذهب ضوؤها»[(٤)].

وقال مجاهد: «اضمحلت»[(٥)].

قال الواحدي[(٦)]: «قال المفسرون: تجمع الشمس بعضها إلى بعض ثم تلف ويرمى بها».

فالحاصل أن التكوير لها بمعنى لف جرمها أو لف ضوئها أو الرمي بها (د/ ٤٠).

قال ابن أبي حاتم: ثنا أبو صالح[(٧)] ثنا معاوية بن صالح[(٨)] عن أبي بكر ابن أبي مريم[(٩)] عن أبيه[(١٠)] أن رسول الله ﷺ قال في قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٤٥٧).

(٢) غريب الحديث للخطابي (٢/ ٣٠٨) ط. جامعة أم القرى.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٥٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٥٦).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٤٦).

(٦) كما في فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٨٨). والواحدي هو: علي بن أحمد بن محمد الواحدي النسابوري الشافعي، أبو الحسن، مات سنة (٤٦٨هـ). انظر: معجم المؤلفين (٧/ ٢٦)، والسير (١٨/ ٣٣٩، ٣٤٢).

(٧) ذكوان أبو صالح السمان الزيات المدني، مولى جويرية بنت الأحمس الغطفاني، ثقة من الثالثة، مات سنة (١٠١هـ). انظر: التقريب (ص٣١٣)، تهذيب الكمال (٣/ ٤٢٥).

(٨) معاوية بن صالح بن حدير الكلاعي الحضرمي، قاضي الأندلس، قال في التقريب (صدوق له أوهام من السابعة). مات سنة (١٥٨هـ). انظر: وتهذيب الكمال (٢٨/ ١٩١) التقريب (ص٩٥٥).

(٩) أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الحمصي، الإمام المحدث، مات سنة (١٥٦هـ). قال في التقريب (ص١١١٦): «ضعيف وكان قد سرق بيته فاختلط».

(١٠) عبد الله بن أبي مريم الغساني روى عن ابنه أبي بكر الشاحي وروى عن ضمرة بن حبيب. =

[التكوير:١] قال: **«كورت في جهنم»** ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ قال: **«انكدرت في جهنم وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه فلو رضيا أن يعبدا لدخلاها»**[(١)].

قال الحافظ ابن رجب: «غريب جدًّا وأبو بكر ابن أبي مريم فيه ضعف»[(٢)].

ورُوِيَ أن الشمس والقمر يكوران في النار، رواه عبد العزيز ابن المختار[(٣)] عن عبد الله الداناج[(٤)]، قال:سمعت أبا سلمة[(٥)] يحدث عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إن الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة»** أخرجه البزار[(٦)] وغيره[(٧)].

= قال ابن حجر: لا يكاد يعرف، وخبره منكر، وذكره ابن حبان في الثقات وقال يعتبر بحديثه من غير روايه ابنه عنه.انظر: التاريخ الكبير (٥/ ٢١٠)، ميزان الاعتدال (٤/ ١٩٧)، ولسان الميزان (٤/ ١٥٦).

(١) إسناده ضعيف، فيه عبدالله بن أبي بكر بن أبي مريم وهو أبو بكر بن عبد الله الغساني الحمصي، ضعفه أحمد، وقال الذهبي: لا يبلغ حديثه الحسن. قال في التقريب: ضعيف. انظر السير (٧/ ٦٤)، والتقريب (ص١١١٦).

(٢) في التخويف من النار (ص٩٨) ط. مكتبة دار البيان.

(٣) الأنصاري، أبو إسحاق، ويقال أبو إسماعيل الدباغ البصري مولى حفصة بنت سيرين، قال في التقريب (ص٦١٥): ثقة من السابعة. وانظر: تهذيب الكمال (٦/ ٣٨٢).

(٤) عبد الله بن فيروز الداناج البصري، والداناج هو (العالم) بالفارسية. قال في التقريب: «ثقة من كبار التابعين، ومنهم من عده في الصحابة». انظر: التقريب (ص٥٣٥).

(٥) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري المدني، قيل اسمه: عبد الله، قال في التقريب: «ثقة مكثر من الثالثة»، مات سنة (١٠٤هـ).انظر: تهذيب الكمال (١١/ ٣٧٩)، التقريب (ص١١٥٥).

(٦) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٢/ ٩٩٠) من طريق مسدد عن عبد العزيز بن المختار، به، ومن طريقه أخرجه البزار - كما في تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٢) كلهم قال: «الشمس والقمر نوران يكوران يوم القيامة» ولم يذكروا فيه «عقيران» وإنما أخرجها أبو يعلى في مسنده (٧/ ١٤٨)، والطيالسي في مسنده (١/ ٢٨٠)، كلاهما عن درست بن زياد عن زيد الرقاشي عن أنس بلفظ: «الشمس والقمر نوران عقيران في النار».
وفي إسناده درست بن زياد قال: قال ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٩٣): «منكر الحديث جدًّا يروي عن مطر وغيره أشياء تتخايل لمن يسمعها أنها موضوعة لا يحل الاحتجاج به».
وقال أبو زرعة -كما في تهذيب ابن حجر (٣/ ١٨١)-: «واهي الحديث، وقال ابن معين: لا شيء».

(٧) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/ ١٤٨) ط. دار المأمون، والطيالسي (١/ ٢٨١)، وأبو الشيخ في العظمة في موضعين (٤/ ١١٥٩)، (٤/ ١١٦٣) من حديث أنس وهو ضعيف.

وخرجه البخاري مختصرًا عن أبي هريرة (ع/ ٦٠أ) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الشمس والقمر مكوران يوم القيامة»** أخرجه البخاري[(١)].

قوله:

.... وهذا خاسف

خسف القمر: ذهب ضوؤه وأظلم، ويقال: خسف، إذا ذهب جميع ضوئه وكسف؛ إذا ذهب بعض ضوئه.

قوله:

وكواكب الأفلاك تنثر كلها .... إلخ

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير:٢] أي: تهافتت وتساقطت وانقضت وتناثرت، يقال: انكدر الطائر من الهواء؛ إذا انقض، والأصل في الانكدار الانصباب.

قال الخليل: «يقال: انكدر عليهم القوم إذا جاؤوا أرسالًا فانصبوا عليهم»[(٢)].

قال أبو عبيدة: «انصب كما ينصب العقاب»[(٣)] (ع/ ٦٠أ).

قال الكلبي وعطاء: «تمطر السماء يومئذ نجومًا فلا يبقى نجم في السماء إلا وقع على الأرض، وقيل: انكدارها طمس نورها».

وقال ابن عباس: «تغيرت»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق (٢/ ٩٩٠)، باب صفة الشمس والقمر.

(٢) انظر: العين للخليل بن أحمد الفراهيدي -مادة (ك د ر)- (١/ ٤٣٣)، وحكاه عنه الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٣٨٨)، ونقل الأزهري مثله في تهذيبه (١٠/ ٦٤) عن الليث.

(٣) حكاه الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٣٨٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٥٨).

قوله:

وكذا السماء تشق شقا ظاهرًا ....إلخ

قال الله سبحانه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق:١] أي: انصدعت وتفطرت، فيه حذف، والتقدير: إذا انشقت السماء انشقت؛ لأن إذا الشرطية يختص دخولها بالجمل الفعلية، وما جاء من هذا ونحوه فمؤول؛ محافظة على قاعدة الاختصاص، والسماء فاعل لفعل محذوف.

قال الواحدي: «قال المفسرون: انشقاقها من علامات القيامة، ومعنى انشقاقها انفطارها (د/ ٤٠ب) بالغمام الأبيض كما في قوله: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [الفرقان:٢٥]. وقيل: تنشق من المجرة وبه قال علي بن أبي طالب»[١].

والمجرة: باب السماء، وأهل الهيئة يقولون: إنها نجوم صغار، مختلطة غير متميزة في الحس[٢].

واختلف في جواب «إذا»: فقال الفراء: إنه أذنت والواو زائدة وكذلك ألقت.

قال ابن الأنباري[٣]: «هذا غلط؛ لأن العرب لا تقحم الواو إلا مع «حتى»

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٠)، ط. المكتبة العصرية، وتفسير الطبري (٣٠/ ١١٢).

(٢) المجرة هي: سحابة ضخمة مكونة من غازات ومواد صلبة وعناصر أخرى مختلفة، تتحرك بسرعة وتتجاذب فيما بينها.

وقد أطلق عليها علماء الفلك المسلمون اسم «المجرة» لأنها تشبه النهر الجاري، وقوام الكون المرئي حتى الآن يربو على ألف مليون مجرة، تظهر على الألواح الفوتغرافية التي يستخدمها العلماء في التصوير، ويتباعد فيتسع حجم الكون والكرة الأرضية في مجرة تسمى «درب التبانة». انظر: ماذا عليه القرآن من الهيئة الجديدة بالبرهان لمحمود شكري الألوسي (ص١٣٢) ط. المكتب الإسلامي.

(٣) أبو بكر محمد بن القاسم بن بسار بن الأنباري، الحافظ اللغوي المقرئ، النحوي، مات سنة (٣٢٨هـ). انظر: السير: (١٥/ ٢٧٤).

كقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [الزمر:٧٣] ومع «لما» كقوله: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ ﴾ [الصافات:١٠٣-١٠٤]، ولا تقحم مع غير هذين».

وقيل: «إن الجواب في قوله: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦] أي فأنت ملاقيه» وبه قاله الأخفش[1].

قوله:

وتمـــور أيـــضًـــا أيمـــا مـــوران

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾ [الطور:٩] المور الإضطراب والحركة.

قال أهل اللغة: «مار الشيء يمور مورًا إذا تحرك ودار وجاء وذهب»[2] قاله الأخفش وأبو عبيدة[3].

وقال ابن عباس: «تحرك»[4].

وقال الضحاك: «يموج بعضها في بعض»[5].

وقال مجاهد: «تدور دورًا»[6].

وقيل: «تجري جريًا»[7].

وقيل: «تتكفأ» قاله الأخفش[8].

(١) انظر: فتح القدير (٥/ ٤٠٦)، وانظر: روح المعاني (٣٠/ ٨٠).
(٢) حكاه ابن سيده، عن الأعرابي. انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٢١).
(٣) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٢٠).
(٤) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٤٨٤)، وزاد المسير (٨/ ٤٨)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٤٠٦).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٤٨٥).
(٦) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٤٨٤).
(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٦٣)، وفتح القدير للشوكاني (٥/ ٩٥).
(٨) انظر: تفسير القرطبي (١٧/ ٤٣).

قال البغوي: «والمور يجمع هذه المعاني؛ إذ هو في اللغة الذهاب والمجيىء والتردد والدوران والاضطراب»[١].

ويطلق المور على الموج، ومنه ناقة موارةُ اليد: أي سريعة تموج في مشيها موجًا. ومعنى الآية: أن العذاب يقع بالعصاة، ولا يدفعه عنه دافع في هذا اليوم الذي تكوَن فيه السماء هكذا، وهو يوم القيامة.

قوله:

وتصير بعد الانشقاق كمثل هـ ذا المهل.......................... إلخ

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ [الرحمن٣٧] انشقت أي: انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة[٢]، وانفك بعضها من بعض لقيام الساعة[٣].

وقيل: انفجرت، فصارت أبوابًا لنزول الملائكة[٤] (ع/ ٦٣ب)؛ لتحيط بالعالم من سائر جهات الأرض؛ لئلا يهرب بعضهم من المحشر.

وقيل: المراد منه خراب السماء، وفيه تهويل وتعظيم للأمر ﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً ﴾ أي كوردة حمراء أو محمرة مثلها.

قال سعيد بن جبير وقتادة: «المعنى فكانت حمراء»[٥].

وقيل: «فكانت كلون الفرس الورد» (د/ ٤١أ) قاله ابن عباس[٦]، وهو الأبيض، الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة كالدهان.

---

(١) في معالم التنزيل للبغوي (٧/ ٣٨٧).
(٢) انظر: فتح القدير (٥/ ١٣٧).
(٣) انظر: مدارك التأويل للنسفي (٤/ ٣).
(٤) انظر: معالم التنزيل (٧/ ٤٤٩).
(٥) انظر: تفسير القرطبي (١٧/ ١١٣).
(٦) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٩٨).

قال الفراء وأبو عبيد: «تصير السماء كالأديم؛ لشدة حر النار»[(١)].

وقال ابن عباس: «كالأديم الأحمر: أي على خلاف العهد بها، وهو الزرقة»[(٢)].

وقال الفراء أيضًا: «شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل، وشبه الورد في ألوانها بالدهن، واختلاف ألوانه»[(٣)].

والدهان: جمع دهن نحو قرط وقراط ورمح ورماح. وقيل: «إنه اسم مفرد أي اسم لما يدهن به كالحزام والإدام» قاله الزمخشري[(٤)]. وقيل: «المعنى تصير السماء مثل الدهن لذوبانها»[(٥)].

وقال الحسن: «كالدهان أي: كصبيب الدهن، فإنك إذا صببته، ترى فيه ألوانًا»[(٦)].

وقال زيد بن أسلم[(٧)]: «تصير كعصير الزيت»[(٨)].

قال الزجاج وقتادة: «إنها اليوم خضراء، وسيكون لها لون أحمر» حكاه الثعلبي[(٩)].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٧/ ١١٣).

(٢) حكاه البغوي في تفسيره (٧/ ٤٢٩)، عن الكلبي.

(٣) انظر القرطبي في تفسيره (١٧/ ١١٣).

(٤) الكشاف للزمخشري (٦/ ٤٧١).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٦).

(٦) تفسير الطبري (٢٧/ ١٤٢)، القرطبي (١٧/ ١١٣).

(٧) زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر، أبو عبد الله أو أبو أسامة المدني، قال في التقريب (ثقة عالم، وكان يرسل، من الثالثة). مات سنة (١٣٦هـ). انظر: التقريب (ص٣٥٠).

(٨) حكاه القرطبي في تفسيره (١٧/ ١١٣).

(٩) الذي في الكشف والبيان للثعلبي (٩/ ١٨٧): «قال قتادة: إنها اليوم خضراء، وسيكون لها يومئذ لون آخر...». والثعلبي هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري أبو إسحاق الثعلبي، صاحب التفسير، ويقال له الثعلبي، والثعالبي، وهو لقب له لانسب. قال الذهبي: «كان صادقًا موثقًا بصيرًا بالعربية طويل الباع في الوعظ». مات سنة (٤٢٧هـ). انظر: السير (١٧/ ٤٣٥).

قال الماوردي[١]: «زعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة وأنها لكثرة الحوائل والحواجز وبعد المسافة واعتراض الهواء بيننا وبينها ترى بهذا اللون الأزرق كما يرى الدم في العروق أزرق ولا هواء هناك يمنع من اللون الأصلي»[٢].

ذكره الكرخي[٣] والعمادي[٤] والكازروني[٥].

والمهل: ما أذيب من النحاس والرصاص والفضة[٦].

وقال مجاهد: «هو القيح من الصديد والدم»[٧].

قال عكرمة وغيره: «هو دردي الزيت» وبه قال ابن عباس[٨].

۞۞۞

قال الناظم:

والعرش والكرسي لا يفنيهما	**أيضا وإنهما لمخلوقان**
والحور لا تفنى كذلك جنة الـ	**ـمأوى وما فيها من الولدان**

(١) علي بن محمد بن حبيب البصري، أبو الحسن المشهور بالماوردي، ولي القضاء ببلدان كثيرة، مات سنة (٤٥٠هـ). انظر: معجم المؤلفين (٧/ ١٨٩).

(٢) النكت والعيون للماوردي (٥/ ٤٣٦).

(٣) عبد الله بن الحسن بن دلال البغدادي الكرخي، انتهت إليه رئاسة المذهب الحنفي، مات سنة (٣٤٠هـ). انظر: السير (١٥/ ٤٢٦).

(٤) محمد بن عبد القادر بن محمد العمادي الكردي من علماء الحنفية. مات سنة (٦٤٢هـ). انظر: السير (٢٣/ ١١٢).

(٥) محمد بيان بن محمد المقري أبو عبد الله، فقيه، شيخ الشافعية في وقته، مات سنة (٤٥٥هـ). انظر: السير (١٨/ ١٧١).

(٦) تفسير القرطبي (٢١/ ٢٢٨) وعزاه لابن مسعود.

(٧) تفسير القرطبي (٢١/ ٢٢٨) والعبارة فيه: «... وقال مجاهد: كالمهل كقيح من دم وصديد». وانظر: النكت والعيون (٦/ ٩٢).

(٨) تفسير القرطبي (٢١/ ٢٢٨)، ودردري الزيت: «هو مابقي في أسفله». انظر: الصحاح (مادة درد).

ولاجـل هـذا قـال جهـم إنها عـدم ولم تخلـق إلـى ذا الآن
والأنبيـاء فإنهـم تحت الثرى أجسامهم حفظت من الديدان
ما للبلى بلحومهم وجسومهم أبـدا وهـم تحت التـراب يدان
وكذاك عجب الظهر لا يبلى بلى منـه تـركب خلقـة الإنسان

قوله:

والعرش والكرسي .... إلخ

المستثنى من الهلاك في (د/ ٤١ب) قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] ثمـانية أشياء، نظمها الجلال السيوطي[1] فقال (ع/ ٦٤أ):

ثمـانيـة حكـم البقـاء يعمها من الخلق والباقون في حيز العدم
هـي العـرش والكرسي ونار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم[2]

وقد زاد الناظم على ذلك الحور في قوله: (والحور لا تفنى...) إلخ.

قال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله: «فأما السماء والأرض فقد زالتا لأن أهلها صاروا إلى الجنة وإلى النار، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب؛ لأنه سقف الجنة

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري الطولوني المصري السيوطي الشافعي، جلال الدين أبو الفضل، وله كتاب مخطوط في تبرئة ابن عربي صاحب الفصوص الذي أجمع العلماء المعتبرون، ومنهم ابن حجر على كفره وخروجه من الإسلام، ومن شعر السيوطي:

فـوض أحاديث الصفات ولا تشبـه وتعطـل
إن رمت إلا الخوض في تحقيق مفصلة فأول
إن المفوض ليس بسالم ممـا تكلفـه المؤول

مات السيوطي سنة (٩١١هـ).

انظر: شذرات الذهب (١٠/ ٧٤)، ومعجم المؤلفين (٥/ ١٢٨).

(٢) لم أعثر على تلك الأبيات.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه، فلا يهلك ولا يبيد، وأما قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ وذلك أن الله تعالى أنزل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦].

فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض فطمعوا في البقاء فأخبر الله تعالى عن أهل السماوات وأهل الأرض أنهم يموتون فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] يعني كل شيء ميت إلا وجهه لأنه حي لا يموت فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت» انتهى كلامه[(١)].

وقال في رواية أبي العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب الاصطخري[(٢)] -ذكره أبو الحسين في كتاب الطباقات-[(٣)]:

«قال: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: (هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها، المعروفين بها المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع، خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق).

وساق أقوالهم:

إلى أن قال: (وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها، خلقها الله عَزَّ وَجَلَّ وخلق لهما أهلًا، ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدًا (د/١٤٢).

---

(١) حادي الأرواح (ص٣٦).

(٢) في الأصل «الاصطرخي» وهو خطأ. والاصطخري هو: أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله أبو العباس الفارسي الاصطخري، نسبة إلى اصطخر من أعمال فارس، روى عن أحمد أشياء. انظر: المنهج لأحمد (١/ ٣٥٢)، وهداية الأريب لأحمد (ص١٣).

(٣) انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٢٨).

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه، فلا يهلك ولا يبيد، وأما قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ وذلك أن الله تعالى أنزل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦].

فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض فطمعوا في البقاء فأخبر الله تعالى عن أهل السماوات وأهل الأرض أنهم يموتون فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] يعني كل شيء ميت إلا وجهه لأنه حي لا يموت فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت» انتهى كلامه(١).

وقال في رواية أبي العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب الاصطخري(٢) -ذكره أبو الحسين في كتاب الطباقات-(٣):

«قال: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: (هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها، المعروفين بها المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع، خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق).

وساق أقوالهم:

إلى أن قال: (وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها، خلقها الله عَزَّوَجَلَّ وخلق لهما أهلًا، ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدًا (د/ ١٤٢).

---

(١) حادي الأرواح (ص٣٦).

(٢) في الأصل «الاصطرخي» وهو خطأ. والاصطخري هو: أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله أبو العباس الفارسي الاصطخري، نسبة إلى اصطخر من أعمال فارس، روى عن أحمد أشياء.
انظر: المنهج لأحمد (١/ ٣٥٢)، وهداية الأريب لأحمد (ص١٣).

(٣) انظر: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٢٨).

فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨] وبنحو هذا من متشابه القرآن.

قيل له: كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة، ولا عند النفخة، ولا أبدًا؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ خلقهن للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف ذلك فهو مبتدع، وقد ضل عن سواء السبيل...».

وأطال الإمام (ع/٥٦ب) أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلام. وأما عجب الذنب فسيأتي الحديث فيه[١].

۞۞۞

---

(١) الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذكر ما يستثني من الهلاك لم يذكر منها النار، وإنها ذكر الكرسي والعرش والجنة والحور والولدان وأجسام الأنبياء وعجب الذنب من الإنسان، وهو العظم الذي في أسفل الظهر، ولم يستثن النار، فلذلك قال من قال من المعطلة بأن ابن القيم يقول بفناء النار.
وهو قول باطل لا يجوز أن ينسب إلى ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ؛ لأن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يقصد هنا حصر المستثنيات من الهلاك، فلا يُلزم بهذا القول.
والدليل على ذلك أنه لم يذكر اللوح والقلم في الأبيات السابقة مع أن أدلتها ظاهرة لمن تأملها.
وأيضًا فالذي قاله ابن القيم إنها هو فناء نار العصاة من المؤمنين لا النار مطلقًا؛ لأن العاصي الموحد وإن طال عذابه فمآله إلى الجنة بحمد الله تعالى، وقد قرر في مواضع كثيرة من كتبه بخلود الكفار في نار جهنم وأن عذابهم فيها لا ينقطع أبدًا.
ولهذا أعرض عنه الشارح خوفًا من فتح باب الطاعنين في ابن القيم لأجل هذه الأبيات.
ولهذا نجد الشارح ذكر الأمور الثانية المستثناه في الأبيات التي ساقها السيوطي ولم يذكر أن ابن القيم انقص اللوح والقلم،مع أنه ذكر ما زاده ابن القيم على تلك الثمانية من الحور والولدان ولحوم الأنبياء.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

ولأجل ذلك لم يقر الجهم بالـ	**أرواح خارجة عن الأبدان**
لكنها من بعض أعراض بها	**قامت وذا في غاية البطلان**
فالشأن للأرواح بعد فراقها	**أبدانها والله أعظم شان**
إما عذاب أو نعيم دائم	**قد نعمت بالروح والريحان**
وتصير طيرا سارحا مع شكلها	**تجني الثمار بجنة الحيوان**
وتظل واردة لأنهار بها	**حتى تعود لذلك الجثمان**
لكن أرواح الذين استشهدوا	**في جوف طير أخضر ريان**
فلهم بذاك مزية في عيشهم	**ونعيمهم للروح والأبدان**
بذلوا الجسوم لربهم فأعاضهم	**أجسام تلك الطير بالإحسان**
ولها قناديل إليها تنتهي	**مأوى لها كمساكن الإنسان**
فالروح بعد الموت أكمل حالة	**منها بهذي الدار في جثمان**
وعذاب أشقاها أشد من الذي	**قد عاينت أبصارها بعيان**

قوله:

ولأجل ذلك[1] لم يقر الجهم.... .... إلخ

أي أن الجهم بن صفوان يقول: «إن الروح لا داخل البدن ولا خارجة، ولا متصلة به ولا منفصلة عنه[2]، كما ذكر ذلك عنه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ (د/ ٤٢ب)

---

(١) في الأصل «ولذاك» وهو خطأ.

(٢) هذا الذي ذكره المؤلف ليس هو قول الجهم في الروح، وإنما مذهب جهم أن الروح تفنى؛ بناء على إنكاره معاد الأرواح، لأن الروح عرض من الأعراض، فلا تبقى بعد فراق البدن.
والجهم إنما احتج على السمنية في وجود الله تعالى من جنس ما سلموا به من أمر الروح. والله أعلم. انظر: الصفدية (٢/ ٢٦٧)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ١٥٣).

في «كتاب الرد على الجهمية»(١) قال: (وكذلك الجهم وشيعته، دعوا لناس إلى المتشابه من القرآن والحديث، فضلوا وأضلوا بكلامهم بشرا كثيرًا، فكان مما بلغنا عن الجهم -عدو الله- أنه كان من أهل خراسان(٢) من أهل ترمذ، وكان صاحب خصومات وكلام، وكان أكثر كلامه في الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

فلقي ناسًا من المشركين يقال لهم: السمنية، فعرفوا الجهم فقالوا له: نكلمك، فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك.

وكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له: ألست تزعم أن لك إلهًا؟

قال الجهم: نعم. فقالوا له: فهل رأيت إلهك؟ قال: لا. فقالوا له: هل سمعت كلامه؟ قال: لا. قالوا: فشممت له رائحة؟ قال: لا. قالوا: فوجدت له حسًّا؟ قال: لا. قالوا: فوجدت له مجسًّا(٣)؟ قال: لا. قالوا: فما يدريك أنه إله؟ (ع/ ٦٥ب).

قال(٤): فتحير الجهم، فلم يدر من يعبد أربعين يومًا. ثم أنه استدرك حجة من جنس حجة الزنادقة من النصارى(٥)؛ وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (/ ١٠١-١٠٢) ط. دار اللواء.

(٢) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند وطخارستان وسجستان وكرمان، ونيسابور، وهراة، ومرو، وقد كانت قصبتها، وبلخ وطالقان، ونسا، وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها، ويعد ما وراء النهر منها، وليس الأمر كذلك، فقد فتحت أكثر البلاد هذه عنوة. انظر: معجم البلدان (٢/ ٤٠١-٤٠٥).

(٣) الجس: اللمس باليد، والمجسة: ممسة مايلمس، وجسه بيده يجسه جسًّا، واجتسه: أي مسه ولمسه، والمجسة: الموضع الذي تقع عليه يده إذا جسه. انظر: لسان العرب (٢/ ٢٨٣)، ط. دار التراث العربي.

(٤) يعني: الإمام أحمد كما في الرد على الجهمية (ص١٩).

(٥) سبق التعريف بهم.

الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله[1]، وإذا أراد الله أن يحدث أمرًا دخل في بعض خلقه، فتكلم على لسان بعض خلقه، فيأمر بما يشاء، وينهى عما يشاء وهو روح غائب عن الأبصار.

فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة، فقال للسمني: ألست تزعم أن فيك روحًا؟ فقال: نعم. قال: فهل رأيت روحك؟ قال: لا. قال: فسمعت كلامه؟ قال: لا. قال: فوجدت له حسًّا. قال: لا.

قال: كذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة وهو غائب عن الأبصار فلا يكون في مكان دون مكان.

قال[2]: ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٣]، و﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣].

فبنى أصل كلامه على هؤلاء الآيات، وتأول القرآن على غير تأويله وكذب بأحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزعم أن من وصف (د/١٤٣أ) شيئًا مما وصف الله به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان كافرًا وكان من المشبهة.

وأضل بشرًا كثيرًا، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب عمرو بن عبيد[3] بالبصرة، ووضع دين الجهمية» اهـ.

---

(١) في الأصل: «هي من روح الله من ذات الله»، والمثبت من الرد على الجهمية.
(٢) يعني الإمام أحمد كما في الرد على الجهمية (ص٣٠).
(٣) عمرو بن عبيد بن باب التميمي مولاهم أبو عثمان البصري المعتزلي المشهور، كان أحد رؤوس المعتزلة، وكان داعيًا إلى بدعته، من السابعة. انظر: التقريب (ص٧٤٠).

فهذا الذي ذكره الإمام أحمد من مبدأ حال جهم إمام المتكلمين، فإنه لما ناظر من ناظره من المشركين «السمنية» من الهند، وجحدوا الإله لكون الجهم لم يدركه بشيء من حواسه، لا بسمعه ولا ببصره ولا بشمه ولا بذوقه ولا بحسه؛ كان مضمون هذا الكلام: أن كل ما لا يحسه الإنسان بحواسه الخمس؛ فإنه ينكره ولا يُقِرُّ به، فأجابهم الجهم بأنه قد يكون في الوجود ما لا يمكن الإحساس به بشيء من هذه الحواس، وهي الروح التي في العبد، وزعم أنها لا تختص بشيء من الأمكنة. وهذا الذي قاله هو قول الصابئة الفلاسفة المشائين[1].

وحاصل هذه الأبيات في شأن الأرواح بعد المفارقة بالموت، وما لها من النعيم والعذاب، وذكر أرواح الشهداء وما أعد الله لهم من النعيم المقيم.

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ [الواقعة:٨٨-٩٣].

فقسم سبحانه الأرواح إلى ثلاثة أقسام: مقربين: وأخبر أنها في جنة النعيم، وأصحاب يمين: وحكم لها بالسلام، وهو يتضمن سلامتها من العذاب ومكذبة ضالة: وأخبر أن لها (ع/٦٦أ) نزلًا من حميم وتصلية جحيم، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].

---

(١) هم: أتباع أرسطو الذي عاش ما بين ٤٨٣-٢٣٣ قبل الميلاد، وهو من أهل مقدونة من بلاد الروم من تلاميذ أفلاطون، وكان يُعَلِّمْ الحكمة وهو ماشٍ تحت الرواق المظلل لـه من حر الشمس، فسمى تلاميذه المشائين؛ لأنهم كانوا يأخذون عنه الحكمة وهو ماشٍ. انظر: المعجم الفلسفي (٢/ ٣٧٣).

قال غير واحد من الصحابة والتابعين: إن هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا يبشرها الملك بذلك(١).

ولا ينافي ذلك قول من قال: إن هذا يقال لها في الآخرة؛ فإنه يقال لها عند الموت وعند البعث، وهذه من البشرى التي قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت:٣٠].

وهذا التنزل يكون عند الموت، ويكون في القبر، ويكون عند البعث، وأول بشارة الآخرة عند الموت.

وفي حديث البراء بن عازب: «**إن الملك يقولها لها عند قبضها أبشري بروح وريحان...**»(٢) وهذا (ع/٤٣ب) من ريحان الجنة.

وروى مالك في الموطأ(٣) عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك(٤)

---

(١) كتاب الروح (ص١٣٢). وانظر: تفسير الطبري (٣/ ١٨٨).

(٢) جزء من حديث البراء بن عازب الطويل وأوله: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، وفي رواية ابن ماجه: إلى بقيع الغرقد - فجلس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت الأرض، فرفع رأسه فقال: «أستعيذو بالله من عذاب القبر»، مرتين أو ثلاثًا ثم قال: «إن المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة...» الحديث.
أخرجه أبو داود (٤/ ٢٤٠) بطوله، والنسائي (٤/ ١٠١)، وابن ماجه (١/ ٤٩٤) مختصرًا، وأحمد في المسند (٤/ ٣٨٩) من طرق كثيرة - كما في إتحاف المهرة (٢/ ٣٨٩)- كلها تدور على المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، به. وإسناده حسن لحال المنهال بن عمرو، فإنه صدوق ربما وهم كما في التقريب.
ويشهد لبعضه ما رواه النسائي (٤/ ٩٧) من حديث أنس ابن مالك بلفظ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له...» الحديث.

(٣) الموطأ (ص١٥٩) رقم (٥٦٨) برواية يحيى الليثي ط. دار النفائس.

(٤) عبد الرحمن بن كعب بن مالك بن عمرو الأنصاري السلمي المدني، قال في التقريب (ص٥٩٦): =

أنه أخبره أن أباه كعب بن مالك[١] كان يحدث أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنما نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**»[٢].

قال الحافظ وأبو عمر ابن عبد البر[٣]: «واختلف العلماء في معنى هذا الحديث: فقال قائلون منهم: أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء؛ إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين، وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم، والرحمة لهم.

واحتجوا بأن هذا الحديث لم يخص فيه شهيدًا من غير شهيد[٤]، واحتجوا بما روي عن أبي هريرة أن أرواح الأبرار في عليين، وأرواح الفجار في سجين[٥]. وعن عبد الله ابن عمرو مثل ذلك[٦].

قال أبو عمر[٧]: وهذا قول يعارضه من السنة ما لا مدفع في صحة نقله، وهو قوله: «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة

=«ثقة من كبار التابعين، ويقال: ولد في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومات في خلافة سليمان بن عبد الملك». انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٢).

(١) كعب بن مالك بن عمرو الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، توفي في سنة أربعين، وقيل خمسين، وقيل إحدى وخمسين. انظر: السير (٢/ ٥٢٣).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٢/ ٤٨١)، وفي الصغرى (٤/ ١٠٨)، عن قتيبه بن سعيد عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه، به، وإسناده صحيح.

(٣) التمهيد (١١/ ٥٦).

وأبو عمر هو: ابن عبد البر يوسف بن عبد الله بن محمد الأندلسي القرطبي المالكي حافظ المغرب، صاحب التصانيف، مات سنة (٤٦٣هـ). انظر: السير (١٨/ ١٥٣).

(٤) في التمهيد «مؤمنًا شهيدًا من غير شهيد» العباره فيها قلق، ومعناها ظاهر: وهو أن هذا الحديث ليس خاصًا بالشهيد، دون غيره.

(٥) لم أجد له تخريجًا.

(٦) لم أقف على هذا الأثر. انظر: السير (٣/ ٧٩).

(٧) التمهيد (١١/ ٥٦).

فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»(١).

وقال آخرون: إنما معنى هذا الحديث في الشهداء دون غيرهم؛ لأن القرآن والسنة إنما يدلان على ذلك، أما القرآن فقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٠] الآية.

وأما الآثار: فذكر حديث أبي سعيد الخدري من طريق بقي بن مخلد(٢) مرفوعًا: «الشهداء يغدون ويروحون ثم يكون مأواهم إلى قناديل معلقة بالعرش فيقول لهم الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتكموها؟ فيقولون: لا، غير أنا وددنا أنك أعدت أرواحنا في أجسادنا (ع/٦٧ب) حتى نقاتل مرة أخرى فنقتل في سبيلك».

رواه عن هناد(٣) عن إسماعيل بن المختار(٤) عن عطية عنه(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٠٤٢) برقم (٦٥١٥).

(٢) بقي بن مخلد بن يزيد الإمام القدوة الأندلسي القرطبي، مات سنة (١٧٦هـ). انظر: السير (١٣/ ٢٨٥).

(٣) في الزهد (١/ ١٢١).

(٤) إسماعيل بن المختار، ذكره ابن حبان في الثقات (٦/ ٣٢) وقال: «من أهل الكوفة يروي عن عطية العوفي روي عنه هناد بن السري» كذا قال. ووجدت في الكامل لابن عدى (١/ ٥٠٦): «سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: إسماعيل بن مختار عن عطية سمع منه هناد بن السري لم يصح حديثه...» ثم ذكر له حديثًا وقال معقبًا: «وإسماعيل بن مختار هذا ليس بمعروف، ولا أظن أن له كبير رواية».

(٥) إسناده ضعيف؛ لحال عطية العوفي، والراوي عنه وإسماعيل بن المختار كما في الفقرة السابقة، لكن يشهد له ما رواه مسلم (٣/ ١٥٠٢) من حديث ابن مسعود وفيه: «قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى...» الحديث.

ثم ساق حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما أصيب إخوانكم -يعني يوم أُحد-** (د/ ١٤٤أ) **جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب مدللة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا أننا أحياء في الجنة، نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب، ولا يزهدوا في الجهاد؟ قال: فقال الله** عَزَّوَجَلَّ: **أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى:** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]». والحديث في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود[(١)].

ثم ذكر حديث الأعمش عن عبد الله بن مرة[(٢)] عن مسروق[(٣)] قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]، فقال: أما أنا قد سألنا عن ذلك فقال: «أرواحهم في أجواف طير خضر تسرح في الجنة في أيها شاءت تأوي إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعةً فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: وأي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٢)، وأحمد في المسند (١/ ٣٣٠)، والحاكم في المستدرك في موضعين (٢/ ٩٧) (٢/ ٣٢٥)، كلهم من طريق محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، به، وإسناده ضعيف لحال أبي الزبير، فإنه مدلس وقد عنعن.
وأخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٣٠) من طريق إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن ابن عباس، ولم يذكر فيه سعيدًا، وهو ضعيف أيضًا؛لأن أبا الزبير لم يسمع من ابن عباس -كما في جامع التحصيل (ص٢٦٩)- وإنما رآه. ويشهد لهذا الحديث ما بعده.

(٢) عبد الله بن مرة الهمداني الكوفي،قال في التقريب (ثقة من الثالثة). مات سنة (١٠٠هـ). انظر: تهذيب الكمال (٥/ ٦٢٣)، التقريب (ص٥٤٤- ٥٤٥).

(٣) مسروق بن الأجدع الهمداني الوادعي، أبو عائشة الكوفي «صدوق له أوهام من العاشرة» مات سنة (٦٣هـ) على الأرجح. انظر: تهذيب الكمال (٩/ ٥٨٨)، التقريب (ص٩٣٥).

يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا» والحديث في صحيح مسلم(١).

قلت: وفي صحيح البخاري عن أنس أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة(٢) أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ألا تحدثني عن حارثة(٣)، وكان قتل يوم بدر أصابه، سهم غرب، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال: «يا أم حارثة إنها جنان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»(٤).

ثم ساق ابن عبد البر من طريق بقي بن مخلد ثنا يحيى بن عبدالحميد(٥) ثنا ابن عيينة(٦) عن عبيد الله بن أبي يزيد(٧) سمع ابن عباس يقول: «أرواح الشهداء تجول

---

(١) أخرجه الدرامي بهذا اللفظ (٢/ ٢٠٦) ط. العلمية: من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق بن الأجدع بن عبد الله بن مسعود من قوله. وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة من صحيحه (٣/ ١٥٠٢) من نفس الطريق السابق دون كلمة «حواصل».
ويشهد له ما رواه الحميدي في مسنده (٢/ ٣٨٥) ط. المكتبة السلفية: من طريق الزهري عن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله ﷺ بلفظ: «نسمة المؤمن في طائر خضر تعلق من ثمر الجنة...» الحديث. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وقوله: «تعلق»: تأكل.

(٢) أم الربيع بنت النضر، أنصارية من بني عدي بن النجار، وهي أم حارثة بن سراقة الذي استشهد بين يدي رسول الله ﷺ ببدر، فأتت أم الربيع رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله أخبرني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت واحتسبت، وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء. فقال ﷺ: «إنها جنات، وإنه أصاب الفردوس الأعلى». انظر: أسد الغابة (١/ ١٣٤٩)، انظر: الإكمال (٤/ ١٩).

(٣) حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي الأنصاري النجادي، وأمه أم الربيع بنت النضر، عمة أنس ابن مالك، استشهد يوم بدر. انظر: الإصابة (١/ ٦١٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير (٢/ ٨٦٩)، باب من أتاه سهم غرب فقتله.

(٥) يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني الكوفي، قال في التقريب: «حافظ إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث من التاسعة». مات سنة (٢٢٨هـ). انظر: السير (١٠/ ٥٢٦)، التقريب (ص١٠٦٠).

(٦) سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي، ثقة حافظ إمام حجة، تغير بأخره، ربما دلس من رؤوس الثامنة، مات سنة ثمان وتسعين. انظر: التقريب (ص٣٩٥).

(٧) عبيد الله بن أبي يزيد المكي، مولى آل فارط بن شيبة، ثقة كثير الحديث، من الرابعة. مات سنة ست وثمانين، وله ست وثمانون سنة. انظر: التقريب (ص٦٤٦).

في أجواف طير خضر تعلق في ثمر الجنة»[١]. ثم ذكر عن معمر[٢] عن قتادة قال: «بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طير بيض تأكل (د/ ٤٤ب) من ثمار الجنة»[٣].

ومن طريق أبي عاصم النبيل[٤] عن ثور بن يزيد[٥] عن خالد بن معدان[٦] عن عبد الله بن عمرو «أرواح الشهداء في طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة»[٧].

قال أبو عمر: «هذه الآثار كلها تدل على أنهم الشهداء دون غيرهم، وفي بعضها في صور طير وفي بعضها في أجواف طير وفي بعضها كطير خضر».

---

(١) إسناده ضعيف جدًّا، لحال يحيى، لكن اخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ١٢٢٢) عن الحسن بن عثمان عن محمد بن يحيى بن عمر عن علي بن حرب عن سفيان به، وفي إسناده شيخ اللالكائي الحسن بن محمد، لم يتبين لي من هو.

(٢) معمر بن راشد الأزدي الحداني مولى عبد السلام بن عبد القدوس، وهو ثقة ثبت فاضل إلا في روايته عن ثابت والأعمش وما حدث به بالبصرة. مات سنة (١٥٣هـ). انظر: تهذيب الكمال (١٠/ ٢٠)، والتقريب (ص٩٦١).

(٣) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (٥/ ٢٦٤) برقم (٩٥٥٨) عن قتاده بلاغًا.

(٤) الضحاك بن مخلد بن الضحاك الشيباني أبو عاصم النبيل البصري. قال في التقريب (ص٤٥٩). «ثقة ثبت من التاسعة». مات سنة (٢٠٠هـ). انظر: تهذيب الكمال (٥/ ١٤).

(٥) ثور بن يزيد أبو يزيد الكلاعي الحمصي المحدث الفقيه. قال أحمد: كان ثور يرى القدر وليس به بأس. قال عبد الله بن سالم: أخرجوه وأحرقوا داره لكلامه في القدر. لكن يرى الذهبي أنه رجع عن كلامه في القدر، وذكر في ذلك قصة، وكان الحافظ يرى أن القصة لم تثبت، ولهذا قال في التقريب: «ثقة ثبت إلا أنه يرى القدر». مات سنة (١٥٣هـ). انظر: السير (٦/ ٣٤٤)، التقريب (ص١٩٠).

(٦) خالد بن معدان بن أبي كرب، الإمام شيخ أهل الشام، أبو عبد الله الكلاعي الحمصي.قال في التقريب: «ثقة عابد يرسل كثيرًا من الثالثة»، مات سنة (١٠٣هـ).
انظر: السير (٤/ ٥٣٦)، التقريب (ص٢٩١).

(٧) إسناده صحيح، أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٣٨٥) ط- دار المعراج الدولية، وابن أبي شيبه في المصنف (٧/ ٣١) عن عيسى بن يونس عن ثور بن يزيد به، لكنه قال: «أرواح المؤمنين» بدل «الشهداء».

قال: «والذي يشبه عندي -والله أعلم-: أن يكون القول (ع/١٦٨أ) قول من قال كطير أو صور طير لمطابقته لحديثنا المذكور». يريد حديث كعب بن مالك، وقوله فيه «نسمة المؤمن كطائر» ولم يقل «في جوف طائر»[١].

قال: وروى عيسى بن يونس[٢] حديث ابن مسعود[٣] عن الأعمش عن عبد الله ابن مرة عن مسروق عن عبد الله «كطير خضر»[٤]. قلت[٥]: والذي في صحيح مسلم: «في أجواف طير خضر»[٦].

قال أبو عمر[٧]: «فعلى هذا التأويل فكأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إنما نسمة المؤمن من الشهداء طائر يعلق في شجر الجنة».

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في «كتاب الروح»[٨]:

«قلت: لا تنافي بين قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر**

---

(١) هذا الكلام الأخير من تعقيب المؤلف على كلام ابن عبد البر، وكأنه ناقص، وهو يريد أن الحديث الأول، وهو حديث كعب بن مالك يعم الشهيد وغيره، والحديث الثاني خاص بالشهيد دون غيره، وهو مارجحه ابن القيم، كما سيأتي من كلامه.

(٢) عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أبو عمر، ويقال أبو محمد الكوفي، قال في التقريب (ص٧٧٣): «ثقة مأمون». مات سنة (١٩١هـ). انظر: تهذيب الكمال (٨/ ١٥٧).

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء، من الصحابة، مناقبه جمة، وأمَّره عمر على الكوفة، ومات سنة (٣٢هـ) أو في السنة التي بعدها في المدينة. انظر: التقريب (ص٥٤٥).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) القائل هو المؤلف.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) في التمهيد (١١/ ٦٥).

(٨) انظر: كتاب الروح (ص٩٧).

الجنة»[١]، وبين قوله: **«إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار»**[٢].

وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد، كما أن قوله: «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة» يتناول الشهيد وغيره، ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ترد روحه أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وأما المقعد الخاص به والبيت الذي أعد له؛ فإنه إنما يدخله يوم القيامة.

ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التي أعد الله لهم ليست هي تلك القناديل التي تأوي إليها أرواحهم في البرزخ قطعًا، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة، ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش؛ فإن الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة (د/١٤٥)، ودخول الأرواح في الجنة في البرزخ أمر دون ذلك.

ونظير هذا: أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدوًا وعشيًا، فإذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التي كانوا يعرضون عليها في البرزخ، فتَنَعُّمِ الأرواح بالجنة في البرزخ شيء، وتَنَعُّمِها مع الأبدان بها يوم القيامة شيء آخر، فغذاء الروح من الجنة في البرزخ دون غذائها مع بدنها يوم البعث، ولهذا قال: (تعلق في شجر الجنة) أي: تأكل العلقة، وأما تمام الأكل والشرب واللبس والتمتع، فإنما يكون إذا ردت إلى أجسادها يوم القيامة.

فظهر أنه لا يعارض هذا القول من السنة شيء، وإنما تعاضده السنة وتوافقه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه بالغداة والعشي (١/ ٤٦٤ ج/ ١٣١٣)، ورواه مسلم (٤/ ٢١٩٩)، باب عرض مقعد الميت من الجنة كتاب الجنة.

وأما قول من قال: أن حديث كعب في الشهداء دون غيرهم، فتخصيص ليس في اللفظ ما يدل عليه، وهو حمل اللفظ العام على أقل مسمياته؛ فإن الشهداء بالنسبة إلى عموم المؤمنين قليل جدًّا، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علق هذا الجزاء بوصف الإيمان، فهو المقتضي له، ولم يعلقه بوصف الشهادة ألا ترى أن الحكم الذي اختص بالشهداء علق بوصف الشهادة، كقوله في حديث المقدام ابن معدي كرب[(١)]: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفقة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه»[(٢)]. فلما كان هذا يختص بالشهيد قال: (إن للشهيد..) ولم يقل (إن للمؤمن).

وكذلك قوله في حديث قيس الجذامي[(٣)]: «يعطى الشهيد ست خصال»[(٤)].

---

(١) المقدام بن معدي كرب بن عمرو الكندي أبو كريمة، صحابي مشهور نزل الشام ومات بها سنة (٨٧هـ) على الصحيح، وله (٩١سنة). انظر: تقريب التهذيب (ص٩٦٩).

(٢) أخرجه -بهذا اللفظ- أحمد في المسند (٢٨/ ٤١٩)، وسعيد بن منصور في سننه (١/ ٣٦٧)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٦٦) وغيرهم من طريق إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معدي كرب به. قال الهيثمي في المجمع (٥/ ٣٥١): «رجال أحمد والطبراني رجال الصحيح».

(٣) في (ع)، و(د) تحرفت إلى «الحزامي»، لـه صحبة على ما ذكره البخاري في الصحابة من تاريخه (٧/ ٦٤٢)، وأخرج له الحديث المذكور من طريق كثير بن مرة عنه. قيل إن اسمه مرثد، وقيل زيد، وقد ذكر الحافظ في التهذيب (٤/ ٥٧٣) أن قيس بن زيد هو الجذامي، ثم رجع عن هذا القول في الإصابة (٣/ ٢٥٢) وقال: والذي يظهر لي أنه غيره، وأن الراوي عن عقبة اختلف في اسم أبيه، فقيل: عامر وقيل يزيد، وقيل زيد، وأن زيدًا غيره، وقيس هذا كان سيدًا، ووفد على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعقد له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بني سعد بن مالك بن أفصى، وابنه ناتل ابن قيس سيد جذام بالشام، وهو الأمير المشهور. انظر: تقريب التهذيب (ص٨٠٦).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢٧٢) ورجاله ثقات غير عبد الرحمن بن ثابت وهو صدوق =

وكذلك سائر الأحاديث والنصوص التي علق فيها الجزاء بالشهادة. وأما ما علق فيه الجزاء بالإيمان فإنه يتناول كل مؤمن، شهيدًا كان أو غير شهيد.

وأما النصوص والآثار التي ذكرت في رزق الشهداء، وكون أرواحهم في الجنة، فكلها (د/٤٥ب) حق، وهي لا تدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة، ولا سيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بلا نزاع بين الناس.

فيقال لهؤلاء: ما تقولون في أرواح الصديقين هل هي في الجنة أم لا؟

فإن قالوا: إنها في الجنة، ولا يسوغ لهم غير هذا القول.

قيل: فثبت أن هذه النصوص لا تدل على اختصاص أرواح الشهداء بذلك.

وإن قالوا: ليست في الجنة لزمهم من ذلك أن تكون أرواح سادات الصحابة كأبي بكر الصديق وأُبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة بن اليمان وأشباههم ليست في الجنة وأرواح شهداء زماننا في الجنة. وهذا معلوم البطلان ضرورة.

فإن قيل: فإذا كان هذا حكمًا لا يختص بالشهداء، فما الموجب لتخصيصهم بالذكر في هذه النصوص؟.

قيل: الموجب لذلك التنبيه على فضل الشهادة، وعلو درجتها، وإن هذا مضمون لأهلها ولابد، وأن لهم أوفر نصيب، فنصيبهم من هذا النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة منهم فله نعيم يختص به[1]، لا يشاركه فيه من هو دونه.

=يخطئ، وفي روايته عن أبيه عن مكحول كلام، وقد أنكر عليه جماعة أحاديث مسنده يرويها عن أبيه عن مكحول، لكن يشهد لهذا الحديث الذي قبله.

(١) كالصِّدِّيق؛ فإنه أعلى رتبة من الشهيد، وإن مات على فراشه.

ويدل على هذا أن الله سبحانه جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر؛ فإنهم لما بذلوا أنفسهم لله حتى أتلفها أعداؤه فيه؛ أعاضهم منها في البرزخ أبدانًا خيرًا منها تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان، أكمل من نعيم المجردة عنها؛ ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير، ونسمة الشهيد في جوف طير.

وتأمل لفظ الحديثين فإنه قال: «نسمة المؤمن طير» فهذا يعم الشهيد (ع/ ١٧٠أ) وغيره ثم خص الشهيد بأن قال: «هي في جوف طير».

ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير؛ صدق عليها أنها طير، فصلوات الله وسلامه على من يصدق كلامه بعضه بعضًا، ويدل على أنه (د/ ١٤٦أ) حق من عند الله.

وهذا الجمع أحسن من جمع أبي عمر وترجيحه رواية من روى «أرواحهم كطير خضر» بل الروايتان حق وصواب فهي «كطير أخضر وفي أجواف طير خضر» انتهى كلام الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

قوله:

حتى تعود لذلك الجثمان

الجثمان هو الجسم، قال الجوهري[1]: «قال أبو زيد: الجسم الجسد، وكذلك الجسمان والجثمان، وقال الأصمعي: الجسم والجسمان الجسد، والجثمان الشخص وقال: جماعة جسم الإنسان أيضًا يقال له: الجسمان مثل ذئب وذؤبان»[2] انتهى.

---

(١) في الصحاح -مادة جسم وجثم- (٥/ ١٨٨٧).

(٢) انظر: لسان العرب -مادة: جسم- (١٢/ ٩٩)، ومختار الصحاح -مادة: جسم وجثم- (١/ ٤٠).

وقول الناظم:

لكن أرواح الذين استشهدوا ... في جوف طير أخضر ريان

يعني أن الشهداء لهم خصوصية بأن أرواحهم تجعل في أجواف طير خضر كما صرح بذلك في كلامه المتقدم؛ بقوله «ثم خص الشهداء بأن قال: هي في جوف طير» والله أعلم.

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى(١):

والقائلون بأنها عرض أبوا ... ذا كله تبا لذي نكران

وإذا أراد الله إخراج الورى ... بعد الممات إلى المعاد الثاني

ألقى على الأرض التي هم تحتها ... والله مقتدر وذوسلطان

مطرا غليظا أبيضا متتابعا ... عشرا وعشرا بعدها عشران

فتظل تنبت منه أجسام الورى ... ولحومهم كمنابت الريحان

حتى إذا ما الأم حان ولادها ... وتمخضت فنفاسها متدان

أوحى لها رب السما فتشققت ... فبدا الجنين كأكمل الشبان

وتخلت الأم الولود فأخرجت ... أثقالها أنثى ومن ذكران

والله ينشئ خلقه في نشأة ... أخرى كما قد قال في القرآن

هذا الذي جاء الكتاب وسنة الـ ... ـهادي به فاحرص على الإيمان

ما قال إن الله يعدم خلقه ... طرا كقول الجاهل الحيران

(١) في هامش (ع) بخط المؤلف «بلغ على مؤلفه عفا الله عنه».

قوله:

والـقـائـلـون بـأنـهـا عـــرض...... .... إلخ

أي: إن القائلين بأن الروح (د/٤٦ب) عرض أبوا ذا كله؛ لأنها عندهم تعدم وتتلاشى، وعندهم أنها عرض من أعراض البدن، وهو الحياة. وهذا قول ابن الباقلاني[1] ومن تبعه[2].

وكذلك قال أبو الهذيل العلاف: «النفس عرض من الأعراض (ع/٧١ب) ولم يعينه بأنه الحياة»[3] كما عينه ابن الباقلاني، ثم قال: هي عرض كسائر أعراض الجسم، وهؤلاء عندهم أن الجسم إذا مات عدمت روحه كما تعدم سائر أعراضه المشروطة بالحياة.

ومن يقول منهم: إن العرض لايبقى زمانين، كما يقوله أكثر الأشعرية. فمن قولهم: إن روح الإنسان الآن هي غير روحه قبل، وهو لا ينفك يحدث له روح ثم تغير ثم روح ثم تغير هكذا أبدًا، فيبدله ألف روح فأكثر في ساعة من الزمان، فما دونها، فإذا مات فلا روح تصعد إلى السماء، وتعود إلى القبر، وتقبضها الملائكة ويستفتحون لها أبواب السماوات، ولا تنعم ولا تعذب، وإنما ينعم ويعذب الجسد إذا شاء الله تنعيمه وتعذيبه رد الحياة في وقت يريد نعيمه وعذابه، وإلا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة.

---

(١) محمد بن الطيب بن محمد البصري ثم البغدادي أبو بكر، المعروف بابن الباقلاني لسان المتكلمين، على مذهب الأشعري، مات ببغداد سنة (٤٠٣هـ). انظر: معجم المؤلفين (١٠/ ١٠٩-١١٠).

(٢) انظر: تمهيد الأوائل للباقلاني (ص٦٠) ط. مؤسسة الكتاب، وقد حكاه عن أكثر المتكلمين. وانظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٤٠)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ١٥٣)، والصفدية (٢/ ٢٦٧)، والروح لابن القيم (ص٢٣٩).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ٣٠).

وقال بعض أرباب هذا القول: تُرَدُّ الحياة إلى عجب الذنب فهو الذي يعذب وينعم فحسب، وهذا قول يرده الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقول والفطرة، وهو قول من لم يعرف روحه فضلًا عن روح غيره، وقد خاطب الله سبحانه النفس بالرجوع والدخول والخروج، ودلت النصوص الصحيحة الصريحة على أنها تصعد وتنزل وتقبض وتمسك وترسل، وتستفتح لها أبواب السماء، وتسجد وتتكلم، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة، وتكفن وتحنط في أكفان الجنة أو النار، وأن ملك الموت يأخذها بيده ثم تتناولها[1] الملائكة من يده، ويشم لها كأطيب نفحة مسك، وكأنتن جيفة، وتشيع من سماءٍ إلى سماء، ثم تعاد إلى الأرض مع الملائكة، وأنها إذا خرجت تبعها البصر حيث يراها (د/١٤٧) وهي خارجة، ودل القرآن على أنها تنتقل من مكان إلى مكان حتى تبلغ الحلقوم في حركتها.

وجميع ما ورد من الأدلة الدالة على تلاقي الأرواح وتعارفها، وأنها أجناد مجندة إلى غير ذلك؛ يبطل هذا القول، وقد شاهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأرواح ليلة الإسراء عن يمين آدم وشماله، وأخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن «**نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة**»، وأن «**أرواح الشهداء في حواصل طير خضر**»[2]، وأخبر تعالى عن أرواح آل فرعون، أنها تعرض على النار غدوا وعشيًا[3]، ولما أُورِدَ ذلك على ابن الباقلاني لج في الجواب[4]، وقال: يخرج على هذا أحد وجهين:

---

(١) في النسخ الخطية «يتناولها» وهو خطأ.

(٢) سبق تخريجها.

(٣) كما قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦].

(٤) أي: تردد فيه.

إما بأن يوضع عرض من الحياة في أول جزء من أجزاء الجسم، وإما أن يخلق لتلك الحياة والنعيم والعذاب جسد آخر[1].

وهذا قول في غاية الفساد من وجوه كثيرة، وأي قول أفسد من قول من يجعل روح الإنسان عرضًا من الأعراض، تبدل كل ساعة ألوفًا من المرات، فإذا فارقه هذا العرض لم يكن بعد المفارقة (ع/ ١٧٢) روح تُنَعمُ ولا تعذب ولا تصعد ولا تنزل ولا تمسك ولا ترسل.

فهذا قول مخالف للعقل ونصوص الكتاب والسنة والفطرة، وهو قول من لم يعرف نفسه والله أعلم.

قوله:

وإذا أراد الله إخـــراج الـــورى .... إلخ

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما بين النفختين أربعون**» قيل: أربعون يومًا؟، قال وأبو هريرة: «**أبيت**» قال: أربعون شهرًا؟ قال: «**أبيت**» قال: أربعون سنة قال: «**أبيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عظم الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة**»[2].

وفي رواية لمسلم: «**إن في الإنسان عظمًا لا تأكله الأرض أبدًا فيه يركب الخلق يوم القيامة**» قالوا: أي عظم هو يا رسول الله؟ قال: «**عَجْبُ الذنب**»[3].

---

(١) انظر: الروح لابن القيم (ص١٥٦).
(٢) مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة برقم (٢٩٥٥).
(٣) أخرجه مسلم في الفتن، وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين (٤/ ٢٢٧).

وزواه الإمام مالك وأبو داود والنسائي باختصار قال: «**كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب**»[(١)] (د/ ٤٧ب).

قال الحافظ المنذر[(٢)] كغيره: «عجب الذنب- بفتح العين المهملة وإسكان الجيم بعدها باء موحدة أو ميم - هو العظم الحديد الذي يكون في أسفل الصلب، وأصل الذنب من ذوات الأربع»[(٣)].

وقد روى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه**» قيل: ما هو يا رسول الله؟ قال: «**مثل حبة خردل منه تنبتون**»[(٤)].

وروى الثعلبي في تفسير سورة الأعراف وابن عطية في تفسيره[(٥)] عن أبي هريرة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى -يعني نفخة

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧١).

(٢) كذا في النُسخ، ومعناه: أن المنذري وغيره اشتركوا أو توافقوا على التعريف التالي، على أني أرجح أن العبارة: «قال المنذري وغيره».

(٣) الترغيب والترهيب للمنذري (٤/ ١٩٢).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧/ ٤٠٩)، وأحمد في المسند (٣/ ٣٦) واللفظ له، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٥٢) من طريق عمرو بن الحارث عن دراج أبو السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، به.

ودراجٌ ضعيف في روايته عن أبي الهيثم، لكن يشهد له ما قبله من الأحاديث الصحيحة.

تنبيه: قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٣٢): «رواه أحمد وإسناده حسن»كذا قال، وفيه ما قد علمت.

وقوله: (..خردل) حب شجر معروف، صغير الحجم، والحبة الواحدة خردلة -بفتح الخاء بعدها راء ساكنة ثم دال مفتوحة-.

انظر: الذيل على النهاية في غريب الحديث والأثر لعبد السلام علوش (ص١٣٩).

(٥) الكشف والبيان للثعلبي (٧/ ٢٢٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٤١٤).

الصعق - أمطر عليهم أربعين عامًا كمني الرجال، من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان، فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء، حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح، ثم يلقى عليهم نومة فينامون في قبورهم، فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية قاموا، وهم يجدون طعم النوم في أعينهم كما يجده القائم إذا استيقظ من نومه، فعند ذلك يقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾»(١).

وقول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أبيت) فيه ثلاث تأويلات(٢):

أحدها: امتنعت من بيان ذلك. وقيل: أبيت أسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك. وقيل: نسيت. وقيل: إن سر ذلك لأنه لا يعلمه إلا الله تعالى؛ لأنه من أسرار الربوبية، لكن في حديث أن بين النفختين أربعين عامًا(٣).

وقول الناظم:

.... **طرا** ....

هو بضم الطاء أي: جميعًا(٤).

✲✲✲

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (/ ١٤٧١)، وابن أبي شيبه في المصنف (٧/ ٥١١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤٢) وقال:« صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وأصل الحديث في البخاري (٨/ ٤١٤- فتح، دار الريان).

(٢) انظر: عمدة القاري للعيني (١٩/ ١٤٩) ط. دار إحياء التراث العربي، ومرقاة المفاتيح لعلي القاري (١٠/ ١٧٩) ط. دار الكتب العلمية.

(٣) أخرجه ابن مردوية في تفسيره - كما في فتح الباري (٨/ ٤١٤) - من حديث أبي هريرة، وإسناده ضعيف، وروي من طرق أخرى كلها ضعيفة.

(٤) انظر: مختار الصحاح - مادة طرر (١/ ١٦٤).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وقضى بأن الله ليس بفاعل ... فعلا يقوم به بلا برهان
بل فعله المفعول خارج ذاته ... كالوصف غير الذات في الحسبان
والجبر مذهبه الذي قرت به ... عين العصاة وشيعة الشيطان
كانوا على وجل من العصيان إذ ... هو فعلهم والذنب للإنسان
واللوم لا يعدوه إذ هو فاعل ... بإرادة وبقدرة الحيوان
فأراحهم جهم وشيعته من اللـ ... ـوم العنيف وما قضوا بأمان
لكنهم حملوا ذنوبهم على ... رب العباد بعزة وأمان
وتبرؤوا منها وقالوا إنها ... أفعاله ما حيلة الإنسان
ما كلف الجبار نفسا وسعها ... أنى وقد جبرت على العصيان
وكذا على الطاعات أيضًا قد غدت ... مجبورة فلها إذا جبران
والعبد في التحقيق شبه نعامة ... قد كلفت بالحمل والطيران
إذ كان صورتها تدل عليهما ... هذا وليس لها بذاك يدان

تضمن كلام (ع/ ٧٣ب) الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مسألتين (د/ ١٤٨أ) عظيمتين [(١)]:

إحداهما: في أفعال الله تعالى، هل لله تعالى فعل يقوم به بمشيئته وقدرته، أم الفعل هو المفعول والخلق هو المخلوق؟

فالأول هو الذي ذكره الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد

---

(١) في هامش (ع) علق الشيخ عبد الله العنقري بقوله: «قوله: تضمن مسألتين... إلخ، والظاهر أنها مسألة واحدة ذات قولين: الأول: قول أهل السنة، وهو أن الخلق غير المخلوق، فالخلق صفة فعل، والمخلوق أثرها. والقول الثاني: قول الجهمية، ومن تبعهم وهو قول باطل يرده قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، وما حكاه البخاري في صحيحه عن أهل السنة».

ومالك في كتبهم[١]، كما ذكره فقهاء الحنفية كالطحاوي[٢] وأبي منصور الماتريدي[٣] وغيرهم، وكما ذكره البغوي في «شرح السنة»[٤]، وكما ذكره أصحاب أحمد كأبي إسحاق[٥] وأبي بكر عبد العزيز[٦] والقاضي وغيرهم، لكن القاضي ذكره في الخلق هل هو المخلوق أو غيره على قولين[٧]، ولكن استقر قوله على أن الخلق غير المخلوق وإن خالفهم ابن عقيل[٨]، وكما ذكره أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي[٩] في كتاب «اعتقاد الصوفية»[١٠]، وكما ذكره أئمة الحديث والسنة.

قال البخاري في آخر الصحيح في كتاب الرد على الجهمية والزنادقة[١١] «باب

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٨)، نقض التأسيس (١/ ٥٤٦).

(٢) أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي المصري الحنفي، فقيه محدث حافظ مؤرخ، مات بمصر سنة (٣٢١هـ). انظر: معجم المؤلفين (٢/ ١٠٧).

(٣) محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، صاحب جدل وكلام، تابع ابن كلاب في عدة مسائل، ونفى الصفات الخبرية وقال بتأويلها.
مات سنة (٣٣٣هـ). انظر: معجم المؤلفين (١١/ ٣٠٠).

(٤) شرح السنة للبغوي (١٥/ ٢٥٧).

(٥) إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان الفقيه المعروف بابن شاقلا، أحد شيوخ الحنابلة. انظر: تاريخ بغداد (٦/ ١٧).

(٦) عبد العزيز بن جعفر، الفقيه الحنبلي المعروف بغلام الخلال، أحد مشاهير الحنابلة، مات سنة (٣٦٣هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٤٥٩)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٧٨).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٧٤)، (٥/ ٥٢٨)، ودرء التعارض (١/ ٣٣٨)، ومنهاج السنة (٢/ ٦٩٢).

(٨) انظر: الرد على البكري (١/ ٣٤٠)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٢٣١)، (٨/ ١٩)، (١٦/ ٣٩٣).

(٩) محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي، أبو بكر، كان إمامًا أصوليًا، مات سنة (٣٨٠هـ).
انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/ ٨٥-٨٦) ط. مكتبة العلوم والحكم، وكشف الظنون (١/ ٤١٩)، وهدية العارفين (٦/ ٥٤) ط. دار الكتب العلمية.

(١٠) هو كتاب «التعرف لمذهب التصوف» له (ص٣٨).

(١١) البخاري (٤/ ٢٣٢٧) ويسمي بعضهم هذا الكتاب بالرد على الجهمية.

ما جاء في تخليق السماوات والأرض ونحوها من الخلائق، وهو فعل الرب وأمره، فالرب بصفاته وفعله وأمره وكلامه، هو الخالق المكون غير مخلوق، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون» اهـ.

وذهبت الجهمية والمعتزلة أو أكثرهم والكلابية والأشعرية إلى أن الخلق هو (د/٤٨ب) المخلوق والفعل هو المفعول وليس لهؤلاء عند الرب فعل ولا صنع يقوم به تعالى الله عما يقول الجاحدون علوًّا كبيرًا[1].

قوله:

والجبر مذهبه الذي قرت به .... إلخ

أي: إن مذهب جهم هو الجبر، ومعنى ذلك أن الناس اختلفوا في أفعال العباد هل هي مقدورة للرب والعبد أم لا:

فقال جهم واتباعه (ع/٧٤أ) الجبرية: إن ذلك الفعل مقدور للرب لا للعبد، وكذلك قال الأشعري وأتباعه: إن المؤثر فيه قدرة الرب، دون قدرة العبد.

وقال جمهور المعتزلة: إن الرب لا يقدر على عين مقدور العبد[2].

واختلفوا: هل يقدر على مثل مقدوره؟ فأثبته البصريون كأبي علي[3]

---

(١) في هامش (ع) «والصواب الذي عليه أهل السنة أن الخلق غير المخلوق كما ذكره البخاري» اهـ. ويبدو أنه من تعليق العنقري أيضًا؛ لأنه كتب بنفس الخط الذي علق به التعليق السابق. انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٣٩)، (٤/ ٧٠)، والصفدية (١/ ١٥٣)، ومجموع الفتاوى (٨/ ١٩).

(٢) انظر: درء التعارض (١/ ٨١)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٥٨)، (٢/ ٩٤)، والفرق بين الفرق للبغدادي (١/ ٣٢٣)، والمواقف للإيجي (٣/ ٧٨) ط. دار الجيل.

(٣) محمد بن عبد الوهاب البصري شيخ المعتزلة أبو علي الجبائي، مات سنة (٣٠٣هـ). انظر: السير (١٤/ ١٨٣).

وأبي هاشم[١]، ونفاه الكعبي[٢]، وأتباعه البغداديون[٣].

واحتج المعتزلة بأنه لو كان مقدورًا لهما للزم إذا أراد أحدهما شيئًا أو أمرًا وكرهه الآخر مثل أن يريد الرب تحريكه، ويكرهه العبد أن يكون موجودًا معدومًا؛ لأن المقدور من شأنه أن يوجد عند توفر دواعي القادر، وأن يبقى على العدم عند توفر صارفه، فلو كان مقدور العبد مقدورًا لله؛ لكان إذا أراد الله وقوعه وكره العبد وقوعه، لزم أن يوجد لتحقق الدواعي، ولا يوجد لتحقق الصارف وهو محال[٤].

وقد أجاب الجبرية عن هذا بما ذكره الرازي، وهو أن البقاء على العدم عند تحقق الصارف ممنوع مطلقًا، بل يجب إذا لم يقم مقامه سبب آخر مستقل.

وهذا أول المسألة، وهذا جواب ضعيف؛ فإن الكلام في فعل العبد القائم به إذا قام بقلبه الصارف عنه دون الداعي إليه[٥]، وهذا يمتنع وجوده من العبد في هذه الحال، وما قدر وجوده بدون إرادته؛ لم يكن فعلًا اختياريًّا، بل يكون بمنزلة حركه المرتعش، والكلام إنما هو في الاختياري، ولكن الجواب منع هذا التقدير فإن ما لم يرده العبد من أفعاله يمتنع أن يكون الله مريدًا لوقوعه؛ إذ لو شاء وقوعه جعل العبد مريدًا له، فإذا لم يجعله مريدا له علم أنه لم يشأه[٦].

---

(١) عبد السلام بن الأستاذ أبي علي محمد ابن عبد الوهاب بن سلام أبو هاشم الجبائي المعتزلي، توفي سنة (٣٢١هـ). انظر: السير (١٥/ ٦٣).

(٢) شيخ المعتزلة، أبو القاسم عبد الله بن أحمد محمود البلخي المعروف بالكعبي، من نظراء أبي علي الجبائي، توفي أول شعبان سنة (١٢٩هـ). انظر: السير (١٤/ ٣١٣).

(٣) انظر: الفصل لأبي حزم (٣/ ٢٢).

(٤) درء التعارض (١/ ٨٢).

(٥) كذا في النسخ الخطية، ودرء التعارض المنقول عنه هذا.

(٦) المصدر نفسه (١/ ٨٢).

ولهذا اتفق علماء المسلمين على أن الإنسان لو قال: والله (د/ ١٤٩أ) لأفعلن كذا وكذا إن شاء الله، ثم لم يفعله أنه لا يحنث لأنه لما لم يفعله؛ علم أن الله لم يشأه، إذ لو شاءه لفعله العبد، فلما لم يفعله علم أن الله لم يشأه[(١)].

واحتج الجبرية بما ذكره الرازي وغيره بقولهم: «إذا أراد الله تحريك جسم وأراد العبد تسكينه، فإما أن يمتنعا معًا وهو محال؛ لأن المانع من وقوع مراد كل واحد منهما هو وجود مراد الآخر، فلو امتنعا معا لوجدا معًا، وهو محال أو يقعا وهو محال، أو يقع أحدهما وهو باطل؛ لأن القدرتين متساويتان في الاستقلال بالتأثير في ذلك المقدور الواحد، والشيء الواحد حقيقته لا تقبل التفاوت.

فإذن القدرتان بالنسبة إلى اقتضاء وجود ذلك المقدور على السوية، وإنما التفاوت في أمور خارجة عن هذا المعنى، وإذا كان كذلك امتنع الترجيح»[(٢)].

فيقال: هذه الحجة باطلة على المذهبين (ع/ ٧٥ب)، أما أهل السنة فعندهم يمتنع أن يريد الله تحريك جسم ويجعل العبد مريدًا لأن يجعله ساكنًا، مع قدرته على ذلك[(٣)]؛ فإن الإرادة الجازمة مع القدرة، تستلزم وجود المقدور، فلو جعله الرب مريدًا مع قدرته؛ لزم وجود مقدوره، فيكون العبد يشاء ما لا يشاء الله وجوده.

وهذا ممتنع، بل ما شاء الله وجوده يجعل القادر عليه، مريدًا لوجوده، لا يجعله مريدًا لما يناقض مراد الرب.

---

(١) انظر: الأم للشافعي (٧/ ٦٢) ط. دار المعرفة، وبدائع الصنائع للكاساني (٣/ ١٩) ط. دار الكتاب العربي.

(٢) انظر: درء التعارض (١/ ٨٤).

(٣) انظر: درء التعارض (١/ ٨٤).

وأما على قول المعتزلة، فعندهم تمتنع قدرة الرب على عين مقدور العبد، فيمتنع اختلاف الإرادتين في شيء واحد.

وكلا الحجتين باطلة، فإنهما مبنيتان على تناقض الإرادتين، وهذا ممتنع فإن العبد إذا شاء أن يكون شيء لم يشأه حتى يشاء الله مشيئته، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨] وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا شاء الله جعل العبد شائيًا له، وإذا جعل العبد كارها له غير مريد له، لم يكن هو في هذه الحال شائيًا له، فهم بنوا (د/ ٤٩ب) الدليل على تقدير مشيئة الله له، وكراهة العبد له.

وهذا تقدير ممتنع، وهذا نقلوه من تقدير «ربين وإلهين»، وهو قياس باطل؛ لأن العبد مخلوق لله هو وجميع مفعولاته، ليس هو مثلًا لله ولا ندًّا، والله أعلم.

وقول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

كانوا على وجل من العصيان إذ هو فعلهم والذنب للإنسان

أي إن أفعال العباد غير اختيارية، بل هم مجبورون عليها كحركة المرتعش وتحريك الهواء للأشجار ونحو ذلك، فإذا كان أصل القدرية المجبرة أن إرادة الرب تعالى، هي عين محبته ورضاه، فكل ما شاءه فقد أحبه ورضيه، وكل ما لم يشأه فهو مسخوط له مبغوض، فالمبغوض المسخوط هو ما لم يشأه، والمحبوب المرضي هو ما شاءه.

هذا أصل القدرية الجبرية، المنكرين للحكم والتعليل والأسباب وتحسين العقل وتقبيحه، وأن الأفعال كلها سواء، لا يختص بعضها بما صار حسنًا لأجله، وبعضها بما صار قبيحًا لأجله، ويجوز في العقل أن يأمر بما نهى عنه، وينهى عما أمر

به، ولا يكون ذلك مناقضًا للحكمة؛ إذ الحكمة ترجع عندهم إلى مطابقة العلم الأزلي لمعلومه، والإرادة الأزلية لمرادها، والقدرة لمقدورها.

فإذن الأفعال بالنسبة إلى المشيئة والإرادة مستوية، لا توصف بحسن ولا قبح. فإذا تعلق بها الأمر والنهي صارت حينئذ حسنة وقبيحة، وليس حسنها وقبحها زائدًا على كونها مأمورًا بها ومنهيًّا عنها.

قوله:

والعبد في التحقيق شبه نعامة .... إلخ

أي لأجل أن لها أجنحة، فتشبه الطير من هذا الوجه، ولها أخفاف تشبه أخفاف الناقة، فلهذا قال: قد كلفت بالحمل والطيران.

قوله:

وليس لها بذاك يدان

المراد باليد هنا (ع/ ١٧٦) القدرة تسمية للشيء باسم سببه؛ لأن القدرة هي تحريك اليد يقال: فلان له يد في كذا وكذا.

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

فلذاك قال بأن طاعات الورى ... وكذاك ما فعلوه من عصيان

هي عين فعل الرب لا أفعالهم ... فيصح عنهم عند ذا نفيان

نفي لقدرتهم عليها أو لا ... وصدورها منهم بنفي ثان

فيقال ما صاموا ولا صلوا ولا ... زكوا ولا ذبحوا من القربان

وكذاك ما شربوا وما قتلوا وما ... سرقوا ولا فيهم غوي زان

وكــذاك لــم يــأتــوا اختيــارا ... منهم بـالكفـر والإسلام والايمـان
إلا عـلـى وجــه الـمجـاز لأنها ... قـامـت بـهـم كـالـطعـم والألــوان
جبــروا علــى مـا شـاءه خلاقهم ... مــا ثــم ذو عــون وغيــر معان
والـكـل مـجبـور وغيــر ميسر ... كـالـمـيت أدرج داخـل الأكفان
وكـذاك أفعال المهيمن لم تقم ... أيـضـا بـه خـوفـا مــن الحدثان
فـإذا جـمـعـت مقـالتيـه انتجا ... كـذبـا وزورا واضــح البهتان
إذ لـيسـت الأفـعـال فعـل إلهنا ... والــرب لـيـس بـفـاعـل العصيان
فــإذا انـتـفت صفـة الإلـه وفعله ... وكـلامــه وفـعــائـل الإنسان
فهنــاك لا خـلـق ولا أمــر ولا ... وحــي ولا تـكـلـيـف عـبـد فان

لما فرغ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من الكلام (د/ ٥٠أ) على القول بالجبر وذكر بعض ما يلزم أهله؛ شرع أيضًا في بيان ما يلزمهم من وجه آخر من الشناعات فقال:

وكذاك أفعال المهيمن .... إلخ

أي أن مذهب الجهمية، ومن وافقهم: أن الرب -تعالى- لا تقوم به الأفعال الاختيارية، بل الفعل هو المفعول والخلق هو المخلوق[١]، كما تقدم حكاية ذلك عنهم؛ لأنهم على زعمهم إذا قالوا بذلك؛ لزم قيام الحوادث بذات الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فيلزم حدوثه تعالى وتقدس؛ لأن ما قامت به الحوادث فهو حادث.

والعبد عندهم -أيضًا- ليس بفاعل بالإختيار، بل هو مجبور وغير (د/ ٥٠ب) ميسر، وحركته كحركة المرتعش، أو كالميت أدرج داخل الأكفان، فإذا كان فعل الرب تعالى غير قائم به عندهم، بل الفعل[٢] هو المفعول، والعبد عندهم ليس

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٢٩٦).
(٢) في (ع) و(د) «المفعول»، وهو سبق قلم، وقد وجدت في هامش (ع) «لعله: بل الفعل هو المفعول»، وكأنه من تعليق العنقري الذي سبق أن علق على هذه المسألة سابقًا.

بفاعل [كان نسبة ذلك الى الرب وإلى العبد كذبًا]. فلذلك قال الناظم:

فإذا جمعت مقالتيه انتجا .... إلخ

أي إذا كان الفعل ليس فعلًا للرب، والعبد مجبور؛ لا فعل له (ع/٧٧ب) في الحقيقة، بل تسمى أفعالًا له مجازًا؛ كان نسبة ذلك إلى الرب تعالى كذبًا؛ لأن الرب ليس بفاعل للمعاصي، وصار نسبته إلى العبد كذبًا أيضًا؛ لأنه ليس بفاعل، وإنما هو مجبور.

فإذا انتفت صفة الفعل والكلام في الرب تعالى، فهناك لا خلق ولا أمر ولا وحي ولا تكليف، كما ألزمهم به الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

قوله:

الكل مجبور .... إلخ

قال الناظم في شرح منازل السائرين[(١)]:

«مشهد أصحاب الجبر، وهم الذين يشهدون أنهم مجبورون على أفعالهم، وأنها واقعة بغير قدرتهم واختيارهم، بل لا يشهدون أنها أفعالهم البتة.

ويقولون: إن أحدهم غير فاعل في الحقيقة ولا قادر، وأن الفاعل فيه والمحرك له سواه، وأنه آلة محضة، وحركاته بمنزلة هبوب الرياح وحركات الأشجار، وهؤلاء إذا أنكرت عليهم أفعالهم احتجوا بالقدر وحملوا ذنوبهم عليه، وقد يغلون في ذلك، حتى يروا أفعالهم كلها طاعات، خيرها وشرها؛ لموافقتها المشيئة والقدر، ويقولون:كما أن موافقة الأمر طاعة فموافقة المشيئة طاعة، كما حكى الله تعالى عن المشركين، إخوانهم أنهم جعلوا مشيئة الله لأفعالهم دليلًا على أمره بها ورضاه بها.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٣٦).

قال[١]: وهؤلاء شر من القدرية النفاة، وأشد عداوة لله ومناقضة لكتبه ورسله ودينه، حتى أن من هؤلاء من يعتذر عن إبليس لعنه الله ويتوجع له، ويقيم عذره بجهده، وينسب ربه إلى ظلمه بلسان الحال والقال ويقول: ما ذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغير خالقه، وقد وافق حكمه ومشيئته فيه وإرادته (د/ ١٥١أ)، ثم كيف يمكّنه وهو الذي منعه منه وحال بينه، وهل كان في ترك سجوده لغيرك [إلا][٢] محسنًا ولكن:

إذا كان المحب قليل حظ فما حسناته إلا ذنوب[٣]

قال رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: وهؤلاء أعداء الله حقًّا، وأولياء إبليس وأحبابه وإخوانه، وإذا ناح منهم نائح على إبليس، رأيت من البكاء والحنين أمرًا عجيبًا، ورأيت من تظلم الأقدار واتهام الجبار، ما يبدو على فلتات ألسنتهم وصفحات وجوههم، وتسمع من أحدهم من التظلم والتوجع، ما تسمعه من الخصم المغلوب العاجز عن خصمه.

قال[٥]: فهؤلاء هم الذين قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية في تائيته[٦]:

ويدعى خصوم الله يوم معادهم إلى النار طرا فرقة القدرية

يعني الجبرية» انتهى.

---

(١) المصدر السابق (١/ ٤٣٧).

(٢) ما بين معكوفتين سقطت من (د) و(ع) واستدركناها من كتاب المدارج.

(٣) القائل هو: منصور بن يحي بن علي أبو نصر الخباز المعروف بالنيري من أهل واسط. مات سنة (٤٥٠هـ). انظر: فوات الوفيات (٤/ ١٧١-١٧٢)، والسحر الحلال (١/ ١٠) ط. دار الكتب العلمية.

(٤) مدارج السالكين (١/ ٤٠٤).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٤٥).

وقول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

وغير ميسر ....

إشارة إلى أنهم خالفوا ما ثبت في الصحيحين عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار**»، قالوا: يا رسول الله، أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟ فقال: «**لا، اعملوا فكل** (ع/٧٨أ) **ميسر لما خُلق له**»(١).

وفي الصحيح -أيضًا- أنه «قيل: يا رسول الله، أرأيت ما يكدح الناس فيه اليوم ويعملون، شيء قضي عليهم ومضى أم فيما يستقبلون مما آتاهم فيه الحجة؟ فقال: «**بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم**»، قالوا: يا رسول الله، أفلا ندع العمل ونتكل على كتابنا؟ فقال: «**لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير (٣/ ١٥٩٠)، ومسلم في القدر (٤/ ٢٠٤٠).

(٢) مسلم في القدر (٤/ ٢٠٤١) مع اختلاف في بعض ألفاظه.

فصل

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وقضى على أسمائه بحدوثها ... وبخلقها من جملة الأكوان

فانظر إلى تعطيله الأوصاف والـ ... أفعال والأسماء للرحمن

ماذا الذي في ضمن ذا التعطيل من ... نفي ومن جحد ومن كفران

لكنه أبدى المقالة هكذا ... في قالب التنزيه للرحمن

وأتى إلى الكفر العظيم فصاغه ... عجلا ليفتن أمة الثيران

وكساه أنواع الجواهر والحلى[1] ... من لؤلؤ صاف ومن عقيان

فرآه ثيران الورى فأصابهم ... كمصاب إخوتهم قديم زمان

عجلان قد فتن العباد بصوته ... إحداهما وبحرفه ذا الثان

والناس أكثرهم فأهل ظواهر ... تبدو لهم ليسوا بأهل معان

فهم القشور وبالقشور قوامهم ... واللب حظ خلاصة الإنسان

ولذا تقسمت الطوائف قوله ... وتوارثوه إرث ذي السهمان

لم ينج من أقواله طرا سوى ... أهل الحديث وشيعة القرآن

فتبرؤوا منها براءة حيدر ... وبراءة المولود من عمران

من كل شيغي خبيث وصفه ... وصف اليهود محللي الحيتان

أي: إن جهمًا وأتباعه (د/٥١ب) ذهبوا إلى حدوث أسماء الرب تعالى، وقالوا: أسماء الله تعالى غيره، فإن أسماء الله من كلامه، وكلامه غيره، ثم قالوا: وما كان غير الله فهو مخلوق بائن عنه.

---

(١) في (ع) «والحلي».

وقول الناظم:

فانظر إلى تعطيله الأوصاف والأفعال والأسماء للرحمن

أي: لأنه يقول بحدوث أسماء الله تعالى وأنها مخلوقة، و(تعطيله الأوصاف...) أي: أنه نفى صفات الباري سبحانه، و(تعطيل الأفعال...) أي بأنه يقول الفعل هو المفعول، والخلق هو المخلوق.

فانظر إلى ما تضمنه هذا من الجحد والتعطيل والكفران.

وقوله:

لكنه أبدى المقالة هكذا في قالب التنزيه للرحمن

أقول: قال العلامة تقي الدين (ع/٧٩ب) أحمد بن علي المقريزي[١] في كتاب الخطط -بعد كلام سبق-[٢]: «ثم حدث بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق، فعظمت الفتنة به؛ فإنه نفى أن يكون لله تعالى صفة، وأورد على أهل الإسلام شكوكًا أثرت في الملة الإسلامية آثارًا قبيحة؛ تولد عنها (د/ ١٥٢أ) بلاء كبير، وكان قبيل المائة من سني الهجرة، فكثر أتباعه على أقواله التي تؤول إلى التعطيل، فأكبر أهل الإسلام بدعته، وتمالؤوا على إنكارها، وتضليل أهلها، وحذروا من الجهمية، وعادوهم في الله وذموا من جلس إليهم، وكتبوا في الرد عليهم ما هو معروف عند أهله» انتهى كلامه.

وقد تقدم في كلام الإمام أحمد والبخاري وعبد الله بن المبارك وغيرهم رضي الله عنهم

---

(١) أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي، البعلي، المشهور بالمقريزي، مات سنة (٨٤٥هـ). انظر: معجم المؤلفين (٢/ ١١).

(٢) انظر: الخطط والآثار للمقريزي (٢/ ٣٥٧).

أشياء من أحوال جهم وأتباعه، والتحذير من بدعهم، ولقد زرع هذا الخبيث في الإسلام شرًّا عظيمًا لا يزول إلى قيام الساعة، نعوذ بالله من الخذلان(١).

قوله:

فتبرؤوا منها براءة حيدر

هو لقب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والمولود من عمران هو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يعني أن أهل الحديث والسنة تبرؤوا من مذهب الجهم وشيعته، كما تبرأ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من بني إسرائيل الذين عبدوا العجل، وكما تبرأ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الشيعة الذين تبرؤوا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بل ادعى بعضهم فيه الإلهية، فاستتابهم فلم يتوبوا، فخدد لهم الأخاديد وأضرم فيها النار وأحرقهم فيها وقال:

إني إذا شاهدت أمرًا منكرًا أججت ناري ودعوت قنبرا

والقصة معروفة(٢).

---

(١) في هامش (ع) علق ابن سحمان بقوله «قوله إلى قيام الساعة، هذا فيه نظر، ويحتاج إلى دليل فليتأمل». كلامه ظاهر؛ لأن علم ما سيكون إلى قيام الساعة لا يعلمه إلا الله تعالى، والعبد لا يعلم ما في غد كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ الآية [لقمان:٣٤]. فإذا جهل العبد ما في غدٍ، فجهله بما سيكون إلى قيام الساعة أولى وأحرى.

وأيضًا: فهذا الذي ذكره الشارح منتقض بما بشر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر الزمان من خروج المهدي ثم نزول عيسى، وملئه للأرض عدلًا كما ملئت جورًا. والله أعلم.

(٢) وفي رواية أخرى:

لما رأيت الأمر امرًا منكرًا أججت ناري ودعوت قنبرا

ثم احتفرت حفرًا وحفرًا وقنبر يحطم حطمًا منكرًا

انظر: المجالسة وجواهر العلم (٣/ ٤٥٤) لأبي بكر الدينوري ط. دار ابن حزم، تهذيب الآثار لابن جرير (٣/ ٨٢)، والتمهيد لابن عبدالبر(٥/ ٣١٨).

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

فصل
في مقدمة نافعة قبل التحكيم

يا أيها الرجل المريد نجاته ... إسمع مقالة ناصح معوان

كن في أمورك كلها متمسكا ... بالوحي لا بزخارف الهذيان

وانصر كتاب الله والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقان

واضرب بسيف الوحي كل معطل ... ضرب المجاهد فوق كل بنان

واحمل بعزم الصدق حملة مخلص ... متجرد لله غير جبان

واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى ... فإذا أصبت ففي رضى الرحمن

واجعل كتاب الله والسنن التي ... ثبتت سلاحك ثم صح بجنان

من ذا يبارز فليقدم نفسه ... أومن يسابق يبد في الميدان

واصدع بما قال الرسول ولا تخف ... من قلة الأنصار والأعوان

فالله ناصر دينه وكتابه ... والله كاف عبده بأمان

لا تخش من كيد العدو ومكرهم ... فقتالهم بالكذب والبهتان

فجنود اتباع الرسول ملائك ... وجنودهم فعساكر الشيطان

شتان بين العسكرين فمن يكن ... متحيزا فلينظر الفئتان

واثبت وقاتل تحت رايات الهدى ... واصبر فنصر الله ربك دان

واذكر مقاتلهم لفرسان الهدى ... لله در مقاتل الفرسان

وادرء بلفظ النص في نحر العدى ... وارجمهم بثواقب الشهبان

لا تخش كثرتهم فهم همج الورى ... وذبابه أتخاف من ذبان

واشغلهم عند الجدال ببعضهم بعضا فذاك الحزم للفرسان
واذا هم حملو عليك فلا تكن فزعا لحملتهم ولا بجبان
واثبت ولا تحمل بلا جند فما هذا بمحمود لدى الشجعان
فإذا رأيت عصابة الإسلام قد وافت عساكرها مع السلطان
فهناك فاخترق الصفوف ولا تكن بالعاجز الواني ولا الفزعان

هذا شروع في (د/ ٥٢ب) وصية نافعة، ومقدمة جامعة قبل الشروع (ع/ ١٨٠أ) في المحاكمة بين الطوائف، أوصى بها المصنف -قدس الله روحه ونور ضريحه- لمن يعقل عن الله؛ وذلك أن الإنسان لم يخلق سدى مهملًا، بل خلقه الله لأمر عظيم وخطب جسيم، خلقه الله سبحانه لعبادته الجامعة لمحبته وخشيته والذل والخضوع له، وهيأ دارين: دار جزاء للمحسنين، ودار عقاب للمخالفين.

فيتعين على من طلب نجاة نفسه التهيؤ والاستعداد لما يقربه من رضى ربه وينجيه (د/ ٥٣أ) من عقابه وسخطه، ولا سبيل إلى ذلك إلا متابعة الرسول ﷺ في الدق والجل، وتقديم طاعته على طاعة غيره فلهذا قال:

يا أيها الرجل المريد نجاته .... إلخ

وكما قال المصنف فيما يأتي:

يا من يريد نجاته يوم الحساب من الجحيم وموقد النيران
اتبع رسول الله في الأعمال والـ أقوال.......................... إلخ

قوله: (مقدمة...)، بكسر الدال كمقدمة الجيش أول ما يتقدم منه وبفتحها على قلة.

وقوله: (... معوان) «هو اسم فاعل وعاونه معاونة وعوانًا أعانه، والمعوان الحسن المعونة أو كثيرها» قاله في القاموس(١).

قوله:

واضــــرب بســيــف الــوحــي ....

استعار اسم السيف للوحي إشارة إلى قطعه المنازع؛ لأن الوحي دليل قاطع سمعي عقلي(٢) (ع/٨١ب)، والوحي هو العلم النافع والدليل القاطع، لازخارف

(١) انظر: القاموس (ص١٥٧١).

(٢) في هامش (ع) علق الشيخ ابن سحمان بقوله: «قوله سمعي عقلي، ليس الأمر كذلك، فإن السمعي هو النقلي، والعقلي ما يقابل النقل، وقد يوافقه وقد يخالفه، فوصف الوحي بأنه عقلي غير جائز، والله أعلم».

الذي يظهر لي -والعلم عند الله- أن مقصود ابن عيسى في قوله: «سمعي عقلي» واضح وظاهر؛ فالدليل السمعي هو ما جاء في الكتاب والسنة، وهو مع كونه سمعيًّا فهو غير مناقض للعقل، بل هو مبني على الأدلة العقلية المثبتة لصحة الوحي، وعقلي أمر به الشارع أو أخبر به أو دل عليه، والأدلة الشرعية تشمل النوعين: العقلي والشرعي. والأدلة العقلية الصحيحة البينة التي لا ريب فيها، بل العلوم الفطرية الضرورية توافق ما أخبرت به الرسل لا تخالفه، بل هي موافقة للسمع لا تخالفه أبدًا، فإن السمع فيه من بيان الأدلة العقلية على إثبات الصانع ودلائل صدقه أضعاف ما يوجد في كلام النظار، والمقصود أن الذي أثبته الشارع ونبه عليه هو معلوم بالعقل أيضًا، فإنه يسمى دليلًا سمعيًّا عقليًّا، وعامة مسائل أصول الدين الكبار مثل الإقرار بوجود الخالق وبوحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته وعظمته والإقرار بالثواب وبرسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغير ذلك مما يعلم بالعقل،قد دل الشارع على أدلته العقلية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «بل قد تدبرت عامة ما يذكره المتفلسفة والمتكلمة من الدلائل العقلية فوجدت دلائل الكتاب والسنة تأتي بخلاصته الصافية عن الكدر، وتأتي بأشياء لم يهتدوا إليها وتحذف ما وقع منهم من شبهات وأباطيل مع كثرتها واضطرابها». وابن سمحان رَحِمَهُ اللهُ مع جلالة قدره ورسوخ قدمه في العلم انصرف ذهنه إلى أمر آخر وهو تنوع المسائل العقدية إلى ما يعرف بالسمع فقط -كالاستواء على العرش وغيره من مسائل الغيب التي لا طريق لنا بالعلم بها إلا بالتسليم بالسمع لأنها مما لا مجال للعقل للعلم بها-، وإلى ما يعرف بالعقل والفطرة كصفة العلو. وقال شيخنا معلقًا: « كلامه ليس بصواب؛ لأن الشرع يوافق العقل». =

المتكلمين، وهذيان الفلاسفة والمتصوفين، القاطعة عن الله ورسوله من تبعها وقدمها على الوحي المبين، والمنهج الواضح المستبين، وهو كتاب الله المتين وسنة رسوله الصادق الأمين[1].

ولله در القائل:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس خلف فيه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي سفيه

كلا ولا نصب الخلاف جهالة ... بين النصوص وبين رأي فقيه

كلا ولا رد النصوص تعمدا ... حذرا من التجسيم والتشبيه

حاشا النصوص مما رميت به ... من فرقة التعطيل والتمويه

قوله:

وادر بلفظ النص في نحر العدى

الدرء الدفع وبابه قطع.

قوله: (همج...)، «الهمج بفتحتين جمع همجة، وهي ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها، ويقال للرعاع الحمقى إنما هم همج» مختار الصحاح[2].

قوله: (ذبان...)، »الذب: المنع والدفع، وبابه رد والذبانة -بالضم وتشديد

= وانظر: درء التعارض (١/ ٩٢-٩٣) (١/ ١٩٨) (١/ ١٣٣)، ومجموع الفتاوى (١٩/ ٢٢٩-٢٣٣).

(١) العبارة فيها ركاكة، ومقصود المؤلف ظاهر، وهو: أن من تبع زخارف المتكلمين، وهذيان الفلاسفة والصوفية، وقدمها على الكتاب والسنة، فقد ضل عن سواء السبيل.

(٢) انظر: مختار الصحاح (ص١١١).

الباء ونون قبل الهاء- واحدة الذباب (د/ ٥٣ب)، ولا تقل ذبانة -بالكسر- وجمع الذباب في القلة أذبة، والكثير ذبان كغراب وأغربة وغربان» مختار الصحاح[١].

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

وتعر من ثوبين من يلبسهما ... يلقى الردى بمذمة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه ... ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحل بالإنصاف أفخر حلة ... زينت بها الاعطاف والكتفان
واجعل شعارك خشية الرحمن مع ... نصح الرسول فحبذا الأمران
وتمسكن بحبله وبوحيه ... وتوكلن حقيقة التكلان
فالحق وصف الرب وهو صراطه الـ ... ـهادي إليه لصاحب الإيمان
وهو الصراط عليه رب العرش أيـ ... ـضًا ذا وذا قد جاء في القرآن
والحق منصور وممتحن فلا ... تعجب فهذي سنة الرحمن
وبذاك يظهر حزبه من حربه ... ولأجل ذاك الناس طائفتان
ولأجل ذاك الحرب بين الرسل والـ ... ـكفار مذ قام الورى سجلان
لكنما العقبى لأهل الحق إن ... فاتت هنا كانت لدى الديان

قوله:

تعرَّ ....

فعل أمر من التعري، يقال عري من ثيابه بالكسر، عريا بالضم، فهو عار وعريان (ع/ ١٨٢)، والمرأة عريانة، وما كان على فعلان فمؤنثه بالهاء قاله في مختار الصحاح[٢].

---

(١) انظر: مختار الصحاح (ص٩٢).
(٢) انظر: مختار الصحاح (ص٢٢٦).

قوله:

.... الجهل المركب ....

هو تصور الشيء على غير ما هيته، وذلك أن حكم العقل بأمر على أمر جازم غير مطابق في الخارج هو الاعتقاد الفاسد، وهو الجهل المركب؛ لتركبه من عدم العلم بالشيء، واعتقاد غير مطابق، فهو أن يجهل الحق ويجهل جهله به.

والجهل البسيط عدم العلم، وقيل: عدم معرفة الممكن بالفعل لا بالقوة[1].

قوله:

فالحق وصف الرب وهو صراطه ... الهادي إليه لصاحب الإيمان

أما اشتقاق الصراط (د/ ١٥٤أ)، فالمشهور أنه من صرطت الشيء أصرطه إذا بلعته بَلْعًا سهلًا، فسمي الطريق صراطا؛ لأنه يصترط المارة فيه، والصراط ما جمع خمسة أوصاف: أن يكون طريقًا مستقيمًا سهلًا مسلوكًا واسعًا موصلًا إلى المقصود، فلا تسمي العرب الطريق المعوج صراطًا، ولا الصعب المشق ولا المسدود غير الموصل. ومن تأمل موارد الصراط في لسانهم واستعمالهم تبين له ذلك.

قال جرير[2]:

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم[3]

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١/ ٤٠)، والتعريفات للجرجاني (ص١٠٨)، والمواقف للإيجي (٢/ ٥٣).

(٢) سقطت من (د). وجرير هو ابن عطية الخطفي التميمي البصري الشاعر المشهور، مدح يزيدًا بن معاوية ومن بعده من الأمويين، وإليه المنتهى وإلى الفرزدق في حسن النظم. مات سنة (١١٦هـ). انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري (١/ ٩٦) ط. دار المعارف، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٤٠)، والوافي بالوفيات (١١/ ٦٢).

(٣) ديوانه (ص٥٤٨). وانظر: الكامل لابن المبرد (١/ ٢٧٣) ط. دار الفكر العربي، وأساس البلاغة (٤/ ٦٧١)، ومعجم مقايس اللغة (٦/ ١٠٥).

وبنوا الصراط على زنة فِعال؛ لأنه يشتمل على سالكه اشتمال الحلق على الشيء المسروط، وهذا الوزن كثير في المشتملات على الأشياء، كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش كذا أفاده الناظم(١).

قوله:

فالحق وصف الرب وهو صراطه .... إلخ

أي إن الرب تعالى يوصف بأنه الحق، كما في الحديث الصحيح في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عباس: (اللهم أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق.........) الحديث(٢).

وقوله:

وهو الصراط عليه رب العرش ....

يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] أي هو على الحق والعدل، فلا يكاد يسلطهم علي(٣).

---

(١) في بدائع الفوائد (٢/ ٢٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد (١/ ٣٣٥)، باب التهجد بالليل.

(٣) في هامش (ع) تعليق ـ أظنه لابن سحمان ـ يقول فيه: «قوله: فلا يكاد: فيه نظر، فليتأمل». وهو تنبيه دقيق؛ لأن قوله «فلا يكاد...» بمعنى فلا يقترب؛ ولفظة «كاد» مأخوذة من مادة كَوَدَ وكاد كودًا وكاده ومكادة، ومعناها: همَّ وقارب ولم يفعل، والله عَزَّوَجَلَّ لا يوصف بشيء من ذلك.
على أن العبارة في المدارج لابن القيم (١/ ٢١): «أوصافه كلها كمال، وأفعاله كلها حكم، وأقواله كلها عدل، يستحيل دخول الشر في أسمائه أو أفعاله أو أقواله، فطابِقْ بين هذا المعنى، وبين قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦]، وتأمل كيف ذكر هذا عقب قوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم﴾ أي هو ربي فلا يسلمني ولا يضيعني وهو ربكم فلا يسلطكم علي ولا يمكنكم مني...».
وانظر: لسان العرب (٣/ ٣٨٢).

وقيل: إن دين ربي هو الصراط[١] وقيل: إن ربي يحملكم على الصراط[٢] وقيل: إن ربي يدل على الصراط[٣].

والأول أولى، والله عَزَّوَجَلَّ هو الحق، وصراطه حق ودينه حق، فمن استقام على صراطه فهو على الحق والهدى[٤].

قوله:

وهو صراطه .... إلخ

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قال ابن مسعود: خط لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطًّا بيده وقال: «**هذا سبيل الله مستقيمًا**» ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن يساره وقال: «**هذه سبل، وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]»[٥] وهذا لأن الطريق الموصلة إلى الله واحدة، وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه، لا يصل إليه (د/ ٥٤ب) أحد إلا من هذه الطريق.

---

(١) حكاه البغوي في العالم (٢/ ٣٨٩)، والثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١٧٥).

(٢) الكشف والبيان (٥/ ١٧٥).

(٣) ذكره الرازي في تفسيره (١٨/ ١٢)، وأبي البركات النسفي في مدارك التنزيل (٢/ ١٦٠).

(٤) من قوله: «وقيل: إن دين...» إلى هنا ساقط من المطبوع.

وانظر: شفاء العليل لابن القيم (ص٢١).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٨) من حديث أبي سعيد وإسناده حسن كحال عاصم بن بهدلة، وأخرجه ابن ماجه في سننه (١/ ٦) من حديث جابر وفيه مجالد بن سعيد.

ولو أتى الناس من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة، إلا من هذا الطريق الواحد؛ فإنه متصل بالله موصل إلى الله قال تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر:٤١].

قال الحسن: معناه صراط إليَّ مستقيم[(١)].

وهذا يحتمل أمرين:

[الأول]: أن يكون أراد به أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض (ع/ ٨٣ب)، فقامت أداة علي مقام إليَّ.

والثاني: أنه أراد التفسير على المعنى، وهو الأشبه بطريق السلف، أي صراط موصل إليَّ.

وقال مجاهد: الحق يرجع إلى الله، وعليه طريقه لا يعرج على شيء[(٢)]، وهذا مثل قول الحسن وأبين منه[(٣)]، وهو من أصح ما قيل في الآية.

وقيل: «علي» فيه للوجوب، أي علي بيانه وتعريفه، والدلالة عليه، والقولان نظير القولين في آية النحل وهي: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل:٩] والصحيح فيها كالصحيح في آية الحجر أن السبيل: القاصد، وهو المستقيم المعتدل، يرجع إلى الله ويوصل إليه.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٥١٧).

(٢) انظر: دقائق التفسير لابن تيمية (٣/ ١٤٤).

(٣) كذا في النسخ الخطية ومدارج السالكين، ولعل العبارة هكذا «أمثل من قول الحسن وأبين منه» لأنه إن كان أبين من قول الحسن فلا يكون مثله، وإن كان مثل قول الحسن فلا يكون أبين منه، لأنه في كلا الحالين جمع بين متضادين، والمتأمل في قول مجاهد في تفسير تلك الآية يجده أشمل من قول الحسن، والله أعلم.

قال طفيل الغنوي(١):

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال تقلب

أي مررنا عليهم واليهم وصولنا.

وقال الآخر:

فهن المنايا اي واد سلكته عليها طريقي او عليَّ طريقها(٢)

أفاده المصنف في(٣) تفسير هذه الآية.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

واجعل لقلبك هجرتين ولا تنم فهما على كل امرىء فرضان

فالهجرة الأولى إلى الرحمن بالـ إخلاص في سرو وفي إعلان

فالقصد وجه الله بالأقوال والـ أعمال والطاعات والشكران

فبذاك ينجو العبد من إشراكه ويصير حقا عابد الرحمن

والهجرة الأخرى إلى المبعوث بالـ حق المبين وواضح البرهان

فيدور مع قول الرسول وفعله نفيا وإثباتا بلا روغان

ويحكم الوحي المبين على الذي قال الشيوخ فعنده حكمان

لا يحكمان بباطل أبدا وكل العدل قد جاءت به الحكمان

وهما كتاب الله أعدل حاكم فيه الشفا وهداية الحيران

والحاكم الثاني كلام رسوله ما ثم غيرهما لذي إيمان

---

(١) ديوانه (ص١٧)، وانظر: الأغاني (١٥/ ٣٤٣).

(٢) ذكرها ابن تيمية في الفتاوى (١٥/ ٢١٥).

(٣) في الأصل «أي» ولعله تصحيف.

فإذا دعوك لغير حكمهما فلا سمعا لداعي الكفر والعصيان
قل لا كرامة لا ولا نعما ولا طوعا لمن يدعو إلى الطغيان
وإذا دعيت إلى الرسول فقل لهم سمعا وطوعا لست ذا عصيان
وإذا تكاثرت الخصوم وصيحوا فاثبت فصيحتهم كمثل دخان
يرقى إلى الأوج الرفيع وبعده يهوي إلى قعر الحضيض الداني

شرح الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في ذكر الهجرتين:

فالهجرة الأولى: إلى الله (د/ ١٥٥أ) تعالى بإخلاص الأعمال (ع/ ١٨٤أ)، والتوجه إليه بامتثال أمره، واجتناب نهيه والهجرة.

الثانية: إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتباعه، وتقديم قوله في الدق والجل، وترك قول غيره لقوله، وللمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كتاب سمّاه سفر الهجرتين وطريق السعادتين، أتى بها لا مزيد عليه، فراجعه إن شئت.

وقوله:

إلى الأوج الرفيع ....

الأوج: معرب أوك، وهو كلمة أعجمية معناها العلو، والحضيض: القرار من الأرض عند منقطع الجبل.

وفي الحديث أنه أهدي إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هدية، فلم يجد شيئًا يضعه عليه، فقال: «**ضعه بالحضيض، فإنما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد**»(١) يعني ضعه بالأرض.

❁❁❁

(١) أخرجه هناد في الزهد (٢/ ٤١١) ط. دار الخلفاء. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٤): «رواه البزار وفيه عبد الله بن رشيد ومجاعة أبو عبيدة البصري ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات».

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

هذا وإن قتال حزب الله بالـ … أعمال لا بكتائب الشجعان
والله ما فتحوا البلاد بكثرة … أنى وأعداهم بلا حسبان
وكذاك ما فتحوا القلوب بهذه الـ … آراء بل بالعلم والايمان
وشجاعة الفرسان نفس الزهد في … نفس وذا محذور كل جبان
وشجاعة الحكام والعلماء زهـ … ـد في الثنا من كل ذي بطلان
فإذا هما اجتمعا لقلب صادق … شدت ركائبه إلى الرحمن
واقصد إلى الأقران لا أطرافها … فالعز تحت مقاتل الأقران
واسمع نصيحة من له خبر بما … عند الورى من كثرة الجولان
ما عندهم والله خير غير ما … أخذوه عمن جاء بالقرآن
والكل بعد فبدعة أو فرية … أو بحث تشكيك ورأي فلان
فاصدع بأمر الله لا تخش الورى … في الله واخشاه تفز بأمان
واهجر ولو كل الورى في ذاته … لا في هواك ونخوة الشيطان
واصبر بغير تسخط وشكاية … واصفح بغير عتاب من هو جان
واهجرهم الهجر الجميل بلا أذى … إن لم يكن بد من الهجران

قوله:

والله ما فتحوا البلاد بكثرة … .... إلخ

أي: إن الإسلام في (د/٥٥ب) بدايته كان غريبًا، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»[(١)]، وكما في حديث عمرو بن عبسة[(٢)] لما

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا، (١/ ١٣٠).

(٢) عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد السلمي، أبو نجيح، صحابي مشهور، أسلم قديمًا، وهاجر بعد أحد، ثم نزل الشام. انظر: التقريب (ص٧٤٠).

قدم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مستخف بمكة فقال له: من معك على هذا قال: «حر وعبد»[(١)] يعني أبا بكر وبلالا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم فتح الله عليه، وعلى أصحابه (ع/ ٨٥ب) من بعده، ما هو معروف في كتب السير.

والكتائب: جمع كتيبة وهو الجماعة من الخيل والجيش.

قوله:

والكل بعد فبدعة او فرية

البدعة: هي ما أحدث مما يخالف كتاب أو سنة، والفرية: الكذب يقال: فرى كذبًا: خلقه، والاسم:الفرية، وقوله تعالى: ﴿شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم:٢٧] أي مصنوعًا مختلقًا.

وقوله: «الجولان... » جال من باب قال، وجولانا أيضًا -بفتح الواو- والجولان -بسكون الواو- جبل بالشام، وتجاولوا في الحرب، جال بعضهم على بعض[(٢)].

قوله: «...نخوة الشيطان» النخوة: الكبر والعظمة، يقال: انتخى فلان علينا أي افتخر وتعظم قاله في مختار الصحاح[(٣)].

قوله: «واهجرهم (د/٥٦أ) الهجر الجميل...» إلخ قال الناظم في بدائع الفوائد[(٤)]: «سمعت شيخ الإسلام يقول: ذكر الله الصبر الجميل والصفح الجميل

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (١/ ٥٦٩) برقم (٨٣٢).
(٢) مختار الصحاح (ص٥٠).
(٣) مختار الصحاح (ص٢٧١)، ولسان العرب (١٥/ ٣١٣).
(٤) انظر: بدائع الفوائد (٤/ ٩٧٩).

والهجر الجميل فالصبر الجميل الذي لا شكوى معه والهجر الجميل الذي لا أذى معه والصفح الجميل الذي لا عتاب معه» انتهى.

✿✿✿

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وانظر إلى الأقدار جاريةً بما	قد شاء من غي ومن إيمان
واجعل لقلبك مقلتين كلاهما	بالحق في ذا الخلق ناظرتان
فانظر بعين الحكم وارحمهم بها	إذ لا ترد مشيئة الديان
وانظر بعين الأمر واحملهم على	أحكامه فهما إذا نظران
واجعل لوجهك مقلتين كلاهما	من خشية الرحمن باكيتان
لوشاء ربك كنت أيضًا مثلهم	فالقلب بين أصابع الرحمن
واحذر كمائن نفسك اللاتي متى	خرجت عليك كسرت كسر مهان
وإذا انتصرت لها فأنت كمن بغى	طفي الدخان بموقد النيران
والله أخبر وهو أصدق قائل	أن ليس ينصر عبده بأمان
من يعمل السوآى سيجزى مثلها	أو يعمل الحسنى يفز بجنان
هذي وصية ناصح ولنفسه	وصى وبعد لسائر الإخوان

مراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بهذه الأبيات أن يبين الحكم الكوني القدري والحكم الديني الأمري الشرعي.

فإن جميع أفعال الخلق من الطاعات والإيمان والكفر[1] لا تخرج عن حكم الرب تعالى الكوني القدري، فإن جميع الأشياء خلقها[2] تعالى بقدرته ومشيئته، ولكن مع ذلك لا بد من النظر إلى الحكم الديني الشرعي.

---

(١) في (ع، د) «الإيمان والكفر والإيمان» وهو تصحيف.

(٢) في (ع، د) «خلقه» وهو تصحيف.

فمعنى كلامه: أنك إذا نظرت إلى الخلق بعين الحكم رحمتهم لأن مشيئه الله تعالى لا ترد وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولكن مع ذلك انظر إلى عين الأمر واحملهم عليها (د/ ٥٦ب) أي فحد الزاني واقطع السارق واجلد القاذف (ع/ ١٨٦أ) واقتل القاتل ونحو ذلك مما أمر الله ورسوله به، وهذا معنى قوله: «فانظر بعين الحكم وارحمهم بها...» إلخ. ومعنى قوله: «وانظر بعين الأمر واحملهم على...» إلخ.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في شرح منازل السائرين، في منزلة الفكرة[1] -لما تكلم على الفناء الذي يذكره الصوفية-: «فصَّل وأصَّل هذا الفناء: الاستغراق في توحيد الربوبية، وهو رؤية تفرد الله بخلق الأشياء، وملكها واختراعها، وأنه ليس في الوجود قط إلا ما شاءه وكونه.

فيشهد ما اشتركت فيه المخلوقات، من خلق الله إياها ومشيئته لها، وقدرته عليها، وشمول قيوميته وربوبيته لها، ولا يشهد ما افترقت فيه من محبة الله لهذا، وبغضه لهذا، وأمره بما أمر به ونهيه عما نهى عنه، وموالاته لقوم ومعاداته لآخرين.

فلا يشهد التفرقة في الجمع، وهي تفرقة الخلق والأمر في جمع الربوبية، وتفرقه موجب الإلهية في جمع الربوبية، وتفرقة الإرادة الدينية في جمع الإرادة الكونية، وتفرقه ما يحبه ويرضاه في جمع ما قدره وقضاه، ولا يشهد الكثرة في الوجود، وهي كثرة معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى واقتضاؤها لآثارها في وحدة الذات الموصوفة بها، فلا يشهد كثرة دلالات أسماء الرب تعالى وصفاته على وحدة ذاته، فهو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٧٧).

ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر:٢٣]، وكل اسم له صفة وللصفة، حكم، فهو سبحانه واحد الذات، كثير الأسماء والصفات.

فهذه كثرة في وحدة، والفرق بين مأموره ومنهيه ومحبوبه ومبغوضه، ووليه وعدوه تفرقه في جمع.

فمن لم يتسع شهوده لهذه الأمور الأربعة، فليس من خاصة أولياء الله العارفين، بل لو ضاق شهوده (د/ ١٥٧أ) عنها مع اعترافه بها فهو مؤمن ناقص، وإن جحدها أو شيئًا منها فكفر صريح أو بتأويل، مثل أن يجحد تفرقة الأمر والنهي، أو جمع القضاء والقدر، أو كثرة معاني الأسماء والصفات ووحدة الذات.

فليتدبر اللبيب السالك هذا الموضع حق التدبر، وليعرف قدره؛ فإنه مجامع طرق العالمين، وأصل تفرقهم قد ضبطت لك معاقده، وأحكمت لك قواعده، وبالله التوفيق، وإنما يعرف قدر هذا من اجتاز القفار، واقتحم البحار، وعرض له ما يعرض لسالك القفر، وراكب البحر، ومن لم يسافر ويخرج عن وطن طبعه، ومرباه وما ألف عليه أصحابه، وأهل زمانه، فهو بمعزل عن هذا؛ فإن عرف قدره وكفى الناس شره، فهذا يرجى له السلامة، وإن عدا طوره وأنكر ما لم يعرفه وكذب بما لم يحط به علمًا (ع/ ٨٧ب)، ثم تجاوز إلى تكفير من خالفه ولم يقلد شيوخه ويرضى بما رضي هو به لنفسه، فذلك هو الظالم الجاهل الذي ما ضر إلا نفسه، ولا أضاع إلا حظه» انتهى. والله أعلم.

فصل

وهذا أول عقد مجلس التحكيم

فاجلس إذا في مجلس الحكمين ... للرحمن لا للنفس والشيطان
الأول النقل الصحيح وبعده الـ ... ـعقل الصريح وفطرة الرحمن
واحكم إذا في رفقة قد سافروا ... يبغون فاطر هذه الأكوان
فترافقوا في سيرهم وتفارقوا ... عند افتراق الطرق بالحيران
فأتى فريق ثم قال وجدته ... هذا الوجود بعينه وعيان
ما ثم موجود سواه وإنما ... غلط اللسان فقال موجودان
فهو السماء بعينها ونجومها ... وكذلك الأفلاك والقمران
وهو الغمام بعينه والثلج والـ ... أمطار مع برد ومع حسبان
وهو الهواء بعينه والماء والتر ... ب الثقيل ونفس ذي النيران
هذي بسائطه ومنه تركبت ... هذي المظاهر ما هنا شيئان
وهو الفقير لها لأجل ظهوره ... فيها كفقر الروح للأبدان
وهي التي افتقرت إليه لأنه ... هو ذاتها ووجودها الحقان
وتظل تلبسه وتخلعه وذا الـ ... إيجاد والإعدام كل أوان
ويظل يلبسها ويخلعها وذا ... حكم المظاهر كي يرى بعيان
وتكثر الموجود كالأعضاء في الـ ... ـمحسوس من بشر ومن حيوان
أو كالقوى في النفس ذلك واحد ... متكثر قامت به الأمران
فيكون كلا هذه أجزاؤه ... هذي مقالة مدعي العرفان
أو أنها كتكثر الأنواع في ... جنس كما قال الفريق الثان

فيكون كليا وجزئياته ... هذا الوجود فهذه قولان
إحداهما نص الفصوص وبعده ... قول ابن سبعين وما القولان
عند العفيف التلمساني الذي ... هو غاية في الكفر والبهتان
إلا من الأغلاط في حس وفي ... وهم وتلك طبيعة الإنسان
والكل شيء واحد في نفسه ... ما للتعدد فيه من سلطان
فالضيف والمأكول شيء واحد ... والوهم يحسب ها هنا شيئان
وكذلك الموطوء عين الوطء وال ... ـوهم البعيد يقول ذان اثنان

تقسيم الكل (د/ ٥٧ب) إلى أجزائه، كانقسام السكنجبين إلى خل وعسل، وتقسيم (ع/ ١٨٨أ) الكلي إلى جزئياته، كانقسام الحيوان إلى إنسان وفرس.

۞۞۞

ولربما قالا مقالته كما ... قد قال قولهما بلا فرقان
وأبى سواهم ذا وقال مظاهر ... تجلوه ذات توحد ومثان
فالظاهر المجلو شيء واحد ... لكن مظاهره بلا حسبان
هذي عبارات لهم مضمونها ... ما ثم غير قط في الأعيان
فالقوم ما صانوه عن إنس ولا ... جن ولا شجر ولا حيوان
كلا ولا علو ولا سفل ولا ... واد ولا جبل ولا كثبان
كلا ولا طعم ولا ريح ولا ... صوت ولا لون من الألوان
لكنه المطعوم والملبوس وال ... ـمشموم والمسموع بالآذان
وكذاك قالوا أنه المنكوح وال ... ـمذبوح بل عين الغوي الزاني
والكفر عندهم هدى ولو أنه ... دين المجوس وعابدي الأوثان
قالوا وما عبدوا سواه وإنما ... ضلوا بما خصوا من الأعيان

ولـو انهـم عمـوا وقـالـوا كلها | مـعبـودة مـا كـان مـن كـفـران
فـالـكـفـر سـتر حـقـيـقـة المعـبـود | بـالـتخـصيص عـند محـقـق رباني
قـالـوا ولم يـك كـافـرا في قـولـه | أنـا ربكم فـرعـون ذو الطغيان
بـل كـان حـقـا قـولـه إذ كـان عيـ | ـن الحـق مضطـلعـا بـهـذا الشان
ولـذا غـدا تـغـريـقـه في الـبحـر تطـ | ـهيرًا مـن الأوهـام والحـسبـان
قـالـوا ولم يـك مـنـكـرا مـوسـى لما | عـبـدوه مـن عـجـل لـذي الخـوران
إلاعـلـى مـن كـان لـيـس بـعـابـد | مـعـهـم وأصـبـح ضـيـق الأعـطـان
ولـذاك جـر بلحـيـة الأخ حـيـث لم | يـك واسـعـا في قـومـه لـبـطـان
بـل فـرق الإنـكـار مـنـه بـيـنـهـم | لمـا سـرى في وهـمـه غـيـران
ولـقـد رأى إبـلـيـس عـارفـهـم فأهـ | ـوى بـالـسجـود هـو ذي خـضعان
قـالـوا لـه مـاذا صـنـعـت فـقـال هل | غـير الإلـه وأنـتـمـا عـمـيـان
مـا ثـم غـير فـاسـجـدوا إن شئتم | لـلـشـمـس والأصـنـام والشيطان
فـالـكـل عـين الله عـنـد محـقـق | والـكـل مـعـبـود لـذي الـعـرفـان
هـذا هـو المـعـبـود عـنـدهـم فـقـل | سـبـحـانـك الـلـهـم ذا السبحان
يـا أمـة مـعـبـودهـا مـوطـوؤهـا | أيـن الإلـه وثـغـرة الـطـعـان
يـا أمـة قـد صـار مـن كفـرانـها | جـزء يـسـير جمـلـة الـكـفـران

أقول وبالله التوفيق شرع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فيما وضع له الكتاب، وهو المحاكمة بين الطوائف، فبدأ بمقالة الوجودية الذين هم أكفر أهل الأرض، نعوذ بالله من الزيغ[1].

---

(١) سبق التعريف بهم.

قوله:

فيكون كلا هذه اجزاؤه

أي: أن أحد قوليهم أنه كالأعضاء في الصورة الحيوانية، أو كالقوى المعنوية في النفس، فيكون كلا وأجزاؤه الأعضاء أو القوى، وعلى القول الثاني لهم إنه كتكثر الأنواع في الجنس، فتكون الموجودات جزئياته، وهو كلي لها، تعالى الله عما يقول الزائغون علوًّا كبيرًا[1].

والأول نص الفصوص، والثاني قول ابن سبعين[2]، ولكن عند العفيف التلمساني[3] القولان من الأغلاط، والكل عنده شيء واحد في نفسه، وربما قالا مقالته، أي [أن] ابن سبعين وابن عربي[4] ربما قالا مقالته، وهو قد يقول قولهما، نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) هذه حجة القائلين بوحدة الوجود.

(٢) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر المقدسي، قطب الدين الرقوطي، المشهور بابن سبعين، اشتغل بعلم الفلاسفة الأوائل، فتولد له نوع من الإلحاد، وصنف فيه، وأقام بمكة، وكان يأتي غار حراء في بعض الأوقات رجاء أن يأتيه الوحي كما أتى النبي ﷺ، بناء على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة، وأنها فيض يفيض على النفس من العقل الفعال، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة، إن كان مات على ذلك، وكان يرى الطائفين حول البيت ويقول عنهم: كأنهم الحمير حول المدار، وأنهم لو طافوا به هو كان أفضل من طوافهم بالبيت. مات سنة (٦٩٦هـ) بمكة. انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٢٦١).

(٣) سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني، عفيف الدين، أحد زنادقة الصوفية، الشاعر الأديب، وقد نسبت إليه عظائم في الأقوال والاعتقاد في الحلول والاتحاد والكفر المحض. وكان متهمًا لميله للمذهب النصيري، مات سنة (٦٩٠هـ). انظر: الوافي بالوفيات (١٥/ ٢٤٩)، والتصوف للسندي (ص١٩٨).

(٤) محمد بن علي بن محمد بن العربي الحاتمي الطائي، أبو بكر الأندلسي، المعروف بـ(ابن عربي)، الملقب بـ الشيخ الأكبر، فيلسوف متكلم في علوم كثيرة، ولد بـ(مرسية) من أعمال الأندلس، ثم انتقل إلى إشبيلية، ورحل إلى بلاد الروم والشام والعراق والحجاز ومصر، وأنكر عليه أهل الديار =

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه المسمى بالسبعينية[1] أقوال هؤلاء، فذكر أن كلام صاحب الفصوص يدور على أصلين:

أحدهما: أن الأشياء كلها ثابتة في العدم، مستغنية بنفسها، نظير قول من يقول المعدوم شيء، لكن هذا لايفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق، إذ ليس عنده ذات واجبة متميزة بوجودها عن الذوات الممكنة، وإن كان قد يتناقض في ذلك قولهم؛ فإنهم كلهم يتناقضون، وكل من خالف الرسل، فلا بد أنه يتناقض قال

=المصرية شطحات صدرت منه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، وحبس، فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي، فنجا، ثم استقر بدمشق، وتوفي بها سنة (٦٣٨هـ).

وهو إمام الخرافيين والقائلين بوحدة الوجود، وله نحو أربعمائة مؤلف بين كتاب ورسالة: منها الفتوحات المكية، ومفاتيح الغيب، وعنقاء مغرب، وفصوص الحكم وغيرها، وله ديوان شعر أكثره في محاسن الغلمان وأوصافهم، من ذلك قوله في وصف أحد الغلمان:

لما تبدى عارضاه في نمط   قيل ظلام ببياض اختلط
وقيل نمل فوق عاج قد سقط   وقال قوم إنها اللام فقط

وكان ينكر الأسباب، ويؤمن بالخرافة، ويكثر التخيل، ومن ذلك قوله:

ناديت جزارًا تروق صفاته   قد أخجلت سمر القنا حركاته
ياواضع السكين في فمه وقد   أهدى بها ماء الحياة لهاته
ضعها على المذبوح ثاني كرة   وأنا الضمين بأن تعود حياته

جمهور علماء الإسلام على تكفيرابن عربي وأتباعه، وألفو في ذلك مؤلفات كثيرة للتحذير من كتبه خصوصًا كتاب الفصوص الذي يقول عنه الذهبي: «من أردإ توالفه كتاب الفصوص، فإن كان لاكفر فيه، فما في الدنيا كفرٌ... له شعر رائق وعلم واسع، ولاريب أن كثير من عباراته له تأويل، إلا كتاب الفصوص». وفي مقابل هؤلاء جاء من ينتصر له ولأقواله، وأفضل ماألف في رد مذهبه الباطل هو كتاب تنبيه الغبي في تكفير ابن عربي للبقاعي، وكتاب القول المنبي في ترجمة ابن عربي للسخاوي. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣/ ٤٧)، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٦/ ٣٠١)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٨١).

(١) بغية المرتاد (ص٣٩٥).

تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ [الذاريات:٨-٩]، وقال: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ (د/ ١٥٩) لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

الأصل الثاني: أن الوجود الذي لهذه الذوات الثابتة هو عين وجود الحق الواجب، ولهذا قال في أول الفصوص في الشيشية[١]: «ومن هؤلاء -يعنى الذين لا يسألون الله- من يعلم أن علم الله به في جميع أحواله، هو ما كان عليه من حال ثبوت عينه قبل وجودها، ويعلم أن الحق لا يعطيه إلا ما أعطاه عينه، من العلم به، وهو ما كان عليه في حال ثبوته، فيعلم علم الله به من أين حصل.

وما ثم[٢] صنف من أهل الله أعلى وأكشف (ع/ ١٩٠أ) من هذا الصنف، فهم الواقفون على سر القدر، وهم على قسمين: منهم من يعلم ذلك مجملًا، ومنهم من يعلم ذلك مفصلًا، والذي يعلمه مفصلًا أعلى وأتم من الذي يعلمه مجملًا، فإنه يعلم ما في علم الله فيه، إما بإعلام الله إياه بما أعطاه عينه من العلم به، وإما بأن يكشف له عن عينه الثابتة وانتقالات الأحوال عليها إلى مالا يتناهى، وهو أعلى، فإنه يكون في علمه بنفسه بمنزلة علم الله به؛ لأن الأخذ من معدن واحد» هذا لفظه.

وقد كشف شيخ الإسلام ابن تيمية عن مقالات رؤوس هؤلاء الإتحادية وأوضح كلام كل واحد منهم في رسالته إلى الشيخ نصر المنبجي[٣] قال فيها (وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام[٤]، فما علمت أحدًا سبقهم إليه، إلا من أنكر

---

(١) الفصوص (ص٤٤، ٤٥ ـ مع شرح مصطفى زادة).

(٢) في الفصوص:«ومائمة».

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٩٦). ونصر المنبجي هو: أبو الفتح نصر بن سليمان المنبجي المقرئ، وكان مقربًا من الجنكيز، وكان المنبجي يغلو في ابن عربي. هلك سنة (٧١٩هـ).
انظر: ذيول العبر (ص٥١)، والشذرات (٨/ ٩٥) ط. مطبعة حكومة الكويت.

(٤) الاتحاد العام: هو الذي يكون فيه الله -تعالى- هو عين وجود الكائنات. وهو بمعنى وحدة الوجود التي يقول بها التلمساني. انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٧٣).

وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وأن وجود ذات الله خالق السماوات والأرض هي نفس وجود المخلوقات، فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره، ولا أنه رب العالمين، ولا أنه غني، وما سواه فقير، لكن تفرقوا على ثلاثة طرق: -وأكثر من ينظر في كلامهم لا يفهم حقيقة أمرهم لأنه أمر مبهم-:

الأول[1]: أن يقولوا: إن الذوات (د/٥٩ب) بأسرها كانت ثابتة في العدم، وأن ذاتها أبدية أزلية، حتى ذوات الحيوان والنبات والمعادن والحركات والسكنات، وأن وجود الحق فاض على تلك الذوات، فوجودها وجود الحق، وذواتها ليست ذات الحق، ويفرقون بين الوجود والثبوت، فما كنت به في ثبوتك ظهرت به في وجودك[2].

ويقولون: إن الله سبحانه لم يعط أحدًا شيئًا، ولا أغنى أحدًا ولا أسعده، ولا أشقاه، وإنما وجوده فاض على الذوات، فلا تحمد إلا نفسك ولا تذم إلا نفسك.

ويقولون: إن هذا هو سر القدر، وأن الله تعالى إنما علم الأشياء من جهة رؤيته لها ثابتة في العدم، خارجًا عن نفسه المقدسة.

ويقولون: إن الله تعالى لا يقدر أن يغير ذرة من العالم، وأنهم قد يعلمون الأشياء من حيث علمها الله سبحانه، فيكون علمهم وعلم الله تعالى من معدن واحد، وأنهم يكونون أفضل من خاتم الرسل من بعض الوجوه؛ لأنهم يأخذون من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسل.

---

(١) أي الطريق الأول.

(٢) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير اليماني (١/ ٢٨٢) ط. العلمية.

ويقولون: إنهم لم يعبدوا غير الله ولا يتصور أن يعبدوا غير الله تعالى، وأن عباد الأصنام ما عبدوا إلا الله سبحانه، وأن قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] بمعنى حكم لا بمعنى أمر، فما عبد غير الله في كل معبود، فإن الله تعالى ما (ع/ ٩١ب) قضى بشيء إلا وقع.

ويقولون: إن الدعوة إلى الله تعالى مكر بالمدعو؛ فإنه ما عدم من البداية فيدعى إلى الغاية، أن قوم نوح قالوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ [نوح:٢٣]؛ لأنهم لو تركوهم لتركوا من الحق بقدر ما تركوا منهم؛ لأن للحق في كل معبود وجهًا، يعرفه من عرفه وينكره من أنكره، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية، وأن العارف منهم يعرف من عبد، وفي أي صورة ظهر حتى عبد.

فإن الجاهل يقول: هذا حجر، وشجر.

والعارف يقول: هذا مجلى إلهي، ينبغي تعظيمه فلا يقتصر[1]، وأن النصارى إنما كفروا؛ لأنهم خصصوا، وأن عباد الأصنام ما أخطؤوا إلا من حيث اقتصارهم على عبادة بعض المظاهر، والعارف يعبد كل شيء، والله أيضًا يعبد كل شيء؛ لأن الأشياء غذاؤه بالأسماء والأحكام وهو غذاؤها بالوجود، وهو فقير (د/ ٦٠أ) إليها، وهي فقيرة إليه، وهو خليل كل شيء بهذا المعنى.

---

(١) معناه: أن من رأى الحجر والشجر وغيرها من الجمادات والمخلوقات، وقال: هذا حجر وهذا شجر فهو جاهل!! وأما العارف فعرف أن الله تعالى تجلى فيها فعبدها، ولا يقتصر على الحجر ولا الشجر؛ لأن لله في كل معبود وجهًا، فمن عبده فما عبد غير الله.
وهذا يعني أن الصوفي كلما أوغل في المعرفة الصوفية قرب من الكفر، حتى ينسلخ من الدين، كما تنسلخ الشعرة من العجين، والله أعلم.

ويجعلون أسماء الله الحسنى، هي مجرد نسبة وإضافة بين الوجود والثبوت، وليست إلا أمورًا عدمية.

ويقولون: من أسمائه الحسنى العلي، عن ماذا؟ وما ثم إلا هو، وعلى ماذا وما ثم غيره، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها، وليست إلا هو، وما نكح إلا نفسه، وما ذبح سوى نفسه، والمتكلم هو عين المستمع، وأن موسى إنما عتب على هارون حيث نهاهم عن عبادة العجل؛ لضيقة وعدم اتساعه وأن موسى كان أوسع في العلم، فعلم أنهم لم يعبدوا إلا الله، وأن أعلى ما عُبِدَ الهوى، وأن كل من اتخذ إلهه هواه، فما عبد إلا الله، وفرعون كان عندهم من أعظم العارفين، وقد صدقه السحرة في قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، وفي قوله: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص:٣٨].

وكنت أخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء، وأقول: إن حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الصانع، حتى حدثني بعض الثقات عن كثير من كبرائهم أنهم يعترفون ويقولون: نحن على قول فرعون.

وهذه المعاني كلها هي قول صاحب الفصوص، والله تعالى أعلم بما مات الرجل عليه، والله يغفر لجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

والمقصود: أن هذا حقيقة ما تضمنه كتاب الفصوص المضاف إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه جاء به، وهو ما إذا فهمه المسلم علم بالاضطرار أن جميع الأنبياء والمرسلين وجميع الأولياء (ع/ ١٩٢) والصالحين، بل وجميع عوام أهل الملل من اليهود

والنصارى والصابئين، يبرؤون إلى الله تعالى من بعض هذا القول. فكيف منه كله؟ ويعلم أن المشركين -عباد الأوثان والكفار أهل الكتاب- يعترفون بوجود الصانع الخالق البارئ المصور، الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ربهم ورب آبائهم الأولين، رب المشرق والمغرب.

ولا يقول أحدٌ منهم: إنه عين المخلوقات، ولا نفس المصنوعات (د/ ٦٠ب) كما يقوله هؤلاء.

حتى إنهم يقولون: لو زالت السماوات والأرض زالت حقيقة الله؟

وهذا مركب من أصلين:

أحدهما: أن المعدوم شيء ثابت في العدم، كما يقوله كثير من المعتزلة والرافضة، وهو مذهب باطل بالعقل، الموافق للكتاب والسنة والإجماع[1].

وكثير من متكلمة أهل الإثبات كالقاضي أبي بكر كفر من يقول بهذا[2]، وإنما غلط هؤلاء من حيث لم يفرقوا بين علم الله بالأشياء قبل كونها وأنها مثبتة عنده في أم الكتاب في اللوح المحفوظ، وبين ثبوتها في الخارج عن علم الله تعالى، فإن مذهب المسلمين -أهل السنة والجماعة- أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم بالأشياء بعلمه القديم الأزلي، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها.

فيفرقون بين الوجود العلمي الكتابي، وبين الوجود العيني الخارجي[3].

ولهذا كان أول ما نزل على رسوله الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سورة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٧٧).
(٢) يعني القول بأن المعدوم شيء. انظر: جامع الرسائل (١/ ٨٤)، بغية المرتاد (ص٢٧٣).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٨٥).

يَعْلَمْ ﴾ [العلق:١-٥] فذكر المراتب الأربعة، وهي: الوجود العيني الذي خلقه، وذكر الوجود الرسمي المطابق للفظي، الدال على العلمي، وبين أن الله تعالى عَلِمَهُ، ولهذا ذكر التعليم بالقلم[(١)]، فإنه مستلزم للمراتب الثلاثة[(٢)].

وهذا القول -أعني قول من يقول أن المعدوم شيء ثابت في نفسه خارج عن علم الله تعالى- وإن كان باطلًا ودلالته واضحة، لكنه قد ابتُدِعَ في الإسلام من نحو أربعمائة سنة، وابن عربي وافق أصحابه، وهو أحد أصلي مذهبه الذي في الفصوص.

والأصل الثاني: أن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق، ليس غيره ولا سواه، وهذا هو الذي ابتدعه، وانفرد به عن جميع من تقدمه من المشايخ والعلماء، وهو قول بقية الاتحادية.

لكن ابن عربي أقربهم إلى الإسلام، وأحسن كلامًا في مواضع كثيرة، فإنه يفرق (د/ ٦١أ) بين الظاهر والمظاهر[(٣)]؛ فيقر الأمر والنهي والشرائع على ما هي عليه، ويأمر

---

(١) في الأصل: «ولهذا ذكر أن التعليم بالقلم..»، والمثبت من مجموع الفتاوى، ولعل «أن» مقحمة، والله أعلم.

(٢) يقسم المناطقة الموجودات إلى مراتب أربع: وجود عيني، وعلمي، ولفظي، ورسمي. أو يقال: وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البنان.

فالوجود العيني: هو وجود الموجودات في الخارج.

والوجود الذهني: هو العلم بالذي في القلوب.

والوجود اللساني: هو التعبير بذلك، والنطق به.

والوجود الرسمي البناني: هو كتابة ذلك.

وقوله: «أن التعليم بالقلم مستلزم للمراتب الثلاثة» أي أن التعليم بالقلم هو الوجود الرسمي، والوجود الرسمي يستلزم العيني والعلمي واللفظي.

انظر: الصفدية (٢/ ١٥٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/ ١١٢)، والجديد في الحكمة لسعيد بن منصور كمونة (ص٢١٥) ط. مطبعة جامعة بغداد.

(٣) المظاهر عنده: هي الأعيان الثابتة في العدم، أما الظاهر: فهو وجود الخلق.

انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٤٤)، جامع الرسائل (١/ ٢٣٨).

(ع/٩٣ب) في السلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الأخلاق والعبادات، ولهذا كثير من العباد يأخذون من كلامه سلوكهم[(١)]، فينتفعون بذلك، وإن كانوا لا يفقهون حقائقه، ومن فهمها منهم ووافقه، فقد تبين قوله، وأما صاحبه الصدر الرومي[(٢)]، فإنه كان متفلسفًا، فهو أبعد عن الشريعة والإسلام.

ولهذا كان الفاجر التلمساني الملقب بالعفيف يقول: كان شيخي القديم متروحنا متفلسفًا والآخر فيلسوفًا متروحنًا، يعني الصدر الرومي، فإنه كان قد أخذ عنه، ولم يدرك ابن عربي.

وهو في كتاب مفتاح غيب الجمع والوجود[(٣)] وغيره يقول: إن الله تعالى هو الوجود المطلق الساري في الكائنات[(٤)]، فإذا تعين لم يقل إنه هو، ويفرق بين المطلق والمعين، كما يفرق بين الحيوان المطلق والحيوان المعين، والجسم المطلق والجسم المعين، والمطلق لا يوجد في الخارج مطلقًا، لا يوجد المطلق إلا في الأعيان الخارجية[(٥)].

---

(١) في (ع، د) «سلوكه»، والمثبت من «مجموع الفتاوى».

(٢) محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف القونوي الرومي، صوفي، وهو تلميذ ابن عربي، تزوج ابن عربي أمه، ورباه، مات سنة (٦٧٣هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٣٠).

(٣) هذا الكتاب للصدر الرومي الآنف الذكر، وقد ذكر الزركلي في الأعلام بأن له نسخة خطية. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٣٠).

(٤) الوجود المطلق: هو الوجود الذي لم يتميز باسم ولا صفة أو نقول: هو الذي لا يتعين ولا يتميز. وقوله: «الوجود المطلق سار في الكائنات...» يعني به أن وجود كل موجود هو عين وجود واجب الوجود، فوجود المخلوقات هو وجود الله تعالى الله عن قولهم.
انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٨٩)، وجامع الرسائل (١/ ٢٣٩).

(٥) العبارة فيها قلق، والمقصود منها ظاهر، فإن وجود الرب -تعالى- عند زنادقة الصوفية وجود مطلق بلا شرط، وهو الوجود الكلي المطابق لكل موجود، لأن الوجود المطلق بلا شرط يدخل فيه المقيد المعين على التحقيق، فيكون الرب عندهم مطلق كلي مطابق للمخلوقات، فتكون هي هو، وهو هي. ولعل العبارة هكذا: «... المطلق لا يوجد في الخارج مطلقًا، لا يوجد في الخارج إلا معينًا». انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٦٤)، وجامع الرسائل (١/ ٢٣٩).

فحقيقة قوله: أنه ليس لله سبحانه وجود أصلًا، ولا حقيقة ولا ثبوت إلا نفس الوجود القائم بالمخلوقات؛ ولهذا يقول هو وشيخه: إن الله تعالى لا يرى أصلًا، وإنه ليس له في الحقيقة اسم ولا صفة، ويصرحون بأن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة، عين وجوده تعالى الله عما يقولون.

وأما الفاجر التلمساني فهو أخبث القوم، وأعمقهم في الكفر؛ فإنه لا يفرق بين الوجود والثبوت كما يفرق ابن عربي(١)، ولا يفرق بين المطلق والمعين كما يفرق الرومي(٢)، ولكن عنده ما ثم غير ولا سوى بوجه من الوجوه(٣)، وأن العبد إنما يشهد السوى ما دام محجوبًا، فإذا انكشف حجابه، ورأى أنه ما ثم غير يتبين له الأمر؛ ولهذا كان يستحل جميع المحرمات، حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول: البنت والأم والأجنبية شيء واحد، ليس في ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام فقلنا: حرام عليكم(٤).

وكان يقول (د/ ٦١ب): القرآن كله شرك، ليس فيه توحيد، وإنما التوحيد في كلامنا، وكان يقول: أنا ما أتمسك بشريعة واحدة، وإذا أحسن القول يقول: القرآن يوصل إلى الجنة، وكلامنا يوصل إلى الله تعالى.

---

(١) يزعم ابن عربي أن الأعيان ثابتة في العدم، غنية عن الله تعالى في أنفسها، ووجود الحق هو وجودها، والخالق مفتقر إلى الأعيان في ظهور وجوده بها، وهي مفتقرة إليه في حصول وجودها الذي هو نفس وجوده، والتفريق بين الأعيان الثابتة في الخارج هو قول من يقول: المعدوم شيء في الخارج وهو باطل. انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٩٤)، وجامع الرسائل (١/ ٥١).

(٢) انظر: جامع الرسائل (١/ ٢٣٩).

(٣) فعنده أن الله -تعالى- هو الوجود المطلق الذي لا يتعين ولا يتميز، وأنه إذا تعين وتميز فهو الخلق، سواء تعين في مرتبة الإلهية أم غيرها. انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٦١) (١/ ٢٤١).

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٣٨)،الصفدية (ص٢٤٤) الجواب الصحيح (٤/ ٥٠١).

وشرح الأسماء الحسنى[(١)] على هذا الأصل الذي له، وله ديوان شعر[(٢)] قد صنع فيه أشياء، وشعره في صناعة الشعر جيد، ولكنه كما قيل: لحم خنزير في طبق صيني، وصنف للنصيرية[(٣)] عقيدة[(٤)]، وحقيقة أمره[(٥)] أن الحق بمنزلة البحر، وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه.

وأما (ع/١٩٤) ابن سبعين فإنه في البدء والإحاطة[(٦)] يقول: أيضًا بوحدة الوجود، وأنه ما ثم غير، وكذلك ابن الفارض[(٧)] في آخر نظم السلوك، لكن

---

(١) انظر: كشف الظنون (٢/ ١٠٣٤).

(٢) انظر: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع (١/ ٩٩) ط. دار صادر.

(٣) هم أتباع محمد بن نصير النميري، وهم من غلاة الشيعة الذين ألهوا عليًا ابن أبي طالب. وقد كانت نشأتهم حينما توفي الحسن العسكري الذي تدعي الشيعة أنه الإمام الحادي عشر سنة (٢٦٠هـ)، اجتمع غلاتهم وأدعوا أن لـه ولدًا اختفى في سرداب بمنزل أبيه في سامراء، وأنه هو الإمام بعد أبيه، وخرج مجموعة من غلاتهم، كلٌّ يدعي أنه الواسطة بين هذا الإمام الغائب والشيعة، ومن هؤلاء محمد بن نصير، وهم فرق كثيرة منها: الحيدرية والشماسية، والكلازية، ومن عقائدهم: التناسخ، وإنكار البعث والنشور، وتأليه علي بن أبي طالب. وهم المعروفون اليوم بالطائفة العلوية. انظر: الموجز في المذاهب والأديان المعاصرة (ص١٣٦-١٣٨).

(٤) بل كان يميل إلى عقيدتهم. انظر: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (١/ ٤٦٥).

(٥) في (ع، د) ومجموع الفتاوى: «أمرهم»، وهو تصحيف؛ لأن كلام شيخ الإسلام هنا عن معتقد التلمساني، وليس الكلام عن أتباعه، ولا عن حقيقة أمر الصوفية، كما هي عادة شيخ الإسلام إذا تكلم عن شيء أتى في نهاية البحث بكلمة جامعة أو بخلاصة، وهو هنا لم ينته بعد؛ بدليل أنه قال بعده «وأما ابن سبعين.....».

(٦) له كتابان في ذلك، الأول: اسمه «الإحاطة»، ومنه نسخة خطية في معهد المخطوطات العربية برقم (١٤٩/ تصوف، ضمن مجموع)، وطبع ضمن رسائل ابن سبعين، والثاني: « بد العرف»، ويعرف بكتاب «البد». انظر: جلاء العينين (ص١١٣)، معجم المؤلفين (٥/ ٩٠).

(٧) شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي ثم المصري، الشاعر، صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به تائيته. حدث عنه: المنذري وكان ينعق بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود. مات سنة (٦٣٢هـ). انظر: السير (٢٢/ ٣٦٨).

لم يصرح هل يقول بمثل قول التلمساني أو قول الرومي أو قول ابن عربي، وهو إلى كلام التلمساني أقرب، لكن ما رأيت فيهم من كفر هذا الكفر الذي ما كفره أحد قط مثل التلمساني وآخر يقال له: البلياني[(١)] من مشايخ شيراز.

ومن أشعارهم:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه عينه[(٢)]

وأيضًا:

وما أنت غير الكون بل أنت عينه ... ويفهم هذا السر من هو ذائق[(٣)]

وأيضًا:

وتلتذ إن مرت على جسدي يدي ... لأني في التحقيق لست سواكم[(٤)]

---

(١) (د - ع) «البلباني»، والتصحيح من مجموع الفتاوى وكشف الظنون.
وهو عبدالله بن مسعود الحسني، البلياني، صوفي، يقول بوحدة الوجود، عارف بالرمل. مات سنة (٦٨٦هـ). من آثاره: مفتاح الكنوز. رياض الصالحين.
والبلياني - بفتح الموحدة ثم لام ساكنة بعدها تحتانية ثم نون ساكنة - نسبة إلى «بليان» من أعمال شيراز. انظر: هدية العارفين (١/ ٤٦٣). الضوء اللامع للسخاوي (٥/ ٣٣٧). معجم المؤلفين (٦/ ١٥٠).

(٢) القائل هو العفيف التلمساني، حكاه عنه ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٢/ ٤٧٣).

(٣) القائل هو محمد بن سوار بن إسرائيل أبو المعالى الشيباني الصوفي الحلولي، المعروف بنجم الدين بن إسرائيل، كان شاعرًا مشهورًا، سلك في النظم طريقة ابن الفارض، وزاد عليه في اللطف والانسجام وحذا حذوه في الاتحاد، لكن ابن الفارض يلوح وهذا يصرح، وزاد على ابن الفارض بالمجون والخلاعة، ومن شعره:

إن غيبتْ ذاتها عنى فلى بصر ... يرى محاسنها في كل إنسان

في القلب سر لليلى لو نطقتُ به ... جهرًا لأفتوا بكفري بعد إيماني

انظر: فوات الوفيات (٣/ ٣٨٣-٣٨٤)، لسان الميزان (٦/ ١٧٤).

(٤) القائل هو أحمد بن محمد الخرساني البغوي الصوفي الزاهد، المعروف بالنوري. مات سنة (٢٩٥هـ). انظر: السير (١٤/ ٧٠-٧٤).

وأيضًا:

ما بال عينك لا يقر قرارها والام طرفك لاينى متنقلا
فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن إلا اليك إذا بلغت المنزلا(١)

وأيضًا:

ما الأمر إلا نسق واحد ما فيه من حمد ولا ذم
وانما العادة قد خصصت والطبع والشارع بالحكم(٢)

وأيضًا:

يا عاذلي أنت تنهاني وتأمرني والوجد أصدق نهاء وأمار
فإن أطعك واعص الوجد قلت عمى عن العيان إلى أوهام أخبار
فعين ما أنت تدعوني إليه إذا حققته تره المنهي يا جار(٣)

وأيضًا:

وما البحر إلا الموج لا شيء غيره وإن فرقته كثرة المتعدد(٤)

إلى أمثال هذه الأشعار، وفي النثر ما لا يحصى.

ويوهمون الجهال أنهم مشأيخ الإسلام، وأئمة الهدى الذين (د/ ٦٢أ) جعل الله تعالى لهم لسان صدق في الأمة، مثل سعيد بن المسيب والحسن البصري وعمر بن

(١) القائل هو: العفيف التلمساني. انظر: الوافي بالوفيات (٢٠/ ٢٢٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٤٧/ ٢٨٠).
(٢) القائل هو: العفيف أيضًا. انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٨٢).
(٣) القائل هو التلمساني كما ذكره شيخ الإسلام.انظر جامع الرسائل (١/ ٢٧١).
(٤) ذكره شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى في مواضع (٢/ ١٦٩) (٢/ ٣٧٢) (٢/ ٤٧٤). ولم ينسبه لأحد.

عبد العزيز ومالك بن أنس، والأوزاعي وإبراهيم بن أدهم(١) وسفيان الثوري والفضيل بن عياض ومعروف الكرخي(٢) والشافعي وأبي سليمان الداراني(٣) وأحمد ابن حنبل(٤) وبشر الحافي(٥) وعبد الله بن المبارك وشقيق البلخي(٦) ومن لا يحصى كثرة إلى مثل المتأخرين مثل الجنيد بن محمد القواريري(٧) وسهل بن عبد الله التستري(٨)

---

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور أبو إسحاق العجلي من أكابر الصوفية. قال النسائي: هو ثقة مأمون، أحد الزهاد. توفي سنة (١٦٢هـ). انظر: التاريخ الكبير (١/ ٢٧٣)، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٤٥٥)، والجرح والتعديل (٢/ ٨٧)، ومشاهير علماء الأمصار (ص١٨٣)، وحلية الأولياء (٧/ ٣٦٧)، والعبر (١/ ١٨٣).

(٢) علم الزهّاد، أبو محفوظ البغدادي واسم أبيه فروز، وقيل فيرزان، ذكر معروف عند الإمام أحمد، فقيل قصير العلم، فقال: أمسك وهل يراد بالعلم إلا ما وصل إليه معروف. مات سنة (٢٠٠هـ). انظر: السير (٩/ ٣٣٩).

(٣) عبد الرحمن بن عطية، ويقال: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، كان من العباد الصالحين، من أهل داريا من أعمال الشام، من رجالات الصوفية، قدم بغداد وأقام بها مدة، ثم انتقل إلى الشام، وأقام بداريا إلى أن توفي، رويت عنه أقوال كثيرة في العبادة والحث على الزهد في الدنيا، وليس له حديث مسند إلا واحد، لكن له حكايات كثيرة يرويها عن أحمد بن أبي الحواري. مات بداريا سنة (٢١٥هـ). انظر: طبقات الصوفية للأزدي (١/ ٧٤)، وتاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٨).

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن، شيخ الإسلام: أبو نصر المروزي المشهور بالحافي. مات سنة (٢٢٧هـ). انظر: السير (١٠/ ٤٦٩).

(٦) شقيق بن إبراهيم الأزدي البلخي. مات سنة (١٩٤هـ). انظر: السير (٩/ ٣١٣).

(٧) الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي، ثم البغدادي القواريري، وهو شيخ الصوفية. ولد سنة نيف وعشرين ومئتين، ولم يذكر الذهبي تاريخ وفاته. انظر: السير (١٤/ ٦٦).

(٨) سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن رفيع التستري، من كبار الصوفية وعلمائهم، له كلام في الرياضيات والإخلاص وعيوب الأفعال، مات سنة (٢٨٣هـ). انظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي (١/ ١٦٧)، والفهرست لابن النديم (ص٢٣٧) ط. دار المعرفة، ومعجم المطبوعات (١/ ٦٣٥).

وعمرو بن عثمان المكي[١] ومن بعدهم إلى أبي طالب المكي[٢]، إلى مثل الشيخ عبد القادر الكيلاني[٣] والشيخ عدي[٤] والشيخ أبي البيان[٥] والشيخ أبي مدين![٦] والشيخ عقيل![٧] والشيخ أبي الوفاء[٨] والشيخ رسلان[٩] والشيخ عبدالرحيم![١٠] والشيخ عبد الله اليونيني[١١] والشيخ القرشي![١٢].

---

(١) عمرو بن عثمان المكي الإمام الرباني شيخ الصوفية أبو عبد الله المكي الزاهد. قال أبو نعيم: أنه توفي بعد المائة الثالثة. انظر: السير (١٤/ ٥٧).

(٢) محمد بن علي بن عطية الحارثي، الواعظ المشهور بأبي طالب المكي، من كبار الصوفية، كان رجلًا صالحًا مجتهدًا في العبادة. مات سنة (٣٨٦هـ). انظر: هدية العارفين (١/ ٤٧٢)، ومعجم المطبوعات (١/ ٣٢٠).

(٣) عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني الحسني، الشيخ الزاهد، من كبار الصوفية. مات سنة (٥٦١هـ). انظر: طبقات الأولياء لابن الملقن (١/ ٤١)، والأعلام للزركلي (٤/ ٤٧)، ومعجم المطبوعات (١/ ٧٣٧).

(٤) عدي بن مسافر بن إسماعيل الأموي الشامي الهكاري شرف الدين أبو الفضائل، صوفي، متكلم، وتنسب إليه الطائفة العدوية. توفي سنة (٥٥٨هـ). انظر: معجم المؤلفين (٦/ ٢٧٥).

(٥) نبأ بن محمد بن محفوظ القرشي الحوراني ثم الدمشقي الشافعي اللغوي الأثري الزاهد، صاحب الأذكار المسجوعة.. مات سنة (٥٥١هـ). انظر: السير (٢٠/ ٣٢٦).

(٦) شعيب بن حسين الأندلسي الزاهد بن أبي مدين شيخ أهل المغرب، ذكره ابن الآبار وأثنى عليه ثم قال: مات في نحو (٥٩٠هـ). انظر: طبقات الأولياء لابن الملقن (ص٤٣٧).

(٧) لم أجد من ذكره.

(٨) لم أجده.

(٩) رسلان بن يعقوب بن عبد الرحمن الجعبري ثم الدمشقي النشَّار، قال الذهبي: وكان ورعًا قانتًا صاحب أحوال ومقامات ولم تبلغني أخباره كما ينبغي وما علمته كان له اشتغال في العلم. مات في حدود سنة (٥٠٥هـ). انظر: السير (٢٠/ ٣٧٩)

(١٠) لم أجده

(١١) عبد الله بن عثمان بن جعفر اليونيني الزاهد العابد أسد الشام كان شيخًا مهيبًا شجاعًا، مات سنة (٦١٧هـ). انظر: السير (٢٢/ ١٠١).

(١٢) لم أجده.

وأمثال هؤلاء المشايخ الذين كانوا بالحجاز والشام والعراق ومصر والمغرب وخراسان (ع/ ٩٥ب) من الأولين والآخرين.

كل هؤلاء متفقون على تكفير هـؤلاء[١]، ومن هو أرجح منهم، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس هو خلقه، ولا جزءًا من خلقه، ولا صفة لخلقه، بل هو سبحانه متميز بنفسه المقدسة، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته[٢].

وبذلك جاءت الكتب الأربعة الإلهية من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وعليه فطر الله تعالى عباده، وعلى ذلك دلت العقول.

وكثيرًا ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التتار[٣]، واندراس شريعة الإسلام، وأن هؤلاء مقدمة الدجال الأعور الكذاب، الذي يزعم أنه هو الله؛ فإن هؤلاء عندهم كل شيء هو الله، ولكن بعض الأشياء أكبر من بعض وأعظم.

أما على رأي صاحب الفصوص، فإن بعض المظاهر والمستجليات يكون أعظم، لعظم ذاته الثابته في العدم.

وأما على رأي الرومي، فإن بعض المتعينات يكون أكبر؛ فإن بعض (د/ ٦٢ب)

---

(١) زنادقة الصوفية.

(٢) أي: منفصل عنهم فليس في ذاته شيء من مخلوقاته وليس في مخلوقاته شيء من ذاته.

(٣) التتار، ويقال التتر: هم بدو الترك، ويطلق عليهم المغول، وتختلف لغتهم عن لغة الترك، موطنهم منغوليا، جنوب شرق سيبريا على حدود الصين، وبلادهم اليوم من جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقًا، اجتاحوا العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري في اجتياح لم يسبق مثله في التاريخ، ونشروا الرعب، والقتل، والتدمير في كل بلد يدخلونه ثم هداهم الله للإسلام فيما بعد.
انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٧٤)، والبداية والنهاية (١٣/ ٩٨)، ودائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشناوي، وآخرين (٤/ ٥٧٦) مادة تتر.

جزئيات الكلي أكبر من بعض، وأما على رأي البقية، فالكل أجزاء منه وبعض الأجزاء أكبر من بعض.

فالدجال عند هؤلاء مثل فرعون من كبار العارفين، وأكبر من الرسل بعد نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإبراهيم وموسى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فموسى قاتل فرعون الذي يدعي الربوبية، ويسلط الله تعالى مسيح الهدى الذي قيل فيه إنه الله تعالى، وهو بريء من ذلك، على مسيح الضلالة الذي قال إنه الله.

ولهذا كان بعض الناس يعجب من كون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال إنه أعور[1]، وكونه قال: «**واعلموا أن أحدًا منكم لن يرى ربه حتى يموت**»[2].

وابن الخطيب أنكر أن يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال هذا؛ لأن ظهور دلائل الحدوث والنقص على الدجال، أبين من أن يستدل عليه بأنه أعور.

فلما رأينا حقيقة قول هؤلاء الاتحادية، وتدبرنا ما وقعت فيه النصارى والحلولية[3]؛ ظهر سر دلالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته بهذه العلامة، فإنه بُعِثَ رحمة

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٢٢٧) كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ومسلم في الفتن (٤/ ٢٢٤٧)، باب ذكر الدجال. وعجبُ هؤلاء من وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للدجال بأنه أعور؛ لأنه من كبار العارفين لادعائه الربوبية، والرب عند هؤلاء يتناقض مع وصفه بالعور.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٤٥) كتاب الفتن، باب ذكر ابن الصياد، وفيه: «وتعلَّموا...» بدل: «واعلموا».

(٣) جمع حلولي، وهو الذي يعتقد أن الله يحل في بعض المخلوقات، وهو اعتقاد كفري مأخوذ من قول النصارى بحلول اللاهوت في الناسوت، وأشهر من عرف عنه ذلك بعض غلاة المتصوفة، ومنهم الحلاج، ومن أشعارهم:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيستي

ولأجل ذلك اعتقد كثير منهم إيمان فرعون، حينما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ لأنه بزعمهم عرف الحقيقة، وقد رأيت في كلام شيخ الإسلام أن غلاة عباد الجهمية يعتقدون بهذا، ومن أقواله المشهورة «متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئًا ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء». =

للعالمين، فإذا كان كثير من الخلق يُجوِزُ ظهور الرب في البشر، أو يقول إنه هو البشر، كان الاستدلال على ذلك بالعور دليلًا على انتفاء الإلهية عنه.

وقد خاطبني قديمًا شخص من خيار أصحابنا، كان يميل إلى الاتحاد ثم تاب منه، وذكر هذا الحديث فبينت له وجهه.

وجاء إلينا شخص كان يقول: إنه خاتم الأولياء، فزعم أن الحلاج[1] لما قال أنا الحق، كان الله تعالى هو المتكلم على لسانه، كما يتكلم الجني على لسان المصروع، وأن الصحابة لما سمعوا كلام الله تعالى من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان من هذا الباب.

فبينت له فساد هذا، وأنه لو كان كذلك كان الصحابة بمنزلة موسى بن عمران، وكان من خاطبه من هؤلاء أعظم من موسى؛ لأن موسى سمع الكلام الإلهي من الشجرة، وهؤلاء يسمعون من الحي الناطق.

وهذا (ع/١٩٦أ) يقوله قوم من الاتحادية، لكن أكثرهم جهال لا يفرقون بين الاتحاد العام المطلق، الذي يذهب إليه الفاجر التلمساني (د/١٦٣أ) وذووه، وبين الاتحاد المعين الذي يذهب إليه النصارى والغالية[2].

وقد كان سلف الأمة وسادات الأئمة، يرون كفر الجهمية أعظم من كفر اليهود، كما قال عبد الله بن المبارك والبخاري وغيرهما وإنما كانوا يلوحون تلويحًا، وقل أن كانوا يصرحون بأن ذاته في كل مكان.

= انظر: الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٢٠١)، والتبصير في الدين (ص٧٧-٨٧)، والفرق بين الفرق (ص٢٤٦-٢٤٨)، والفتاوى (٢/ ١٧١-١٧٢، ٢٩٦-٢٩٩، ٤٨٠-٤٨٨).

(١) الحسين بن منصور بن محمي، الفارسي البيضاوي الصوفي المعروف بالحلاج، نشأ بتُستر، قال الذهبي: «وتبرأ منه سائر الصوفية، والمشايخ، والعلماء لما رأو من سوء سيرته ومروقته». اهـ. كان مقتل الحلاج في سنة (٣٠٩هـ). انظر: السير (١٤/ ٣١٣).

(٢) كذا في النسخ الخطية.

وأما هؤلاء الاتحادية، فإنهم أخبث وأكفر من أولئك الجهمية، ولكن السلف والأئمة أعلم بالإسلام وبحقائقه.

فإن كثيرًا من الناس قد لا يفهم تغليظهم في ذم المقالة، حتى يتدبرها ويرزق نور الهدى، فلما اطلع السلف على سر القول نفروا منه، وهذا كما قال بعض الناس: متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئًا، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء(١)؛ وذلك لأن متكلمهم ليس في قلبه تأله ولا تعبد، فهو يصف ربه بصفات العدم والموت، وأما المتعبد ففي قلبه تأله وتعبد، والقلب لا يقصد إلا موجودًا لا معدومًا، فيحتاج أن يعبد المخلوقات:إما الوجود المطلق(٢)، وإما بعض المظاهر كالشمس والقمر والبشر والأوثان وغير ذلك.

فإن قول الاتحادية يجمع كل شرك في العالم، ويعم ولا يوحدون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنما يوحدون القدر المشترك بينه وبين المخلوقات، فهم بربهم يعدلون.

ولهذا حدث الثقة أن ابن سبعين كان يريد الذهاب إلى الهند، وقال: إن أرض الإسلام لا تسعه(٣)؛ لأن الهند مشركون يعبدون كل شيء، حتى النبات والحيوان، وهذا حقيقة قول الاتحادية.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٣٠٥)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ١٩٧).
والمراد بمتكلمي الجهمية: الذين سلكوا طريق الفلاسفة في إثبات وجود الخالق عن طريق دليل الأعراض وحدوث الأجسام، وجاؤوا بقوانين عقلية قدموها على نصوص الوحي، ونفوا لأجله الصفات، وقدموا العقل على النقل، وحكموا عقولهم فيما لا مجال للعقل فيه من أمور الغيب التي أخبرنا الله تعالى بها، وأمرنا أن نسلم بها إيمانًا دون السؤال عن كيفيتها وكنهها.
أما متعبدي الجهمية فالمراد بهم: عوام الجهمية الجهال الذين لم يسلكوا طريق الوحي ولا طريق النظر الذي يقول به أهل الكلام وغيرهم من المتفلسفة، بل هم الذين عبدوا الله بالذوق والغناء والفجور، وألغوا عقولهم فيما من شأنه إعمال العقل، وتصرفوا بطرق تضحك منهم جميع العقلاء.

(٢) لأن الوجود المطلق لا وجود له أصلًا، وعوام الجهمية إنما يعبدون كل ما هو ظاهر محسوس.

(٣) انظر: الشهادة الزكية (١/ ٩٢) ط. دار الفرقان.

وأعرف ناسًا لهم اشتغال في الفلسفة والكلام، وقد تألهوا على طريق هؤلاء الاتحادية، فإذا أخذوا يصفون الرب سبحانه بالكلام قالوا: ليس بكذا ليس بكذا، ووصفوه بأنه ليس هو رب المخلوقات، كما يقوله المسلمون(١)، لكن يجحدون صفات الإثبات التي جاءت بها الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وإذا صار لأحدهم ذوق ووِجْدٌ: تأله، وسلك طريق الاتحادية، وقال: إنه هو الموجودات كلها.

فإذا قيل له: أين ذلك النفي من (د/ ٦٣ب) هذا الإثبات؟

قال: ذلك عقدي، وهذا ذوقي.

فيقال لهذا الضال: كل ذوق ووجد لا يطابق الاعتقاد(٢)، فأحدهما أو كلاهما باطل، وإنما الأذواق والمواجيد نتائج المعارف والاعتقادات؛ فإن علم القلب وحاله متلازمان، فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الوجد والمحبة والحال.

ولو سلك هؤلاء طريق الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (ع/ ٩٧ب)، الذين أمروا بعبادة الله وحده لا شريك له، ووصفوه بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله، واتبعوا طريق السابقين الأولين؛ لسلكوا طريق الهدى، ووجدوا برد اليقين وقرة العين؛ فإن الأمر كما قال بعض الناس: إن الرسل جاؤوا بإثبات مفصل ونفي مجمل، والصابئة المعطلة جاؤوا بنفي مفصل، وإثبات مجمل(٣).

---

(١) العبارة فيها قلق، ولعله يقصد: أن المسلمين يقرون بأن الله -تعالى- هو رب المخلوقات، خلافًا لهؤلاء الاتحادية.

(٢) الصحيح.

(٣) أهل السنة والجماعة، يثبتون لله تعالى جميع الأسماء والصفات على التفصيل الذي جاء به القرآن والسنة المطهرة، وينفون كل نقص تنزه عنه سبحانه؛ لأنه جاء في القرآن كذلك. أما المعطلة النفاة،فعكس طريقة القرآن، فإن غالب عقائدهم السلوب، ليس بكذا ليس بكذا، فهم ينفون في الموضع الذي يجب فيه التفصيل، ويفصلون في الموضع الذي يجب فيه الإجمال.
انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٦٩).

فالقرآن مملوء من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت:٦٢]، و﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج:٦٠]، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧].

وفي النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الصمد:٤]، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:١٨٠-١٨١] انتهى المقصود منه.

ونقل الحافظ الحجة شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي[١] في كتاب القول المنبي عن ترجمة ابن عربي، عن العلامة سيف الدين عبد اللطيف بن عبد الله المسعودي[٢] الحنفي، أنه رفع سؤالاً إلى العلماء على رأس القرن السابع عن كتاب الفصوص لابن عربي ونصه: «ما تقول السادة العلماء أئمة الدين، وهداة المسلمين عن كتاب بين أظهر الناس؛ زعم مصنفه أنه وضعه وأخرجه للناس بإذن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منام، زعم أنه رآه، وأكثر كتابه ضد لما أنزل الله من كتبه المنزلة وعكس وصد عن قول أنبياء الله المرسلة، فمما قال فيه: إن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما سمي إنسانًا؛ لأنه للحق تعالى بمنزلة إنسان العين من العين الذي يكون به النظر، وقال في موضع آخر: إن الحق المنزه هو الخلق المشبه (د/ ٦٤أ)، وقال في قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنهم لو تركوا عبادتهم لود وسواع ويغوث ويعوق ونسر لجهلوا من الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء. ثم قال: فإن للحق في كل معبود وجهًا، يعرفه من عرفه، ويجهله من

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوى أبو الخير، فقيه مقرئ محدث مؤرخ مشهور، وهو من كبير تلامذة ابن حجر العسقلاني، مات سنة (٩٠٧هـ). انظر: معجم المؤلفين (١٠/ ١٥٠).

(٢) العلامة سيف الدين عبد اللطيف بن عبد الله السعودي صفي الدين، فقيه مؤرخ. مات سنة (٧٣٦هـ). انظر: معجم المؤلفين (٦/ ١٢).

جهله، فالعالم يعلم من عبد، وفي أي صورة ظهر، حتى عبد، وإن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة.

ثم قال في قوم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنهم حصلوا في عين القرب، فزال مسمى جهنم في حقهم، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق، فما أعطاهم هذا المقام الذوقي اللذيذ من جهة المنة، وإنما أخذوه بما استحقت حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها، وكانوا على صراط الرب المستقيم. ثم إنه أنكر فيه حكم الوعيد، في حق من حقت عليه كلمة العذاب، من سائر العبيد.

فهل يكفر من يصدقه في ذلك أو يرضى به منه أم لا. وهل يأثم سامعه إذا كان بالغًا عاقلًا ولم ينكره بلسانه أو بقلبه؟.

أفتونا بالوضوح والبيان كما أخذ الميثاق والتبيان. فقد أضر الإهمال بالضعفاء والجهال، وبالله المستعان (ع/١٩٨) وعلى الله الاتكال؛ أن يعجل للملحدين النكال، لصلاح الحال وحسم مادة الضلال»؟

فأجاب عن هذا السؤال: جهابذة الإسلام، والعلماء الأعلام، كالشمس محمد بن يوسف الجزري[١]، والحافظ الحجة سعد الدين الحارثي[٢]، والشيخ نور الدين البكري[٣]، الزواوي المالكي[٤]، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام نجم الدين

---

(١) محمد بن يوسف بن عبد الله الجزري ثم المصري الشافعي، ويعرف بابن الحشاش، فقيه نحوي منطقي. مات سنة (٧١١هـ). انظر: معجم المؤلفين (١٢/ ١٢٨).

(٢) مسعود بن أحمد بن زيد الحارثي، من فقهاء الحنابلة. مات سنة (٧١١هـ). انظر: معجم المؤلفين (١٢/ ٢٢٥).

(٣) نور الدين علي بن يعقوب بن جبريل بن عبد المحسن البكري المصري الشافعي، مفسر بياني مشارك في بعض العلوم، مات سنة (٧٢٤هـ). انظر: شذرات الذهب (٨/ ١١٥).

(٤) محمد بن سليمان بن سومر الزواوي قاضي المالكية بدمشق، استمر قاضيًا ثلاثين سنة إلى أن مات سنة (٧١٧هـ). انظر: شذرات الذهب (٨/ ٨٢).

محمد بن عقيل البالسي[(١)]، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة[(٢)]، بأجوبة طويلة كافية شافية، ذكرها السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتركنا ذكرها اختصارًا.

ثم قال السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «قرأت له -يعني السيف السعودي- مصنفًا، أفادنيه العلامة مفخر الزمان الأمين أبو زكريا الأقصرائي![(٣)] الحنفي (د/ ٦٤ب)، فسح الله في أجله، وهو بخط أحمد بن آقش الشبلي![(٤)]، جمعه السيف في شهور سنة إحدى عشرة وسبعمائة، وسماه: بيان حكم ما في الفصوص من الاعتقادات المفسودة والاعتقادات الباطلة المردودة التي من اعتقدها كفر، ومن لم ينكرها أثم وخسر، والاستدلال لصحة ذلك بالكتاب والسنة الواضحة عند أهل المعرفة والفطنة، ونسخ فتاوى أهل العلم والأئمة من أهل المراتب والحلم، على اختلاف مذاهبهم، واتفاق مطالبهم لنصرة دين الله، واتباع رسوله الخاتم، فمن خالفهم بعد ذلك فهو بالمخالفة ضال ظالم، وافتتحه بقصيدتين من نظمه قافية الأولى على الهاء المكسورة مطلعها:

عجبت لمنكر إنكار قوم ... على منشي الفصوص ومفتريه

وهي تسعة وعشرون بيتًا.

والثانية أولها:

فرض علينا اتباع نبينا ... بحقيقة منا وحكم جازم

---

(١) القاضي نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عقيل بن أبي الحسن بن عقيل البالسي ثم المصري الشافعي، شارح التنبيه، مات سنة (٧٢٩هـ). انظر: شذرات الذهب (٨/ ١٥٩).

(٢) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، مفسر فقيه أصولي متكلم مؤرخ أديب ثائر، مشارك في علوم شتى، مات سنة (٧٣٣هـ).
انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٥/ ٤) الطبعة الهندية، ومعجم المؤلفين (٨/ ٢٠١).

(٣) لم أجده.

(٤) لم أجده.

وذكرها وهي (ع/٩٩ب) سبعة وأربعون بيتًا، ثم قال: وهذه قصيدة ثالثة أوردها (د/١٦٥أ) الناظم أثناء كتابه وقال إنه لقبها: «بجلاء الفصوص على فهم كل تقي مخصوص» فقدمتها هنا[1]:

تفنى المحابر دون شرح كلامه ... في وصف جرأته وفي إقدامه
من يستبيح بأن يقول تعمدًا ... كذبًا على الهادي بزور منامه
أقواله تنبي اللبيب بأنه ... كذب بلا شك لسوء مرامه
لولا الحليم بحلمه عم الورى ... فضلا وجودًا ذاك من إنعامه
لاندكت الأجبال مما قاله ... في حق منشيه وفي علامه
إذ قال فيه إنه هو خلقه ... والخلق يشمل ذكر كل هوامه
ويراه صورة كل شيءٍ قد بدا ... وعيونه ووجود وصف قوامه
وهو المنعم بالملاذ وضدها ... يتألم الوجدان من إيلامه
ويقول نحن غذاؤه بالحكم هل ... صمدٌ يكون له غذا كطعامه
ما كل ما قد قال يمكن شرحه ... لقبح[2] مفهوم وثُبْتُ حرامه
جل المقدس والمعظم دائما ... عن كل فهم جل عن إعظامه
هي فتنة للامتحان بلية ... لبيان[3] دين القوم عند كلامه
فالمؤمنون المتقون تراهم ... قاموا لنصر الدين حق قيامه
غضبوا فلما يرضهم إنكاره ... بالقول فيه كلائم لغلامه
لكنهم لو مكنوا لرأيتهم ... كلا مكان القول ضرب حسامه

(١) وهي من بحر الكامل، وتفعيلاته: متفاعلن متفاعلن متفاعلن.
(٢) هكذا في (ع، د)، والبيت هنا مكسور، ولو قال: «للقبح...» لاستقام الوزن.
(٣) في الأصل «بالبيان....»، والبيت ينكسر هنا، ولعل الألف واللام زائدة.

للملحدين الزاعمين لوحدة فيها استباح القول نص حرامه
وعبادة الأصنام عرفانٌ لهم وبذاك كلٌّ سُلَّ من إسلامه
سجدوا بما زعموا وإن لم يسجدوا مع كل ذي شرك لدى أصنامه
قاموا بكفر الكافرين بأسرهم قصدًا وعقدًا ثم في إبرامه
ومصدقٌ لهمُ بحكمٍ مثلُهُم وسط الضلالة باتباع إمامه
قد حاز كل الإثم ممن قد مضى وله مزيد الكفل مع آثامه
هذا نصيب رئيسهم وإمامهم في الورد إذ وردوا على أقدامه
من قال في أعداء نوحٍ إنهم كانوا على حق وجوب لزامه
ولو استجابوا تاركي أصنامهم جهلوا حقائق فيه حق تمامه
من قال في عاد بأنهم ثووا في عين قرب وسط دار سلامه
سلكوا الصراط المستقيم بجرمهم وبه استحقوا الجود من إكرامه
ما نيلهم للقرب منه منة لكنه حق يرى بقيامه
من قال في حق الخليل بأنه لم يدر تعبيرا لحلم منامه
من بعد حصر صفات ذات قدست إثبات ما لم يرتقي لمرامه
فأراد يذبح إبنه بتوهمٍ ففداه رب العرش من أوهامه
من قال في إسماعيل مرضيٌّ له وكذاك مرضي جميع أنامه
هذا الكلام جميعه متناقض في الحكم معناه لدى فهامه
من قال في فرعون ما قد قاله فهو البريء لديه من إجرامه
علم الجهول بحكم ما لم يبده موسى الرسول المصطفى لكلامه
وكذا النبي المصطفى لم يبده بمقالة للناس في إفهامه
من قال في موسى الكليم بأنه لما بدا بعتابه وخصامه

لأخيه هارون النبي معنفًا ... لم لا اتسعت وذاك من إفهامه
إن العبادة صادفت من قومه ... في العجل عين الحق في اقسامه
لو كان ذلك لم يُحرقُ عجلهم ... وينسفه في اليم محو نظامه
من قال في أيوب جهل صبره ... إذ لم يُعجِلْ باشتكاء سقامه
من قال أن عذاب خلد ذوقه ... كنعيم خلد لذ في إلمامه
في حق كل الكافرين بأسرهم ... والفرق رأي العين وصف قيامه
فعسى يكون نصيبه ما قاله ... من وهمه يلقاه بعد حمامه
فيرى خلاف فساد وهم ظنونه ... نزع الشوى منه وحطم عظامه
من جهل الرسل الكرام بأسرهم ... بمقاله فيهم وسوء مسامه
فشهادتيه هو الخداع وهكذا ... حكم الصلاة وحكم وصف قيامه
يحمي به النفس الخبيثة خائفا ... من قَتْلِها كفرًا لدى حُكامه
جَهِلَ الشرائع والحقائق كلها ... هلك الذي والاه باستسلامه
خاب المقلد غير معصوم وقد ... أبدى خلاف الحق في إيهامه
من كان متبع الرسول فحكمه ... فيه مكمعصوم لفضل إمامه
من صد عنه مخالفًا بتعمد ... أصماه راميه بوقع سهامه
إبليس قوس الرمي هذا وصفه ... وسهامه الأقوال من إلزامه
مَنْ نَقص المختار ضل عن الهدى ... في قوله فيه بنقض ختامه
ومقاله في «إستقم» لم يدر ما ... منه المراد فشاب من إيهامه
ما شك قط المصطفى في قربه ... ويسر عصمته علو مقامه
فيقول شاب لأنه لم يدر هل ... قول «استقم» في الأمر من أقسامه
ويقول في غير النبي بأنه ... ساوى الإله بعلمه لدوامه

في حكم أقدار عليه مفصلًا ... أبدًا يحقق ذاك في أحكامه
من يستحق سواه ما قد قاله ... في تابعٍ إن صح من خُدامه
مَنْ جَهل الصديق فيما قاله ... من عجز إدراك لعظم مرامه
هل بعد جملة ما ذكرت ضلالة ... قد عم ظلمة من مضى بظلامه
أقوال ضدٍ للشرائع كلها ... ومخالف العلام في إعلامه
فعليه من غضب الإله بعلمه ... ما يستحق بظنه وكلامه
وعلى مُصدِقِهِ ومن يرضى به ... أبدًا يجدد مَعْ مدى أيامه
واغفر لناظمها وكل موافق ... لبيان وجه الحق باستلزامه
عبد اللطيف مراده في وضعها ... تبيان لبس القول في إعجامه
لزوال وهم تخيل عن فهم من ... قد صد ظنا منه في إحجامه
لتابع[1] الحق المبين بلا امترا ... فينال فضل الجود من قسامه
فيها نصيحة كل بَرٍ صالح ... وعداوة المفتون مع إغمامه
وشفاء صدر سالم من غله ... ومزيد ذي الإصمام من إصمامه
من صد عنها معرضًا متعللا ... متوقفا بالوهم مع إخصامه
دع ما يقول وتابع الهادي الذي ... تُهدي به وتحل بين خيامه
فتصير مع أهل الخيام برملة ... وتنال منه حقيقة لذمامه
فبها النجاة لكل عبدٍ مسلم ... فعليه من ربي دوام سلامه
وعلى نبيه مع آله وصحبه ... علماء أصل الدين عقد نظامه[2]
والحمد لله العظيم ختامها ... حمدًا وشكرًا فهو من إلهامه

---

(١) هكذا في (ع، د)، والبيت هنا مكسور، ولو قال: «ولتابع...» لاستقام الوزن.

(٢) هكذا في (ع، د)، والبيت هنا مكسور، ولو قال: «وعلى النبي مع آله وصحابه...» لاستقام الوزن.

حمـدًا بـدا مـن جـوده إجـراؤه ... وعليـه بـالأفضـال حكـم تمامه

فبـه الـوصـول لـواصـل لمـراده ... وبـه تمسـكْ واتـقِـي بعصامه

ثم قال الناظم[1]: «تمت الأبيات مختصرة المعاني، صحيحة المباني، متضمنة اعتقاده، ومبينة لكل لبيب فساده؛ بذكر ما زعمه وأراده» اهـ.

فلنورد[2] مقدمات الفتاوى (ع/١٠٢أ) مع بيان ما أوجب ذلك من الكتاب والسنة، مما هو ظاهر لذوي البصائر والفطنة، ثم أجوبة العلماء التابعين لخاتم الأنبياء، بتكفير صاحب الفصوص، والمصدق له فيما أورده من مخالفة النصوص، وتحذير من لم ينكره من الوقوع في المخالفة والمحنة، وبيان أنه ممن أخطأ طريق الجنة، إلا إن كان غير عالم بما وجب عليه، وندب من الله ورسوله إليه، من القيام بالإنكار وإبداء العداوة لأعداء الله الفجار.

قال: وكان الموجب لأخذ هذه الفتاوى؛ ما قرره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما رواه مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«الدين النصيحة»** قلنا: لمن (د/ ٦٧ب) يا رسول الله؟ قال: **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**[3].

فمفهوم مضمون هذا الحديث[4]: أنه لا يحل لمسلم يسمع في حق الله ما لا يليق بكماله وعظمته وجلاله، أو يسمع من يلحد في آياته، ويخوض في معاني كتابه العزيز بباطل تأويلاته، ويحرفه عن مواضعه أو يخرجه في الأحكام عن مواقعه، كتحليل حرامه أو تحريم حلاله، أو تغيير كلامه أو مناقضة شيء من أحكامه، أو

(١) السيف السعودي.

(٢) القائل هو السيف السعودي.

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان (١/ ٧٤).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٨)، والفتح لابن حجر (١/ ١٣٨).

يسمع من يتنقص رسله الكرام، أو يرد قولًا من أقوال نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو يغض من قدره بصريح لفظ معلوم، أو بتلويح مشعر بذلك لأرباب الفهوم، ثم يسكت إن أمكنه الكلام، أو يرضى به من أحد من الأنام أن وسعه السكوت، والنصيحة لأئمة المسلمين، مفهوم بالمناصحة في الدين، وإعانتهم على مصالح المسلمين.

وأما النصيحة لعامتهم فبما يأمرهم به من المعروف، وينهاهم عن المنكر، والمساعدة والعون، بما تصل إليه القدرة مما حض الله ورسوله عليه، ودفع ضرر الأديان أهم، وهو في النفع أخص، وفي بذل النصيحة أعم.

ويؤيد المقصود في هذا المعنى: ما رواه مسلم في صحيحه -أيضًا- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون [بسنته]**[1] **ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**[2].

وقال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج:٧٨] الآية، فقد ثبت وتعين وجوب الجهاد على أهل الإيمان في

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من (ع).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان (١/ ٧٠) من حديث ابن مسعود، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان. وقد أخرجه ابن حبان (١٤/ ٧٣)، وأبو عوانة في المسند (١/ ٣٥)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٣)، وأحمد في المسند (١/ ٤٧٤)، والبخاري في التاريخ الكبير (٥/ ٣٤٧) كلهم عن الحارث بن فضيل عن جعفر بن عبد الله بن الحكم عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبي رافع عن مسعود، به، وقد بحثته في تحفة المزي وإتحاف المهرة لابن حجر فوجدته من حديث ابن مسعود لابن عباس، فتبين لي أن الشارح قد وهم - قطعًا- بعزوه لابن عباس.

كل زمان (ع/١٠٣ب) ومكان، وبذل الاجتهاد طلبًا لرضوان رب العباد، ولا يصح لك شاهد الاجتباء إلا بوجود الغضب لله، والمجاهدة في سبيله، دينًا ومذهبًا؛ لكونه صار في الذمة (د/٦٧ب) حتمًا مرتبًا.

وقال عز من قائل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢] الآية، وقد علمنا أن الله سبحانه تعالى قد شرط في صحة الإيمان به الكفر بالطاغوت لقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦] فصار الكفر بالطاغوت شرطًا في صحة الإيمان بالله، واجبًا لا يمكن وجود الإيمان إلا بوجوده.

وصاحب الفصوص زعم في التوحيد أن ترك عبادة الأصنام جهل، وذا كاف لمن رد عليه والسلام.

وهذا هو الموجب للقيام، وأخذ الفتاوى ليرتدع المشاقق والمناوي، بعد أن رأيت من يعتقد صحة مقاله، ويزعم أنه حق فبادرت لبيان ضلاله، وإثبات محاله، فإن في قوله ذلك عدة أنواع من الكفر لمن ميزه واعتبره، وأبدًا ما أظهره خفي ما أضمره، من رده نص محكم الكتاب، وتصويبه الكفر السريع الانقلاب، وتميزه من تعاطاه على من أنكره، وقد ثبت في الأحكام، وشاع فهمه بين الأنام أنه: ما عبد الأصنام إلا أجهل الخلق اللئام، ولا أنكره عليهم إلا أفضل الخلق، وأعلمهم بالله أعني الرسل الكرام، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فانظر إلى هذا الإقدام والتجرئ على الله، بما يخالف ملة الإسلام، بل سائر الملل عند ذوي الأفهام.

إلى أن قال -بعد خطبة الكتاب-: ولما كملت المائة السادسة من الهجرة، ظهرت مبادئ تلك الفترة بظهور من ينسب إلى العلم والتصوف، ممن أعطي في ألفاظه نوعًا من التصرف؛ لاكتسابه العلوم الفلسفية والطبيعية، وغيرهما من العلوم التي لا يرجى خيرها، فتولد من هذه المركبات في الذهن عبارات، وأنواع إشارات بلسان يستغرب، وعند غير العارف الذكي تستعذب، وهي فاسدة المعاني، واهية المباني، مخالفة لظواهر النصوص، معاكسة لقول كل نبي مخصوص، مع تحريفه (د/ ٦٨أ) تأويل ما يعتضد به من المنقول على حكم، اعتقاده في الوحدة أو الاتحاد والحلول.

وتزايد به الأمر حتى أقدم على المضاددة[١]، وأظهر المخالفة والمعاندة، بما وضعه في كتاب الفصوص المشارك له في وضعه إبليس، قصدًا للتدليس، وإظهارًا للتلبيس، فأظهر الله بالتحقيق ذلك لذوي التوفيق.

فمن أعظم تحيلاته (ع/ ١٠٤أ) وكذبه على الله وافتياته: ما زعمه في مقدمة الكتاب المذكور من البهتنان والزور حيث قال:

إنه رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام وبيده كتاب، فقال له هذا كتاب فصوص الحكم خذه، وأخرجه إلى الناس ينتفعون به، وأنه أخرجه كما حده له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير زيادة ولا نقصان[٢].

فانظر إلى هذا الخلل وظهور دلائل الزلل؛ وذلك أنه زعم أنه ناوله إياه وسماه له، ولم يقل قرأته عليه ولا انتبهت فوجدته في يدي، فكيف عرف حده وكل ما فيه من قول ومعنى من نظم ونثر، واستدلال بعلوم فلسفية وطبيعية وهندسية من

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) انظر: فصوص الحكم (١٢ - بشرح زاده) ط. دار الكتب العلمية.

العلوم التي لا تنسب إلى الحضرة المحمدية، وما فيها من الشعر، فلا ينسب إلى نبي ولا ملك ولا إلى حضرة إلهية، من مبادئ تجليات الحق سبحانه في المنام ولا غيره.

هذا إذا كان الشعر والكلام موافقًا لما جاءت به الرسل الكرام، فظهرت دلائل كذبه فيما جعله لدفع الشبهة عنه، من أقوى سببه ليلفت به إليه العوام، ويصغى نحوه أهل البلادة بالإيهام، فيحصل منهم عنه فيما ينكرونه عليه الإحجام.

وكان أول منكر بدأ بالإنكار عليه، وثبت كفره وكذبه لديه، شيخ الإسلام ومفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام، من أنه ما اتصل بنا أنه وقف على كتاب الفصوص، ومخالفته فيه لصريح أحكام الله في النصوص، بل ذلك بما بلغه من فاسد أقواله، وثبت عنده من مخالفة طرق أهل الحق في انتحاله، ثم تابعه في الإنكار الشيخ الإمام بركة الإسلام القطب القسطلاني[1]، تغمده الله برحمته وأسكنه (د/ ٦٨ب) أعالى غرف جنته، وحذر الناس من تصديقه، وبين في مصنفاته فساد قاعدته وضلال طريقه في كتاب سماه «بالارتباط»[2]، ذكر فيه جماعة من هؤلاء الأنماط، ثم الشيخ الصالح العارف المحقق برهان الدين الجعبري، قدس الله روحه بما نقلته عنه العدول، مما هو مذكور عنه ومنقول.

ثم بعد ذلك تواتر الإنكار من الصلحاء العُباد والأتقياء الزهاد، وأهل الورع من الأفراد، مما لا سبيل لحصرهم ولا تفصيل ذكرهم، إلى أن أقام الله في ذلك من أقام، ونبه عليه الخاص والعام، وأذهب عن المنكرين ببيانه الإحجام، وأزال بتبيانه الشبهة عن الأوهام، واستضاء أهل البصائر من أولي التوفيق بنور القرآن؛ إذ علموا

(١) محمد بن أحمد بن علي التوزري المصري المكي، المعروف بابن القسطلاني، قطب الدين أبو بكر محدث صوفي فقيه أديب ناثر ناظم، توفي سنة (٦٨٦هـ). انظر: شذرات الذهب (٧/ ٦٩٤).

(٢) لم أقف عليه في مؤلفات القسطلاني.

أن به يتضح الفرقان، وأن صحيح الأحاديث النبوية؛ عمدة أهل العرفان، وتحققوا أن من خالف الكتاب والسنة، فقوله مردود وهو عن جناب الحق مبعود، ومن صدقه ضل، وعقد دينه (ع/ ١٠٥ب) بتصديقه[١] انحل.

فنهضت عليه أنصار الحق من علماء الصدق، بسيوف فتاويهم القاطعة، وأنوار أدلتهم الساطعة، لما سمعوا منادي الإسلام ينادي الصلاة جامعة، بصحيح عقد جازم للقيام بوجوب فرض لازم، نصيحة لرب العالمين، ونصرة لكتابه المبين، وتأييدًا لدينه الذي ارتضاه وأظهره على كل دين، وانتصارًا لرسله الكرام، وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، من كيد إلحاد الملحدين، ممن جعل الكفر إيمانًا، والجهل عرفانًا، والشرك توحيدًا، والعصيان طاعة، لا يستحق العاصي عليه وعيدًا، ولم يفرق بين عبادة الصنم والصمد، بل عنده من سجد للصنم أعلى ممن كفر به وجحد، فأصاب العلماء المفتون، واستجابوا لداعي الحق بالصدق وهم منتصرون.

ثم إني خشيت نسيان أقوال أهل الإرشاد (د/ ٦٩أ)، واستمرار ما تقدم وصفه بين أظهر المسلمين من الفساد، فاستخرت الله في كتابة فتيا متضمنة لنبذة من كلامه، منبئة عن مفهوم معتقده الفاسد ومرامه، ليشملها خطوط العلماء السادة، الذين أورثهم الله بالعلم الخشية فاغتبطوا بالإفادة، فأسرعوا في البيان والإيضاح في البيان، قيامًا بما أخذ عليهم من الميثاق في بيانه للناس، وهو في كل زمان فرض باق، وكتب عليها كل من راقب الله وخشيه، وامتنع من التبسه مخافة غيره وخَشِيَهُ.

فالكاتب قد قام لله بلوازم فرضه، والممتنع مسؤول عن ذلك يوم عرضه، بل زعم أنه ترك ذلك خوف الفتنة من المخالفين، فتلك محنة في الدين، وكفى بالله

---

(١) في (ع) في الحاشية «بلغ على يد المؤلف عفا الله عنه».

رقيبا، وعلى كل شيء حسيبًا، وهو الغني بعلمه، المحيط عن أخبار المخبرين المطلع على سرائر الصامتين، وضمائر المخبتين.

ثم كتب السؤال الماضي ذكره وساق ألفاظ المجيبين: وهم ابن جماعة والحارثي والجزري والكناني![1] والبكري والزواوي والباسلي.

وقال: ولما تمت الفتاوي المذكورة المرموقة المسطورة. قال لي بعض الفضلاء العقلاء -الذين يقولون الحق ويعتمدون الصدق في النصح بين الخلق-: لم لا سألت التقي ابن تيمية، فإن غيرته في دين الله قوية، ومعرفته بأقوال المبتدعين وفِيَّةٌ.

فقلت له: إنهم يزعمون أنه لهم غريمًا، وبمعاداتهم في دين الله موسومًا.

فقال: العالم لا يستخصم، والحاكم العادل لا يستظلم، والمفتي لا يكتب بقلمه إلا ما يتعضد فيه بالكتاب والسنة، بعد أن يعرض نفسه على النار والجنة، ويعلم أنه مسؤول عما كتب، إما في الدنيا من ذوي الحكم وأرباب الرتب، أو في الآخرة من الرب (ع/ ١٠٦أ) العظيم الذي يخشى ويرتقب، في يوم تجثو فيه الأمم على الركب.

فبان لي وجه الصواب في قول القائل، وأضربت عن تأويل المعارض الجاهل، وأرسلت إليه، فبادر بالجواب، ورفع الله عن قلبه في ذلك كل حجاب، وما راعى غير الله (د/ ٦٩ب) فيما علم، ولا أبقى ممكنا فيما إظهاره لزم.

ثم أورد الجواب -وفيه طول- تركناه اختصارًا، ودعا له بالتأييد فيما يرومه من أظهار الحق للحق بالحق في الخلق، ويقصده من قيامه ونصرته؛ فإنه أشفى وما أشتفى، وكف مظاهر الملحدين وما اكتفى، فإن الغضب إذا كان لله، لا يزول مدة إلا بزوال موجبه، لكن المرجو من الله استئصال أهله وكتبهم[2].

---

(١) لم أجده.

(٢) في النسخ الخطية: «وكتبه» ولعل الصواب ما أثبته.

ثم ساق السيف عن أبي جعفر الطحاوي قوله في عقيدته المشهورة: «إن الله تعالى ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًّا، كذلك لا يزال عليها أبديًّا، ليس منذ خلق الخلق استفاد [اسم][(١)] الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد [اسم][(٢)] الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالقية ولا مخلوق، كما أنه محي الموتى بعد ما أحيى، استحق هذا الإسم قبل إحيائهم، وكذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم، ذلك أنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]»[(٣)].

فهذا فصل من عقائد المسلمين، يتضمن بمعانيها ومفهوم ألفاظها ضده قول صاحب الفصوص اللعين

ثم قال الطحاوي فيها: «إنه من وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر»[(٤)] فكيف بصاحب الفصوص القائل: بأن الحق المنزه هو الخلق المشبه، وأن العالم صورته وهويته، وغير ذلك مما تقدم

ثم قال الطحاوي: «إن من رد حكم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فهو من الكافرين»[(٥)]، وكم قد رد صاحب الفصوص من حكم الله من أصول الشرائع التي لا تنقض، ولا تنسخ ككفر عباد الأصنام، وضلال مخالفي الرسل، وأنهم بمخالفتهم أعداء الله، وأنهم من أهل النار.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من جميع النسخ الخطية، واستدركناه من متن الطحاوية.
(٢) ما بين معكوفتين سقط من جميع النسخ الخطية، واستدركناه من متن الطحاوية.
(٣) الطحاوية مع شرح ابن أبي العز (ص٩٦).
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

ولهم فيها الخزي والعذاب الشديد السرمد، وقال في الجنة والنار: «إنهما واحد في الذوق، وإنما التغاير في اللون، هذه خضراء وتلك سوداء أو حمراء، وأن الطائع والعاصي والمؤمن والكافر، الكل مرضيون مستحقون الوعد، وما ثم وعيد أصلًا»[(١)].

وقد قال الطحاوي في العقيدة المشار إليها (ع/١٠٧ب): «إن الأمن واليأس ينقلان عن الملة»[(٢)] (د/ ١٧٠أ)، وأن اعتقاد عدم حكم الوعيد في حق من حقت عليه كلمة العذاب، غاية الأمن، ونهاية الكفر، نسأل الله السلامة.

ثم نقل السيف عن الأوسي الحنفي[(٣)] في تصنيف له في الأصول[(٤)]: «أن من تكلم بكلمة الكفر فضحك غيره أواستحسنه كفر، وكذا من وصف الله بما لا يليق به كفر، ومن أنكر وعده أو وعيده كفر، أو قال الله في ست جهات، أو قال يوجد في كل مكان، ومن عاب نبيًّا من الأنبياء أو صغر اسمه، أو لم يرض بسنته، أو سمع القول بأنه كان يحب القرع أو الخل فقال: أنا لا أحبه، أو سخر بالشريعة أو بحكم من أحكامها، أو قال: إن الخمر لم يثبت تحريمه بالقرآن، أو صدق كلام أهل الأهواء، أو قال إنه كلام معنوي، أوله معنى صحيح أو من يعرف[(٥)] أن الله يرحم الكافر، أو الشيطان وأهل الأهواء؛ فإنه يكفر بذلك كله».

(١) فصوص الحكم (ص١١١ - مع شرح مصطفى زاده).
(٢) الطحاوية بشرح ابن أبي العز (ص٣٧١).
(٣) لعله إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهماق الأوسي المالكي المعروف بـ «ابن المرأة». مات سنة (٦١٦هـ). انظر: هدية العارفين (١/ ٥).
(٤) له كتاب «إجماع الفقهاء». انظر: هدية العارفين (١/ ٥).
(٥) يعني من اعتقد أن الله سيرحم الكافر.

فكيف بمن اعتقد ذلك في قوم نوح وقوم هود وفرعون، وجعل كل كافر وفاجر وفاسق وعاص عند ربه مرضيًّا، فعلى قائل ذلك ومعتقده اللعنة، إن مات على اعتقاد ما وضعه في كتابه المذكور.

ثم نقل عن القاضي عياض قوله في الشفاء[(١)]: «اعلم وفقنا الله وإياك: أن جميع من سب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو عابه، أو ألحق به نقصًا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصائله، أو عرض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له والازراء عليه، أو التصغير لشأنه أو الغض منه، والعيب له فهو ساب له، والحكم فيه حكم الساب، يقتل كما بينته ولا نستثني فصلًا من فصول هذا الباب، على هذا المقصد، ولا نمتري فيه تصريحًا كان أو تلويحًا».

ونقل عن ابن عتاب[(٢)] أنه قال: «الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأذى أو نقص، معرضًا أو مصرحًا -وإن قل- فقتله واجب».

قال[(٣)]: «وقد علمت تنقيص صاحب الفصوص للمرسلين والأنبياء، تصريحًا لا تلويحًا».

وأورد من كلامه قوله: «وأما العارفون بالأمر على ما هو عليه، فيظهرون صورة الإنكار لما عُبِدَ من الصور؛ لأن مرتبتهم في العلم تعطيهم (د/ ٧٠ب) أن يكونوا بحكم الوقت بحكم الرسول[(٤)] الذي آمنوا به عليهم، الذي به سموا مؤمنين، فهم

---

(١) الشفا (٢/ ١٨٨). وانظر: (٢/ ٢٢٧) (٢/ ٢٤٨) من نفس الكتاب.

(٢) أبو محمد بن عتاب عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبي أكثر عن أبيه وعن حاتم الطرابلسي. مات سنة (٥٢٠هـ). انظر: شذرات الذهب (٦/ ١٠١).

(٣) القائل هو السيف السعودي.

(٤) هكذا في الأصل، ولعل العبارة: «لأن مرتبتهم في العلم تعطيهم -أن يكونوا بحكم الوقت- حكم الرسول» يعني أنهم مع طول الممارسة يكونون بمنزلة الأنبياء، نعوذ بالله من ذلك.

عباد الوقت مع علمهم بأنهم ما عبدوا من تلك الصور أعيانها، وإنما عبدوا الله فيها بحكم سلطان التجلي الذي عرفوه (ع/١٠٨أ) منهم، وجهله المنكر الذي لا علم له بما تجلى»[١].

فيا أهل العلم والمتقين من أولي الفهم، معلوم بإجماع المسلمين من المتقدمين والمتأخرين واليهود والنصارى أن ما عبد الأصنام وغيرها من الأوثان على اختلاف أصناف ما عبدته الكفار إلا أجهل الناس في كل زمان، وما أنكره عليهم سوى المرسلين والأنبياء، ومن تبعهم من الصديقين، وصالح المؤمنين الموفقين.

وقد عمم هذا الضال بهذه المقالة تنقيص الجميع، ونسبهم إلى الجهل وعدم الفهم، وأثبت لعباد الأصنام والأوثان الإصابة والمعرفة بالله، فعليه -إن مات عليه وكان معتقده- لعنة الله وغضبه، والناس أجمعين انتهى كلامه.

أقول[٢]: ما ذكرناه عن هؤلاء الأئمة عن ابن عربي وأتباعه من الشناعات والكفريات قليل من كثير، وغيض من فيض، وينبغي أن تعلم أن ابن عربي ونحوه لا يتجاسرون على إعلان هذه الكفريات، وإنما يدسونها دسًّا في كتبهم؛ لأن الإسلام قد بقيت منه بقية، والعلماء والسلاطين قائمون في نحر من يبدي شيئًا من هذه الضلالات، فلما ضعف الإسلام، وانحلت عراه، واشتدت غربته؛ صار هؤلاء الإبليسية لا يتحاشون من إطلاق هذه الكفريات.

وصار كثير من الخواص وأكثر العوام يعتقدون فيهم أنهم صفوة الأولياء، وخلاصة الأتقياء، فلا تسأل عما أحدثه هؤلاء الطواغيت.

---

(١) لم أجده في فصوص الحكم، وقد نقله عنه شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٢/ ٢٥٤). وانظر: نعمة الذريعة في نصرة الشريعة لإبراهيم بن محمد الحلبي (ص١٧٨).

(٢) القائل هو المؤلف.

وإن شئت فانظر كتاب: «الإنسان الكامل» لعبد الكريم الجيلي[(١)] ترى ما فيه من الطامات والأمور الفظيعة، والقبائح الشنيعة، فالله المستعان[(٢)].

---

(١) عبد الكريم بن إبرهيم بن عبد الكريم الجيلي، من نسل الشيخ عبد القادر الجيلاني، ومن مشايخ الصوفيه الشهورين الكبار، ومن القائلين بالاتحاد ووحدة الوجود، وأكثر مؤلفاته لا تخلو من كفر وزندقة، نسأل الله السلامة. مات سنة (٨٣٢هـ). انظر: كشف الظنون (١/ ١٨١)، والأعلام للزركلي (٤/ ٥٠).

(٢) كتاب الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي، يزعم فيه مؤلفه أنه أخذه من الله تعالى!! وأن الله أمره بإخراج هذا الكتاب للناس، وأنه ليس فيه شيء إلا وهو مؤيد بالكتاب والسنة؟! مع أن جميع ما في الكتاب كفر وزندقة، وربما قارب كتاب الفصوص، فالكتاب من أوله إلى آخره يدور حول معنى واحد، وهو وصف الله تعالى بصفات مخلوقاته وبيان أن المخلوق هو عين الخالق.
وهذه عقيدة وحدة الوجود الكفرية التى يقول بها زنادقة الصوفية كابن عربي وابن سعبين والتلمساني وغيرهم.
ويقوم أساس هذه العقيدة الكفرية على أن الاشتراك في الأسماء بين الخالق والمخلوق يوجب الاشتراك في معانيها، فالإنسان لابد أن ينشد الكمال؛ لأن الله خلقه على صورته، وصفات الإنسان من صفات الله تعالى، وأسماؤه من أسمائه يقول في بيان ذلك: «...فهو الحي وأنت الحي، وهو العليم، وأنت العليم، وهو المريد وأنت المريد، وهو القادر وأنت القادر، وهو السميع وأنت السميع، وهو البصير وأنت البصير، وهو المتكلم وأنت المتكلم، وهو الذات وأنت الذات، وهو الموجود وأنت الموجود، فله الربوبية، ولك الربوبية بحكم «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وله القدم ولك القدم، باعتبار أنك موجود في علمه، وعلمه ما فارقه مذ كان، فانضاف إليك جميع ماله، وانضاف إليه جميع مالك، ثم تفرد بالكبرياء والعزة، وتفردت بالذل «والعجز»، فالطباق بين «هو» و«أنت» دائمًا بجناس، فالله عليم، والإنسان بات عليمًا من علم الله، فالطباق بين الله والإنسان، لكنه طباق يسعى إلى التجانس وهو فراق يسير إلى اللقاء» اهـ.
هذه نظرية هذا الملحد في تقرير عقيدة وحدة الوجود الكفرية، وانطلاقًا منها يكون الإنسان كاملًا؛لأنه يرتقي إلى أن يفنى في ذات الله تعالى، وحينئذ تتلاشى الفروق بين الله والإنسان، فيكون هو الله.
تعالى الله أن يماثله في ذاته وربوبيته وألوهيته وصفاته أحد من خلقه، بل هو تعالى الذي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، والاشتراك في الأسماء لا يوجب عقلًا الاشتراك في مسمياتها، فالنملة مثلًا لها قدم وللفيل قدم، ولا يعني إثبات القدم لكل منهما أن تكون قدم النملة تشابه قدم الفيل، ثم يضيف الجيلي بعد تقرير تلك النظرية «أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ =

وقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

قالوا ولم يك كافرا في قوله أنا ربكم فرعون ذو الطغيان

.... إلخ

أقول: قال ابن عربي في الفصوص[1] (د/ ٧١أ): «لما كان فرعون في منصب الحكم صاحب السيف، وإن جاز في العرف الناموسي لذلك قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: وإن كان الكل أربابًا نسبة ما، فأنا أعلى منكم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم، ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله أقروا له[2] وقالوا: ﴿فَٱقْضِ مَآ

=هو الإنسان الكامل، والإله الكامل الذي اتصف بكل صفات الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد:١]» معناها كما يفسرها الجيلي: قل يا محمد الإنسان هو الله أحد. فالضمير (هو) راجع إلى فاعل (قل) وهو أنت، فيكون المعنى: يا محمد هو -أي- أنت الله أحد!!

وهذا يفسر لنا سر تعظيم هؤلاء لمقام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعظيمًا يوصلهم إلى حد التقديس، مع تفريطهم بشريعته وعصيانهم لأوامره، وارتكابهم الكبائر والقبائح.

ثم يستطرد، فيزعم أنه قد كشفت له العوالم العلوية والسفلية، وشاهد الملائكة والرسل وخاطب الجميع، ويزعم أنه صعد إلى السموات السبع كما صعد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشاهد في كل سماء رسلًا في كلام كثير، إلى أن وصل إلى سدرة المنتهى -كما وصل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ورأى هناك الملائكة وأنهم على هيآت مختلفة!!

ولا يكتفي الجيلي ببيان كفرياته في السماء حتى انتقل إلى الأرض، وشاهد سبعة أرضين وسبعة بحار ومحيطات، وزعم أنه رأى الخضر وموسى وأفلاطون وإرسطوا والإسكندر.

إلى هذيان لا يسع المسلم إذا سمعه إلا أن يقول: اللهم ثبت علينا إيماننا.

وبالجملة: فهو يرى أن الله هو الإنسان الكامل، والإنسان الكامل ما هو إلا الرب الأكبر الجامع بين الحق والخلق في الوحدة، والجيلي يدعي الربوبية لما قرر وحدة الوجود، وزعم أيضًا أن الكفار والمشركين والمجوس وغيرهم على صواب؛ لأنهم عابدون لله تعالى.

انظر: مقالة التشبيه للدكتور جابر أمير (١/ ٣٠٠).

(١) الفصوص (ص٣٠٦ - مع شرح مصطفى سلمان زاده الحنفي).

(٢) في (د) «له».

أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾ [طه:٧٢]، فصح قول فرعون: ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات:٢٤]، فكان فرعون عين الحق».

وقد صنف الشيخ محمد سعد الدواني المدني[١] مصنفًا في إيمان فرعون متابعة لابن عربي وقد رد عليه العلامة الملا علي بن محمد القاري الهروي برسالة سماها «فر العون عن مدعي (ع/١٠٩ب) إيمان فرعون[٢]» أجاد فيها وأفاد جزاه الله خيرًا[٣].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في جواب له عن هؤلاء الوجودية -بعد أن حكى عنهم القول بإيمان فرعون- قال[٤]: وهذا القول كفر معلوم فساده بالاضطرار من دين الإسلام، لم يسبق ابن عربي إليه فيما أعلم أحد من أهل القبلة، ولا من اليهود ولا من النصارى، بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون وهذا عند الخاصة، والعامة أبين من أن يستدل عليه بدليل، فإنه لم يكفر أحد بالله ويدعي لنفسه الربوبية والآلهية، مثل فرعون وأطال الكلام.

قوله:

ولقد رأى إبليس عارفهم .... إلخ

لم أقف على اسم هذا العارف ولعله ابن عربي والله أعلم.

قوله:

.... ثغرة الطعان

---

(١) محمد بن أسعد الصديقي الدواني الشافعي، قاضي القضاة بفارس، فقيه، متكلم منطقي، من كبار الأشاعرة في زمانه. مات سنة (٩٠٨هـ). انظر: معجم المؤلفين (٩/ ٤٧).

(٢) لعلها التي طبعت بعنوان «الرد على القائلين بوحدة الوجود» ولشيخ الإسلام رسالة بعنوان: «رسالة في الرد على ابن عربي في دعوى إيمان فرعون».

(٣) انظر: كشف الظنون (٦/ ٢٢٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٧٩).

الثغرة: نقرة النحر بين الترقوتين قاله في القاموس[1].

وممن جاهد أتباع هؤلاء الملاعين حق الجهاد، وبلغ جهده في قمع أهل الزندقة والإلحاد العلامة شرف الدين أبو محمد إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن المقري الشافعي[2]، صاحب عنوان الشرف ومختصر الحاوي والروضة وغيرهما من التصانيف البديعة[3]، فإنه قام في تقبيح ابن عربي وأتباعه أتم قيام، وصار ينظم القصائد الحسان في ذكر قبائح المنتمين إلى هذا المذهب، والانتصار عليهم بالعلماء والسلطان.

وأفرد (د/ ٧١ب) من الفصوص كراسة وقف عليها الفقهاء والعلماء، وأكثر من النظم في ذلك نظمًا رائقًا يرسخ بسماعه الإيمان في قلوب المؤمنين، وتنسجم به عبرات المحبين لشرائع النبيين، وتتزلزل به أقدام المبتدعين، وانتشرت قصائده وظهرت بها فضائحهم عند أهل تهامة، وأهل الجبال إذ نقلت إلى الإمام علي بن صلاح![4] بصنعاء.

ونظم بعض فقهاء الأشراف على نحو نظمه شكرًا له، وتحريضًا فشاع في الناس تكفير من يتدين بمذهب ابن عربي من الصوفية بزبيد[5].

---

(١) انظر: القاموس (ص٤٥٨)، والمعنى: أن المفارقة واضحة بين الخالق والمخلوق، فالإله الكبير الخالق العظيم الذي ليس كمثله شيء، لا يجوز أن يساوي بالمخلوق الصغير الحقير، فضلًا عن أن يساوى بنحره.

(٢) إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله المقري الشافعي اليمني، المعروف بابن المقرئ، مات سنة (٨٣٧هـ). انظر: شذرات الذهب (٩/ ٣٢١).

(٣) انظر: النور السافر (١/ ١٠٧).

(٤) لم أجده.

(٥) مدينة مشهورة باليمن، كان اسمها الحصيب، ثم غلب عليها اسم الوادي الذي كانت فيه، أُحْدِثَت في أيام المأمون، وينسب إليها كثير من العلماء. انظر: معجم البلدان (٣/ ١٤٨).

وقال التقي الفاسي[١]: إنه حدثه من حال ابن عربي بملة لم يبينه غيره؛ لأن جماعة من صوفية زبيد أوهموا من ليس كبير نباهة علو مرتبة ابن عربي، ونفي العيب عن كلامه.

قال[٢]: وقد ذكر ذلك ابن المقري، مع شيء من حال المتصوفة المشار إليهم في قصيدة طويلة من نظمه، وهي على قافية الراء المكسورة، وقد سماها ناظمها: «الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائغة»[٣] وهي مائتان وثلاثة وأربعون بيتا، موجودة في ديوانه، وله قصيدة أخرى يحض فيها سلطان اليمن على نصر السنة، وخذلان هذه الطائفة، وهي إحدى وأربعون بيتًا.

وصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تصنيفين في هذا المعنى سمى أحدهما النصيحة والآخر الذريعة إلى مكارم الشريعة.

قال الحافظ السخاوي في القول المنبي[٤]: وقد قال ابن المقري في الردة من كتاب الروض مختصر الروضة[٥]: «من تردد في تكفير اليهود والنصارى وابن عربي وطائفته فهو كافر».

---

(١) الحافظ تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي الفاسي ثم المكي المالكي مفتي البلاد الحجازية وعالمها، مات سنة (٨٣٢هـ). انظر: معجم المؤلفين (٨/ ٣٠٠)، وشذرات الذهب (٩/ ٢٨٩).

(٢) القائل هو التقي الفاسي. انظر: شذرات الذهب (٩/ ٢٨٩).

(٣) الذي وقفت عليه أن هذا العنوان لعبدالعزيز بن عمر المعروف بابن فهد المكي، توفي(٩٢١هـ)، ذكره في هدية العارفين (١/ ٣٠٧). والله أعلم.

(٤) انظر: القول المنبي في ترجمة ابن عربي (١٤٣/ أ. تشستربتي) مخطوط.

(٥) نقله عنه في مغني المحتاج (٣/ ٦١)، والبقاعي في تنبيه الغبي (ص٣٣)، وكتاب ابن المقرئ هو «روضة الطالب»، ذكره في هدية العارفين (١/ ١١٦) لكني لم أقف عليه.

وقد ترجم له ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية[1]، وقال بعد أن بالغ في مدحه: «ناظر تُباع ابن عربي، حتى عميت (ع/ ١١٠أ) منهم الأبصار، ودمغهم بما بلغ حجة في الأفكار». انتهى.

قوله:

نص الفصوص........

هو كتاب لابن عربي الطائي المشهور، وهو محمد بن علي بن محمد أبو بكر الحاتمي الطائي، ولد بمرسية، سنة ستين وخمسمائة، ونشأ بها، وانتقل إلى إشبيلية سنة ثمان وسبعين، ثم ارتحل وطاف البلدان، فطوف بلاد الشام والروم والمشرق (د/ ١٧٢أ)، ودخل بغداد وحدث بها بشيء من مصنفاته، وله التآليف الكثيرة.

توفي في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة بدمشق في دار القاضي محيي الدين بن الزكي[2]، وحمل إلى قاسيون فدفن في تربته المعلومة، وهو صاحب المقالات الشنيعة والكفريات الفظيعة، أسأل الله العافية.

وقد صنف العلماء قديمًا وحديثًا في الرد على الفصوص وصاحبه، فمن ذلك كتاب «أشعة النصوص في هتك أستار الفصوص»[3] للشيخ الإمام الأوحد أحمد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي المعروف بابن شيخ الحزاميين[4].

---

(١) انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤٠/ ٨٥).

(٢) يحيى بن محمد بن علي القرشي الدمشقي الشافعي، «قاضي القضاة» اهـ، مات قريبًا من سنة (٦٤٠هـ). انظر: بغية المرتاد (ص٤٤٦-٤٤٥)، وشذرات الذهب (٧/ ٦٨٨).

(٣) ذكره البقاعي في مصرع التصرف (ص١٤٠).

(٤) أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود عماد الدين الواسطي البغدادي، ثم الدمشقي، فقيه شافعي، مات سنة (٧١١هـ). انظر: الدرر الكامنة (١/ ٩١)، وشذرات الذهب (٦/ ٢٤)، والأعلام (١/ ٨٦-٨٧)، ومعجم المؤلفين (١/ ١٣٩).

وكتاب «تسورات النصوص على تهورات الفصوص»[١] للشيخ الإمام شمس الدين محمد بن محمد العيزري[٢] تلميذ التاج السبكي، والعلامة الملا علي بن محمد القاري.

والحافظ جمال الدين ابن الخياط اليمني[٣]، والفقيه محمد بن علي المعروف بابن نور الدين الموزعي اليماني![٤] وغيرهم.

وقال العلامة سيبويه زمانه جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن هشام الأنصاري النحوي[٥] صاحب المغني والتوضيح وغيرهما، لما وقف على الفصوص ما نصه:

«هذا الذي بضلاله ضلت أوائل مع أواخر
من ظن فيه غير ذا فلينأ عني فهو كافر

هذا كتاب فصوص الظلم ونقيض الحكم، وضلال الأمم، كتاب يعجز الذام عن وصفه، قد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه، لقد ضل مؤلفه ضلالًا

---

(١) لم أقف على هذا الكتاب، ولكن له كتاب بعنوان «الفتاوى المنتشرة» -لعله هو- قال فيه -كما في مصرع التصوف (ص١٥٢)-: «قال العلماء: جميع ما فيه -الفصوص- كفر؛ لأنه دائر مع عقيدة الاتحاد، وهو من غلاة الصوفية المحذَّر من طرائقهم...» إلخ. وهو كلام متين.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن الخضر الزُبيري العيزري الغزي الشافعي. مات سنة (٨٠٨هـ). انظر: معجم المؤلفين (١١/ ٢٧٦)، وشذرات الذهب (٩/ ١١٧).

(٣) الحافظ جمال الدين محمد بن الإمام رضي الدين أبي بكر بن محمد بن الخياط اليمني الشافعي، حافظ البلاد اليمنية. مات سنة (٨٣٩هـ). انظر: شذرات الذهب (٩/ ٣٣٧).

(٤) لم أجده.

(٥) عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن هشام الأنصاري النحوي صاحب المغني والتوضيح (سيبويه زمانه).. توفي سنة (٧٦١هـ). انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٣١٨)، ومعجم المؤلفين (٦/ ١٦٣).

بعيدًا، وخسر خسرانًا مبينًا؛ لأنه مخالف لما أرسل به رسله، وأنزل به كتبه وفطر عليه خليقته.

وذلك أني لما وقفت على هذا الكتاب؛ وجدته قد عقد لكل نبي من الأنبياء فصًّا، فوقفت على فص نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال فيه: لو قال بدل قوله استغفروا ربكم إنه كان غفارًا إلى آخر كلامه ادعوا ربكم ليكشف لكم الحجاب لأجابوه»[1] انتهى.

وقد أدرجه العيزري فيمن كفره.

وذكر الحافظ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي في كتاب القول المنبي عن ترجمة ابن العربي، وهو مجلد عن الحافظ الجهبذ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي أنه قال -بعد كلام حكاه (د/ ٧٢ب) عن ابن عربي بعد حكايته-: «أستغفر الله، وحاكي الكفر ليس بكافر، ثم حكى عن الذهبي كلامه في ابن عربي في العبر والميزان إلى أن قال الذهبي[2]: ومن أمعن النظر في فصوص الحكم وأنعم (ع/ ١١١ب) التأمل[3]؛ لاح له العجب، فإن الذكي إذا تأمل من ذلك الأقوال والنظائر والأشباه فهو أحد رجلين: إما من الاتحادية في الباطن، وإما من المؤمنين بالله الذين يعدون هذه النحلة من أكفر الكفر، نسأل الله العافية، وأن يكتب الإيمان في قلوبنا، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعل المقصود منها ظاهر، وهو أنه لو قال «ادعو ربكم لأجل أن ينكشف لكم الحجاب» بدل «اسغفروه» لاستجابوا لدعوته، وكانوا من أتباعه على دينه، والله أعلم.

(٢) في ميزان الاعتدال (٦/ ٢٧٠). وانظر: الرد على القائلين بوحدة الوجود للقاري (١/ ١٣٦) ط. دار المأمون للتراث، والصوارم الحداد للشوكاني (١/ ٧٠) ط. دار الهجرة.

(٣) بمعنى: أطال التأمل، يقال: أنعم النظر في الأمر أطال الفكرة فيه. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٩٣٥).

فوالله لأن يعيش المسلم جاهلًا خلف البقر، لا يعرف من العلم شيئًا سوى سور من القرآن يصلي بها الصلوات، ويؤمن بالله واليوم الآخر، خير له بكثير من هذا العرفان، وهذه الحقائق، ولو قرأ مائة كتاب أو عمل مائة خلوة.

وقال الذهبي في ترجمة علي بن أبي الحسن بن منصور الحريري[(١)] من تاريخه الكبير[(٢)] بعد أن نقل كلامًا للسيف بن المجد[(٣)] فيه «رحم الله السيف بن المجد ورضي الله عنه، فكيف لو رأى كلام الشيخ ابن عربي الذي هو محض الكفر والزندقة؛ لقال: إن هذا الدجال المنتظر، ولكن كان ابن عربي منقبضًا عن الناس، إنما يجتمع به آحاد الاتحادية، ولا يصرح بأمره لكل أحد، ولم تشتهر كتبه إلا بعد موته بمدة، ولهذا تمادى أمره.

فلما كان على رأس السبعمائة، جدد الله لهذه الأمة دينها بهتكه وفضيحته، ودار بين العلماء كتابه الفصوص، وقد حط عليه الشيخ القدوة الصالح إبراهيم بن معضاد الجعبري[(٤)] فيما حدثني به شيخنا ابن تيمية عن التاج البرنباري[(٥)] أنه سمع الشيخ ابراهيم يذكر ابن عربي قال: «كان يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجًا.

وساقه الذهبي في موضع آخر عن الجعبري بغير إسناد».

---

(١) علي بن أبي الحسن بن منصور الحريري الحوراني، مات في سنة (٦٤٥هـ). انظر: السير (٢٣/ ٢٢٤).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام (٤٧/ ٢٧٩).

(٣) أحمد بن عيسى بن عبد الله بن قدامة المقدسي الصالحي الحنبلي، مات سنة (٦٤٣هـ). انظر: العبر (٥/ ١٧٤)، ومعجم المؤلفين (٢/ ٣٩).

(٤) إبراهيم بن معضاد بن شداد الجعبري الشاذلي، شاعر صوفي، له مشاركة في أشياء من العلم والطب. مات سنة (٦٨٧هـ). وله ديوان شعر كبير. انظر: معجم المؤلفين (١/ ١١٤-١١٥).

(٥) تاج الدين أبو سعد السعدي، المعروف بابن البرنباري، مات سنة (٧٥٦هـ). انظر: أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي (٢/ ٤٢٣).

قلت: ورأيت في جواب لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عن سؤال، سئل فيه عن بيان حقيقة مذهب الاتحادية قال حدثني تاج الدين البرنباري الفقيه المصري الفاضل أنه سمع الشيخ إبراهيم الجعبري (د/ ٦٨٧) يقول: «رأيت ابن عربي شيخًا مخضوب اللحية، وهو شيخ نحس، يكفر بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبي أرسله الله».

قال: وحدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم[١] أنه قال: «كنت وأنا شاب بدمشق أسمع الناس يقولون عن ابن عربي والخسروشاهي[٢] إن كلاهما زنديق، أو كلامًا هذا معناه».

وحدثني الفقيه الفاضل تاج الدين البرنباري أنه سمع الشيخ العارف إبراهيم الجعبري يقول: «رأيت في منامي ابن عربي وابن الفارض وهما شيخان أعميان يمشيان ويقرآن، ويقولان كيف الطريق أين الطريق».

وحدثني شهاب الدين بن مري![٣] عن شرف الدين ابن الشيخ نجم الدين ابن الحكيم![٤] عن أبيه أنه قال: «قدمت دمشق فصادفت موت ابن عربي، فرأيت جنازته كأنما ذر عليها الرماد، فرأيتها لا تشبه جنائز الأولياء، أو قال فعلمت أن هذه أو نحو هذا».

---

(١) إسماعيل بن عثمان بن المعلم القرشي الدمشقي الحنفي التيماني، مات بعد سنة (٧١٤هـ) بيسير.
انظر: الوافي بالوفيات (٩/ ٩٣).

(٢) تحرفت في (ع) و(د) إلى «ابن عربي الخسروشاهي» على أنهما واحد. والخسروشاهي هو: عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي التبريزي المتكلم الشافعي، أحد تلامذه فخر الدين الرازي، ذكر ابن تيمية على ما قيل: إنه حصل له اضطراب في الإيمان. مات سنة (٦٥٢هـ).
انظر: الفتاوى الكبرى (٥/ ٢٤٠)، وفوات الوفيات (٢/ ٢٥٧).

(٣) لم أجده.

(٤) لم أجده.

وعن أبيه عن الشيخ عن إسماعيل الكوراني[١] أنه كان يقول: «ابن عربي شيطان».

ونقل الذهبي عن القدوة العارف العلامة شيخ الوقت إبراهيم الرقي[٢] أنه حذر من الفصوص.

وقال في موضع آخر[٣]: «وممن حط عليه وحذر من كلامه الشيخ القدوة الولي إبراهيم الرقي».

قال السخاوي[٤]: «ثم ظفرت في ترجمة محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحنبلي[٥] من تاريخ الإسلام نقلا عن الرقي أنه قال في كلام ابن عربي وابن الفارض: مثله مثل عسل أُديف فيه سم[٦] فيستعمله الشخص ويستلذ بالعسل وحلاوته، ولا يشعر بالسم فيسري فيه، وهو لا يشعر، فلا يزال فيه حتى يهلكه».

قال السخاوي: وكذا قال شيخنا المحب البغدادي الحنبلي[٧] فيما سمعه من البدر الدميري![٨] عن ابن الفارض «أنه أخذ شهدًا[٩] أدخل فيه سمًّا».

---

(١) شمس الدين الحنفي، مفسر محدث، توفي بالقسطنطينية سنة (٨٩٣هـ).انظر: معجم المؤلفين (٢/ ٢٨٨).

(٢) إبراهيم بن محمد بن محرز الغنوي الرقي أبو إسحاق الفقيه الشافعي الصوفي، كان مولده سنة (٤٥٩هـ). وكان صدوقًا. مات سنة (٥٤٧هـ). انظر: السير (٢٠/ ١٧٥).

(٣) انظر: تاريخ الإسلام (٤٧/ ٢٧٩).

(٤) في القول المنبي (ص١٧٦).

(٥) محمد بن عبدالوهاب بن منصور الحراني وأبوعبدالله، الحنبلي، أول من حكم بالديار المصرية من الحنابلة، ثم رجع إلى الشام فمات بها (٦٧٥هـ). انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣١٧).

(٦) داف الشيء دوفًا، وأدافه: خلطه. انظر: لسان العرب (١/ ١٠٣٤).

(٧) أحمد بن نصر الله بن أحمد البغدادي الأصل ثم المصري الحنبلي محب الدين، ومفتي الديار المصرية وقاضي القضاة. مات سنة (٨٤٤هـ). انظر: المقصد الأرشد (١/ ٢٠٤).

(٨) لم أعرفه. (٩) أي: عسلًا.

قال السخاوي: أنبأني العز أبو محمد الحنفي! رَحِمَهُ اللَّهُ[١] عن الصلاح أبي الصفا خليل ابن إيبك الصفدي[٢] أنه سمع الحافظ ابن سيد الناس[٣] يقول: «سمعت ابن دقيق العيد[٤] (ع/١١٢أ) يقول: سألت ابن عبد السلام عن ابن عربي، فقال: «شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجًا» انتهى.

وقال شيخ الإسلام (د/٧٣ب) ابن تيمية قال الفقيه أبو محمد بن عبد السلام لما قدم القاهرة، وسألوه عنه فقال: «هو شيخ سوء كذاب مقبوح يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا»[٥].

وقال ابن مرزوق![٦] حدثني غير واحد من أشياخنا عن شيخهم عز الدين بن عبد السلام أنه قال فيه: «شيخ سوء كذاب، وذكر ما سمعه مما يقتضي كذبه، وأفتى هو وابن الحاجب[٧] بتكفيره» انتهى.

قال السخاوي: أخبرناه باختصار أبو محمد اللخمي[٨] بمكة مشافهة قال

(١) لم أعرفه.
(٢) خليل بن إيبك الصفدي، أبو الصفا، صلاح الدين الألبكي الشافعي، الأديب، مات سنة (٧٦٤هـ). انظر: معجم المحدثين للذهبي (١/ ٩١)، وطبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (١٠/ ٥)، والبداية والنهاية (١٤/ ٣٠٣).
(٣) محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس، أبو الفتح اليعمري، فتح الدين، مؤرخ أديب، مات سنة (٧٣٤هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ٣٤).
(٤) أبو الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري الشافعي المالكي المصري، ابن دقيق العيد، مات سنة (٧٠٢هـ). انظر: شذرات الذهب (٨/ ١١).
(٥) مصرع التصوف (ص١٥١)، والرد على القائلين بوحدة الوجود لملا على قاري (١/ ٣٤).
(٦) لم أعرفه.
(٧) عمر بن محمد بن منصور الأميني الدمشقي، المحدث عز الدين بن الحاجب الجندي، مات سنة (٦٣٠هـ). انظر: السير (٢٢/ ٣٧٠).
(٨) عبد الرحمن بن علي بن المسلم الفقيه أبو محمد اللخمي الدمشقي الخرقي السلمي، كان فقيهًا عدلًا صالحًا. مات سنة (٥٨٧هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ١٥٣).

أنبأ والدي أبو إسحق[١] عن الحافظ أبي الفتح اليعمري[٢] فيما وجد بخطه قال: سمعت الإمام الحافظ الزاهد العلامة أبا الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري يقول: سمعت شيخنا الإمام أبا محمد بن عبد السلام وجرى ذكر أبي عبد الله محمد بن عربي فقال: «شيخ سوء مقبوح كذاب، فقلت له: وكذاب أيضًا قال: نعم تذاكرنا يومًا بمسجد الجامع بدمشق: التزويج بجواري الجن، فقال: هذا فرض محال؛ لأن الإنس جنس كثيف والجن روح لطيف، ولن يعلو الجسم الكثيف الروح اللطيف، ثم بعد قليل رأيته وبه شجة، فسألته عن سببها، فقال: تزوجت امرأة من الجن، ورزقت منها ثلاثة أولاد، فاتفق أن تفاوضنا، فأغضبتها فضربتني بعظم، حصلت منه هذه الشجة، فانصرفت فلم أرها بعد هذا، أو معناه»[٣].

---

(١) الأظهر أن يكون إبراهيم بن عبد الرحيم بن يحيى اللخمي الأميوطي، الشافعي، ومات بها سنة (٧٩٠هـ). انظر: معجم المؤلفين (١/ ٩٨).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) التناكح بين الإنس والجن، جوَّز وقوعه بعض أهل العلم، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إذا جامع الرجل امرأته ولم يسم انطوى الشيطان على إحليله».

وقد حاول الشبلي في «آكام الجان» الاستدلال على إمكان وقوع التناكح بأدلة عقلية كلها ضعيفة لا يصح الاحتجاج بها.

والذي يظهر لي عدم إمكان وقوع التناكح بين الجن والإنس للتباين الظاهر بين كلا الطرفين.

أما الاستدلال بالآية السابقة فظاهره أن المشاركة معنوية لا حسية؛ لأنه قد ورد أن الشياطين يشاركوننا في الأكل والشرب والجماع، مع أن طعام الجن كما جاء في الأحاديث أنه العظم، والإنس إنما يأكلون اللحم ويدعون العظم، والإنسان لو كان عنده خمس تمرات وأكلها دون أن يذكر اسم الله تعالى، لم تنقص إلى ثلاث.

والمشاركة المعنوية تؤدي إلى نزع البركة، ألا ترى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى الرجل قبل يأتي أهله أن يقول: «اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وجنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا» فعدم الذكر قبل الجماع ممحق لبركته. =

وقال الشمس ابن الجزري شيخ القراء[(١)] حدثني شيخنا الإمام المصنف شيخ الإسلام الذي لم تر عيناي مثله عماد الدين [إسماعيل] بن عمر ابن كثير[(٢)] من لفظه غير مرة قال: حدثني شيخ الإسلام العلامة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد

= أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن:٥٦] فذكروا أن وقوع الطمث دليل على إمكانية النكاح.

والجواب: أن أمور الدنيا لا تقاس بأمور الآخرة، فإن المعاني والأمور التي لا يعقل تصورها تنقلب يوم القيامة إلى أعيان وقد جاء في حديث البراء بن عازب الطويل أن الأعمال تنقلب إلى أعيان فتأتي لصاحبها في قبره وتلازمه، وكذلك سور القرآن كالبقرة وآل عمران تأتيان يوم القيامة كأنها غمامتان أو غيايتان، وكذلك سورة الملك تمنع صاحبها من عذاب القبر وغير ذلك.

وقد ذكر عن الحسن فيما رواه عنه ابن عساكر أنه قيل بحضرته: «إن ملكة سبأ أحد أبويها جني. فقال: لا يتوالدان» أي أن المرأة من الجن لا تلد من الإنس، والمرأة من الإنس لا تلد من الجن.

ولو حصل تناكح بين الإنس والجن لتولدت من ذلك مفاسد كثيرة جدًّا. وقد ذكر ابن نجيم في الأشباه والنظائر عن أبي عثمان سعيد بن داود الزبيدي قال: «كتب قوم من اليمن إلى مالك يسألونه عن نكاح الجن، وقالوا: إن ههنا رجلًا من الجن يزعم أنه يريد الحلال -أي النكاح- فقال: ما أرى بأسًا في الدين، ولكن أكره إذا وجدت امرأة حامل، قيل لها: من زوجك؟ قالت: من الجن!!، فيكثر الفساد في الإسلام بذلك» اهـ.

ولا ندري صحة ذلك عن مالك، لأنه لم ينقل بسند معروف، لكن مشاركة الجني للإنسي الذي لم يذكر الله في الجماع لا يصحح إمكانية ذلك ووقوعه؛ لأن ذلك لو حصل لاستغنت فاجرات ومومسات الإنس عن الزنا مع الإنس لإمكانية حصول ذلك مع الجن.

وأيضًا لو حصل ذلك فقد تبرر البغي حملها من السفاح بزواجها من جني، وفي هذا من المفاسد ما لا يحصى، والخلاصة أن التناكح بين الإنس والجن غير ممكن، وفي نساء الإنس -ولله الحمد- متسع لمن يريد المودة والرحمة واستقرار الحياة الزوجية وخدمة المجتمع المسلم. والله أعلم.

انظر: تفسير الألوسي (١٤/ ٤٥٤) (٢٠/ ١٦٨)، وفتاوى الأزهر (٩/ ٤٣٤).

(١) محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الجزري الشافعي أبو الخير المقرئ، مات سنة (٨٣٣هـ). انظر: شذرات الذهب (٩/ ٢٩٨).

(٢) سبقت ترجمته.

الكافي السبكي قال: حدثني الشيخ الإمام العلامة شيخ الشيوخ قاضي القضاة علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي[١] قال: حدثني شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد القائل في أواخر عمره: «لي أربعون سنة ما تكلمت بكلمة إلا واعددت لها جوابًا بين يدي الله تعالى». قال[٢]: سألت شيخنا سلطان العلماء عز الدين أبا محمد عبد العزيز (د/ ١٧٤أ) ابن عبدالسلام السلمي الدمشقي عن ابن عربي قال:« شيخُ سوءٍ كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجا».

ثم قال ابن الجزري كذا حدثني شيخنا ابن كثير من لفظه، ورأيت ذلك في كلام الشيخ تقي الدين السبكي (ع/ ١١٣ب) وفيه زيادة، رواها بعضهم عن ابن عبدالسلام، وهي «أنه وقع بيني وبينه يومًا كلامًا في وجود الجن فأنكر وجودهم ثم رأيته بعد ذلك، فقال: رجعت عن ذلك القول، وأني قد تزوجت بجنية وولدت لي[٣]، وغضبت علَي يومًا فشجتني في وجهي، وهذه الشجة منها وأشار إلى وجهه» انتهى.

قال الذهبي[٤]: وممن أفتى بأن كتابة الفصوص فيه الكفر الأكبر قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، وقاضي القضاة سعد الدين مسعود الحارثي، والعلامة زين الدين عمر بن أبي الحزم الكناني، وجماعة سواهم.

---

(١) علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي قاضي القضاة، مات سنة (٧٢٩هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (١٠/ ١٣٣).

(٢) القائل هو ابن دقيق العيد.

(٣) ذكرنا قبل قليل عدم إمكانية وقوع ذلك.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي (٤٧/ ٢٨٠).

قال الذهبي: ولقد اجتمعت بغير واحد ممن كان يقول بوحدة الوجود، ثم رجع وجدد إسلامه، وبينوا أن مقالة هؤلاء: أن الوجود هو الله تعالى، وأنه تعالى يظهر في الصورة المليحة والأشياء البديعة، تعالى الله عما يقول الملحدون علوًّا كبيرًا.

وقال العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي[1] في تفسير سورة المائدة من كتابه البحر المحيط[2] عند قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١٧]: «ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط بعض من تستر بالإسلام، وانتمى إلى الصوفية حلول الله تعالى في الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة كالحلاج[3] والشوذي![4] وابن أجلى![5] وابن عربي المقيم بدمشق، وابن الفارض وأتباع هؤلاء كابن سبعين والششتري تلميذه![6]، وابن مطرف![7] المقيم بمرسية، والصفار![8] المقتول بغرناطة وابن لباح![9] وأبو الحسن![10] المقيم كان بلورقة.

---

(١) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي، أبو حيان إمام النحاة، مات سنة (٧٤٥هـ). انظر: نكت العميان (ص٢٨٠)، والبدر الساخر (ص١٧٨)، والدرر الكامنة (٥/ ٧٠)، ونفح الطيب (٢/ ٥٣٥)، بغية الوعاة (ص١٢١) وفوات الوفيات (٤/ ٧١)، وكشف الظنون (١/ ٢٢٦).

(٢) انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٦٤).

(٣) سبق ترجمته.

(٤) لم أجده.

(٥) لم أجده.

(٦) لم أجده.

(٧) لم أجده.

(٨) لم أجده.

(٩) لم أجده.

(١٠) لم أجده.

وممن رأيناه يرمى بهذا المذهب الملعون العفيف التلمساني، وله في ذلك أشعار كثيرة وابن عياش المالقي الأسود الأقطع![1] المقيم (د/ ٧٤ب) كان بدمشق، وعبد الواحد بن المؤخر![2] المقيم كان بصعيد مصر، والأيكي العجمي[3] الذي كان تولى المشيخة بخاكان سعيد السعداء[4] بالقاهرة من ديار مصر، وأبو يعقوب بن مبشر![5] تلميذ الششتري المقيم كان بحارة زويلة بالقاهرة.

وإنما سردت أسماء هؤلاء نصحًا للدين، يعلم الله ذلك وشفقة على ضعفاء المسلمين ليحذروهم، فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسوله، ويقولون بقدم العالم، وينكرون البعث، وقد أولع جماعة ممن ينتمي إلى التصوف بتعظيم هؤلاء وادعائهم أنهم صفوة الله وأولياؤه، والأمر فيهم كما ذكرت، والرد على النصارى والحلولية القائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين» انتهى.

وقال السخاوي في القول المنبي نقلًا عن شيخ الإسلام سراج الدين أبي حفص (ع/ ١١٤أ) عمر بن رسلان البلقيني الشافعي[6]، وقرأت بخطه على فتيا أيضًا

(١) لم أجده.

(٢) لم أجده.

(٣) محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي، شمس الدين أبو المعالي الأبكر، كان فقيهًا صوفيًا، مات سنة (٦٩٧هـ). انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي (٢/ ١٩١).

(٤) وتسمى خانكاه سعيد السعداء، وهي دويرة للصوفية، وقد نسب إلى سُكْناها بعض المحدثين ثم أصبحت مدرسة، وأصل الخانقاه: بقعة يسكنها أهل الصلاة والخير والصوفية، وهي معربة، وأصلها فارسي. قال المقريزي: وقد حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة، وجعلت لمتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى. انظر: تاج العروس (١٣/ ١٣٠)، والخطط والآثار للمقريزي (٣/ ١٧٧).

(٥) لم أجده.

(٦) عمر بن رسلان بن نصير الكناني القاهري الشافعي العسقلاني الأصل، سراج الدين أبو حفص محدث حافظ فقيه أصولي مجتهد، مات سنة (٨٠٥هـ). انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤/ ٤٢)، ومعجم المؤلفين (٧/ ٢٨٤).

ما نصه: «لم يكن هذا الفاجر المذكور -يعني ابن عربي- على الكتاب والسنة، بل كان مخالفًا ولا يحل اعتقاد عقيدته، ولا العمل بما يأتي به من الباطل، وليس كلامه ومعتقده الفاسد تأويل يقتضي موافقة الكتاب والسنة، ومن اعتقد عقد الباطل أو تمسك به فليس على طريق الحق، بل هو على طريق الباطل، فيلزم من اعتقد ذلك أو تمسك به أن يتوب إلى الله تعالى من كفره وإلحاده وزندقته، فإن تاب وإلا ضربت عنقه لزندقته»[١].

وقد كتبت على ذلك كراريس بالقاهرة ودمشق، بينت فيها أنه أتى بأنواع من الكفر والإلحاد والزندقة ولم يأت بها غيره.

فنعوذ بالله من طريقة هذا الشيطان، ومن طريقة من اتبعه، وأن يجنبنا ما ابتدعه، والحال ما ذكر والله تعالى أعلم بالصواب.

قال السخاوي[٢]: «وسمعت شيخنا حافظ العصر فريد الدهر الشهاب أبا الفضل أحمد بن محمد العسقلاني المصري الشافعي عرف بابن حجر، سمعته يقول مرارًا: أنه جرى بيني وبين شخص يقال له (د/ ١٧٥أ) ابن الأمين[٣] من المحبين لابن عربي منازعة كبيرة في أمر ابن عربي، حتى نلت من ابن عربي لسوء مقالته، فلم يسهل ذلك بالرجل المنازع لي في أمره، وكان بمصر شيخ يقال له (د/ ١٧٥أ) الشيخ صفا![٤] يعتقده الظاهر برقوق[٥]، فهددني المذكور، بأنه يغريه بي فيذكر للسلطان:

(١) القول المنبي للسخاوي (٨٢/أ-ب تشستربيني) مخطوط، ابن عربي عقيدته وموقف علماء المسلمين منه للدكتور دغش بن شبيب (ص٤١٩).
(٢) مصرع التصوف (ص١٥٠)، والرد على القائلين بوحدة الوجود (ص١٥٤).
(٣) لم يتبين لي من هو.
(٤) لم أجده.
(٥) برقوق بن أنس الظاهر أبو سعيد الجركسي، صاحب الديار المصرية والشامية والحجازية =

أن بمصر جماعة منهم فلان، يذكرون الصالحين بالسوء ونحو ذلك.

فقلت: ما للسطان في هذا مدخل، لكن نتباهل أنا وإياك في أمره لأنه قل ما يتباهل اثنان فكان أحدهما كاذبًا إلا وأصيب. فأجاب للمباهلة

قال شيخنا فقلت له: قل اللهم إن كان ابن عربي على ضلال فالعني بلعنتك فقال ذلك وقلت أنا: اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلعنتك، وافترقنا.

قال: وكان يسكن الروضة فاستضافه شخص من أبناء الجند، جميل الصورة فحضر عنده لضيافته، ثم بدا له عدم المبيت عنده، وخرج في أول الليل وصحبه من يشيعه إلى الشختور.

فلما رجع أحس بشيء مر على رجله، فقال لأصحابه: مر على رجلي شيء ناعم، فانظروا فلم يروا شيئًا، وما رجع إلى منزله إلا وقد عمي بصره، وما أصبح إلا ميتًا، وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وسبعمائة، وكانت المباهلة في رمضان (ع/ ١١٥ب) منها.

قال: وكنت عند وقوع المباهلة عرفت من حضر أن من كان مبطلًا في المباهلة لا تمضي عليه السنة» انتهى.

وقد حكاها القاضي التقي الفاسي في تصنيفه فقال: «وسمعت الحافظ شهاب الدين ابن حجر وذكر معناها وأنه كتبها له بخطه».

=وغيرها من البلاد الشامية، ممن له مآثر جليلة، وكان يبعث في بعض السنين قمحًا، وفي بعضها ذهبًا ليفرق في الحرمين، وقد بويع سنة (٧٨٤هـ) إلى أن خلع سنة(٧٩١هـ)، مات على فراشه سنة(٨٠١هـ). انظر: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي (١/ ٢١٢-٢١٣) ط. دار الكتب العلمية.

قلت: وأحوال هذا الرجل، وما أظهر من الكفريات والضلالات والزندقة، كثير شهير، ومن أراد استقصاء ذلك فليطالع كتاب القول المنبي عن ترجمة ابن عربي وفيما ذكرناه كفاية.

ولقد أحسن العلامة شرف الدين أبو محمد إسماعيل ابن أبي بكر المقري اليمني الشافعي[١] رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حيث يقول (د/ ٧٥ب) في منظومته الرائية التي سماها «الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائغة»[٢]:

فقد حدثت في المسلمين حوادث ... كبار المعاصي عندها كالصغائر

حوتهن كتب حارب الله ربها ... وغربها من غرب بين الحواضر

تجاسر فيها ابن العرابي واجترى ... على الله فيما قال كل التجاسر[٣]

فقال بأن الرب والعبد واحد ... فربي مربوب بغير تغاير

وأنكر تكليفا إذ العبد عنده ... إله وعبد فهو إنكار جائر

وخطأ إلا من يرى الخلق صورة ... وهوية لله عند التناظر[٤]

وقال يحل الحق في كل صورة ... تجلى عليها فهي إحدى المظاهر

وأنكر أن الله يغنى عن الورى ... ويغنون عنه لاستواء المقادر

كما ظل في التهليل يهزا بنفيه ... وإثباته مستجهلا للمغاير

وقال الذي ينفيه عين الذي أتى ... به مثبتا لا غير عند التحاذر

فأفسد معنى ما به الناس أسلموا ... وألغاه إلغاء بِنِيَا التهاتر[٥]

(١) سبقت ترجمته.
(٢) وهي من بحر الطويل وتفعيلاته: فعولن مفاعلن فعولن مفاعلن.
(٣) المقصود بابن العرابي: هو ابن عربي.
(٤) البيت مكسور، ويستقيم لو قال: « وخطأ من لا يرى الخلق صورة.... »إلخ.
(٥) في الأصل «بنيات» وهو خطأ واضح؛ والتاء هنا مقحمة.

فسبحان رب العرش عما يقوله ... اعاديه من امثال هذي الاكابر
وقال عذاب الله عذب وربنا ... ينعم في نيرانه كل فاجر
وقال بأن الله لم يُعْصَ في الورى ... فما ثم محتاج لعاف وغافر
وقال مراد الله وفقٌ لأمره ... فما كافر إلا مطيع الأوامر
وكل امرىء عند المهيمن مرتضٍ ... سعيدٍ فما عاصٍ لديه بخاسر
وقال يموت الكافرون جميعهم ... وقد آمنوا غير المفاجي المبادر
وما خص بالايمان فرعون وحده ... لدى موته بل عم كل الكوافر
فكذِّبهُ يا هذا تكن خير مؤمن ... وإلا فصدِّقه تكن شر كافر
واثنى على من لم يجب نوح إذ دعا ... إلى ترك ودًا وسواعًا وناسر
وسمى جهولًا من يطاوع أمره ... على تركها قول الكفور المجاهر
ولم ير بالطوفان إغراق قومه ... ورد على من قال رد المناكر
وقال بلى قد أغرقوا في معارف ... من العلم والباري لهم خير ناصر
كما قال فازت عاد بالقرب واللقا ... من الله في الدنيا وفي اليوم الاخر
وقد أخبر الباري بلعنته لهم ... وإبعادهم فاعجب له من مكابر
وصَدّقَ فرعون وصَحح قوله ... أنا الربّ لعْلى وارتضى كل سامر[1]
واثنى على فرعون بالعلم والذكا ... وقال لموسى عجلة المتبادر
وقال خليل الله في الذبح واهم ... ورؤيا ابنه تحتاج تعبير عابر
يُعَظِم اهل الكفر والأنبياء لا ... يعاملهم إلا بحط المقادر
ويثني على الاصنام خيرًا ولا يرى ... لها عابدًا ممن عصى أمر آمر
وكم من جرآتٍ على الله قالها ... وتحريف آيات بسوء تفاسر

---

(١) في الأصل هكذا «أنا الرب الأعلى»، لكنها تقرأ بنقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها.

ولم يبق كفر لم يلابسه عامدًا ... ولم يتورط فيه غير محاذر
وقال سيأتينا من الصين خاتمٌ ... من الأولياء الأولياء الاكابر
له رتبة فوق النبي ورتبة ... له دونه فاعجب لهذا التنافر
فرتبته العليا يقول لأنه ... من التابعيةِ في الأمور الظواهر
وقال اتباع المصطفى ليس واضعًا ... لمقداره الأعلى وليس بحاقر
فإن يدن عنه لاتباع فإنه ... يرى منه أعلا من وجوه أواخر
ترى حال نقصانٍ له باتباعه[1] ... لأحمد حتى جا بهذي المعاذر
فلا قدس الرحمن شخصا يحبه ... على ما يرى من قبح هذي المخابر
وقال بأن الأنبياء جميعهم ... بمشكاة هذا تستضيء في الدياجر

إلى أن قال:

فهل أبصرت ... يا ابن الأخاير
بأكذب من هذا وأكفر في الورى ... وأجرى على غشيان هذي البواطر
فلا يَدّعِي من صدقوه ولايةً ... وقد ختمت فليؤخذوا بالأقادر
فيا لعباد الله ما ثم ذو حجى ... له بعض تمييز بقلب وناظر
إذا كان ذو كفر مطيعا كمؤمن ... ولا فرق فينا بين بر وفاجر
كما قال هذا أن كل أوامر ... من الله جاءت فهي وفق المقادر
فلِمْ بُعثت رسل وسنت شرائع ... وأنزل قرآن بهذي الزواجر
أيخلع منكم ربقة الدين عاقل ... لقول غريق في الضلالة حائر
ويتركْ ما جائت به الرسلْ مِن هُدى ... لأقوال هذا الفيلسوف المغادر
فيا محسني ظن بما في فصوصه ... وما في فتوحات الشرور الدوائر

---

(١) في (ع) خال نقصًا في اتباعه.

عليكم بدين الله لا تصبحوا غدا مساعر نار قبحت من مساعر
فليس عذاب الله عذبا كمثل ما يمينكم بعض الشيوخ المدابر
ولكن أليم مثل ما قال ربنا به الجلد يَنْضُجْ أن يبدل بآخر
غدا تعلمون الصادق القول منهما إذا لم يتوبوا اليوم علم مباشر(١)
ويبدو لكم غير الذي يعدونكم بأن عذاب الله ليس بضائر
ويحكم رب العرش بين محمد ومن سن علم الباطن المتهاتر
ومن جا بدين مفتر غير دينه فأهلك أغمارًا به كالأباقر
فلا تخدعن المسلمين عن الهدى وما للنبي المصطفى من مآثر
ولا تؤثروا غير النبي على النبي فليس كنور الصبح ظلم الدياجر
دعوا كل ذي قول لقول محمد فما آمن في دينه كمخاطر
وأما رجالات الفصوص فانهم يعومون في بحر من الكفر ظاهر
إذا راح بالربح المتابع أحمدًا على هديه راحوا بصفقة خاسر
سيحكي لهم فرعون في دار خلده بإسلامه المقبول عند التحاور
ويا أيها الصوفي خف من فصوصه خواتم سوء غيرها في الخناصر
فلاسفة باسم التصوف أبرزوا عقائد كفر بالمهيمن ظاهر
كلام الفصوص احذره فهو كما ترى وتسمع لا تعدل به كفر كافر
وحاربه في الباري فقد ضل واعتدى وكان على الإسلام أجور جائر
وفي بعض ما أمليته من كلامه غنى بعضه كاف لأهل البصائر
ويا علماء الدين ما العذر في غد من الله إن عوتبتم في التدابر
أما أخذ الميثاق في أن تبينوا علومكم للناس عند التذاكر

---

(١) هكذا في (ع، د) ولو قال« المباشر» للمحافظة على الإعراب لكان أولى، ولاينكسر به البيت.

واوجب لعنًا منه في معشر عصوا ... ولم يتناهوا عن فعال المناكر
يسب إله العرش فيكم وكلكم ... حضور ألا لا قدست من محاضر
يقال بأن الرب عبد وعبده ... هو الرب والتكليف ليس بظاهر
وإن رسول الله يأتي وراءه ... من الصين من يعلوه عند التفاخر
ويطرق سمعا بينكم مثل هذه ... ويهنيكم طعم الكرى في المحاجر
أيدعى بمحيي الدين هذا فتسكتوا ... برئتُ إلى الرحمن من كل غادر
اما لكم في الله والرسل غيرة ... أما رجل منكم شديد المرائر
أعيذكم أن تسمعوا فيهم الأذى ... وتبدون حلم الموجع المتصابر
[ولو نالكم ما ساءكم في نفوسكم ... قلبتم أولى عزمكم للأواخر][(١)]
فإن لم تصبكم في الإله حميةٌ ... وتُفتُوا بما دونتم في الدفاتر
وإلا فلا أبدت لكم صفحاتها ... ولا وضعت أقلامكم في المحابر
لمن تحفظون العلم أو تدخُرُونَه ... إذا لم تقوموا عند هذي الجرائر
أفي الله أوفي المصطفى ذو صداقة ... تحابونه أوذو وداد معاشر
وهل من عزيز عندكم تؤثرونه ... على الله والمختار عند التضافر
تباع وتقرأ هذه الكتب فيكم ... وأنتم سواء والذي في المقابر
فإن قلتم لم تنه فينا علومه ... فها أنا قد أنهيت هل من مبادر
أما احرقت في مصر والشام كتبه ... بإجماع أهل العلم باد وحاضر
أما رجعوا فيها إلى ملك أرضهم ... فشد لنصر الله عقد المآزر
وذب عن الدين الحنيفي بسيفه ... برغم عرانين الأنوف الصواغر
فما العذر إن لم تنهضوا وتناصروا ... على ما أمرتم عنده بالتناصر

---

(١) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوعة.

وللطير في الخطب اجتماع وضجة فهل انتم في الضعف دون العصافر

إلى أن قال في مخاطبة بعض من حاوره في ابن عربي:

فإن قلت دين ابن العرابي ديننا وتكفيره تكفيرنا فالتحاذر
أقل إنك الآن المكفر نفسه وأنت الذي ألقيتها في التهاتر
فذلك دين غير دين محمد وكفر لجوج في الضلالة ماهر
أتى بمحال لو عقلت رفضته وكنت له في الله أول هاجر
كلام كأقوال المجانين بثه إليكُمْ على جرف من الكفر هائر
أضل به من يقتفيه من الورى فما منكم للمقتفين بعاذر
تجنيت لي ذنبا بذمي فصوصكم وذلك عند الله إحدى ذخائري
هل الأمر بالمعروف عندك غيبة وهل سَبّ عرضا من نهى عن مناكر

وهي طويلة (ع/١١٩ب) نحو مائتين وثلاث وأربعين بيتًا. وأما ابن سبعين فهو (د/١٧٨أ) عبد الحق بن إبراهيم، قال الذهبي في تاريخ الإسلام(١): «عبد الحق بن إبراهيم الشيخ الضال أبو محمد المراس الصوفي الفيلسوف، وله كلام في الحقيقة على طريقة الاتحاد، مات بمكة سنة (٦٦٩هـ)، وسبب نزوله مكة أنه ظهر منه كلام أوجب للعلماء الفتوى بقتله، فهرب إليها(٢) ....

---

(١) في تاريخ الإسلام برقم (٣١٣).
(٢) ذكر بعض العلماء أن من اقترف ما يوجب الحد، ثم لجأ إلى مكة، فإنه يخرج منها، ثم يقام عليه الحد، استدلالًا بقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧]؛ لأنه قبل أن يخرج معصوم الدم، وهذا قول أبي حنيفة. وقد ذكر ابن العربي في أحكام القرآن (١/ ٢٨٤): أن هذا وهم؛ لأن الآية خبر عما مضى، وهذا الأمن قد ذهب، وقد وقع القتل والقتال بعد ذلك، والجمهور على أن الحدود تقام في الحرم، وقد أمر النبي ﷺ بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة.
وروى عن عباس رضي الله عنه: من أصاب حدًّا في الحرم أقيم عليه فيه، وإن أصابه في الحل ولجأ إلى الحرم، لم يكلم ولم يبايع حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد. وهو قول الشعبي.
وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٢١١-٢١٢).

وأظهر لأبي نمي[١] -يعني الشريف صاحب مكة- أشياء من السيمياء والكيمياء حتى صار عنده في الذروة، وأحدث له ابن سبعين هذه الخطبة التي يخطب فيها المؤذن على قبة زمزم، ويذكر نسبه إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

وقال ابن سبعين لأبي نمي: «دعني أخرب هذا الركن الأسود، وأستخرج لك من تحته سرًّا ليس عندك ملك مثله».

قال: «فحكاها لخطيب مكة فزاد فيها أنه قال: وأحفر داخل البيت عن دفائن وخبايا. وكان يعيب الطائفين ويقول: لماذا يدور أحدهم حول البيت، وكان يخرج إلى مفازة ظاهر مكة، فيسجد للشمس، وكان يسجد للقطب الشمالي، ولما مات لم يشيعه إلا نفر قليل جدًّا، فإن الناس شكوا في أمره، وظهر عنه أعمال من جنس السحر» انتهى.

قال الذهبي: «قلت: ما زال ابن سبعين بحمد الله تعالى ممقوتًا عند علماء الإسلام إلا من كان على خبيث نحلته».

قال: «والسبعينية[٢] فقهاء زنادقة يتركون الصلاة ويفعلون العظائم ولهم رموز وإشارات أكره أن أتفوه بها، ثم قال: إن فتحنا باب التأويل عن المقالات

---

(١) محمد بن الحسن بن علي بن راجح أبو نمي، شريف حسني من أمراء مكة، كان شجاعًا حازمًا من كبارهم. مات سنة (٧٠١هـ). انظر: الأعلام (٦/ ٨٦).

(٢) السبيعينية أتباع ابن سبعين فرقة من زنادقة وملاحدة الصوفية، قالوا: بأن الخلق اتحد بالحق، فصار وجود الحق هو عين وجود الخلق، ويهونون من أمر الصلاة، ويقولون بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضيق واسعًا حين قال: «...لا نبي بعدي»، ويقولون: إن الله تعالى مع الأشياء، وأنه في الموجودات سار فيها كسريان الحياة في الجسم، وأن الموجودات مظاهر له، ولهم مخازٍ يطول ذكرها. انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ١٩٦).

والضلالات، بطلت دواوين الملل والنحل، لأن أبا حامد[(١)] ذكر في مشكاة الأنوار[(٢)] (د/٧٨ب) فصلاً في حال الحسين الحلاج، وأخذ يعتذر عما صدر منه من الإطلاقات الكفرية، وأقبل يحملها على محامل بعيدة[(٣)]، وقال هذا من شدة الوجد كما قيل: أنا من أهوى (ع/١٢٠أ) ومن أهوى أنا[(٤)].

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، المعروف بالغزالي، زيد الدين أبو حامد، حكيم، متكلم، فقيه، أصولي، صوفي، مشارك في أنواع العلوم. مات (٥٠٥هـ). انظر: معجم المؤلفين لكحالة (١١/ ٢٦٦).

(٢) مشكاة الأنوار (ص٥٧) ط. الدار القومية.

فائدة: للإمام الغزالي ثلاثة كتب: الأول: «مشكاة الأنوار في رياض الأزهار»، والثاني: «مشكاة الأنوار في لطائف الأخبار»، والثالث: «مشكاة الأنوار في مصفاة الأسرار»، وهو في تفسير آية المشكاة في سورة النور، وهو المقصود هنا.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا الكتاب قد بناه الغزالي على أصول هؤلاء الملاحدة، وجعل ما يفيض على النفوس من المعارف من جنس خطاب الله عَزَّوَجَلَّ لموسى بن عمران، وجعل خلع النعلين الذي خوطب به موسى إشارة إلى ترك الدنيا، وقد فتح الغزالي بابًا يلج منه القائلون بوحدة الوجود.

وقد رد عليه عدد من العلماء -كالشيخ أبي البيان- وهو من الصوفية - والشيخ أبي عمرو بن الصلاح وحذر من كلامه في ذلك، ورد عليه أبو عبد الله المازري وأبو بكر الطرطوشي، وأبو الحسن المرغيناني -رفيقه- وأبو زكريا النووي، وابن عقيل وابن الجوزي وأبو محمد المقدسي وغيرهم.

وقد ذكر بعضهم أنه رجع عن ذلك كله، ومنهم من يقول إن هذا الكتاب وأمثاله من الكتب مكذوبة عليه. انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٦٦)، والصوفية (١/ ٢٥٠).

(٣) انظر: تاريخ ابن الوردي (١/ ٢٤٨)، والوافي بالوفيات (١٣/ ٤٦)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٤٩/ ٢٨٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٤٣)، وغيرها.

(٤) هذا البيت للحلاج، وعجزه:

.... نحن روحان حللنا بدنا

فإن ابصرته أبصرتني وإن ابصرتني ابصرتنا

انظر: الفتوحات المكية لابن عربي (٢/ ٣٢٩)، ونقله عنه ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٢/ ٣٦٢). وانظر: الرد على القائلين بوحدة الوجود لملا علي قاري (ص٢٢).

قال الذهبي: «قلت كان البدريون أشد حبًا لله، فما نطقوا بهذا، وقد يقول العارف كلامًا لا بأس بالاعتذار عنه، أما من يقول: إن هذا العالم هو حقيقة الله، فهذا لعين.

والمسلم إذا تأمل كتب هؤلاء، وأمعن النظر فيها حصل له ما لا يندفع أنهم فرقة مارقة عن الإسلام، وأنهم يقولون: إن الخالق هو عين المخلوقين، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

لكن من لطف الله تعالى أن هؤلاء الباطنية خاملون، لا يجسرون أن يعلنوا بإفكهم في مساجد الإسلام، ولا في بلاد الكتاب والسنة، فسل ربك الثبات على كلمة التقوى» انتهى كلامه.

وذكره ابن عبد الملك في التكملة وقال فيه[1]:

«كثر أتباعه على مذهبهم الذي كان يدعو إليه، من التصوف نحلة ارتسموا بها من غير تحصيل لها، وصنف في ذلك أوضاعًا كثيرة، تلقوها منه، ونقلوها عنه، وبثوها في البلاد شرقًا وغربًا، لا يخلى أحد منها بطائل.

وهي إلى وساوس المخبولين، وهذيان الممرورين أقرب منها إلى منازع أهل العلم، ولفظه غير بلد وصقع، لما كان يرمى به من بلايا، الله أعلم بحقيقتها ومطلع على سريرته فيها.

وتعقبه بعض علماء السنة من المغاربة فقال: كان ينبغي أن لا يثبته في مصنفه، فإنه لا ينبغي أن يذكر مع أهل العلم والتفسير، ولا كرامة ولا والله مع أهل التوحيد».

---

(١) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (٢/ ٥٦) ط. دار الكتب العلمية.

وأما العفيف التلمساني: فهو سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني الأديب.

قال الذهبي[(١)]: من فحول الشعراء، وكبار الاتحادية، يدعى العرفان له شعر رائق، وكان كاتبًا على سوق الغنم بدمشق، له هيئة وحرمة، وكان يتعاطى الخمر ويتملطخ بمعايب، نسأل الله العفو. وكان قد دخل الروم وعمل الخلوة، (د/١٧٩) وجاع وشرح مقامات النفري، وهو القائل:

إلى الراح هبوا حين تدعو المثالث	فما الراح للأرواح إلا بواعثُ
هي الجوهر الصرفِ القديم فإن بدت	لها حبب زينت بها وهو حادثُ

مات سنة ستمائة وتسع سنين ٦٠٩.

وذكره أبو حيان[(٢)] فقال: «ورأيت بالقاهرة العفيف، أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ثابت الكوفي[(٣)]، وكان يحضر عندي في بيتي في المدرسة الصالحية، وينظر في شيء من النحو، وأنشدني قطعًا من شعره، وكان قد تزوج بنت ابن سبعين، وأولدها ولدًا يسمى محمدًا، وكان شاعرًا ظريفًا، ومات وهو شاب.

ولما حضر معنا للقراءة على الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصبهاني[(٤)] سأله من أنت؟ فقال: أنا ابن مملوكك العفيف التلمساني فتبسم وقال: أنت عريق في الألوهية (ع/١٢١ب) وأمك بنت ابن سبعين وأبوك العفيف التلمساني».

---

(١) في تاريخ الإسلام (٥١/ ٤٠٩).

(٢) انظر: القول المنبي عن ترجمة ابن عربي للسخاوي (ص٢٩٣).

(٣) الفاجر المعروف بالعفيف التلمساني، وقد سبق ذكر ترجمته.

(٤) شمس الدين محمد بن محمود بن محمد بن عباد العجلي، شمس الدين، أبو عبد الله، ولي قضاء قوص. مات سنة (٦٨٨هـ). انظر: شذرات الذهب (٧/ ٧١٠).

وكان التلمساني متقلبًا في أحواله، فتارة يكون شيخ زاوية، وتارة يشتغل في ديوان الخدم، قدم علينا القاهرة فنزل في خانكاة سعيد السعداء، في أيالة شيخ الشيوخ إذ ذاك وأقام أشهرًا. ثم حكي عنه أنه حضر مجلس أنس، ومعهم مغن مليح، فشاع عنه أنه قبل المغني، وقال: أنت الله فرمى الصبي الطار من يده، ووجم لمقالة العفيف، وأصبح أهل المجلس يتحدثون بما قاله العفيف فخاف على نفسه وخرج فارًا قبل الظهر إلى الشام.

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[(١)]: «وحدثني الشيخ العالم العارف كمال الدين المراغي[(٢)] شيخ زمانه أنه لما قدم، وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد قال: «قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئًا فرأيته مخالفًا للكتاب والسنة، فلما ذكرت ذلك له قال: القرآن ليس فيه توحيد بل القرآن كله شرك، ومن اتبع القرآن لم يصل إلى التوحيد. قال[(٣)]: قلت: له ما الفرق عندكم بين الزوجة والأجنبية والأخت، والكل واحد؟.

قال: «لا فرق بين ذلك عندنا، وإنما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حرامًا، فقلنا هو حرام عليهم عندهم، وأما عندنا فما ثم حرام».

وحدثني كمال الدين ابن المراغي أنه لما تحدث مع التلمساني في هذا المذهب[(٤)] قال: «وكنت أقرأ عليه في ذلك، فإنهم كانوا قد عظموه عندنا، ونحن مشتاقون إلى

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٤٤).

(٢) العالم الزاهد الصالح أبو حفص عمر بن إلياس بن يونس المراغي، كمال الدين، قدم دمشق سنة (٧٢٩هـ)، ولديه علم وتحقيق، مات سنة (٧٣٣هـ). انظر: الرد الوافر (ص١١٩)، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء إسماعيل بن علي (٢/ ٣٥) ط. المطبعة الحسينية.

(٣) أي ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٢/ ٢٠١).

(٤) تحرفت في النسخ إلى «المذكور»، والتصحيح من مجموع الفتاوى.

معرفة فصوص الحكم، فلما صار يشرحه لي أقول: هذا خلاف القرآن والأحاديث فقال: ارم هذا كله خلف الباب، وأحضر بقلب صاف حتى تتلقى هذا التوحيد. أو كما قال. ثم خاف أن أشيع ذلك عنه، فجاء إليّ باكيًا، وقال استر عني ما سمعته مني».

قال الناظم [رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى](١):

فصل
في قدوم ركب آخر(٢)

وأتى فريق ثم قال وجدته ... بالذات موجودا بكل مكان
هو كالهواء بعينه لا عينه ... ملأ الخلو ولا يرى بعيان
والقوم ما صانوه عن بئر ولا ... قبر ولا حش ولا أعطان
بل منهم من قد رأى تشبيهه ... بالروح داخل هذه الأبدان
ما فيهم من قال ليس بداخل ... أو خارج عن جملة الأكوان
لكنهم حاموا على هذا ولم ... يتجاسروا من عسكر الإيمان
وعليهم رد الأئمة أحمد ... وصحابه من كل ذي عرفان
فهم الخصوم لكل صاحب سنة ... وهم الخصوم لمنزل القرآن
ولهم مقالات ذكرت أصولها ... لما ذكرت الجهم في الأوزان

أقول: هذا الذي ذكره الناظم هو قول النجارية، وهو أن الله تعالى بذاته في كل مكان، وأما الجهمية الفحول فهم يقولون: إنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه(٣).

---

(١) من (د).

(٢) هذا الركب هو ركب أصحاب الحلول، وهم قسمان: الأول: حلول خاص وهو كقول النصارى بأن اللاهوت حل في الناسوت، وكقول الرافضة بأن الرب تعالى حل في علي وأئمة أهل البيت. الثاني: حلول عام وهو كقول النجارية من الجهمية القائلين بأن الله في كل مكان، وهو قول غلاة الصوفية. انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٧١-١٧٢)، الإيمان لشيخ الإسلام (ص٣٣٤).

(٣) الشارح قصر هنا القول بأن الله تعالى في كل مكان على فرقة النجارية، مع أن ما يفهم من كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أن هذا القول هو قول عوام الجهمية والصوفية، وقد تقدم حكاية

ولهذا قال الناظم:

وعليهم رد الأئمة أحمد .... إلخ

أي أن كلام الإمام أحمد وأصحابه إنما هو في الرد على القائلين بأن الله في كل مكان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان(١): «كلام السلف كان فيما يظهر لهم ويصل إليهم من كلام أهل البدع كما تجدهم في الجهمية؛ إنما يحكون عنهم أن الله في كل مكان، وهذا قول طائفة منهم كالنجارية، وهو قول عوامهم وعبادهم، وأما (د/ ١٨٠أ) جمهور نظارهم من الجهمية والمعتزلة والضرارية(٢) وغيرهم، فإنما يقولون: هو لا داخل العالم ولا خارجه ولا هو فوق العالم» انتهى.

=شيخ الإسلام قوله: «متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئًا ومتعبدة الجهيمة يعبدون كل شيء» وعبادتهم كل شيء معناه أن الله في كل مكان، وحالٌّ في كل شيء.

والنجارية: هم أصحاب الحسين بن محمد النجار، وكان يقول: الباري بكل مكان ذاتًا ووجودًا لا على معنى القدرة، وكان يقول: إن الكلام إذا قرئ فهو عرض، وإذا كتب فهو جسم.

انظر: الملل والنحل (١/ ٧٥-٧٧).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣٨٠).

(٢) هي: فرقة من الفرق المعتزلة، وهم أصحاب ضرار بن عمرو، وحفص الفرد، لكنهم فارقوا المعتزلة بقولهم: إن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، وهي من كسب العبد. وكان ضرار يزعم بأن الباري عالم قادر على معنى أنه ليس بجاهل، ولا عاجز، وأثبت حاسة سادسة للإنسان يرى بها الباري تعالى يوم الثواب في الجنة، وجوَّز حصول فعل بين فاعلين، ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف أبي بن كعب، ويقطع بأن الله تعالى لم ينزله، وزعم أيضًا أن الإمامة تصلح في غير قريش.

انظر: الملل والنحل (١/ ٧٧-٧٩)، ومقالات الإسلاميين (١/ ٧٠).

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قارب وصفه ... هذا ولكن جد في الكفران
فأسر قول معطل ومكذب ... في قالب التنزيه للرحمن
إذ قال ليس بداخل فينا ولا ... هو خارج عن جملة الأكوان
بل قال ليس ببائن عنها ولا ... فيها ولا هو عينها ببيان
كلا ولا فوق السماوات العلى ... والعرش من رب ولا رحمن
والعرش ليس عليه معبود سوى ... العدم الذي لا شيء في الأعيان
بل حظه من ربه حظ الثرى ... منه وحظ قواعد البنيان
لوكان فوق العرش كان كهذه الـ ... أجسام سبحان العظيم الشان
ولقد وجدت لفاضل منهم مقا ... ما قامه في الناس منذ زمان
قال: اسمعوا يا قوم إن نبيكم ... قد قال قولًا واضح البرهان
لا تحكموا بالفضل لي أصلًا على ... ذي النون يونس ذلك الغضبان
هذا يرد على المجسم قوله ... الله فوق العرش والأكوان
ويدل أن إلهنا سبحانه ... وبحمده يلقى بكل مكان
قالوا له بين لنا هذا فلم ... يفعل فأعطوه من الأثمان
ألفا من الذهب العتيق فقال في ... تبيانه فاسمع لذا التبيان
قد كان يونس في قرار البحر تحـ ... ـت الماء في قبر من الحيتان
ومحمد صعد السماء وجاوز الـ ... ـسبع الطباق وجاز كل عنان
وكلاهما في قربه من ربه ... سبحانه إذ ذاك مستويان

فالعلو والسفل اللذان كلاهما ... في بعده من ضده طرفان
أن ينسبا لله نزه عنهما ... بالاختصاص بلى هما سيان
في قرب من أضحى مقيما فيهما ... من ربه فكلاهما مثلان
فلأجل هذا خص يونس دونهم ... بالذكر تحقيقا لهذا الشان
فأتى النثار عليه من أصحابه ... من كل ناحية بلا حسبان
فاحمد إلهك أيها السني إذ ... عافاك من تحريف ذي بهتان
والله ما يرضى بهذا خائف ... من ربه أمسى على الإيمان
هذا هو الإلحاد حقًّا بل هو التحـ ... ـريف محضًا أبرد الهذيان
والله ما بلي المجسم قط ذي الـ ... ـبلوى ولا أمسى بذي الخذلان
أمثال ذا التأويل أفسد هذه الـ ... أديان حين سرى إلى الأديان
والله لولا الله حافظ دينه ... لتهدمت منه قوى الأركان

أقول: هذا الركب هم الأشاعرة[(١)]. وقوله:

ولقد وجدت لفاضل منهم ... . إلخ

هذا الفاضل هو الإمام أبو المعالي عبد الملك ابن أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين[(٢)].

---

(١) في الحاشية (ع) قول الشارح: «هذا الركب هم الأشاعرة غير مسلم !!؛ فإن هذا الركب هم الجهمية، والركب الذي بعدهم هم الأشاعرة فليتأمل» اهـ.
الذي يظهر -والله أعلم- أن الصواب مع المؤلف؛ لأن الركب الذين ذكروا بعد هؤلاء هم الفلاسفة، الذين أقروا وصححوا مذهب أهل الحديث ورأو أنه موافق للعقل، ثم لما خالطوا الجهمية وسمعوا كلامهم شكوا فيما رأوه صواب أولًا فانسلخوا من الدين بالكلية، أما هذا الركب فهم الأشاعرة قطعًا، وهو ما يفهم من كلام الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ، لأنه ذكر قصة أبي المعالي الجويني مع الرجل حول حديث: «لا تفضلوني على يونس بن متى» والجويني من أئمة الأشاعرة، أما قولهم (إن الله في كل مكان) فهم على عقيدة الجهمية في العلو.

(٢) عبد الملك بن أبي محمد بن يوسف بن عبد الله الجويني، الشافعي أبو المعالي، المعروف بإمام الحرمين، =

مولده كما في الكامل[١] سنة عشر وأربعمائة وفي تاريخ ابن أبي الدم[٢] سنة تسع عشرة وأربعمائة، إمام العلماء في وقته، فحل المذهب، سافر إلى بغداد ثم إلى الحجاز، وأقام بمكة والمدينة أربع سنين، يدرس ويفتي ويصنف، وأم في الحرمين الشريفين وبذلك لقب، ثم رجع إلى نيسابور، وجعل إليه الخطابة ومجلس الذكر والتدريس ثلاثين سنة، وحظي عند نظام الملك[٣].

ومن تلاميذه الغزالي وأبو القاسم الأنصاري[٤] وأبو الحسن علي بن محمد الطبري الكيا الهراسي[٥]، وادعى إمام الحرمين الاجتهاد المطلق؛لأن أركانه حاصلة (د/ ١٨١أ) له، ثم عاد إلى اللائق به وتقليد الإمام الشافعي.

ولما مرض حمل إلى قرية موصوفة باعتدال الهواء، وخفة الماء اسمها بشتنقان[٦] فمات بها، ونقل إلى نيسابور تلك الليلة، ودفن من الغد في داره، ثم نقل بعد ست

=أحد أئمة المتكلمين، ترك الكلام آخر عمرة، وأثبت الصفات وترك التأويل إلى التفويض ظنًّا منه أنه الحق، رَحِمَهُ اللَّهُ. مات سنة (٤٧٨هـ). انظر: السير (١٨/ ٤٦٨).

(١) انظر: الكامل لابن الأثير (٤/ ٣٢١).

(٢) انظر: المختصر في تاريخ البشرلعماد الدين إسماعيل بن علي (١/ ٢٨٣)

(٣) الوزير الكبير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، عاقل، سائس، خبير، سيد، متديِّن، محتشم. مات سنة (٤٨٥هـ). انظر: السير (١٩/ ٩٤).

(٤) أبو القاسم سلمان بن ناصر بن عمران النيسابوري الصوفي الشافعي تلميذ إمام الحرمين، كان يتوقد ذكاءً، كان زاهدًا عابدًا، شرح كتاب الإرشاد، وغيره. مات سنة (٥١١هـ). انظر: السير (١٩/ ٤١٢).

(٥) شيخ الشافعية، برع في المذهب وأصوله، وقدم بغداد فولي النظامية، وتخرج به الأئمة، واتهم بأنه باطني، وبرأه فقهاء عصره من ذلك فأطلق. مات سنة (٥٠٤هـ).
انظر: السير (٢٠/ ٣٥٠)، وتاريخ الإسلام (٤٤/ ٢٢٥)، والوافي بالوفيات (١٩/ ١٢٣).

(٦) من قرى نيسابور وأحد متنزهاتها بينهما فرسخ. انظر: معجم البلدان (١/ ٥٠٥)، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (١/ ٩٥).

سنين إلى مقبرة الحسين، فدفن بجنب أبيه وصلى عليه ولده أبو القاسم !!، فأغلقت الأسواق يوم موته، وكسر منبره في الجامع، وقعد الناس لعزائه، ورثوه كثيرًا، ومنه:

قلوب العالمين على المقالي ... وأيام الورى شبه الليالي

أيثمر غصن أهل الفضل يومًا ... وقد مات الإمام أبو المعالي[١]

وكانت تلامذته يومئذ نحو أربعمائة.

ومن مصنفاته: نهاية المطلب في دراية المذهب[٢] والشامل[٣] والإرشاد[٤] كلاهما في أصول الدين، والرسالة النظامية في الأركان الإسلامية[٥]، والبرهان في أصول الفقه[٦] وغيرها.

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في كتاب النبلاء[٧] -في ترجمة الإمام أبي المعالي-: «كان هذا الإمام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته، لا يدري الحديث كما يليق به لا متنًا ولا إسنادًا.

ذكر في كتاب البرهان حديث معاذ في القياس فقال هو مدون في الصحاح متفق على صحته.

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ١٨٢)، كشف الظنون (٢/ ١٩٩٠)،

(٢) أوسع فيه القول على طريقة الأشعرية وهو مطبوع بدار الكتب العلمية.

(٣) ذكره في كشف الظنون (١/ ٦٨) وهو مطبوع بدار الكتب العلمية.

(٤) طبع بمكتبة الخانجي بمصر.

(٥) طبعت عدة طبعات.

(٦) طبع عدة طبعات منها طبقة دار الكتب العلمية.

(٧) انظر: السير (١٨/ ٤٧-٤٧٢).

قلت: بل مداره على الحارث بن عمرو وفيه جهالة عن رجال من أهل حمص عن معاذ، فإسناده صالح»[١] انتهى.

وقصة مقامه المذكور ذكرها الإمام أبو عبد الله القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في تذكرته[٢] فقال: فصل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ومن[٣] قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب»[٤] للعلماء فيه تأويلات:

أحسنها وأجملها ما ذكره القاضي أبو بكر ابن العربي[٥] قال: أخبرني غير واحد من أصحابنا عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أنه سئل هل الباري في جهة فقال لا هو يتعالى عن ذلك.

قيل له: فما الدليل عليه قال الدليل قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**»[٦]، فقيل له: ما وجه الدليل من هذا الخبر؟ فقال: لا أقوله حتى يأخذ ضيفي هذا ألف دينار يقضي بها دينا.

---

(١) لفظ الحديث (أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يبعث معاذًا إلى اليمن قال: «**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟**» قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟» قال: فبسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**فإن لم تجد؟**» قال: اجتهد رأي ولا آلو..) الحديث

أخرجه أبو داود (٤/ ١٨-دعاس)، والترمذي (٣/ ٦١٦- شاكر)، وغيرهم، من طريق شعبة عن محمد بن عبد الله الثقفي عن الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة عن أناس من أهل حمص عن معاذ به، والحارث بن عمرو وهو: الثقفي، قال البخاري كما في الميزان (١/ ٤٣٩): «لا يصح حديثه».

و قوله: «اجتهد رأيي». قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٣٠٨- علمية): «المراد به رد القضية التي تعرض للحاكم من طريق القياس إلى الكتاب والسنة، ولم يرد الرأي الذي يراه من قبل نفسه».

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (ص١٩٣- الريان).

(٣) (ع، د) والتذكرة «ومن».

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٥١٦).

(٥) انظر: احكام القرآن لابن العربي (٤/ ٣٥)، أحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ١٢٤).

(٦) سبق تخريجه.

فقام رجلان فقالا: هي علينا فقال: لا يتبع بها إثنين لأنه يشق عليه فقال واحد هي علي.

فقال إن يونس بن متى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث[1]، ونادى لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين كما أخبر الله، ولم يكن محمد حين جلس على الرفرف الأخضر وارتقى به صعدا حتى انتهى به إلى موضع (ع/ ١٢٥أ) يسمع فيه صريف الأقلام (د/ ٨١ب) وناجاه ربه بما ناجى به وأوحى إليه ما أوحى بأقرب إلى الله من يونس في ظلمة البحر[2] انتهى سياق القرطبي.

قلت: كان هذا الإمام مع فرط ذكائه وغزارة علمه تتلون آراؤه ففي كتاب الشامل وكتاب الإرشاد مشى على تأويل الصفات الخبرية، وفي كتاب الرسالة النظامية مشى على أن التأويل محرم.

قال في الرسالة النظامية[3]: «اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب عَزَّ وَجَلَّ[4]».

---

(١) (ع، د): «ثلاثة»، والمثبت من التذكرة.

(٢) قال شيخنا: «هذا بني على إنكار العلو، والصواب أن محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرب، لأن الله تعالى في العلو فوق العرش».

(٣) انظر: الرسالة النظامية (ص٢٣ - الكوثري).

(٤) التفويض هو: صرف اللفظ عن ظاهره مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه، بل يترك ويفوض علمه إلى الله -تعالى- بأن يقال: «الله أعلم بمراده»، ويلزم من التفويض لوازم باطلة منها:
١- القدح في حكمة الرب تعالى حيث أنزل كلامًا لا يفهمه المخاطبون به. =

والذي نرتضيه دينا وندين به عقيدة اتباع سلف الأمة، والدليل القاطع السمعي في ذلك وأن إجماع الأمة حجة متبعة فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغًا أو محتومًا لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع فلتجر آية الاستواء وآية المجي وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] على ذلك» اهـ.

قال الحافظ الذهبي في كتاب العلو(١) قال الحافظ الحجة عبد القادر الرهاوي(٢): سمعت عبد الرحيم ابن أبي الوفاء الحاجي(٣) يقول: سمعت محمد ابن طاهر المقدسي(٤) يقول: سمعت الأديب أبا الحسن القيرواني(٥) بنيسابور يقول:

= ٢- الوقوع في التعطيل المحض.

٣- وأن يكون القرآن الذي جعله الله هدى وشفاءً ونورًا وبيانًا سبب حيرة الناس وضلالهم.

٤- وتجهيل النبي ﷺ والصدر الأول لأنهم يقولون شيئًا لا يعلمون معناه، وهذا في غاية البطلان.

٥- وغلق باب التدبر لكتاب الله تعالى.

انظر: مذهب التفويض في نصوص الصفات لأحمد القاضي (ص١٥٢، ٥٠٣)، وهذا يدل على أن رجوع إمام الحرمين إنما هو إلى مذهب أهل التفويض لا إلى مذهب السلف.

(١) انظر: العلو للذهبي (٢/ ١٣٤٣-١٣٤٧).

(٢) عبد القادر بن عبد الله الرهاوي الحنبلي، قال ابن نقطة: كان عالمًا صالحًا ثقة مأمونًا، انظر: السير (٢٢/ ٧١).

(٣) عبد الرحيم بن أبي الوفا علي بن حمد الأصبهاني الحاجي. قال السمعاني: «شاب كيس متودد حسن السيرة له أنسة بالحديث وهو أحد الشهود المعدَّلين». مات سنة: (٥٦٦هـ).
انظر: السير (٢٠/ ٥٧٥).

(٤) محمد بن طاهر بن علي بن القسيراني المقدسي الظاهري الصوفي.
قال الذهبي: «وله انحراف عن السنة إلى تصوف غير مرضي، وهو في نفسه صدوق لم يتهم».
مات سنة (٥٠٧). انظر: السير (١٩/ ٣٦١).

(٥) علي بن عبد الغني الفهري القيرواني الحصري الضرير أبو الحسن، أديب من كبار الشعراء، وله تصانيف في القراءات. مات سنة (٤٨٨هـ). انظر: السير (١٩/ ٢٦).

وكان يختلف إلى دروس الأستاذ أبي المعالي الجويني يقرأ عليه الكلام يقول سمعت الأستاذ أبا المعالي اليوم يقول يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به.

وقال الفقيه أبو عبد الله الرستمي[1] الذي أجاز لكريمة[2] حكى لنا الإمام أبو الفتح محمد بن علي الفقيه!! قال: دخلنا على الإمام أبي المعالي الجويني نعوده في مرض موته، فقعد فقال لنا اشهدوا على أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح وإني أموت على ما تموت عليه عجائز نيسابور، قال أبو منصور بن الوليد الحافظ[3] في رسالة له إلى الزنجاني!! (د/ ١٨٢) أنبأ عبد القادر الحافظ! بحران أنبأ الحافظ أبو العلاء[4] أنبأ أبو جعفر بن أبي علي الحافظ!! قال: سمعت أبا المعالي الجويني (ع/ ١٢٥ب) وقد سئل عن قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] فقال: «كان الله ولا عرش وجعل يتخبط في الكلام فقلت: قد علمنا ما أشرت إليه فهل عندك للضرورات من حيلة فقال: ما تريد بهذا القول وما تعني بهذه الإشارة.

فقلت: ما قال عارف قط يارباه إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة ولا يسرة يقصد الفوق فهل لهذا القصد الضروري عندك حيلة

---

(١) عبد الله الحسن بن العباس بن علي الرستمي الأصبهاني، فقيه شافعي فاضل على طريقة السلف. مات سنة (٥٦١هـ). انظر: السير (٢٠/ ٤٣٢).

(٢) كريمة بنت المحدث العدل أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن الخضر، شيخة صالحة معمرة مسندة.ماتت سنة (٦٤١هـ). انظر: السير (٢٣/ ٩٢).

(٣) عبد الله بن أبي الفضل محمد البغدادي،أبو منصور، وكان يوصف بسرعة القراءة وجودتها، وخطة رديء الوضع. مات سنة (٦٤٣هـ). انظر: السير (٢٣/ ٢١٣).

(٤) علي بن عبد الكريم بن أبي العلاء الهمذاني العطار أبو الكرم، مسند همذان. مات بين سنة (٥٨١هـ-٥٩٠هـ). انظر: السير (٢١/ ١١٠).

فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت وبكيت وبكى الخلق فضرب الأستاذ بكمه على السرير وصاح بالحيرة وخرق ما كان عليه وانخلع وصارت قيامة في المسجد ونزل ولم يجبني إلا يا حبيبي الحيرة الحيرة والدهشة الدهشة، فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول حيرني الهمذاني».

توفي إمام الحرمين في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وله ستون سنة وكان من بحور العلم في الأصول والفروع يتوقد ذكاء.

لكن قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن إمام الحرمين في حكاية مذهبه:

ويدل أن إلهنا سبحانه ... ويحمده يلقى بكل مكان

فيه نظر[1]، فإن القول بأن الله تعالى في كل مكان هو قول النجارية، وأما الأشاعرة فقولهم إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا يوصف بأن له مكانًا فضلًا عن أن يقال إنه بكل مكان كما ذكره الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في أول الأبيات.

---

(١) في الحاشية (ع): «قوله فيه نظر... غير مسلم فإن في نفس الحكاية... يفهم من الجويني ما يوافق قول الناظم، وكونه عند القوم مخالفًا لما في أول الفصل لا ينافي ما ذكرنا، لا سيما وقد فسر الحكاية... الجويني».

هذا التعليق لعله من كلام العنقري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، ومقصوده ظاهر؛ فإن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا اعتراض عليه؛ لأنه حكى أولًا عقيدة الأشاعرة في العلو، ثم ذكر قصة إمام الحرمين في استدلاله على نفي العلو بحديث: «لا تفضلوني على يونس بن متى» فإنه يفهم من قوله بأن يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو في قعر البحر أقرب إلى الله -تعالى- من محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما صعد إلى السماء، ووصل إلى سدرة المنتهى وسمع صريف الأقلام: أن الله في كل مكان، وهو لا ينافي اعتقاده أن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل...إلخ؛ لأن هذا التفسير للحديث مبني على نفي العلو الحسي. والله أعلم.

ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في التسعينية[١] قال: «لما نوظر ابن فورك[٢] قدام محمود بن سبكتكين[٣] أمير المشرق فقيل له لو وصف المعدوم لم يوصف إلا بما وصفت به الرب من كونه لا داخل العالم ولا خارجه كتب إلى أبي إسحاق الاسفراييني[٤] في ذلك ولم يكن جوابهم إلا أنه لو كان خارج العالم للزم أن يكون جسمًا». انتهى (د/ ٨٢ب).

---

(١) انظر: التسعينية (٢/ ٧١٠-٧١١).

(٢) محمد بن الحسن بن فورك أبو بكر الأصبهاني، من كبار الأشاعرة، صاحب التصانيف. مات سنة (٤٠٦) انظر: السير (١٧/ ٢١٤)، العبر (١/ ٩٥).

(٣) محمود بن سبكتكين التركي أبو القاسم، كان صادق النية في إعلاء الدين كثير الغزو ذو رأي صائب. مات سنة (٤٢١هـ). انظر: السير (١٧/ ٤٨٣).

(٤) إبراهيم بن محمد الإسفراييني، أبو إسحاق الأصولي الشافعي، صاحب التصانيف. كان ثقة ثبتًا في الحديث، لكنه كان أشعريًّا متعصبًا، وكان ينكر كرامات الأولياء،. مات سنة (٤١٨هـ). انظر: السير (١٧/ ٣٥٣)، والعبر (١/ ١٨٨).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

فصل
في قدوم ركب آخر

وأتى فريق ثم قارب وصفه　　هذا وزاد عليه في الميزان
قال اسمعوا يا قوم لا تلهيكم　　هذي الأماني هن شر أماني
أتعبت راحلتي وكلت مهجتي　　وبذلت مجهودي وقد أعياني
فتشت فوق وتحت ثم أمامنا　　ووراء ثم يسار مع أيمان
ما دلني أحد عليه هناكم　　كلا ولا بشر إليه هداني
إلا طوائف بالحديث تمسكت　　تعزى مذاهبها إلى القرآن
قالوا الذي تبغيه فوق عباده　　فوق السماء وفوق كل مكان
وهو الذي حقا على العرش استوى　　لكنه استولى على الأكوان
وإليه يصعد كل قول طيب　　وإليه يرفع سعي ذي الشكران
والروح والأملاك منه تنزلت　　وإليه تعرج عند كل أوان
وإليه أيدي السائلين توجهت　　نحو العلو بفطرة الرحمن
وإليه قد عرج الرسول فقدرت　　من قربه من ربه قوسان
وإليه قد رفع المسيح حقيقة　　ولسوف ينزل كي يرى بعيان
وإليه تصعد روح كل مصدق　　عند الممات فتنثني بأمان
وإليه آمال العباد توجهت　　نحو العلو بلا تواص ثان
بل فطرة الله التي لم يفطروا　　إلا عليها الخلق والثقلان

يشير الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إلى أن (ع/١٢٦) هذا الركب أقروا بما دل (د/١٨٣) عليه

الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها من العقائد التي تضمنها هذا الفصل، وذكر نصوص الفوقية والعلو والاستواء والصعود كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر:٤]، وذكر معراج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الله الذي تواترت به الأحاديث وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها.

عن أنس أن مالك بن صعصعة! حدثه أن نبي الله حدثه عن ليلة أسري به قال: «**بينا أنا في الحطيم** -وربما قال قتادة في الحجر- **مضطجع إذ أتاني آت...**» فذكر الحديث وفيه: قال: «**ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقع خطوه عند انقضاء طرفه**». قال: «**فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى بي السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل: قيل: ومن معك؟ قال:محمد قيل:أوقد أرسل إليه، قال: نعم قيل: مرحبًا به ولنعم المجيء جاء، قال: ففتح، فلما خلصت إذا فيها آدم قال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال:مرحبا بالإبن الصالح والنبي الصالح**».

قال: «**ثم صعد حتى أتى السماء الثانية** (ع/١٢٧ب) **فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم قيل: مرحبا به ونعم المجيء جاء، قال: ففتح، فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال هذا يحيى وعيسى، فسلم عليهما، فسلمت فردا السلام وقالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح، فقيل: من**

هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحبا به ونعم المجيء جاء، قال: ففتح، فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟، قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل: مرحبا به ونعم المجيء جاء، قال: ففتح، فلما خلصت فإذا إدريس، قال هذا (د/ ٨٣ب) إدريس فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

قال: ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: من معك، قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قال: مرحبًا به ونعم المجيء جاء، قال: ففتح فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلم عليه، قال: فسلمت عليه فرد السلام، قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟، قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟، قال: نعم، قال: مرحبا به ونعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا أنا بموسى، قال: هذا موسى فسلم عليه، فسلمت فرد السلام، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، قال: فلما تجاوزت بكى، فقيل: ما يبكيك؟. قال: أبكي؛ لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي.

ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟، قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قال: مرحبًا به ونعم المجيء جاء، قال: ففتح فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا إبراهيم فسلم عليه،

قال: فسلمت فرد السلام، ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، قال: ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، ثم رفع لي البيت المعمور.

قال: ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة في كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بم أمرت؟ فقلت: بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع (ع/١٢٨أ) خمسين صلاة، وإني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: بأربعين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا أُخَرْ، فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بثلاثين صلاة كل يوم، قال:إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا أُخَرْ، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت:بعشرين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع عشرين صلاة كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة (د/ ٨٤أ)، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك.

قال: «فرجعت، فأُمِرْتُ بعشر صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ فقلت: بعشر صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع عشر صلوات كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: أُمِرْتُ بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك

لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، قلت: قد سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم، فلما نفذت نادى مناد: قد أنفذت فريضتي وخففت عن عبادي» متفق عليه[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح مسلم[(٢)] نقلاً عن القاضي عياض: «الحق الذي عليه أكثر الناس، ومعظم السلف، وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، أنه أسرى بجسده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل»[(٣)] انتهى.

قوله:

فـقـدرت مـن قـربـه مـن ربـه قوسان

يشير إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم:٨-٩] (ع/١٢٩أ) وهذا على أحد التفسيرين في الآية، وأن الرب عَزَّوَجَلَّ هو الذي دنا فتدلى.

وسيأتي بسط الكلام في ذلك في شرح الدليل الخامس من أدلة علو الرب تعالى فوق خلقه والله أعلم وقال تعالى في حق المسيح صلوات الله عليه: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء:١٥٨] الآية.

وقوله:

والـيـه تـصـعـد روح كـل مصدق ....إلخ

---

(١) أخرجه أحمد بهذا اللفظ (٤/ ٢٨٣) وأصله في البخاري (٢/ ٩٩٢)، وأخرجه مسلم في الإيمان من صحيحه (١/ ١٥٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٠٩).

(٣) الصواب أن الإسراء كان بجسده وروحه معًا.
انظر: النبوات لابن تيمية (ص١٢٦)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٢٧).

يعني أن روح المؤمن (د/ ١٨٤) المصدق تصعد إلى الله بعد الموت، وقد روى ابن أبي ذئب[١] عن محمد بن عمرو ابن عطاء[٢] عن سعيد بن يسار[٣] عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله تعالى...**» وذكر الحديث.

رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه وقال هو على شرط البخاري ومسلم ورواه أئمة عن ابن أبي ذئب[٤].

وقوله:

.... فتنثني بأمان

يشير إلى ما في حديث البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس وجلسنا حوله كأن على أكتافنا فلق الصخر وعلى رؤوسنا الطير فأزم قليلًا - والأزمام السكوت - فلما

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة القرشي المدني الفقيه. قال عنه في التقريب (ص٨٧١): «ثقة فقيه فاضل من السابعة». مات سنة (١٥٨هـ).

(٢) محمد بن عمرو بن عطاء القرشي ثقة من الثالثة. مات في حدود العشرين، ووهم من قال إن القطان تكلم فيه. انظر: التقريب (ص٨٨٤).

(٣) سعيد بن يسار أبو الحباب المدني مولى ميمونة،قال ابن عبد البر: لا يختلفون في توثيقه. مات سنة (١١٧هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ٥١).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٤٨٠) واللفظ له، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢٣٦)، وابن ماجة (٢/ ١٤٢٤) وغيرهم، من طريق ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة، به. وإسناده صحيح.

رفع رأسه قال: «إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة ودُبِر من الدنيا نزل عليه ملائكة من السماء معهم حنوط من الجنة وكفن من الجنة فيجلسون منه مد بصره وجاءه ملك الموت فجلس عند راسه ثم يقول: أخرجي أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه فتسيل نفسه كما تقطر القطرة من السقاء فإذا خرجت نفسه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض إلا الثقلين ثم يصعد به إلى السماء فتفتح له السماء ويشيعه مقربوها إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة إلى العرش مقربو كل سماء فإذا انتهى إلى العرش كتب كتابه في عليين فيقول الرب عَزَّوَجَلَّ: ردوا عبدي إلى مضجعه فإني وعدتهم اني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فيرد إلى مضجعه» وذكر الحديث[1].

قوله:

والــيــه آمـــال الـعـبـاد تـوجـهـت ....إلخ

عن سلمان الفارسي (د/ ١٨٥) قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ع/ ١٣٠) إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه يدعو أن يردهما صفرًا ليس فيهما شيء هذا حديث مشهور[2].

❁❁❁

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢/ ١٦٥)، والترمذي في جامعه (٤/ ٣٩٥)، وغيرهم، من طريق جعفر بن ميمون عن أبي عثمان النهدي عن سليمان به، وجعفر بن ميمون هو صاحب الأنماط، قال في التقريب (ص٢٠١): «صدوق يخطئ»، وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٥٤٥) من طريق يزيد بن هارون عن سليمان التميمي عن أبي عثمان النهدي، به، وسليمان التميمي هو: سليمان بن أيوب. قال عنه في التقريب (ص٤٠٥): «صدوق يخطئ» فالحديث صحيح بطريقيه.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

ونظير هذا أنهم فطروا على ... إقرارهم لا شك بالديان
لكن أولو التعطيل منهم أصبحوا ... مرضى بداء الجهل والخذلان
فسألت عنهم رفقتي وأحبتي ... أصحاب جهم حزب جنكسخان
من هؤلاء ومن يقال لهم فقد ... جاءوا بأمر مالئ الآذان
ولهم علينا صولة ما صالها ... ذو باطل بل صاحب البرهان
أَوَمَا سمعتُم قولهم وكلامهم ... مثل الصواعق ليس ذا لجبان
جاءوكم من فوقكم وأتيتم ... من تحتهم ما أنتم سيان
جاؤوكم بالوحي لكن جئتم ... بنحاتة الأفكار والأذهان[1]

قال في القاموس[2]: نحته ينحته كيضربه وينصره ويعلمه براه والنحاته بالضم البراية.

۞۞۞

قالوا مشبهةٌ مجسمةٌ فلا ... تسمع مقال مجسم حيوان
والعنهم لعنا كبيرا واغزهم ... بعساكر التعطيل غير جبان

(١) معنى الأبيات: أن أهل الحديث وغيرهم ممن سلمت فطرهم، كما فطروا على الإقرار بعلو الله تعالى، فطروا على الإقرار بوجوده، وهذه ضرورات لا يمكن دفعها، ولا ينكرها أحد سلمت فطرته، أما أهل التعطيل فقد جحدوا هذه الضرورات لفساد فطرهم، وأصبحوا مرضى بداء التعطيل الذي هو طريق الخذلان، نعوذ بالله تعالى من ذلك.
فقام أحد هؤلاء الذين ترافقوا في السفر للبحث عن خالق هذه الأكوان فسأل أصحابه هؤلاء، فقال: من هؤلاء الذين جاءوا بأمر يملأ الآذان والقلوب روعة وجلالًا، فإن لهم علينا صوله لا يمكن أن يصولها ذو باطل، فإنها لا تكون إلا لصاحب حجة وبرهان، فهذه أقوالهم وحججهم يرسلونها علينا كالصواعق من غير جبن ولا خوف، وشتان بين كلامنا وكلامهم. انظر: شرح النونية لهراس (١/ ٧٦).
(٢) انظر: القاموس (١/ ١٦٨).

واحكم بسفك دمائهم وبحبسهم   أو لا فشردهم عن الأوطان
حذر صحابك منهم فهم أضل   من اليهود وعابدي الصلبان
واحذر تجادلهم بقال الله أو   قال الرسول فتنثني بهوان
أنى وهم أولى به قد أنفذوا   فيه قوى الأذهان والأبدان
فإذا ابتليت بهم فغالطهم على التـ   ـأويل للأخبار والقرآن
وكذاك غالطهم على التكذيب للـ   آحاد ذان لصحبنا أصلان
أوصى بها أشياخنا أشياخهم   فاحفظهما بيديك والأسنان
وإذا اجتمعت وهم بمشهد مجلس   فابدر بإيراد وشغل زمان
لا يملكوه عليك بالآثار والـ   أخبار والتفسير للفرقان
فتصير إن وافقت مثلهم وإن   عارضت زنديقا أخا كفران
وإذا سكت يقال هذا جاهل   فابدر ولو بالفشر والهذيان

الفشار الذي (د/٨٥ب) تستعمله العامة: بمعنى الهذيان ليس من كلام العرب قاله في القاموس[1].

۞۞۞

هذا الذي أوصى به أشياخنا   في سالف الأوقات والأزمان
فرجعت من سفري وقلت لصاحبي   ومطيتي قد آذنت بحران

قال في القاموس[2]: حرنت (ع/١٣١ب) الدابة كنصر وكرم حرانا بالكسر والضم فهي حرون: وهي التي إذا استدر جريها وقفت خاص بذوات الحافر.

۞۞۞

(١) انظر: القاموس (ص٥٨٧).
(٢) انظر: القاموس (ص١٥٣٤).

عَطِل ركابك واسترح من سيرها ... ما ثم شيءٌ غير ذي الأكوان

لو كان للأكوان ربٌ خالقٌ ... كان المجسمُ صاحب البرهان

أو كان رب بائن عن ذي الورى ... كان المجسم صاحب الإيمان

ولكان عند الناس أولى الخلق بالـ ... إسلام والإيمان والإحسان

ولكان هذا الحزب فوق رؤوسهم ... لم يختلف منهم عليه اثنان

أي لو كانت هذه الأقوال حقًّا وهي اعتقاد المجسمة بزعمهم لكانوا عند الله أولى بالإسلام والإيمان والإحسان، ولكان هذا الحزب فوق رؤوس الناس ولاجمعوا على أنهم أهل الحق ولم يختلف منهم اثنان.

فدع التكاليف التي حملتها ... واخلع عذارك وارم بالأرسان

خلع العذار كناية.

ما ثم فوق العرش من رب ولم ... يتكلم الرحمن بالقرآن

لو كان فوق العرش رب ناظر ... لزم التحيز وافتقار مكان

(د/ ١٨٦أ)

أي لو نقول بأن الله فوق العرش لزم أن يكون متحيزًا يكون له مكان.

لو كان ذا القرآن عين كلامه ... حرفا وصوتا كان ذا جثمان

فإذا انتفى هذا وهذا ما الذي ... يبقى على ذا النفي من إيمان

أي إذا نفوا علو الله سبحانه فوق عرشه ونفوا أن يكون هذا القرآن عين كلام الرب سبحانه فكيف بقاء الإيمان مع ذلك.

✿✿✿

فدع الحلال مع الحرام لأهله ... فهما السياج لهم على البستان

فاخرقه ثم ادخل ترى في ضمنه ... قد هيئت لك سائر الألوان

وتــرى بـهـا مـا لا يــراه محجب ... مــن كـل مـا تـهـوى بـه زوجـان

قال في القاموس[1]: سياج ككتاب الحائط وما أحيط به على شيء مثل النخل والكرم وقد سيج حائطه تسييجًا.

۞۞۞

واقـطـع علائـقـك الـتي قـد قيدت ... هــذا الــورى مـن سـالـف الأزمـان

لـتـصـير حــرا لـسـت تحـت أوامــر ... كــلا ولا نــهــي ولا فــرقــان

لكن جعلت حجاب نفسك إذ ترى ... فــوق الـسـمـا لـلـنـاس مــن ديــان (ع/ ١٣٢أ)

لـو قـلـت مـا فـوق الـسـمـاء مدبر ... والـعـرش نخـلـيـه مــن الـرحمـن

والله لـيـس مـكـلـمـا لـعـبـاده ... كــلا ولا مـتـكـلـمـا بـقـران

مـا قـال قـط ولا يـقـول ولا له ... قــول بــدا مــنــه إلى إنــســان

لحـلـلـت طـلـسـمـه وفــزت بكنزه ... وعـلـمـت أن الـنـاس في هـذيـان

قوله:

.... بدا منه ....

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في شرح عقيدة الأصفهاني[2]: «قد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به وأن كلامه تعالى غير مخلوق، وأنكروا على الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم في قولهم: إن كلامه تعالى (د/ ٨٦ب) مخلوق خلقه في غيره وأنه كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة فكلم جبريل بكلام خلقه في الهواء، واتفق أئمة السلف على أن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود».

(١) انظر: القاموس (ص٢٤٩).
(٢) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (ص٢٠).

قال: «ومعنى قولهم (منه بدأ...) أي هو المتكلم به لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم بأنه بدأ من بعض المخلوقات، وأنه سبحانه لم يقم به كلام».

قال: «ولم يُرِدْ السلف أنه كلام فارق ذاته؛ فإن الكلام وغيره من الصفات لا يفارق الموصوف، بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل إلى غيره فكيف صفة الخالق تفارقه وتنتقل إلى غيره؛ ولهذا قال الإمام أحمد كلام الله ليس بائن منه»[(١)].

قال شيخ الإسلام[(٢)]: «ومعنى قول السلف واليه يعود ما جاء في الآثار (أن القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية)[(٣)] وما جاءت به الآثار عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة والتابعين لهم بإحسان وغيرهم من أئمة المسلمين كالحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند وكتبه إلى المتوكل في رسالته التي أرسل بها إليه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه**» يعني القرآن. وفي لفظ: «**أحب إليه مما خرج منه**»[(٤)].

---

(١) أصول السنة للإمام أحمد (ص٤٩)، وانظر: مجموع الفتاوى(١٢/ ٢٤٨،٤٠، ٣٩٠).

(٢) انظر: العقيدة الأصفهانية (ص٢٠-٢١).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٣٣٥)، وعبدالرزاق في مصنفه (٣/ ٣٦٢)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٤١) وغيرهم من طريق عبد الرزاق عن الثوري عن أبيه عن المسيب بن رافع عن شداد بن معقل عن ابن مسعود.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٥٢): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة».

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٣٦)، وفي إسناده ليث بن أبي سليم. قال في التقريب (ص٨١٨): «صدوق اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فترك».

وقول أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سمع كلام مسيلمة: «إن هذا كلام لم يخرج من إل» أي من رب[1].

وقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما سمع قائلا يقول لميت لما وضع في لحده: (اللهم رب القرآن اغفر له فالتفت إليه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: مه القرآن كلام الله ليس بمربوب منه بدأ واليه يعود)[2].

وهذا الكلام معروف عن ابن (ع/١٣٣ب) عباس. وقول السلف: (القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود) كما استفاضت الآثار عنهم بذلك، كما هو منقول عنهم في الكتب المسطورة بالأسانيد المشهورة؛ لا يدل[3] شيء منها على أن الكلام يفارق المتكلم وينتقل إلى غيره، وإنما تدل على أن الله هو المتكلم بالقرآن ومنه

---

(١) ذكر ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨١) أنه لما قدم وفد بني حنيفة مسلمين، أمرهم أبو بكر الصديق أن يتلوا عليه شيئًا من قرآن مسيلمة الكذاب الذي هو غاية في الهذيان والركاكة فقال: «ويحكم أين تذهب عقولكم؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل».
لكن هذه القصة لم أقف لها على إسناد، وجميع من ذكرها من المفسرين والمؤرخين -وهم كثير- لم يذكروا لها إسنادًا، ويبدو أنها كانت قصةً مشهورةً من القصص الإخبارية التي تغني شهرتها عن ذكر إسنادها. وعزاها أبو عبيد في غريبه (١/ ١٠٠) إلى ابن إسحاق. وظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر كتبه أنها ثابتة.
انظر: بغية المرتاد (ص٤٨٦)، ومنهاج السنة (٤/ ٤٩١)، ومجموع الفتاوى (٣/ ١٧٥)، والجواب الصحيح (٦/ ٤٧٦).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٢/ ٢٣١).

(٣) في (ع، د) بعد كلمة «مشهورة» توجد كلمة قال شيخ الإسلام: «وهذه الروايات...» وهي عبارة مقحمة من الناسخ، والكلام متصل ببعضه؛ لأن قوله: «وقول السلف...» جوابه «لا يدل شيء منه...»، والتصحيح من شرح الأصبهانية التي ينقل عنها المؤلف.

سمع لا أنه خلقه في غيره كما (د/ ١٨٧أ) فسره بذلك الإمام أحمد وغيره من الأئمة، قال أبو بكر الخلال[1]: سئل الإمام أحمد عن قوله القرآن كلام الله منه خرج واليه يعود يعني ما قدمنا.

۞۞۞

قال الناظم:

لكن زعمت بأن ربك بائن ... من خلقه إذ قلت موجودان
وزعمت أن الله فوق العرش والـ ... ـكرسي حقا فوقه القدمان
وزعمت أن الله يسمع خلقه ... ويراهم من فوق ست ثمان
وزعمت أن كلامه منه بدا ... واليه يرجع آخر الأزمان
ووصفته بالسمع والبصر الذي ... لاينبغي إلا لذي الجثمان
ووصفته بإرادة وبقدرة ... وكراهة ومحبة وحنان
وزعمت أن الله يعلم كل ما في ... الكون من سر ومن إعلان
والعلم وصف زائد عن ذاته ... عرض يقوم بغير ذي جثمان
وزعمت أن الله كلم عبده ... موسى فأسمعه ندا الرحمن
افتسمع الآذان غير الحرف والـ ... ـصوت الذي خصت به الأذنان
وكذا النداء فانه صوت بإجـ ... ـماع النحاة واهل كل لسان
لكنه صوت رفيع وهو ضد ... للنجاء كلاهما صوتان
فزعمت أن الله ناداه ونا ... جاه وفي ذا الزعم محذوران
قرب المكان وبعده والصوت بل ... نوعاه محذوران ممتنعان

---

(١) أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي، المشهور بالخلال، جامع مذهب الإمام أحمد، له مصنفات مشهورة، مات سنة (٣١١هـ). انظر: السير (١٤/ ٢٩٧).

قوله:

ويـــراهـــم مـــن فـــوق ســـت ثمـــان

أي السماوات السبع والأرضين السبع.

قوله:

والـعـلـم وصـــف زائـــد عـــن ذاتـــه

لا خصوصية للعلم عن سائر الصفات، فإن مراد أهل الإثبات بقولهم: نحن نقول بإثبات صفات لله زائدة على ذاته، فحقيقة ذلك أنا نثبتها زائدة على ما أثبته النفاة من الذات، فإن النفاة (د/٨٧ب) اعتقدوا ثبوت ذات مجردة عن (ع/١٣٤أ) الصفات فقال أهل الإثبات: نحن نقول بإثبات صفات زائدة على ما أثبته هؤلاء.

وأما الذات نفسها الموجودة فتلك لا يتصور أن تتحقق بلا صفة أصلًا، بل هذا بمنزلة من قال: أثبت إنسانًا لا حيوانًا ولا ناطقًا ولا قائمًا بنفسه، ولا بغيره ولا له قدرة ولا حياة ولا حركة ولا سكون ونحو ذلك، أو قال: أثبت نخلة ليس لها ساق ولا جذع ولا ليف ولا غير ذلك، فإن هذا يثبت مالا حقيقة له في الخارج ولا يعقل(١).

---

(١) لم يقصد الناظم تخصيص العلم عن سائر الصفات، وإنما أراد التمثيل بالعلم، والرد على دعوى المعطلة من إثبات ذات مجردة عن الصفات، فإن أهل السنة يثبتون صفاتًا زائدة على ماأثبته هؤلاء.
ومعنى البيت: أن المعطلة لما قرروا قاعدتهم الباطلة: أن الصفات لاتقوم بغير جسم، والله تعالى ليس بجسم، فلا تقوم به الصفات، رد عليهم أهل السنة بنقض تلك القاعدة: بأن الأعراض قد تقوم بغير الأجسام كما لو قلت: علم كثير، وخلق فاضل، وذكاء حاد، وغيرها. فهذه أعراض قد قامت بغير جسم. فبطلت قاعدتكم أيها المعطلة، فقيام الصفات بالله تعالى لاينفيه العقل، ولايَرِدُ عليه دليلكم في نفي الصفات، فأجاب المعطلة بجواب ضعيف بقولهم: بأن هذا تناقض؛ لأنه لايتصور قيام الصفات به تعالى وهو ليس بجسم.
انظر: درء التعارض (٣/ ٢٠)، الكفية الشافية (١/ ١٤٨-١٤٩) ط. عالم الفوائد.

ولهذا كان السلف والأئمة يسمون نفاة الصفات معطلة؛ لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله[1]، وإن كانوا هم قد لا يعلمون أن قولهم مستلزم التعطيل، والله أعلم.

وهذا الركب الرابع الذي ذكر الناظم قولهم هو فيما يظهر الفخر الرازي والآمدي والشهرستاني والأثير الأبهري[2] ونحوهم، ممن خلط الكلام بالفلسفة؛ فإن لهم كلامًا يشبه ما ذكره الناظم خصوصا الفخر الرازي فإنه قال في كتاب أقسام اللذات[3] -لما ذكر أن هذا العلم أشرف العلوم وأنه ثلاث مقامات العلم بالذات والصفات والأفعال-: «وعلى كل مقام عقدة فعلم الذات عليه عقدة هل الوجود هو الماهية أو زائد على الماهية، وعلم الصفات عليه عقدة هل الصفات زائدة على الذات أم لا وعلم الأفعال عليه عقدة هل الفعل مقارن للذات أو متأخر عنها»، ثم قال: «ومن الذي وصل إلى هذا الباب أو ذاق من هذا الشراب ثم أنشد:

نهاية إقدام العقول عقال	وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا	وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا،

---

(١) يعني نفي وجوده.

(٢) المفضل بن عمر بن المضل الأبهري، حكيم منطقي فلكي، له تصانيف في المنطق، منها: «هداية الحكمة»، «تزيل الأفكار في تعديل الأسرار» وغيرها. مات سنة (٦٦٣هـ).
انظر: معجم المؤلفين (١٢/ ٣١٥).

(٣) ونقله ابن تيمية في درء التعارض (١/ ١٥٩)، وكتاب «أقسام اللذات» من الكتب المفقودة والتي أعلن فيها الرازي توبته، وقدذكر الدكتور محمد رشاد سالم في تحقيقه لكتاب «درء التعارض» بأن له نسخة وحيدة في الهند.

ولا تروي (د/١٨٨أ) غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[١].

وقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وكذلك[٢] غالطهم على التكذيب للآحاد.............................. إلخ

يشير إلى أن المخالفين للكتاب والسنة قد أعدوا لدفع الاستدلال (ع/١٣٥ب) بكتاب الله وسنة رسوله أصلين:

أحدهما: التأويل للآيات والأحاديث.

والثاني: دعوى أن الأحاديث الصحيحة في ذلك أخبار آحاد وهي لا تفيد العلم واليقين.

وللإمام القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في ذلك كتاب «إبطال التأويلات» مجلد[٣]، وكذا للشيخ الإمام أبي محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي كتاب« ذم التأويل» في جزء لطيف فارجع إليهما إن شئت[٤].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كلام له[٥]: «ولهذا اعترض عبد الجبار[٦]

---

(١) انظر: الفتوى الحموية (ص١٩٣).

(٢) (ع، د) «وكذابك» وهو تصحيف.

(٣) (ع، د) «التأويل»، وإبطال التأويلات مطبوع منه مجلدان.

(٤) ذم التأويل لابن قدامة، وهو مطبوع بتحقيق بدر البدر طبعته دار ابن الأثير في الكويت.

(٥) انظر: الصواعق (٣/ ١١٨٣).

(٦) القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني شيخ المعتزلة أبو الحسن من كبار فقهاء الشافعية وصاحب طبقات المعتزلة. مات سنة (٤١٥هـ). انظر: السير (١٧/ ٢٤٤).

وابن خطيب الري[١] على الحديث وجعلوه من الآحاد لما رأوا أحاديث تخالف العقل وهي في الأصل موضوعة» انتهى[٢].

وينبغي أن نتكلم هنا على أخبار الآحاد وأنها تفيد العلم، وله أدلة كثيرة ذكرها الناظم في كتاب «الصواعق»[٣]:

الأول: أن المسلمين لما أخبرهم العدل الواحد وهم بقباء في صلاة الصبح أن القبلة قد حولت إلى الكعبة قبلوا خبره وتركوا الجهة التي كانوا عليها واستداروا إلى القبلة ولم ينكر عليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل شكروا على ذلك[٤] وكانوا على أمر مقطوع به من القبلة الأولى فلولا حصول العلم لهم بخبر الواحد لم يتركوا المقطوع به المعلوم لخبر لا يفيد العلم وغاية ما يقال فيه أنه خبر أقترنه قرينه[٥]، وكثير منهم يقول لا يفيد العلم بقرينة ولا غيرها، وهذا في غاية المكابرة، ومعلوم أن قرينة تلقي الأمة له بالقبول وروايته قرنًا بعد قرن من غير نكير من أقوى القرائن (د/٨٨ب) وأظهرها فأي قرينة فرضتها كانت تلك أقوى منها.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾ [الحجرات:٦]،

---

(١) محمد بن عمر بن الحسن التميمي الشافعي، المعروف بالفخر الرازي، وابن خطيب الري، من كبار منظري المذهب الأشعري. مات سنة (٦٠٦هـ) معجم المؤلفين (١١/ ٧٩).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٥٢٨).

(٣) انظر: مختصر الصواعق (٤/ ١٥٣٤).

(٤) لفظ الحديث «بينما الناس في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أنزل عليه الليلة قرآنًا قد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة». أخرجه البخاري في كتاب الصلاة (١/ ١٤٦)، باب ما جاء في ومسلم في المساجد (١/ ٣٧٥) من حديث ابن عمر.

(٥) (د) «خبر قرينته قرينة».

وفي القراءة الأخرى (فتثبتوا) وهذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد لأنه يحتاج إلى التثبت ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم.

وأيضًا: فالسلف الصالح وأئمة الإسلام لم يزالوا يقولون: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذا وفعل كذا وأمر بكذا ونهى عن كذا وهذا معلوم في كلامهم بالضرورة.

وفي صحيح البخاري قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدة مواضع وكثير من أحاديث الصحابة يقول فيها أحدهم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما سمعه من صحابي غيره.

وهذه شهادة من القائل وجزم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما نسبه إليه من قول أو فعل فلو كان خبر الواحد لا يفيد العلم لكان شاهدًا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ع/ ١٣٦أ) بغير علم.

الثالث: أن أهل العلم بالحديث لم يزالوا يقولون صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك جزم منهم بأنه قاله.

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]، والطائفة تقع على الواحد فما فوقه فأخبر أن الطائفة تنذر قومهم إذا رجعوا إليهم فلو كان خبر الواحد لا يفيد العلم لكان ذلك الإنذار أمرًا بما لا فائدة فيه.

الخامس: قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، أي لا تتبعه ولا تعمل به ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقفون أخبار الآحاد ويعملون

بها ويثبتون لله تعالى بها الصفات فلو كانت لا تفيد علمًا لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الإسلام كلهم قد قفوا ما ليس لهم به علم.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:٧]، فأمر من لم يعلم أن يسأل أهل الذكر وهم (د/ ١٨٩) أولو الكتاب والعلم، ولولا أن أخبارهم تفيد العلم لم يأمر بسؤال من لا يفيد خبره علمًا، وهو سبحانه لم يقل سلوا عدد التواتر، بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقًا فلو كان واحدًا لكان سؤاله وجوابه كافيًا.

السابع: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧]، وقال: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤].

وقال النبي ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»(١)، وقال لأصحابه في الجمع الأعظم يوم عرفة: «**أنتم مسؤولون عني فماذا أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت(٢).

ومعلوم أن البلاغ هو الذي تقوم به الحجة على المبلغ ويحصل به العلم فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذي تقوم به حجة الله على العبد فإن الحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم.

وقد كان رسول الله ﷺ يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه فتقوم الحجة على من بلغه وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسنته ولو لم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجة ولا على من بلغه واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة أو دون عدد التواتر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٧٦) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٨٩٠).

وهذا من أبطل الباطل، فيلزم من قال إن أخبار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تفيد العلم (ع/١٣٧ب) أحد أمرين إما أن يقول إن الرسول لم يبلغ غير القرآن وما رواه عنه عدد التواتر وما سوى ذلك لم تقم به حجة ولا تبليغ وإما أن يقول إن الحجة والبلاغ حاصلان بما لا يوجب علمًا ولا يقتضي علمًا.

وإذا بطل هذان الأمران بطل القول بأن أخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي رواها الثقات العدول الحفاظ وتلقتها الأمة بالقبول لا تفيد علمًا وهذا ظاهر لاخفاء به.

الثامن: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقوله: ﴿وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٨].

وجه الاستدلال أنه تعالى أخبر أنه جعل هذه الأمة عدولًا خيارًا، ليشهدوا على الناس بأن رسلهم قد بلغوهم (د/ ٨٩ب) عن الله رسالته وأدوا عليهم ذلك، وهذا يتناول شهادتهم على الأمم الماضية وشهادتهم على أهل عصرهم، ومن بعدهم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرهم بكذا ونهاهم عن كذا فهم حجة الله على من خالف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزعم أنه لم يأتهم من الله ما تقوم به عليه الحجة، ويشهد كل واحد بانفراده بما وصل إليه من العلم الذي كان به من أهل الشهادة.

فلو كانت أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تفيد [العلم][1] لم يشهد الشاهد ولم تقم به الحجة على المشهود عليه.

التاسع: قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٦]، وهذه الأخبار التي رواها الثقات الحفاظ عن

---

(١) زيادة لابد منها.

رسول الله ﷺ إما أن تكون حقًّا وإما أن تكون باطلًا أو مشكوكًا فيها لا يدرى هل هي حق أو باطل، فإن كانت باطلًا أو مشكوكًا فيها وجب إطراحها وألا يلتفت إليها. وهذا انسلاخ من الإسلام بالكلية وإن كانت حقًّا فيجب الشهادة بها على البت أنها عن رسول الله ﷺ، وكان الشاهد بذلك شاهدًا بالحق، وهو يعلم صحة المشهود به.

العاشر: قول النبي ﷺ: «**على مثلها فاشهد وأشار إلى الشمس**»(١)، ولم تزل الصحابة والتابعون وأئمة الحديث يشهدون عليه ﷺ على القطع أنه قال كذا وأمر به ونهى عنه، وفعله لما بلغهم إياه الواحد والاثنان والثلاثة، فيقولون: قال رسول الله ﷺ كذا وحرم كذا وأباح كذا، وهذه شهادة جازمة يعلمون أن المشهود به (ع/١٣٨أ)، كالشمس في الوضوح ولا ريب أن كل من له التفات إلى سنة رسول الله ﷺ واعتناء بها يشهد شهادة جازمة أن المؤمنين يرون ربهم عيانًا يوم القيامة وأن قومًا من أهل التوحيد يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة، وأن الصراط حق وتكليم الله لعباده يوم القيامة كذلك، وأن الولاء لمن أعتق(٢) إلى غير أضعاف أضعاف (د/ ٩٠أ) ذلك، بل يشهد بكل خبر صحيح متلقى بالقبول لم ينكره أهل الحديث شهادة لا يشك فيها.

الحادي عشر: أن هؤلاء المنكرين لإفادة أخبار النبي ﷺ للعلم يشهدون شهادة جازمة قاطعة على أئمتهم بمذاهبهم وأقوالهم أنهم قالوا، و[لو]

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ١٥٦)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٨)، وغيرهم، من طريق محمد بن سليمان بن مسمول عن عبيد الله بن مسلمة بن هرم عن أبيه عن طاووس عن ابن عباس، وإسناده ضعيف جدًّا، محمد بن سليمان قال عنه البخاري: منكر الحديث، ورماه الحميدي بالكذب. انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي (٣/ ٤٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٦٤١) ومسلم في كتاب العتق (٢/ ١١٤٣) من حديث عائشة.

قيل لهم[1] إنها لم تصح عنهم لأنكروا ذلك غاية الإنكار وتعجبوا من جهل قائله ومعلوم أن تلك المذاهب لم يروها عنهم إلا الواحد والإثنان والثلاثة ونحوهم لم يروها عنهم عدد التواتر. وهذا معلوم يقينا، فكيف حصل لهم العلم الضروري أو المقارب للضروري بأن أئمتهم ومن قلدوهم دينهم أفتوا بكذا وذهبوا إلى كذا، ولم يحصل لهم العلم بما أخبر به أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وسائر الصحابة عن رسول الله ﷺ ولا بما رواه عنهم التابعون، وشاع في الأمة وذاع وتعددت طرقه وتنوعت، وكان حرصه عليه أعظم بكثير من حرص أولئك على أقوال متبوعهم إن هذا لهو العجب العجاب!!

الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، ووجه الاستدلال أن هذا أمر لكل مؤمن بلغته دعوة الرسول ﷺ إلى يوم القيامة ودعوته نوعان مواجهة ونوع بواسطة المبلغ وهو مأمور بإجابة الدعوتين في الحالتين وقد علم أن حياته في تلك الدعوة والاستجابة لها، ومن الممتنع أن يأمره الله تعالى بالإجابة لما لا يفيد علمًا أو يحييه بما لا يفيد علمًا أو يتوعده على ترك الاستجابة لما لا يفيد علمًا بأنه إن لم يفعل عاقبه وحال بينه وبين قلبه.

الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، وهذا يعم كل مخالف بلغه أمره ﷺ إلى يوم القيامة ولو كان ما بلغه لم يفد علمًا لما كان متعرضًا بمخالفة ما لا يفيد علمًا للفتنة والعذاب الأليم، فإن هذا إنما يكون بعد قيام الحجة القاطعة التي لا يبقى معها لمخالف أمره عذر (د/ ٩٠ب).

---

(١) (ع، د) «وقيل لهم» ولا يستقيم، والتصويب من مختصر الصواعق.

الرابع عشر: (ع/١٣٩ب) قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء:٥٩].

وجه الاستدلال أنه أمر أن يرد ما تنازع فيه المسلون إلى الله ورسوله والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته.

فلولا أن المردود إليه يفيد العلم وفصل النزاع لم يكن في الرد إليه فائدة، إذ كيف يرد حكم المتنازع فيه إلى ما لا يفيد علمًا البتة، ولا يدرى أحق هو أم باطل.

وهذا برهان قاطع بحمد الله، فلهذا قال من زعم أن أخبار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تفيد علمًا أنا نرد ما تنازعنا فيه إلى العقول والآراء والأقيسة فإنها تفيد العلم.

الخامس عشر: ما احتج به الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فإنه قال: أخبرنا سفيان عن عبد الملك بن عمير[1] عن [عبد الرحمن بن][2] عبد الله بن مسعود [عن أبيه][3] أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نضر الله عبدًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها، فرب حامل فقه إلى غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»[4].

(١) عبد الملك بن عمير القرشي أبو عمرو، يعرف بالقبطي. ثقة فصيح عالم، تغير حفظه وربما دلّس من الثالثة»، مات سنة (١٣٦هـ) أو نحوها. والتقريب (ص٦٢٤).

(٢) (ع، د) «أبيه» وهو خطأ، والتصويب من مسند الشافعي، وعبدالرحمن ابن الصحابي عبدالله بن مسعود المسعودي، صدوق اختلط قبل موته، ومن سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط، من السابعة. مات سنة (٦٠هـ) وقيل: غير ذلك. التقريب (ص٥٨٦).

(٣) ما بين معكوفتين ساقط من (ع، د)، والمثبت من مسند الشافعي.

(٤) أخرجه الشافعي في مسنده (ص٢٤٠) عن سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير به.

قال الشافعي[1]: «فلما ندب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها، أمر أن يؤديها ولو واحد دل على أنه لا يأمر من يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه؛ لأنه إنما يُؤدِّي عنه حلال يُؤتَى، وحرام يُجتنب، وحد يُقام، ومال يُؤخذ ويُعطى، ونصيحة في دينٍ ودنيا، ودل على أنه قد يحمل الفقه عن الفقيه يكون له حافظًا ولا يكون فيه فقيهًا[2]، وأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلزوم جماعة المسلمين مما يحتج به في أن إجماع المسلمين لازم» انتهى.

والمقصود أن خبر الواحد العدل لو لم يفد علمًا؛ لأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا يقبل من أدى إليه إلا من عدد التواتر الذي لا يحصل العلم إلا بخبرهم، ولم يدع للحامل المؤدي وإن كان واحدًا لأن ما حمله (د/ ١٩١) لا يفيد العلم، فلم يفعل ما يستحق الدعاء وحده إلا بانضمامه إلى أهل التواتر، وهذا خلاف ما اقتضاه الحديث، ومعلوم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما ندب إلى ذلك وحث عليه وأمر به لتقوم به الحجة على من أدى إليه فلو لم يفد العلم لم يكن فيه حجة.

السادس عشر: حديث أبي رافع[3] الصحيح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا الفين احدكم متكئًا على اريكته يأتيه الأمر من أمري يقول: لا ندري ما هذا بيننا وبينكم القرآن، الا واني أوتيت الكتاب ومثله معه»**[4].

---

(١) في الرسالة (ص٤٠٢).

(٢) في الأصل: «فقيه»، والمثبت من (د).

(٣) أبو رافع مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أقباط مصر، كان عبدًا للعباس فوهبه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما بَشّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسلام العباس أعتقه، شهد أُحدًا والخندق، وكان ذا علم وفضل، توفي في خلافة علي وقيل: توفي بالكوفة سنة أربعين. انظر: السير (٢/ ١٦).

(٤) هذا اللفظ مركب من حديثين:

الأول: ما رواه أبو رافع عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه». =

ووجه الاستدلال أن هذا نهي (ع/ ١٤٠أ) عام لكل من بلغه حديث صحيح عن رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يخالفه أو يقول لا أقبل إلا القرآن بل هو أمر لازم وفرض حتم بقبول أخباره وسننه وإعلام منه صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنها من الله أوحاها إليه، فلو لم تفد علمًا لقال من بلغته أنها أخبار آحاد لا تفيد علمًا فلا يلزمني قبول مالا علم لي بصحته والله تعالى لم يكلفني العلم بما لم أعلم صحته ولا اعتقاده بل هذا بعينه هو الذي حذر منه رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمته ونهاهم عنه، ولما علم أن في هذه الأمة من يقوله حذرهم منه؛ فإن القائل إن أخباره لاتفيد العلم هكذا يقول سواء لا ندري ما هذه الأحاديث، وكان سلف هؤلاء يقولون بيننا وبينكم القرآن وخلفهم يقولون بيننا وبينكم أدلة العقول وقد صرحوا بذلك وقالوا نقدم العقول على هذه الأحاديث آحادها ومتواترها ونقدم الأقيسة عليها.

السابع عشر: ما رواه مالك[(١)] عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة[(٢)] عن أنس بن مالك قال: كنت أسقي أبا عبيدة ابن الجراح وأبا طلحة الأنصاري[(٣)] وأُبي

= أخرجه أبو داود (٥/ ١٠-١٢) والشافعي في الأم (٧/ ١٥)، والحميدي في مسنده (١/ ٢٥٢) وغيرهم من طريق سفيان بن عيينة عن سالم أبي النضر عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه به، وحسنه البغوي. انظر: شرح السنة للبغوي (١/ ٢٠١).

الثاني: ما رواه المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه...» الحديث.

أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٨٠)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ١٣٧) وغيرهم.

من طريق يزيد بن هارون عن حريز بن عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي عن المقدام به. قال ابن المفلح في الآداب (٢/ ٢٩١): «إسناده جيد».

(١) في الموطأ (ص٦٠٩).

(٢) إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري الخزرجي البخاري المدني، الفقيه. مات إسحاق سنة(١٣٢هـ)، وقيل غير ذلك.انظر: السير (٦/ ٣٣).

(٣) زيد بن سهل بن الأسود الأنصارى، من كبار الصحابة، شهد بدرًا وما بعدها. مات سنة (٣٤هـ). التقريب (١/ ٢٢٣).

بن كعب شرابًا من فضيخ، فجاءهم آت فقال: إن الخمر قد حرمت، فقال أبو طلحة قم يا أنس إلى هذه الجرار فاكسرها فقمت إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتى كسرتها(١).

وجه الاستدلال أن أبا طلحة أقدم على قبول خبر التحريم حيث ثبت به التحريم (د/ ٩١ب) لما كان حلالًا وهو يمكنه أن يسمع من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفاها وأكد ذلك القبول بإتلاف الإناء وما فيه وهو مال، وما كان ليقدم على إتلاف المال بخبر من لا يفيد خبرة العلم ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جنبه فقام خبر ذلك الآتي عنده وعند من معه مقام السماع من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحيث لم يشكوا ولم يرتابوا في صدقه والمتكلفون يقولون إن مثل ذلك الخبر لا يفيد العلم لا بقرينة ولا بغير قرينة.

الثامن عشر: أن خبر الواحد لو لم يفد العلم لم يثبت به الصحابة التحليل والتحريم والإباحة والفروض ويجعل ذلك دينًا يدان به في الأرض إلى آخر الدهر فهذا الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ زاد في الفروض التي في القرآن فرض الجدة وجعله شريعة مستمرة إلى يوم القيامة بخبر محمد ابن مسلمة(٢).

والمغيرة بن شعبة(٣) فقط وجعل حكم ذلك الخبر في إثبات هذا الفرض حكم نص القرآن في إثبات فرض الأم(٤)، ثم اتفق الصحابة والمسلمون بعدهم على إثباته

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٢٦٧)، ومسلم (٣/ ١٥٧٠).

(٢) محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي، الأنصاري الأوسي، من نجباء الصحابة، شهد بدرًا والمشاهد. مات سنة (٤٣هـ). انظر: السير (٢/ ٣٦٩).

(٣) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر من كبار الصحابة، شهد بيعة الرضوان. مات سنة (٥٠هـ). انظر: السير للذهبي (٣/ ٢١).

(٤) لفظ الأثر: عن قبيصة بن ذويب قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال =

بخبر الواحد، وأثبت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخبر حمل (ع/١٤٢أ) بن مالك[١] دية الجنين وجعلها فرضًا لازمًا للأمة[٢] وأثبت ميراث المرأة من دية زوجها بخبر الضحاك بن سفيان الكلابي[٣] وحده[٤]، وصار ذلك شرعًا مستمرًا إلى يوم القيامة

=أبو بكر: «ما لك في كتاب الله شيء وما علمت لكِ في سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا، فأرجعي حتى أسأل الناس». فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطاها السدس. فقال أبو بكر: «هل معك غيرك؟» فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال: مثل ما قال المغيرة، فأنفذه أبو بكر...» بقية الأثر.

أخرجه البيهقي في الكبرى (٦/ ٢٣٤) من طريق أحمد بن محمد العنزي عن عثمان بن سعيد الدارمي عن مالك عن ابن شهاب عن عثمان بن إسحاق بن خرشة به، وإسناده صحيح، والعنزي هو أبو الحسن الطرائفي شيخ الحاكم وهو من الثقات.

(١) حمل بن مالك بن النابغة بن جابر الهذلي أبو مدركة، نزيل البصرة، ذكرة الحافظ في الإصابة ولم يؤرخ لوفاته، لكنه كان شهد خلافة عمر. انظر: الإصابة (١/ ٣٥٤).

(٢) أخرجه أبو دواد (٤/ ٦٩٨) وابن ماجة (٢/ ٨٨٢)، وأحمد في المسند (١/ ٤٥٥)، وغيرهم من طريق جريج عن عمرو بن دينار عن طاووس عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب ناشد الناس في الجنين فقام حمل بن مالك فقال: (كنت بين امرأتين فضربت إحداهما الأخرى فقتلتها وجنينها، فقضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه بغرة عبد أو أمة، وأن تقتل بها). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣٩٩): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وأصل القصة في مسلم (٣/ ١٣٠٩) يرويها أبو هريرة عن حمل.

(٣) قال في التقريب: (ص٤٥٧) «صحابي معروف، كان من عمّال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصدقات»، ولم أجد من أرّخ لوفاته.

(٤) وهو أن عمر بن الخطاب كان يقول الدية على العاقلة ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئًا حتى أخبره الضحاك بن سفيان: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب إليه: «أن ورِّث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها».

أخرجه الترمذي (٤/ ٢٧)، وأبو دواد (٣/ ١٢٩)، وابن ماجة (٢/ ٨٨٣)، وغيرهم،من طريق سفيان بن عينية عن الزهري عن سعيد بن المسيب، به. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح والعمل فيه عند أهل العلم». قال الهيثمي في المجمع (٤٠/ ٢٣٠): «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

وأثبت عثمان بن عفان شريعة عامة في سكنى المتوفى عنها بخبر فريعة بنت مالك[(١)] وحدها[(٢)].

وهذا أكثر من أن يذكر، بل هو إجماع معلوم منهم ولا يقال على هذا إنما يدل على العمل بخبر الواحد في الظنيات، ونحن لا ننكر ذلك لأنا قد قدمنا أنهم أجمعوا على قبوله والعمل بموجبه ولو جاز أن يكون كذبًا أو غلطًا في نفس الأمر لكانت الأمة مجمعة على قبول الخطأ والعمل به وهذا قدح في الدين والأمة.

التاسع عشر: أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يقبلون خبر الواحد ويقطعون بمضمونه فقبله موسى من الذي جاء من أقصى المدينة (د/ ١٩٢أ) قائلًا له: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص:٢٠]، فجزم بخبره وخرج هاربًا من المدينة وقبل خبر ابنة صاحب مدين لما قالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥]، وقبل خبر أبيها في قوله هذه ابنتي وتزوجها بخبره[(٣)]، وقبل يوسف الصديق خبر الرسول الذي جاءه من عند الملك وقال له: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ [يوسف:٥٠]، وقبل النبي ﷺ خبر الآحاد الذين كانوا يخبرونه بنقض عهد المعاهدين له وغزاهم بخبرهم واستباح

---

(١) فريعة بنت مالك بن سنان الأنصارية أخت أبي سعيد الخدري، صحابية، لها حديث، قضى به عثمان. التقريب (ص١٣٦٨).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٠/ ١٢٨) من طريق مالك عن سعد بن اسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة: أن فريعة بنت مالك جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة؛ فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا فقتلوه، فإنه لم يتركها في منزل بمكة ولا نفقة، فأُذن لها ابتداء، فلما ولت دعاها، وأعادت عليه القصة فقال: «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله». قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرًا، قالت: فلما كان عثمان بن عفان أرسل إليَّ فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به. وإسناده صحيح.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾.

دماءهم وأموالهم وسبى ذراريهم، ورسل الله صلواته وسلامه عليهم لم يرتبوا على تلك الأخبار أحكامها وهم يجوزون أن تكون كذبًا وغلطًا، وكذلك الأمة لم تثبت الشرائع العامة الكلية بأخبار الآحاد وهم يجوزون أن تكون كذبا على رسول الله ﷺ في نفس الأمر ولم يخبروا عن الرب تبارك وتعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله بما لا علم لهم به بل يجوز أن يكون كذبًا وخطأ في نفس الأمر هذا مما يقطع ببطلانه كل عالم مستبصر.

العشرون: أن خبر العدل الواحد المتلقى بالقبول لو لم يفد العلم لم تجز الشهادة على الله ورسوله بمضمونه ومن المعلوم المتيقن أن الأمة من عهد الصحابة إلى الآن لم تزل تشهد على الله وعلى رسوله بمضمون هذه الأخبار جازمين بالشهادة في تصانيفهم وخطابهم فيقولون شرع الله كذا وكذا على لسان رسوله ﷺ فلو لم يكونوا عالمين بصدق تلك الأخبار جازمين بها لكانوا قد شهدوا بغير علم وكانت شهادة زور، وقول[1] على الله ورسوله بغير علم، ولعمر الله هذا (ع/١٤٣أ) حقيقة قولهم وهم أولى بشهادة الزور من سادات الأمة وعلمائها.

قال أبو عمرو ابن الصلاح[2]: «وقد ذكر الحديث الصحيح المتلقى بالقبول المتفق على صحته، وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته والعلم اليقيني النظري واقع به خلافًا لقول (د/ ٩٢ب) من نفى ذلك محتجًا بأنه لا يفيد إلا الظن، وإنما تلقته الأمة بالقبول لأنه يجب عليهم العمل بالظن والظن قد يخطئ».

قال: «وقد كنت أميل إلى هذا وأحسبه قويًا، ثم بان لي المذهب الذي اخترناه

---

(١) (ع، د): «والقول»، وهو تصحيف.

(٢) في علوم الحديث له (ص٢٨).

هو الصحيح؛ لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطئ، والأمة في إجماعها معصومة من الخطأ ولهذا كان الإجماع المبني على الاجتهاد حجة مقطوعًا بها وأكثر إجماعات العلماء كذلك وهذه نكتة نفيسة نافعة» انتهى.

ونقل الناظم أيضًا[(١)] قال: «قال شيخ الإسلام ابن تيمية -وقد قسم الأخبار إلى تواتر وآحاد فقال بعد ذكر التواتر[(٢)]-:

وأما القسم الثاني من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه ولم يتواتر لفظه ولا معناه ولكن تلقته الأمة بالقبول عملًا به أو تصديقًا له كخبر عمر ابن الخطاب «**إنما الأعمال بالنيات...**»[(٣)]، وخبر ابن عمر «نهى عن بيع الولاء وهبته»[(٤)]، وخبر أنس «دخل مكة وعلى رأسه المغفر»[(٥)]، وكخبر أبي هريرة: «**لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها**»[(٦)]، وكقوله: «**يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب**»[(٧)]، وقوله: «**إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل**»[(٨)]، وقوله في المطلقة ثلاثًا: «**حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك**»[(٩)]، وقوله: «**لا يقبل الله**

---

(١) في مختصر الصواعق (٤/ ١٤٩٥). وانظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٠٧)، والمسودة لآل تيمية (ص٢١٦) (ص٢٢٠)، وفتح الباري (٤/ ٤٧٥).

(٢) المتواتر: هو ما رواه جمع عن جمع تحيل العادة تواطئهم على الكذب وأن يكون منتهى خبرهم الحس. انظر: التقريب لسنن البشير النذير للنووي (ص١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٢٠٨٨)، ومسلم في الإمارة (٣/ ١٥١٥).

(٤) أخرجه البخاري في العتق (٢/ ٧٦٤).

(٥) تمام الحديث: «فلما نزعه جاء رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: اقتلوه». أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢/ ٩٣٥).

(٦) أخرجه البخاري في النكاح (٢٧)، ومسلم في النكاح (٢/ ١٠٢٩).

(٧) أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ١٩١) بهذا اللفظ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وأصله في البخاري (٣/ ١٦٤٢)، مسلم (٢/ ١٠٦٨).

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الغسل (١/ ١١١)، باب إذا التقى الختانان، من حديث أبي هريرة.

(٩) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق (٤/ ١٧١٢).

صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»[١]، وقوله: «**إنما الولاء لمن أعتق»**[٢]، وقوله يعني ابن عمر: «فرض رسول الله ﷺ صدقه الفطر في رمضان على الصغير والكبير والذكر والأنثى»[٣].

وأمثال ذلك فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين[٤].

أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع، وأما الخلف فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة والمسألة منقولة في كتب الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية مثل السرخسي[٥] وأبي بكر الرازي[٦] من الحنفية[٧] والشيخ أبي (د/١٩٣) حامد وأبي الطيب والشيخ أبي إسحاق[٨] من الشافعية وابن خويز

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء (١/ ٧١).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١١٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة (١/ ٤٤٩)، مسلم (٢/ ٦٧٧).

(٤) كل حديث توفرت في إسناده شروط الصحة، فإنه يحكم بصحته ويجب العمل به، لكنه لا يفيد العلم وإنما يفيد العمل، وجميع أحاديث الآحاد التي لم تحتف بها القرائن المفيدة للعلم، تعتبر صحيحة بغالب الظن، ونحن متعبدون بالظن الغالب؛ لأنه من الظاهر الذي أمرنا بالأخذ به، والسبب في ذلك أن بعض أحاديث الآحاد قد تتوفر فيه شروط الصحة، لكنه معلول علة خفية لا يعرفها كل آحد.

(٥) محمد بن أحمد بن أبي بكر السرخسي شمس الأئمة متكلم فقيه أصولي مناظر من طبقة المجتهدين، من آثاره: المبسوط. انظر: معجم المؤلفين (٨/ ٢٣٩).

(٦) أحمد بن علي الرازي الحنفي أبو بكر عالم العراق، تفقه بأبي الحسن الكرخي، وكان صاحب حديث ورحله، ومصنفات. مات سنة (٣٧٠هـ).انظر: السير (١٦/ ٣٤٠).

(٧) انظر: أصول السرخسي (١/ ٥٢).

(٨) الذي نقل عن أبي اسحاق هو ما حكاه في التبصرة عن بعض المحدثين:أنه يفيد القطع في حديث مالك عن نافع عن ابن عمر، لكن حكى السهيلي عن بعض الشافعية أنه يفيد القطع بشرط =

منداد[(١)]، وغيره من المالكية[(٢)]، ومثل القاضي أبي يعلى[(٣)] وابن أبي موسى[(٤)] وأبي الخطاب وغيرهم من الحنبلية ومثل أبي إسحق الاسفراييني وابن فورك وأبي إسحاق النظام[(٥)] من المتكلمين.

وإنما نازع في ذلك طائفة (ع/١٤٣أ) كابن الباقلاني ومن تبعه مثل أبي المعالي والغزالي وابن عقيل. وقد ذكر أبو عمرو ابن الصلاح القول الأول وصححه واختاره، ولكنه لم يعلم كثرة القائلين به ليتقوى بهم وإنما قاله بموجب الحجة الصحيحة[(٦)].

=أن يكون في إسناده إمام. انظر: المنهج الحديث في علوم الحديث للشيخ محمد محمد السماحي (ص٥٩- قسم مصطلح الحديث).

(١) تحرفت في الأصل: «ابن خوار منداد»، وفي (د) «وابن خواز منداد»، وابن خويز منداد هو محمد ابن أحمد بن عبد الله المالكي العراقي من كبار المالكية مات سنة (٣٩٠هـ). من آثاره: كتاب كبير في الخلاف وآخر في أصول الفقه.
انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (٢/ ٥٢)، ومعجم المؤلفين (٨/ ٢٨٠).

(٢) الذي حكاه ابن الصباغ، وعزاه ابن خويز منداد لمالك أنه يفيد القطع، لكن تعقبه المازري في نسبته لمالك لعدم وجود نص. انظر: الأحكام لابن حزم (١/ ١٠٣-١١٢).

(٣) محمد بن الحسين بن محمد الفراء، البغدادي، الحنبلي، أبو يعلى، محدث، فقيه، أصولي مفسر. مات سنة (٤٥٨هـ). انظر: معجم المؤلفين (٩/ ٢٥٤).

(٤) محمد بن أحمد بن محمد الهاشمي أبو علي، قاضٍ حنبلي. مات سنة (٤٢٨هـ). من آثاره: «الإرشاد في المذهب»، و«شرح الخرقي». انظر: معجم المؤلفين (٩/ ١٣).

(٥) إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النظام، شيخ المعتزلة المتكلم المشهور، تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، وكان يقول: إن الله لا يقدر على الظلم، ولا على الشر، وقد كفَّره علماء عدة، وقيل: كان على دين البراهمة المنكرين للنبوة وكان يخفي ذلك. وله مصنفات عدة، من أشهرها: كتاب الطفرة، مات سنة بضع وعشرين ومئتين.
انظر: طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار (ص٤٩-٥٢)، والوافي بالوفيات (٦/ ١٤-١٩)، وسفينة البحار (٢/ ٥٩٧)، ومعجم المصنفين (٣/ ١٥٨-١٦١).

(٦) علوم الحديث لابن الصلاح (ص٢٨).

وظن من اعترض عليه من المشايخ الذين لهم علم ودين وليس لهم بهذا الباب خبرة تامة أن هذا الذي قاله الشيخ أبو عمرو انفرد به عن الجمهور وعذرهم أنهم يرجعون في هذه المسائل إلى ما يجدونه من كلام ابن الحاجب وإن ارتقوا درجة صعدوا إلى السيف الآمدي وإلى ابن الخطيب فإن علا سندهم صعدوا إلى الغزالي والجويني والباقلاني».

قال[١]: «وجميع أهل الحديث على ما ذكره الشيخ أبو عمرو والحجة على قول الجمهور أن تلقي الأمة للخبر تصديقًا وعملًا إجماع منهم، والأمة لا تجتمع على ضلالة كما لو اجتمعت على موجب عموم أو مطلق أو اسم حقيقة أو على موجب قياس، فإنها لا تجتمع على خطأ، وإن كان الواحد منهم لو جرد النظر إليه لم يؤمن عليه الخطأ فإن العصمة ثبتت بالسنة الإجماعية كما أن خبر التواتر يجوز الخطأ والكذب على واحد من المخبرين بمفرد، ولا يجوز على المجموع والأمة معصومة من الخطأ في روايتها ورأيها ورؤياها كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أرى رؤياكم قد تواطأت على أنها في العشر الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر»**[٢]. فجعل تواطأ الرؤيا دليلاً على صحتها والآحاد في هذا الباب قد يكون ظنونًا بشروطها، فإذا قويت صارت علومًا (د/٩٣ب) وإذا ضعفت صارت أوهامًا وخيالات فاسدة».

قال: «وأيضًا، فلا يجوز أن يكون في نفس الأمر كذبًا على الله ورسوله وليس في الأمة من ينكره إذ هو خلاف ما وصفهم الله تعالى به.

---

(١) يعني شيخ الإسلام.انظر: مختصر الصواعق (٤/ ١٤٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٤٥) في التهجد.

فإن قيل: أما الجزم بصدقه فلا يمكن منهم وأما العمل به فهو الواجب عليهم وإن لم يكن صحيحًا في الباطن وهذا سؤال ابن الباقلاني.

قلنا: وأما الجزم بصدقه فإنه قد يحتف به من القرائن ما يوجب العلم إذ القرائن المجردة قد تفيد العلم بمضمونها فكيف إذا احتفت بالخبر والمنازع بني على هذا أصله الواهي أن العلم بمجرد الأخبار لا يحصل إلا من جهة العدد فلزمه أن يقول ما دون العدد لا يفيد أصلًا وهذا غلط خالفه فيه حذاق أتباعه وأما العمل به فلو جاز أن يكون في الباطن كذبا وقد وجب علينا العمل به لا نعقد الإجماع على ما هو كذب وخطأ في نفس الأمر، وهذا باطل (ع/ ١٤٤أ) فإذا كان تلقي الأمة له بالقبول يدل على صدقه لأنه إجماع منهم على أنه صدق مقبول بإجماع السلف والصحابة أولى أن يدل على صدقه فإنه لا يمكن أحد أن يدعي إجماع الأمة إلا فيما أجمع عليه سلفها من الصحابة والتابعين وأما بعد ذلك فقد انتشرت انتشارًا لا تضبط أقوال جميعها».

قال[(١)]: «واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب كما ذكر الشيخ أبو عمرو ومن قبله العلماء كالحافظ أبي طاهر السلفي[(٢)] وغيره فإنما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم مفيد لليقين ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين فإن الاعتبار في الإجماع على كل أمر من الأمور الدينية على أهل العلم به دون غيرهم كما لم يعتبر على الإجماع في الأحكام الشرعية إلا العلماء بها دون المتكلمين والنحاة والأطباء.

---

(١) لايزال الكلام لشيخ الإسلام. انظر: مختصر الصواعق (٤/ ١٥٠١).

(٢) أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني، إمام حافظ مات سنة (٥٧٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥).

وكذلك لا يعتبر في الإجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل[1] العلم (د/ ١٩٤) بالحديث وطرقه وعلله وهم علماء أهل الحديث العالمون بأحوال نبيهم الضابطون لأقواله وأفعاله المعتنون بها أشد من عناية المقلدين بأقوال متبوعهم، فكما أن العلم بالتواتر ينقسم إلى عام وخاص فيتواتر عند الخاصة مالا يكون معلوما لغيرهم فضلا أن يتواتر عندهم فأهل الحديث لشدة عنايتهم بسنة نبيهم وضبطهم لأقواله وأفعاله وأحواله يعلمون من ذلك علمًا لا يشكون فيه مما لا شعور لغيرهم به البتة.

فخبر أبي بكر وعمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وابن مسعود ونحوهم يفيد العلم الجازم الذي يلتحق عندهم بقسم الضروريات وعند الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل الكلام لا يفيد علمًا وكذلك يعلمون بالضرورة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة[2] وعند الجهمية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل ذلك ويعلمون بالضرورة أن نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر عن خروج قوم من النار بالشفاعة[3] وعند المعتزلة والخوارج لم يقل ذلك.

وبالجملة فهم جازمون بأكثر الأحاديث الصحيحة قاطعون بصحتها عنه وغيرهم لا علم عنده بذلك والمقصود أن هذا القسم من الأخبار يوجب العلم عند جمهور العقلاء»[4] انتهى.

---

(١) في الأصل «الأهل».
(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٨٤)، ومسلم (١/ ٤٣٩).
(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١٠/ ١٩١)، والإيمان لابن منده (٢/ ٨٢٧)، والسنة لابن أبي عاصم (١/ ٥٧٤).
(٤) انظر: مختصر الصواعق (٤/ ١٥٠٣).

وقد أطال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الكلام في هذا المقام وأكثر النقول عن العلماء في أن أخبار الآحاد تفيد العلم واليقين ولكن تركناه اختصارًا وفيما ذكرناه كفاية والله أعلم(١).

وقول (ع/١٤٥ب) الناظم:

وزعمت أن الله كلم عبده	موسى فأسمعه ندا الرحمن
أفتسمع الآذان غير الحرف والصـ	ـوت الذي خصت به الأذنان
وكذا النداء فإنه صوت باجـ	ـماع النحاة وأهل كل لسان
لكنه صوت رفيع وهو ضد	للنجاء كلاهما صوتان
فزعمت أن الله ناداه ونا	جاه وفي ذا الزعم محذوران
قرب المكان وبعده والصوت بل	نوعاه محذوران ممتنعان(٢)

هذا إشارة إلى الرد على القائلين بالكلام النفسي والمعنى المجرد.

قال شيخ الإسلام(٣): «فقول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم:٥٢]، ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه:١١-١٣] الآيات (د/٩٤ب) دليل على تكليم يسمعه موسى.

والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة ومن قال إنه يسمع فهو مكابر ودل الدليل

---

(١) يفهم من كلام المؤلف أن ابن القيم يرى أن أخبار الآحاد إذا صحت أفادت العلم مطلقًا، والصحيح أن الإجماع على العمل، ولا تفيد العلم إلا إذا احتفت بها القرائن.

(٢) في هامش الأصل بخط المؤلف: «بلغ قراءة على المؤلف عفى الله عنه».

(٣) كما في مجموع الفتاوى (١٢/ ١٣٠).

على أنه ناداه والنداء لا يكون إلا صوتًا مسموعًا فلا يعقل في لغة العرب لفظ النداء بغير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجازًا» انتهى.

وقال الإمام موفق الدين بن قدامة -في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤]، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ [مريم:٥٢]، وقال تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات:١٦]-: «أجمعنا على أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سمع كلام الله تعالى من الله لا من شجرة ولا من حجر، ولا من غيره؛ لأنه لو سمع من غير الله تعالى، لكان بنو إسرائيل أفضل في ذلك منه؛لأنهم سمعوا من أفضل ممن سمع منه موسى لكونهم سمعوا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو على زعمهم إنما سمع من الشجرة.

ثم يقال لهم: لم سمي موسى كليم الله وإذا ثبت أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما سمع من الله عَزَّ وَجَلَّ لم يجز أن يكون الكلام الذي سمعه إلا صوتًا وحرفًا فإنه لو كان معنى في النفس وفكرة ورؤية لم يكن ذلك تكليمًا لموسى ولا هو شيء يسمع والفكر لا يسمى مناداة.

فإن قالوا: نحن لا نسميه صوتًا مع كونه مسموعًا.

قلنا: هذا مخالفة في اللفظ مع الموافقة في المعنى فإنه لا يعنى بالصوت إلا ما كان مسموعًا ثم إن لفظ الصوت قد صحت به الأخبار».

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري(١): «ومن نفى(٢) الصوت يلزمه أن الله تعالى لم يسمع أحدًا من ملائكته ولا رسله كلامه بل ألهمهم إياه إلهامًا».

---

(١) انظر: الفتح (١٣/ ٤٥٨).

(٢) في الفتح: «ينفي».

قال: «وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين لأنها التي عهدت ذات مخارج كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة، ولئن سلم فيمنع القياس المذكور؛ لأن صفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوقين وحيث ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الإيمان به.

وقال ابن حجر -أيضًا- في موضع آخر من شرح البخاري[1]: «قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ع/١٤٦أ): «**ثم يناديهم بصوت يسمعه** (د/٩٥أ) **من بعد كما يسمعه من قرب**» حمله بعض الأئمة على مجاز الحذف، أي يأمر من ينادي فاستبعده بعض من أثبت الصوت لأن في قوله يسمعه من بعد إشارة إلى أنه ليس من المخلوقات؛ لأنه لم يعهد مثل هذا فيهم وبأن الملائكة إذا سمعوه صعقوا وإذا سمع بعضها بعضًا لم يصعقوا».

قال: «فعلى هذا صوته صفة من صفات ذاته ليس يشبه صوت غيره إذ ليس يوجد شيء من صفات المخلوقين قال وهكذا قرره المصنف يعني الإمام البخاري في كتاب خلق أفعال العباد» انتهى.

ومن الأحاديث في إثبات الصوت:

ما رواه جابر بن عبدالله قال خرجت إلى الشام إلى عبدالله بن أنيس الأنصاري[2] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال عبدالله بن أنيس سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يحشر الله العباد الناس وأومأ بيده إلى الشام حفاة عراة غرلًا بهما قال ليس معهم شيء قال فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد**

---

(١) انظر: الفتح (١٣/ ٤٦٥).

(٢) عبد الله بن أنيس الجهني ثم الأنصاري، شهد أحدًا وما بعدها، وكان يكنى أبا يحيى، توفي سنة أربع وخمسين. انظر: الاصابة (٢/ ٥٤)

من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة» قلنا: كيف وإنما نأتي حفاة عراة غرلًا؟ قال: **«بالحسنات والسيئات»**(١).

أخرج أصله البخاري تعليقًا مستشهدًا به إلى قوله: «أنا الملك أنا الديان» وأخرجه الإمام أحمد(٢) وأبو يعلى الموصلي(٣) والطبراني(٤) وأخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي(٥) بسنده إلى جابر ابن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «بلغني أن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثًا في القصاص وكان صاحب الحديث بمصر، فاشتريت بعيرًا فشددت عليه رحلًا، وسرت حتى وردت مصر، فمضيت إلى باب الرجل الذي بلغني عنه الحديث فقرعت بابه فخرج الي مملوكه فنظر في وجهي ولم يكلمني، فدخل إلى سيده فقال أعرابي. فقال: سله من أنت فقال جابر بن عبدالله الأنصاري فخرج الي مولاه فلما (د/ ٩٥ب) تراءينا اعتنق أحدنا بصاحبه، فقال: يا جابر ما جئت تعرف فقلت حديث بلغني عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القصاص ولا تظنن أن أحدًا ممن مضى وممن بقي أحفظ له منك.

---

(١) إسناده حسن، وأما الرواية التالية فهي شاذة فيما يظهر لي، والحمل فيها على عبد الرحمن بن ثوبان. قال عنه في التقريب (ص٥٧٢): «صدوق يخطئ تغير بأخره». والمعروف أن عبد الله بن أنيس سكن الشام بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحديث القصاص لم يأخذه جابر إلا عن عبد الله بن أنيس، والله أعلم.

(٢) في المسند (٣/ ٦٥١).

(٣) الذي في مسند أبي يعلى (٤/ ٤٥٢) عن ابن عباس قال: قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الناس فوعظهم فقال: «أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلًا...» وذكر الحديث وهو بمعناه.

(٤) في مسند الشاميين (١/ ١٠٥).

(٥) في المختارة (٩/ ٢٦).

قال: نعم يا جابر سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن الله تعالى يبعثكم يوم القيامة من قبوركم حفاة عراة غرلًا بهمًا ثم ينادي بصوت رفيع غير فظيع يسمعه من بعد كمن قرب أنا الديان لا تظالم اليوم أما وعزتي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم (ع/١٤٧ب) **ولو لطمة بكف أو يد على يد إلا وإن أشد ما أتخوف على أمتي من بعدي عمل قوم لوط فلترتقب أمتي العذاب إذا تكافأ النساء بالنساء والرجال بالرجال»**[(١)].

وقد رواه عبد الحق الإشبيلي[(٢)] من طريق الحارث بن أبي أسامة[(٣)] ومن مسنده نقله.

وخرَّجه علي بن عبد العزيز البغوي الملكي[(٤)] وغيره وفيه: فابتعت بعيرًا فشددت عليه رحلي ثم سرت إليه فسرت شهرًا حتى قدمت الشام فإذا عبدالله بن أنيس الأنصاري فأتيت منزله فأرسلت إليه أن جابرًا على الباب.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي الإشبيلي المعروف بابن الخراط إمام حافظ، مات سنة (٥٨١هـ). من آثاره: «الأحكام الصغرى»، و«الأحكام الوسطى». انظر: السير (٢١/ ١٩٨).

(٣) الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي، صاحب المسند المشهور، ضعفه الأزدي وابن حزم، ولا يلتفت إلى تضعيفهما، فإن الأول ضعيف، والثاني مجازف، ولعل ذنبه أنه يأخذ الأجر على التحديث، والظاهر أنه كان محتاجًا ولا ضير، وقد وثقه إبراهيم الحربي، وقال الدارقطني صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال الذهبي: لا بأس بالرجل وأحاديثه على الاستقامة. وقال الحافظ بن حجر: «كان حافظًا عارفًا بالحديث عالي الإسناد بالمرة، تكلم فيه بلا حجة». مات سنة (٢٨٢هـ).
انظر: السير (١٣/ ٣٨٨)، واللسان (٢/ ٢٨٦).

(٤) (ع، د) و(لوامع الأنوار): «علي بن معبد» وهو تحريف. وعلي بن عبد العزيز هو: ابن المرزبان ابن سابور البغوي، أبو الحسن، محدث حافظ مات سنة (٢٨٧هـ). من آثاره: «المسند المنتخب». أما علي بن معبد الذي ذكره الشارح إنما هو الرقي لا البغوي وقد وقفت على الحديث في تهذيب =

فرجع الرسول إلي فقال: جابر بن عبدالله قلت: نعم، فرجع إليه فخرج فاعتنقته فقلت: حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المظالم لم أسمعه قال سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يحشر الله العباد أو قال الناس..**» الحديث[1].

وفي حديث ابن مسعود قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فإذا جاءهم جبريل فُزِّع عن قلوبهم فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ قال: فيقول الحق فينادون الحق الحق**».

أخرجه أبو داود ورجاله ثقات[2] ونحوه من حديث أبي هريرة رواه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجة[3].

=الكمال، وساقه المزي بإسناده عن أبي القاسم الطبراني عن علي بن عبد العزيز عن أبي الوليد الطيالسي به، هكذا مهملًا، ولما رجعت إلى ترجمة الطبراني في السير وجدت أن الذهبي ذكر عليًّا ابن عبد العزيز البغوي في شيوخ الطبراني، فتبين أن الشارح وهم في ذكر علي بن معبد وإنما هو علي بن عبد العزيز، مات الأخير سنة (٢١٨هـ).

انظر: تهذيب الكمال للمزي (٢٣/ ٣٩٣)، والسير (١٠/ ٦٣١) (١٣/ ٣٤٨).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٦٥١)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٣٣٧) والخطيب في الرحلة (ص١١٠) من طرق عن عبدالله بن محمد بن عقل أنه سمع جابرًا، به وحسنه الحافظ في الفتح (١/ ٢٠٩)، وصححه الحاكم (٢/ ٤٧٥) ولم يتعقبه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو دواد في كتاب السنة من السنن (٥/ ١٠٦)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٥١)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٢٤) عن أبي معاوية عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... فذكره». وإسناده على شرط الشيخين.

وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٥٤) من طريق آخر عن عبد الله من قوله، وهو أصح من الأول، وله شاهد عن أبي هريرة ـ كما ذكر ذلك الشارح على ما سيأتي من كلامه. انظر: السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٨٢-٢٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (٤/ ٢٣٣٥).

وكذا رواه الإمام أحمد وابنه عبدالله[١] وقال: «سألت أبي، فقلت: يا أبي (د/١٩٦أ) الجهمية يزعمون أن الله لا يتكلم بصوت؟ فقال:كذبوا إنما يدورون على التعطيل»[٢].

وروى الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال: «**إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء**»[٣].

قال السجزي[٤]: «وما في رواة هذا الخبر إلا إمام مقبول[٥]، وتتمة الخبر [فيخرون سجدًا حتى إذا فزع عن قلوبهم قال سكن عن قلوبهم قال أهل السماء ماذا قال ربكم قالوا الحق قال كذا وكذا].

قال القاضي أبو الحسين[٦] وغيره: «ومثل هذا لا يقوله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا توقيفًا؛ لأنه إثبات صفة للذات»[٧] انتهى.

وقد روي في إثبات الحرف والصوت أحاديث تزيد على أربعين حديثًا بعضها صحاح وبعضها حسان ويحتج بها أخرجها الإمام الحافظ ضياء الدين المقدسي وغيره.

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة له (١/ ٢٨١).

(٢) لم أجده في كتاب السنة المطبوع، وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - كما في مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦٨) - وعزاه الى كتاب السنة لعبد الله مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) أخرجه عبدالله في السنة (١/ ٢٨٢) من طريق عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن جزء بن جابر الخثعمي عن كعب عن عبد الله بن عباس لا عن ابن مسعود.

(٤) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص١٦٧).

(٥) انظر: المناظرة في القرآن لعبد الله بن أحمد المقدسي (ص٤٢)، وتحريم النظر في علم الكلام لموفق الدين ابن قدامة (ص٦١).

(٦) يعني ابن أبي يعلي بن الفراء، سبق.

(٧) شرح الكوكب للفتوحي (٢/ ٦٩)،التحبير شرح التحرير للمرداوي (٣/ ١٣٣٣).

وأخرج الإمام أحمد غالبها واحتج به وأخرج الحافظ ابن حجر غالبها أيضًا في شرح البخاري واحتج به البخاري وغيره من أئمة الحديث على أن الحق جل شأنه يتكلم بحرف وصوت.

وقد صححوا هذا الأصل، واعتقدوه، واعتمدوا على ذلك (ع/١٤٨أ)، منزهين الله تعالى عما لا يليق بجلاله من شبهات الحدوث[1] وسمات النقص كما قالوا في سائر الصفات.

[و] قد دونوا هذه الصفات وعملوا بها ودانوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها وصرحوا بأن الله تعالى تكلم بحرف وصوت لا يشبهان صوت مخلوق ولا حرفه بوجه البتة، معتمدين على ما صح عندهم عن صاحب الشريعة المعصوم في أقواله وأفعاله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى مع اعتقادهم الجازم الذي لا يعتريه شك ولا وهم ولا خيال نفي التشبيه والتمثيل والتحريف والتعطيل.

بل يقولون في صفة الكلام كما يقولون في سائر الصفات إثباتًا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل كما عليه سلف الأمة وفحول الأئمة فهو حق اليقين وما بعد الحق إلا الضلال (د/٩٦ب).

فإذا رأينا أحدًا من الناس ممن لا يقدر عشر معشار هؤلاء [خالف في ذلك فلا عبرة به][2].

❁❁❁

---

(١) في هامش (ع) بخط مغاير لخط المؤلف العبارة التالية: «لو قال صفات الحدوث لكان أولى».

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة لا بد منها، ومن قوله «فإذا رأينا...» إلى هنا كانت في الأصل بعد قوله: «...كما يقولون في سائر الصفات»؛ ولكن بعد التأمل في العبارة رأى شيخنا أن هذا مكانها وأنها مقحمة في الموضع السابق؛ لأن ما قبلها يستقيم مع ما بعدها، وهو سهو من الناسخ لا من المؤلف. والله أعلم.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وزعمت أن محمدًا أسْرى به ... ليلاً إليه فهو منه دان
وزعمت أن محمدًا يوم اللقا ... يدنيه رب العرش بالرضوان
حتى يرى المختار حقا قاعدا ... معه على العرش الرفيع الشان
وزعمت أن لعرشه أطا به ... كالرحل أط براكب عجلان
وزعمت أن الله أبدى بعضه ... للطور حتى عاد كالكثبان
لما تجلى يوم تكليم الرضى ... موسى الكليم مكلم الرحمن
وزعمت للمعبود وجها باقيا ... وله يمين بل زعمت يدان
وزعمت أن يديه للسبع العلى ... والأرض يوم الحشر قابضتان
وزعمت أن يمينه ملأى من الـ ... ـخيرات ما غاضت على الأزمان
وزعمت أن العدل في الأخرى بها ... رفع وخفض وهو بالميزان
وزعمت أن الخلق طرا عنده ... يهتز فوق أصابع الرحمن
وزعمت أيضًا ان قلب العبد ما ... بين اثنتين من الأصابع عان
وزعمت أن الله يضحك عندما ... يتقابل الصفان يقتتلان
من عبده يأتي فيبدي نحره ... لعدوه طلبا لنيل جنان
وكذاك يضحك عندما يثب الفتى ... من فرشه لتلاوة القرآن
وكذاك يضحك من قنوط عباده ... إذ أجدبوا والغيث منهم دان
وزعمت أن الله يرضى عن أولي الـ ... ـحسنى ويغضب من أولي العصياني
وزعمت أن الله يسمع صوته ... يوم المعاد بعيدهم والداني
لما يناديهم أنا الديان لا ... ظلم لدي فيسمع الثقلان
وزعمت أن الله يشرق نوره ... في الأرض يوم الفصل والميزان

وزعمت أن الله يكشف ساقه ... فيخر ذاك الجمع للأذقان
وزعمت أن الله يبسط كفه ... لمسيئنا ليتوب من عصيان
وزعمت ان يمينه تطوي السما ... طي السجل على كتاب بيان
وزعمت ان الله ينزل في الدجى ... في ثلث ليل آخر أو ثان
فيقول هل من سائل فأجيبه ... فأنا القريب أجيب من ناداني
وزعمت أن له نزولا ثانيًا ... يوم القيامة للقضاء الثاني
وزعمت أن الله يبدو جهرة ... لعباده حتى يرى بعيان
بل يسمعون كلامه ويرونه ... فالمقلتان إليه ناظرتان
وزعمت أن لربنا قدما وأن ... الله واضعها على النيران
فهناك يدنو بعضها من بعضها ... وتقول قط قط حاجتي وكفاني
وزعمت أن الناس يوم مزيدهم ... كلٌّ يحاضر ربه ويداني
بالحاء مع ضاد وجامع صادها ... وجهان في ذا اللفظ محفوظان
في الترمذي ومسند وسواهما ... من كتب تجسيم بلا كتمان
ووصفته بصفات حي فاعل ... بالاختيار وذانك الأصلان
أصل التفرق بين هذا الخلق في الباري ... فكن في النفي غير جبان
أو لا فلا تلعب بدينك ناقضا ... نفيا بإثبات بلا فرقان
فالناس بين معطل أو مثبت ... أو ثالث متناقض صنعان
والله لست برابع لهم بلى ... إما حمارا أو من الثيران
فاسمح بانكار الجميع ولا تكن ... متناقضا رجلاً له وجهان
أولا ففرق بين ما أثبتته ... ونفيته بالنص والبرهان
فالباب باب واحد في النفي والـ ... إثبات في عقل وفي ميزان

فمتى أقر ببعض ذلك مثبت ... لزم الجميع أو ائت بالفرقان
ومتى نفى شيئًا وأثبت مثله ... فمجسم متناقض ديصان
فذروا المراء وصرحوا بمذاهب ... القدماء وانسلخوا من الإيمان

قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

وزعمت أن محمد أَسْرَىٰ به ... . إلخ

تقدم الكلام (ع/ ١٥٠أ) في الإسراء بما يغني (د/ ٩٧ب) عن الإعادة.

قوله:

وزعمت أن محمدًا يوم اللقا ... يدنيه رب العرش بالرضوان

...إلخ.

ذكر الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتاب العلو[1] قال: «أخبرنا إسماعيل بن عبد الرحمن بن عمرو[2] أنبأنا عبد الله بن أحمد الفقيه[3] أنبأ ابن البطي[4] أنبأ ابن خيرون[5] أنبأ أبو علي ابن شاذان[6] أنبأنا أبو سهل القطان[7] ثنا عبد الكريم الدير

---

(١) انظر: العلو (ص١٢٤)، ط. أضواء السلف بتحقيق أشرف عبد المقصود.
(٢) في الأصل و(د): «ابن المبارك» وهو تصحيف، والمقصود به المرداوي الحنبلي المعروف بابن الفراء، قال ابن مفلح: «العدل الجليل، المسند الصالح». مات سنة (٧٠٠هـ). انظر: العبر (٥/ ٤١٠)، والمقصد الأرشد (١/ ٢٦٦).
(٣) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي الحنبلي وكان ثقة حافظًا ذكيًا. مات سنة (٦٤٣هـ). انظر: طبقات الحفاظ (١/ ١٠٥).
(٤) محمد بن عبد الباقي بن أحمد البغدادي،مات سنة (٥٦٤هـ). السير (٢٠/ ٤٨١).
(٥) أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون البغدادي المقرئ، قال السمعاني: «ثقة عدل متقن واسع الرواية». مات سنة (٤٨٨هـ). انظر: السير (١٩/ ١٠٥).
(٦) الحسن بن أبي بكر أحمد شاذان البزاز. مات سنة (٤٢٥هـ). انظر: السير (١٧/ ٤١٥).
(٧) أحمد بن محمد بن عبد الله القطان البغدادي، وثقه الذهبي. مات سنة (٣٣٥هـ). انظر: السير (١٥/ ٥٢١).

عاقولي[1] ثنا يحيى بن عبد الحميد وغيره قالوا: أنبأنا ابن فضيل[2] عن ليث عن مجاهد: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] قال: «يجلسه، أو يقعده على العرش» لهذا القول طرق خمسة.

وأخرجه ابن جرير في تفسيره[3] وعمل فيه المروذي مصنفًا[4] ثم قال الذهبي بعد ذلك[5]: «فأما قضية قعود نبينا على العرش فلم يثبت في ذلك نص بل في الباب حديث واهٍ، وما فسر به مجاهد الآية كما ذكرناه، فقد أنكره بعض أهل الكلام، فقام المروذي وقعد وبالغ في الانتصار لذلك، وجمع فيه كتابًا، وطرق قول مجاهد منه رواية ليث ابن أبي سليم[6]، وعطاء ابن السائب[7]، وأبي يحيى القتات[8] وجابر بن يزيد[9].

فممن أفتى في ذلك العصر بأن هذا الأثر يسلم ولا يعارض:أبو داود

(١) عبد الكريم بن الهيثم الديرعاقولي البغدادي القطان، قال الذهبي: الإمام الحجة. مات سنة (٢٧٨هـ). انظر: السير (١٣/ ٣٣٥).

(٢) محمد بن فضيل بن غزوان الضبي مولاهم أبو عبد الرحمن الكوفي صدوق عارف، رمي بالتشيع من التاسعة. مات سنة (١٩٥هـ). التقريب (ص٨٨٩).

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ١٤٧).

(٤) ذكره ابن القيم في بدائع الفوائد (٤/ ٨٤١). والمروزي هو أحمد بن محمد بن الحجاج من أجل أصحاب أحمد لورعه وفضله وكان إمامًا في السنة. مات سنة (٢٧٥هـ). انظر: السير (١٣/ ١٧٣).

(٥) انظر: العلو للذهبي (٢/ ١٠٨١).

(٦) هو ابن زنيم، صدوق اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فترك، من السادسة.التقريب (ص٨١٨).

(٧) عطاء بن السائب الثقفي، ساء حفظه قليلًا في أواخر عمره. مات سنة (١٣٦هـ). انظر: السير (٦/ ١١٠).

(٨) عبد الرحمن بن دينار أبو يحيى القتات. يروي عن مجاهد، وهو ممن فحش خطؤه وكثر وهمه حتى سلك غير مسلك العدول في الروايات. انظر: الأنساب (٤/ ٤٤٨).

(٩) الأزدي مولاهم البصري الكوفي أبو الشعثاء، من كبار تلامذة ابن عباس. قال في التقريب (ص١٩١) ثقة فقيه. مات سنة (٩٣هـ). انظر: السير (٤/ ٤٨١).

السجستاني صاحب السنن وإبراهيم الحربي[(١)] وخلق، بحيث أن ابن الإمام أحمد قال عقيب قول مجاهد: «أنا منكر على كل من رد هذا الحديث[(٢)] وهو عندي رجل سوء متهم سمعته من جماعة وما رأيت محدثًا (د/ ١٩٨) ينكره وعندنا إنما تنكره الجهمية وقد حدثنا هارون بن معروف[(٣)] ثنا محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩] قال: يقعده على العرش.

فحدثت به أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: لم يقدر لي أن أسمعه من ابن فضيل»[(٤)]، بحيث أن المروذوي روى حكاية ينزل عن إبراهيم بن عرفه!! سمعت ابن عمير!! يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول: «هذا قد تلقته العلماء بالقبول»[(٥)] وقال المروذي قال أبو داود السجستاني ثنا ابن أبي صفوان الثقفي[(٦)] ثنا يحيى ابن كثير[(٧)] ثنا سلم بن جعفر[(٨)] وكان ثقة ثنا الجريري[(٩)] ....

---

(١) إبراهيم بن إسحاق البغدادي الحربي، كان حافظًا للحديث عارفًا بالفقه مات سنة (٢٨٥هـ). انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٢٨-٤٠).

(٢) انظر: العلو للذهبي (٢/ ١٠٨٤).

(٣) أبو علي المروزي الضرير الإمام القدوة الثقة. مات في آخر شهر رمضان سنة (٢٣١هـ). انظر: السير (١١/ ١٢٩).

(٤) انظر: العلو للذهبي (٢/ ١٠٨٥).

(٥) انظر: العلو للذهبي (٢/ ١٠٨٦).

(٦) محمد بن عثمان ابن أبي صفوان الثقفي ثقة، من الحادية عشرة. مات سنة (٢٥٢هـ). التقريب (ص٨٧٧).

(٧) يحيى بن كثير بن درهم العنبري مولاهم البصري أبو غسان خراساني الأصل، قال الحافظ: ثقة من التاسعة. مات سنة (٢٠٦هـ). التقريب (ص١٠٦٤).

(٨) في الأصل سالم وهو خطأ والتصحيح من كتب التراجم، وهو سلم بن جعفر البكراوي أبو جعفر الأعمى. «صدوق تكلم فيه الأزدي بغير حجة». مات سنة (٢٥٤هـ). التقريب (ص٣٩٦).

(٩) سعيد بن إياس الجريري،ثقة من الخامسة، اختلط قبل موته بثلاث، ورواية حماد سلمة وابن علية وشعبة والثوري عنه قبل اخلاطه مات سنة (١٤٤هـ).التقريب (ص٣٧٤).

ثنا سيف السعدي[(١)] عن عبد الله بن سلام[(٢)] قال: «إذا كان يوم القيامة (ع/ ١٥١ ب) جيئ بنبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يجلس بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ على كرسيه» الحديث[(٣)].

وقد رواه ابن جرير في تفسيره -أعني قول مجاهد- ثم قال ابن جرير: «ليس في فرق الإسلام من ينكر هذا لا من يقر أن الله فوق العرش ولا من ينكره».

وكذلك أخرجه النقاش[(٤)] في تفسيره وكذلك رد شيخ الشافعية ابن سريج[(٥)] على من أنكره»[(٦)] انتهى.

قوله:

وزعمت أن لعرشه أطًا به .... إلخ

عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم[(٧)] عن أبيه[(٨)] عن جده[(٩)] قال: «جاء

---

(١) في الأصل وكتاب العلو للذهبي «السدوسي» وهو خطأ، والتصويب من كتب التراجم.
وهو: سيف بن أبي عائذ السعدي، سماه ابن عليه وأثنى عليه خيرًا. انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٤/ ١٧٠).

(٢) عبد الله بن سلَّام بن الحارث، الإمام الحبر المشهود له بالجنة، أبو الحارث الإسرائيلي، من خواص أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. توفي سنة (٤٣) بالمدينة. انظر: السير (٢/ ٤١٣).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٥٢٧).

(٤) محمد بن الحسن بن محمد المقرئ النقاش أبو بكر، سئل أبو بكر البرقاني عن النقاش فقال: «كل حديثه منكر»، مات سنة (٣٥١هـ). انظر: الأنساب للسمعاني (٥/ ٥١٧).

(٥) أحمد بن سريج البغدادي الشافعي، ويلقب بالباز الأشهب، أبو العباس، فقيه العراقيين، ولي القضاء بشيراز. مات ببغداد سنة (٣٠٦هـ). انظر: معجم المؤلفين (٢/ ٣١).

(٦) انتهى كلام الذهبي.

(٧) جبير بن محمد بن جبير بن مطعم القرشي، مقبول من السادسة. انظر: التقريب (ص١٩٥).

(٨) محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل النوفلي، ثقة عارف بالنسب من الثالثة. مات على رأس المائة. التقريب (ص٨٣٢).

(٩) جبير بن مطعم بن عدي، شيخ قريش في زمانه، أبو محمد، من الطلقاء الذين حسن إسلامهم، وله رواية أحاديث. انظر: السير (٣/ ٩٥).

أعرابي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال فاستسق؛ ربك فإنا لنستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سبحان الله سبحان الله»، فما زال يسبح حتى عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: **«ويحك أتدري ما الله إن شأنه أعظم من ذلك إنه لا يستشفع به على أحد، إنه لفوق سمواته على عرشه وإنه عليه لهكذا»** -وأشار وهب[1] بيده مثل القبة عليه، وأشار ابن الأزهر[2] أيضًا- **«وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب»**[3].

---

(١) وهب بن جرير بن حازم أبو عبد الله البصري، ثقة من التاسعة، مات سنة (٢٠٦هـ). انظر: التقريب (ص١٠٤٣).

(٢) أحمد بن الأزهر بن منيع العبدي، النسابوري، قال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي والدارقطني: لا بأس به. انظر: تهذيب الكمال (١/ ٧٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٥/ ٩٤-٩٥) عن أحمد بن سعيد الرباطي، وابن خزيمة في صحيحه (١/ ٢٣٩) عن محمد بن بشار، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٩٢-٢٩٣) عن عبدالأعلى بن حماد، والبغوي في شرح السنة (١/ ١٧٥)، من طرق عن وهب بن جرير عن أبيه جرير بن حازم عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبه عن جده به.

قال أبو داود: «والحديث بإسناد أحمد بن سعيد يعني الرباطي ـ هو الصحيح، وافقه عليه جماعة منهم يحيى بن معين وعلي بن المديني، ورواه جماعة عن المديني وابن بشار من نسخة واحدة فيما بلغني» اهـ.

وقول أبي دواد عن الحديث برواية الرباطي: «هو الصحيح» يقصد هو الراجح المحفوظ، وإلا فالحديث حسن لحال محمد بن إسحاق.

وقد ذكر شيخ الإسلام: أن هذا الحديث قد طعن فيه بعض المشتغلين بالحديث انتصارًا للجهمية بحجة أنه تفرد به محمد بن إسحاق عن يعقوب ابن عتبة عن جبير، ولم يقل ابن إسحاق حدثني، فيحتمل أن يكون منقطعًا، مع أن هذا الحديث وأمثاله لم يزل متداولًا بين أهل العلم خالفًا عن سالف، ولم يزل سلف الأمة وأئمتها يروون ذلك، رواية مصدق به رادًا به على من خالفه من الجهمية. واختلف الناس في حملة العرش ما الذي تحمل:

١ - قال قائلون: الحملة تحمل الباري تعالى وأنه إذا غضب ثقل على كواهلهم، وإذا رضي خف، فيتبينون غضبه من رضاه، وأن العرش له أطيط إذ ثقل عليه كأطيط الرحل، وهذا قول ضعيف، لأن الله تعالى غني عن كل شيء حتى العرش. =

أخرجه أبو داود عن أحمد بن سعيد(١) عن وهب ولفظه: «إن عرشه على سمواته»(٢)، ساقه الذهبي في كتاب العلو من عدة طرق:

من طريق ابن إسحق(٣) ثم قال هذا حديث غريب جدًّا، فرد وابن إسحق حجة في المغازي إذا (د/٩٨ب) أسند وله مناكير وعجائب(٤)، فالله أعلم هل قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا أم لا.

والله عَزَّ وَجَلَّ ليس كمثله شيء جَلَّ جَلَالُهُ، وتقدست أسماؤه ولا إله غيره والأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الحاصل في الرحل، فذاك صفة للرحل وللعرش، ومعاذ الله أن نعده صفة لله عَزَّ وَجَلَّ ثم لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت.

وقولنا في هذه الأحاديث: إننا نؤمن بما صح منها وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره، فأما ما في إسناده مقال واختلف العلماء في قبوله وتأويله، فإنا لا نتعرض له بتقرير بل نرويه في الجملة، ونبين حاله وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه مما يوافق آيات الكتاب» انتهى كلامه(٥).

= ٢- وقال بعضهم: أن الذي يخف ويثقل هو العرش، وهو الذي تحمله الملائكة، وقال بعضهم: إنه تعالى على العرش بائن منه لا بعزلة وإشغال غيره، بل بينونه ليس على العزلة، والبينونة من صفات الذات، والراجح هو القول الثاني، والله أعلم. بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٠١) (٢/ ٥٧٠).

(١) أحمد بن سعيد بن إبراهيم الرباطي، أبو عبد الله المروزي الأشقر. وقال الخطيب: وكان ثقة فهمًا عالمًا فاضلًا. مات سنة (٢٤٣هـ). انظر: السير (١٢/ ٢٠٧).

(٢) هو الحديث السابق.

(٣) محمد بن إسحاق بن يسار، المدني، صدوق يدلس رمي بالتشيع مات سنة (١٥٠هـ)، انظر: التقريب (ص٨٢٥).

(٤) إذا أسند فحديثه حسن، وإذا عنعن لم تقبل له روايه. انظر: السير (٧/ ٣٣).

(٥) انظر: العلو، الذهبي (١/ ٤٠٤-٤١٦).والذهبي في هذا التعليق الأخير يرسم لنا قاعدة مهمة في التعامل مع الأحاديث التي في إسنادها مقال، أو اختلف في تصحيحها وتضعيفها، فلا نتعرض =

قوله:

وزعـمـت ان الله ابـدى بعضه .... الخ

روى الترمذي في جامعه عن أنس «أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:١٤٣]-قال حماد[١]: هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة أصبعه اليمنى (ع/١٥٢أ)- قال فساخ الجبل وخر موسى صعقًا.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث حماد ابن سلمة».

وروى ابن أبي عاصم في «كتاب السنة»[٢] عن ابن عباس ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ قال: «ما تجلى منه إلا مثل الخنصر قال: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، قال ترابًا ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾، عشي عليه: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ عن أن أسألك الرؤية ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، قال أول من آمن بك من بني إسرائيل.

ورواه الطبراني -أيضًا-.

ورواه البيهقي في كتاب «إثبات الرؤية» له: «أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ

=لما فيها من مسائل بتقرير إلا ماوافق الأدلة الصحيحة، حتى لاننسب إلى الله ورسوله مافيه احتمال الصح والخطأ؛ ودين الله لايقوم على الاحتمالات الضعيفة، ويجوز رواية تلك الأحاديث في الجملة إذا وافقت أصلًا صحيحًا، والله أعلم.

(١) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري، ثقة، عابد، أثبت الناس في ثابت، وتغير بآخره، من كبار الثامنة، مات سنة (١٦٧هـ). التقريب (ص٢٦٨).

(٢) السنة (١/ ٣٣٦).

ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب[١] ثنا محمد بن إسحق -يعني الصغاني-[٢]، ثنا عمرو ابن طلحة[٣] في التفسير ثنا أسباط[٤] عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال تجلى منه مثل طرف الخنصر فجعله دكًّا[٥].

قوله:

وزعمت للعبود وجهًا باقيًا ولـه يمين ....

يأتي الكلام في الوجه واليدين إن شاء الله تعالى (د/ ١٩٩أ).

قوله:

وزعمت أن يديه للسبع العلى .... إلخ

روى البخاري في صحيحه عن عبيد الله[٦] عن نافع[٧] عن ابن عمر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السماوات بيمينه ثم يقول أنا الملك**»[٨].

---

(١) محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان، أبو العباس الأموي،لم يختلف أحدٌ في صدقه، وصحة سماعه. مات سنة (٣٤٦هـ). انظر: السير (١٥/ ٤٥٢).

(٢) في الأصل «العدناني»، قال عنه الدارقطني: ثقة وفوق الثقة. انظر: السير (١٢/ ٥٩٢).

(٣) عمرو بن حماد بن طلحة ـ منسوب إلى جده ـ القناد، أبو محمد الكوفي، صدوق رمي بالرفض، من العاشرة. مات سنة (٢٢٢هـ). انظر: التقريب (ص٧٣٣).

(٤) هو أسباط بن نصر الهمداني، أبو يوسف، صدوق كثير الخطأ، يقرب من الثامنة. التقريب (ص١٢٤).

(٥) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٣/ ٥٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٠).

(٦) في الأصل «عبد الله» وهو خطأ والتصحيح من تخريج الحديث وكتب التراجم.
وهوعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي المدني قال في التقريب: «ثقة ثبت»مات سنة (١٤٠هـ).التقريب (ص٦٤٣).

(٧) نافع مولى ابن عمر،أبوعبدالله القرشي العمري، مات سنة (١١٧هـ).انظر: السير (٥/ ٩٥).

(٨) أخرجه النسائي في الكبري (١٠/ ٢٤١) بهذا اللفظ وأصله في الصحيحين كما سيأتي.

وفي الصحيحين أيضًا -واللفظ لمسلم- عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الارضين بيده الأخرى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون»**(١).

قوله:

وزعمت أن يمينه ملأى .... إلخ

يشير إلى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه، وفي يده الأخرى العدل يخفض بها ويرفع»**(٢).

قوله:

وزعمت أن الله يضحك عندما .... إلخ

يشير إلى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد»**(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٤/ ٢١٤٨) والصواب أنه من حديث عبد الله ابن عمر موافقة لرواية النسائي السابقة، وأخرجه البخاري في كتاب التوحيد (٤/ ٢٣١٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ١٠٢)، والنسائي في الكبرى (٧/ ١٥٤) وفيهما وفي بعض كتب التفسير التى ذكرت هذا الحديث «وبيده الأخرى الميزان» بدل «العدل» ولم أجد لفظة «العدل» عند أحد ممن خرج هذا الحديث.

وأخرجه البخاري في التوحيد من صحيحه (٤/ ٢٣١٥)، ومسلم في الزكاة من (٢/ ٦٩١)، ولفظه «وبيده الأخرى الفيض أو القبض» وهي الأصح بلا شك؛ فإنه لما ذكر أن بيده اليمنى الإنفاق ناسب أن يذكر أن بيده الأخرى القبض وهو ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾. والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢/ ٨٧٥)، ومسلم في الإمارة (٣/ ١٥٠٤).

قوله:

وزعمت أيضًا أن قلب العبد ما ....إلخ

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء**»، ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك**» رواه مسلم[1].

قوله:

وكذاك يضحك من قنوط عباده ....

يشير إلى ما في (ع/١٥٣ب) حديث أبي رَزِين[2] عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب**». فقال له أبو رزين: أو يضحك الرب؟ قال: «**نعم**»، فقال: لن نعدم من رب يضحك خيرًا»[3].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر من صحيحه (٤/ ٢٠٤٥).

(٢) هو: لقيط بن صبره -بفتح المهملة وكسر الموحدة-، أبو رزين العقيلي، صحابي مشهور، والأكثر على أنهما اثنان. التقريب (ص٨١٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٤)، وأحمد في المسند (٤/ ١٨) من طريق حماد بن سلمة عن يعلي بن عطاء عن وكيع بن حدس عن أبي رزين، به، ورجاله ثقات، احتج بهم مسلم غير وكيع بن حدس، سكت عنه البخاري وابن أبي حاتم، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ في التقريب (ص١٠٣٧): «مقبول» يعني حيث يتابع وإلا فلين، وقد توبع:

رواه عبد الرحمن بن عياش السمعي عن دلهم بن عبد الله بن الحاجب العقيلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر، به. قال دلهم: وحدثنية أبو الأسود عن عاصم بن لقيط: أن لقيطًا «خرج وافدًا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...» الحديث بطوله وفيه مرفوعًا: «وعلم الله يوم الغيث يشرف عليكم أن غيركم إلى قرب». =

قوله:

وزعمت أن الله يبسط كفه .... إلخ

يشير إلى حديث أبي موسى[(١)] أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ يبسط يده بالليل ليتوب** (د/ ٩٩ب) **مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**» رواه مسلم[(٢)].

[وقوله في الحديث المتفق على صحته: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب تقبلها بيمينه**»[(٣)].

وقوله: «**ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم**»[(٤)]].

= أخرجه عبد الله في زوائد المسند (٤/ ١٣)، والسنة له (٢/ ٤٨٤)، وابن خزيمة في التوحيد، والطبراني في الكبير (١٩/ ١١)، وليس لابن خزيمة إسناد دلهم وهو للطبراني دون الأول.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٤٠): «رواه عبد الله والطبراني بنحوه وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل ورجالها ثقات والإسناد الآخر وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم من لقيط...»
وقد استفدت الطريق الثاني من كلام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الصحيحة (٦/ ٧٣٤).
وقوله: «لن نعدم من رب يضحك خيرًا» فيه رد على المفوضة والمؤولة، وهو دليل من أدلة كثيرة على أن الصحابة قد فهموا معاني تلك الصفات، بل قد فهموا أن ظواهر النصوص الواردة في الكتاب والسنة مرادٌ، لا يجوز إغفاله.

(١) هو: عبد الله بن قيس بن سليم صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ. مات سنة (٤٤هـ). انظر: السير (٢/ ٣٨٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة (٤/ ٢١١٣).

(٣) أخرجه البخاري في الزكاة (١/ ٤٢٠)، ومسلم في الزكاة (٢/ ٧٠٢).

(٤) ما بين المعكوفتين زيادة من المطبوعة. والحديث أخرجه عبد الله في السنة (٢/ ٤٧٦) عن أبي الجوزاء عن ابن عباس، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٤٨٨).

قال الخلال في «كتاب السنة»[(١)] قال حنبل[(٢)]: سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينزل إلى سماء الدنيا[(٣)] وأن الله يرى[(٤)] وأن الله يضع قدمه[(٥)]، وما أشبه هذه الأحاديث، فقال أبو عبدالله: «نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى[(٦)]، ولا نرد منها شيئًا ونعلم أن ما جاء به الرسول حق إذا كانت بأسانيد صحاح، ولا نرد على الله قوله، ولا يوصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية ليس كمثله شيء».

وقال حنبل في موضع آخر: «وقال ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف به نفسه، وقد أجمل تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالصفة لنفسه فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء فنعبد الله بصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف الله نفسه به قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]».

وقال حنبل في موضع آخر: «وهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير ولا يبلغ الواصفون صفته وصفاته منه وله، ولا نتعدى القرآن والحديث فنقول كما قال

---

(١) لم أجده في السنة للخلال، لكن نقله عنه شيخ الإسلام في درء التعارض (٢/ ٣١).

(٢) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل، الشيباني ابن عم الإمام أحمد، وتلميذه، ثقة، لكنه يتفرد ويغرب. مات سنة (٢٧٣هـ). انظر: السير (١٣/ ٥١).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٣٤١)، ومسلم (١/ ٥٢١) بلفظ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا...» الحديث.

(٤) البخاري (٤/ ٢٣١٩).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (٤/ ٢٣٢٦)، ومسلم (٤/ ٢١٨٧).

(٦) هذه الرواية يفهم منها التفويض وهي من غرائب حنبل، ولم يذكرها خواص أصحاب أحمد الذين نقلوا كلامه في الصفات كالمروذي وعبد الله وصالح وغيرهم، وعلى التسليم بها، فإن معناها: أي لا نكيف الصفات؛ ولا نثبت لها المعنى الذي يثبته أهل الباطل، وهو المعنى المبني على التأويل الباطل، ويدل على صحة هذا آخر العبارة: (... ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه). انظر: شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٣٠).

ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك ولا تبلغه صفة الواصفين نؤمن بالقرآن كله محكمة ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ووصف وصف به نفسه[١] من كلام وخلوه بعبده ووضعه كنفه عليه.

هذا كله يدل على أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُرى في الآخرة والتحديد في هذا بدعة والتسليم لله بأمره بغير صفة، ولا حد إلا بما وصف به نفسه سميع بصير لم يزل متكلمًا عالمًا غفورًا، عالم الغيب[٢] والشهادة علاَّم الغيوب.

فهذه صفات وصف بها نفسه لا ترد ولا تدفع وهو على العرش بلا حد كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، كيف شاء المشيئة إليه عَزَّوَجَلَّ، والاستطاعة له ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء، وهو كما وصف نفسه سميع بصير بلا حد ولا تقدير [وقال تعالى حكاية عن][٣] قول إبراهيم لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم:٤٢]، فثبت أن الله سميع بصير (د/ ١٠٠أ)، صفاته منه، لا نتعدى القرآن والحديث، والخبر بضحك الله ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول وتثبيت القرآن لا يصفه الواصفون ولا يحده أحد تعالى الله عما تقول الجهمية والمشبهة، قلت له: والمشبهة ما يقولون قال: من قال بصر (ع/ ١٥٣أ) كبصري ويد كيدي»[٤] انتهى.

قوله:

فالناس بين معطل أو مثبت .... إلخ

---

(١) نقله شيخ الإسلام في درء التعارض (٢/ ٣١).

(٢) في الأصل: «لم متكلمًا غفورًا عالمًا، غفورًا عالم الغيب والشهادة...» إلخ، وكتب في (د) «كذا» والتصويب من الدرء.

(٣) ما بين معكوفتين سقط من جميع النسخ، واستدركناه من الفتاوى الكبرى لابن تيمية.

(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٣/ ٣٢٧) وإسناده صحيح.

المعطلة: كالجهمية والمعتزلة، والمثبتة يعني السلف وأتباعهم، والثالث: المتناقض كالذين يثبتون بعض الصفات وينفون بعضها[١].

ولهذا قال الناظم:

فمتى أقر ببعض ذلك مثبت لزم الجميع ....

أي أنه يلزمكم إذا أثبتم بعض الصفات أن تثبتوا جميعها وإلا فانفوها جميعها؛ إذ ليس بأيديكم فرق صحيح، وسيأتي إبطال ما فرقوا به في كلام الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، والله أعلم.

قوله:

.. .. ديصان

قال الناظم في إغاثة اللهفان[٢]: «وحكى أرباب المقالات عنهم أي -عن الثنوية[٣]- أن قومًا منهم يقال لهم الديصانية[٤]: زعموا أن طينة العالم كانت طينة

---

(١) يقصد بالمتناقض الأشاعرة.

(٢) (٢/ ٢٤٥)، وانظر: تلبيس إبليس (ص٥٨).

(٣) في حاشية (ع) بخط المؤلف: «بلغ قراءة».

(٤) الديصانية: طائفة من المجوس ينسبون إلى ديصان بن سعيد الخُرَّمي، وتزعم هذه الطائفة: أن الإنسان هو الروح، والحواس الخمس أجزاء منه، الإنسان جنس واحد غير مختلف، إلا أن إدراكه اختلف، فكان يدرك بكل جهة ما لا يدركه بالأخرى؛ لأن الآفة قد خالطته من جهة على خلاف ما خالطه من جهة أخرى، فاختلف الإدراك لاختلاف الأخلاط والامتزاج. وزعموا: أن النور والظلمة قديمان، وإنما امتزج العالم كله منهما، فمن كان من أهل الخير فهو من النور، ومن كان من أهل الشر فهو من الظلمة، وزعموا أن الحر والبرد واللون والطعم والصوت والرائحة إنما هي نتائج على قدر امتزاجها.
وإنما سمي صاحبهم بديصان باسم نهر ولد فيه.
انظر: المنتظم (١٥/ ٨٢)، والكامل في التاريخ (٨/ ٣١٠)، ومقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٢)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٥٠).

خشنة[1] وكانت تحاكي جسم النور الذي هو الباري عندهم زمانًا فتأذى بها، فلما طال ذلك عليه قصد تنحيتها عنه فتحول عنها واختلط بها فتركب من بينها هذا العالم المشتمل على الظلمة والنور، فما كان من جهة الصلاح فمن النور وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة».

قال: «وهؤلاء يغتالون الناس ويخنقونهم، ويزعمون أنهم يحسنون إليهم بذلك، وأنهم يخلصون الروح النورانية من الجسد المظلم» انتهى.

☜ وقوله:

.................................القدماء

يعني الفلاسفة.

۞۞۞

قال الناظم[2]:

أو قاتلوا مع أُمة التجسيم والـ	**ـتشبيه تحت لواء ذي القرآن**
أولا فلا تتلاعبوا بعقولكم	**وكتابكم وبسائر الأديان**
فجميعها قد صرحت بصفاته	**وكلامه وعلوه ببيان**
والناس بين مصدق أو جاحد	**أو بين ذلك أو شبيه أتان**
فاصنع من التنزيه ترسا محكمًا	**وانف الجميع بصنعة وبيان**
وكذاك لَقب مذهب الإثبات بالـ	**ـتجسيم ثم احمل على الأقران**
فمتى سمحت لهم بوصف واحد	**حملوا عليك بحملة الفرسان**

(١) تحرفت في الأصل و(د) إلى «طيبة حسنة»، والتصويب من إغاثة اللهفان.

(٢) زيادة من (د).

فصرعت صرعة من غدا متلبطا ... وسط العرين ممزق اللحمان
فلذاك أنكرنا الجميع مخافة الـ ... ـتجسيم إن صرنا إلى القرآن
ولذا خلعنا ربقة الأديان من ... أعناقنا في سالف الأزمان
ولنا ملوك قاوموا الرسل الألى ... جاؤوا بإثبات الصفات كمان
في آل فرعون وقارون وهـا ... مان ونمروذ وجنكسخان

قوله:

....جنكسخان

ويقال: جنكزخان[(١)]: هو طاغية (د/ ١٠٠ب) التتار وملكهم الأول الذي خرب البلاد ولم يكن للتتار قبله ذكر إنما كانوا ببادية الصين فملكوه عليهم وأطاعوه طاعة أصحاب نبي لنبيهم وكان مبدأ ملكه سنة (٥٩٩هـ) واستولى على بخارى، وسمرقند سنة (٦١٦هـ)[(٢)]، واستولى على مدن خراسان سنة (٦١٧هـ)[(٣)].

ولما رجع من حرب السلطان جلال الدين خوارزم شاه[(٤)] (ع/ ١٥٥ب) على نهر السند وصل إلى مدينة تنكت من بلاد الخطا[(٥)] فمرض بها ومات في رابع شهر رمضان سنة ٦٢٤[(٦)] فكانت أيام مملكته خمسا وعشرين سنة وكان اسمه قبل أن يلي

(١) هو: ملك التتار وسلطانهم الأول الذي خرب البلاد وأفنى العباد، واستولى على الممالك، وليس للتتار ذكر قبله، وكانت له شجاعة مفرطة وعقل وافر ودهاء ومكر. وكان أول ظهوره سنة (٥٩٩هـ)، ومات سنة (٦٢٤هـ). انظر: السير (٢٢/ ٢٤٣).

(٢) في الأصل (١٦)، وما بعدها (١٧)، وهو تحريف، والتصحيح من تراجمه، والله أعلم.

(٣) في (د) «سنة ٢٩٩٠»!!، وهو تصحيف.

(٤) هو: السلطان الكبير جلال الدين منكوبري ابن السلطان الكبير علاء الدين محمد ابن السلطان خوارزم شاه الخوارزمي، تملك البلاد، ودانت له الأمم، وجرت له عجائب مات سنة (٦٢٨هـ). انظر: السير (٢٢/ ٣٢٦).

(٥) موضع بين الكوفة والشام، كان مملكة المغول، وهي انظر: معجم البلدان (٢/ ٤٣٢).

(٦) الوافي بالوفيات (١١/ ١٥٣). ووقع في (ع) (٧٢٤هـ) وهو خطأ بيِّن.

الملك« تمرحين» ومات على دينهم وكفرهم، وخلف من الأولاد ستة وفوض الأمر إلى «أركناي»! أحدهم بعد ما استشار الخمسة الباقين فلما مات امتنع أركناي من الملك وقال في إخواني وأعمامي من هو أكبر مني.

فلم يزالوا به بعد أربعين يومًا حتى تملك عليهم ولقبوه «القان الأعظم» ومعناه الخليفة فيما قيل، وبعث جنوده وفتح الفتوحات وطالت أيامه وولي بعده الأمر موتكوقا وهو القان[1] الذي «هولاكو» من بعض مقدميه، وولي بعده أخوه «قبلاي»[2] وطالت أيام قبلاي (د/ ١٠١) وبقي في الأمر إلى سنة ٦٤٠[3].

ومات بمدينة خان بالق يقال: إنه لما كان السلطان خوارزم شاه يغزو هؤلاء التتار ويقتلهم ويسبي ذراريهم وأولادهم ويمنعهم الخروج عن حدود بلادهم اجتمعوا[4] التتار وشكوا ما يلاقوا[5] من خوارزم شاه وما هم فيه من الضيق والبلاء، فقال لهم جنكزخان: إن ملكتموني عليكم والتزمتُم لي بالطاعة واتباع اليسق[6] الذي أضعه لكم شرعة، رددت خوارزم عنكم، فالتزموا له بذلك.

---

(١) أي السلطان الأعظم.

(٢) هو: قبلاي بن متولي بن جنكيزخان ملك المغول. مات سنة (٦٩٥هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٧/ ٢٢٣).

(٣) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٤٥/ ١٨٦).

(٤) كذا في (ع) و(د) ولعل الصواب« اجتمع».

(٥) كذا في (ع) و(د) ولعل الصواب «يلاقون».

(٦) ويسمى الياساق، ولكن حذفت الألف فقيل يَسِق، والأصل فيه يساغ بالغين المعجمة، وربما خفف فحذفت، وربما قلبت قافًا، وهي كلمة تركية يعبر بها عن وضع قانون المعاملة، قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٢٣): «هو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنية شرعًا متبعًا...». =

وكان مما وضعه لهم أن قال: كل من أحب أمرأة بنتًا كانت أو غيرها لا يمنع من التزوج ولو كان زبالًا والمرأة بنت ملك؛ وكان غرضه أن يتناكحوا بشهوة شديدة، ويتضاعف نسلهم ويكثر عددهم فلما تقرر ذلك دخلوا على خوارزم شاة وعقدوا مهادنته عشرين سنة فما جاءت العشرين سنة إلا وهم أمم لا يحصون.

وكان من جملة ما قرره: أنه إذا حرم «القان» على أحد شيئًا فلا يحل له إلى أن يأتيه المهات.

وقرر لهم: من رعف وهو يأكل قتل كائنًا من كان، وقرر لهم أن كل من لم يمض حكم اليسق قتل أيضًا.

وأراد أن يذهب الكبار الذين[1] فيهم لعلمه أنهم يداخلهم الحسد له ويستصغرونه، فتركهم يومًا وهم على سماطه فرعف فلم يجسر أحدٌ أن يمضي فيه حكمه؛ لمهابته وجبروته، فتركوه ولم يطالبوه بما قرر وهابوه في ذلك.

فتركهم أيامًا وجمعهم وقال: لأي شيء ما أمضيتم حكم اليسق فيَّ وقد رعفت وأنا آكل بينكم فقالو: لم نجسر على ذلك فقال: لم تعلموا باليسق ولا أمضيتم أمره وقد وجب قتلكم فقتل أكابرهم واستراح منهم.

= وقد ذكر المقريزي في الخطط: «.... ومن جملة ما شرعه في الياسا: أن من زنى قتل، ولم يفرق بين المحصن وغير المحصن، ومن لاط قتل، ومن تعمد الكذب أو سحر أحدًا أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر قتل، ومن بال على الماء أو الرماد قتل، ومن أعطى بضاعتة ليتجر بها، فخسر فيها قتل بعد الثالثة،... وأن الحيوان تكتف قوائمه ويشق بطنه ويمرس قلبه إلى أن يموت ثم يؤكل لحمه، ومن ذبح حيوانًا كذبيحة المسلمين ذُبِحَ، وشرط تعظيم جميع الملل...» إلى آخر قبائحه ومخازيه، وكان لا يتدين بشيء من أديان الأرض. وانظر: تاج العروس (١٣/ ٥٠٠).

(١) في (ع): «الذي».

والترك يزعمون أنه ولد الشمس؛ لأن في صحاريهم أماكن فيها غاب الغاب[1] لا يقربه أحد من الذكران، وأن أمه (ع/ ١٥٦أ) اعتقت فرجها وراحت إلى ذلك الغاب وغابت فيه مدة وأتتهم وقالت: هذا من الشمس لأن الشمس دخلت في فرجي بعض الأيام وأنا أغتسل فحملت بهذا.

ويقال: إنه كان حدادًا والله أعلم كذا في تاريخ ابن شاكر[2] (د/ ١٠١ب).

قوله:

.... أتان

بفتح الهمزة هي الأنثى من الحمير قال ابن السكيت[3]: ولا يقال أتانة وجمع القلة آتن مثل عناق وأعنق وجمع الكثرة أُتُن بضمتين.

۞۞۞

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

ولنا الأئمة كالفلاسفة الألى ... لم يعبؤوا أصلًا بذي الأديان
منهم أرسطو ثم شيعته إلى ... هذا الأوان وعند كل أوان
ما فيهم من قال إن الله فو ... ق العرش خارج هذه الأكوان
كلا ولا قالوا بأن إلهنا ... متكلم بالوحي والقرآن

(١) غاب الغاب معناها: أسد الأسود أو بطل الأبطال، لأن الأسود هي ليوث الغاب فسميت بها، فإذا قيل: هجمت الغاب على الضارية: أي هجمت الأسود على الفريسة.
انظر: الفصول والغايات لأبي العلاء المعري (١/ ٦٩).
تنبيه: رجح محقق «فوات الوفيات» أن العبارة فيها سقط، فزاد فيها هكذا: «غاب [وذلك] الغاب...» فجعل فاصلًا بين الكلمتين، و أرى أن العبارة صحيحة، والله أعلم.
(٢) انظر: فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (١/ ٣٠١-٣٠٣).
(٣) كما في معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٨). وانظر: لسان العرب (١٣/ ٦).

ولأجل هذا رد فرعون على ... موسى ولم يقدر على الإيمان
إذ قال موسى ربنا متكلم ... فوق السماء وأنه ناداني
وكذا ابن سينا لم يكن منكم ولا ... أتباعه بل صانعوا بدهان
وكذلك الطوسي لما أن غدا ... ذا قدرة لم يخش من سلطان
قتل الخليفة والقضاة وحاملي ... القرآن والفقهاء في البلدان
إذ هم مشبهة مجسمة وما ... دانوا بدين أكابر اليونان
ولنا الملاحدة الفحول أئمة الـ ... تعطيل والتشبيه آل سنان
ولنا تصانيف بها غاليتم ... مثل الشفا ورسائل الاخوان
وكذا الإشارات التي هي عندكم ... قد ضمنت لقواطع البرهان
قد صرحت بالضد مما جاء في ... التوراة[1] والإنجيل والفرقان
هي عندكم مثل النصوص وفوقها ... في حجة قطعية وبيان
وإذا تحاكمنا فإن إليهم ... يقع التحاكم لا إلى القرآن
إذ قد تساعدنا بأن نصوصه ... لفظية عزلت عن الايقان
فلذاك حكمنا عليه وأنتم ... قول المعلم أولا والثاني
يا ويح جهم وابن درهم والألى ... قالوا بقولهما من الخوران
بقيت من التشبيه فيه بقية ... نقضت قواعده من الأركان
ينفي الصفات مخافة التجسيم لا ... يلوي على خبر ولا قرآن
ويقول إن الله يسمع أو يرى ... وكذاك يعلم سر كل جنان
ويقول إن الله قد شاء الذي ... هو كائن من هذه الأكوان
ويقول إن الفعل مقدور له ... والكون ينسبه إلى الحدثان

(١) في الأصل «التوبة»، وهو تصحيف.

وينفيه التجسيم يصرخ في الورى والله ما هـذان متـفقـان
لكننا قلنا محال كل ذا حذرا من التشبيه والإمكان

أما ابن سينا فهو على (د/١٠٢ا) ما في «تاريخ ابن خلكان»[١] وغيره: «أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البخاري والده من بلخ وسكن بخارى أيام الأمير نوح[٢]، ثم تزوج امرأة بقرية أفشنة[٣]، وبها ولد أبو علي المذكور الملقب بالرئيس وختم القرآن وهو ابن عشر سنين وقرأ الحكمة على أبي عبد الله الناتلي[٤]، وحل إقليدس والمجسطي[٥] والطب وهو ابن ثماني عشرة سنة.

ثم انتقل من بخارى إلى جرجانية[٦] وغيرها، ثم اتصل بخدمة مجد الدولة

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ١٥٧)، وما بعدها.

(٢) نوح بن نصر الساماني، تولى حكم خراسان وما وراء النهر بعد أبيه نصر بن أحمد، وكان حسن السيرة مات سنة (٣٤٣هـ).انظر: الكامل لابن الأثير (٨/ ٤٠٣)، والنجوم الزاهرة (٣/ ٣٥٥).

(٣) أفشنه بفتح الهمزة وسكون الفاء والشين، من قرى بخارى. انظر: معجم البلدان (١/ ٢٣١).

(٤) منسوب إلى ناتل - بليدة بنواحي طبرستان، حكيم منطقي متفلسف، اشتهر كمؤدب لابن سينا، وكان حميًا صديقًا لوالده، ومن كبار دعاة الإسماعيلية، مات سنة (٣٨٠هـ).
انظر: لسان الميزان (٢/ ٥٣٩).

(٥) كتاب «المجسطي» هو كتاب في علم النجوم والحركات، المسماة بـ(علوم الهيئة) لصاحبه بطليموس القلوذي الفلكي، أحد حكماء اليونان، ويقال إنه كان ملكًا من ملوك الهند، و«المجسطي» كلمة يونانية معناها: الأكبر أو الأعظم؛ لأن هذا المصنف كان أشمل كتاب في الهيئة، حتى قال بعضهم: كتاب عجزت العقول أن تأتي بمثله، وقد عرب في زمن المأمون. انظر: تاريخ العقوبي (١/ ٤٧) (١/ ٥٣)، والبداية والنهاية (١/ ٢٦)، وتاج العروس (١/ ٤٩٩٦)، وأبجد العلوم (٢/ ٥٨٤).

(٦) هي اسم لقصبة إقليم خوارزم، وهي مدينة عظيمة على شاطئ جيحون، وأهل خوارزم يسمونها بلسانهم «كركانج» فعربت إلى «جرجانية». انظر: معجم البلدان (٢/ ١٤٢-١٤٣)، وآثار البلاد للقزويني (١/ ٢١٣).

ابن بويه بالري ثم خدم قابوس بن وشكمير[1] ثم قصد علاء الدولة ابن كاكوية ! بأصبهان وتقدم عنده ثم مرض بالصرع والقولنج وترك الحمية، ومضى إلى همدان مريضًا ومات بها سنة أربعمائة وثمان وثلاثين وعمره ثمان وخمسون سنة».

قال ابن خلكان[2]: «ثم إن ابن سينا لما أيس من العافية على ما قيل ترك المداواة واغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ورد المظالم على من عرفه وأعتق مماليكه وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة مات بهمذان يوم الجمعة من شهر رمضان[3]. وقيل: مات في السجن وولادته سنة ثلاثمائة وسبعين» والله أعلم.

وله نحو مائة مصنف منها كتاب الشفاء (د/ ١٠٢ب) في الحكمة والإشارات وفي الطب القانون وغيره، وله شعر ومنه القصيدة الشهيرة في الروح وهي:

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع

وأما النصير الطوسي: فهو محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي صاحب الرياضي والرصد كان رأسا في علم الأوائل، لا سيما في الأرصاد والمجسطي فإنه فاق الكبار، قرأ على المعين سالم بن بدران المعتزلي الرافضي! وغيره.

وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند «هولاكو» وكان يطيعه فيما يشير به عليه، والأموال في تصريفه، وابتنى بمراغة[4] قبة ورصدًا عظيماً، واتخذ في ذلك

---

(١) في (د) «وشكهير».

(٢) في وفيات الأعيان (٢/ ١٦٠).

(٣) هذا كله من كلام أبي عبيد الجوزجاني كما في اللسان لابن حجر (١/ ٣٢٦) وذكر أنه في آخر الجزء الذي جمعه في أخبار ابن سينا، ولم أجد أحدًا من العلماء المحققين والعارفين بأقوال ابن سينا كشيخ الإسلام وتلميذه ذكروا تلك التوبة، بل الذي نقله عنه ابن القيم أنه من دعاة الإسماعيلية، والله أعلم.

(٤) مراغة- بفتح الميم والراء والغين المعجمة-: بلدة مشهورة عظيمة، وهي أشهر بلاد أذربيجان، =

خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة (ع/١٥٨أ) حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد وقرر بالرصد المنجمين والفلاسفة والعقلاء وجعل له أوقافًا.

وكان حسن الصورة، سمحًا، كريمًا، جوادًا، حليمًا، حسن العشرة، غزير الفضائل[(١)]، واختصر المحصل للإمام فخر الدين وهذبه وزاد فيه، وشرح الإشارات، ورد على الإمام فخر الدين في شرحه وقال: «هذا جرح وما هو بشرح» وقال فيه: «إني حررته في عشرين سنة».

وناقض فخر الدين كثيرًا، ومن تصانيفه: التجريد في المنطق، وأوصاف الأشراف، وقواعد العقائد، والتلخيص في علم الكلام، وشرح كتاب الهمزة لبطليموس، وكتاب المجسطي، وشرح مسألة العلم، ورسالة الإمامة، ورسالة إلى نجم الدين الكاتبي[(٢)] في إثبات الواجب، وحواشي على كليات القانون، وغير ذلك».

وقال شمس الدين ابن المؤيد العرضي!: «أخذ النصير العلم من كمال الدين بن يونس الموصلي[(٣)] ومعين الدين سالم بن بدران المصري المعتزلي وغيرهما وكان منجماً لابقًا بعد أبيه.

=وكانت تسمى أفراز هروذ، فعسكر فيها مروان بن الحكم، والي أرمينية وأذربيجان بعد انصرافه من غزو موقان وجيلان بالقرب منها. وكان فيها سرجين كثير، وكانت دوابه ودواب أصحابه تتمرغ فيها فجعلوا يقولون: ابنوا قرية المراغة؛ فحذف الناس القرية، وقالوا مراغة. انظر: معجم البلدان (٥/ ١٠٩).

(١) قال شيخنا: «أين الفضائل، بل هو غزير السيئات والكفريات والبدع».

(٢) هو: علي بن عمر بن علي الكاتبي، المعروف بـ «دبيران»، نجم الدين، حكيم منطقي مات سنة (٦٧٥هـ). من آثاره: «الشمسية في المنطق». فوات الوفيات (٣/ ٥٦).

(٣) موسى بن يونس الموصلي، كمال الدين، برع في بعض الفنون، ودرس بالموصل مات سنة (٦٣٩هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٤٦/ ٤٥٧)، وإيضاح المكنون (٤/ ١٣٥).

وكان يعمل الوزارة لهولاكو من غير أن يدخل يده في الأموال، واحتوى على عقله حتى إنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره به (د/١٠٣أ).

ومولد النصير بطوس سنة سبع وتسعين وخمسمائة وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وستمائة ببغداد ودفن في مشهد الكاظم» انتهى ملخصًا من تاريخ ابن شاكر(١).

قلت: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية في الرد على ابن المطهر الرافضي(٢) -لما ذكر قوله قال شيخنا الأعظم خواجة نصير الملة والحق والدين محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه- إلى آخر ما ذكر ابن المطهر.

فقال الشيخ في الجواب(٣): «الجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا الإمامي قد كفر من قال إن الله موجب بالذات(٤)، كما تقدم من قوله يلزم أن يكون موجبًا بذاته لا مختارًا؛ فيلزم الكفر، وهذا الذي جعله شيخه

---

(١) انظر: الوافي بالوفيات (٢/ ٢٥٤).

(٢) هو الحسين بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي المشهور، منسوب رأس الشيعة في وقته، وله قرابة تسعين مصنفًا منها: (منهاج الكرامة) الذي نقضه ابن تيمية في «منهاج السنة». مات سنة (٧٢٦هـ). انظر: الدرر الكامنة (٢/ ٤٠)، ولسان الميزان (٢/ ٥٨٧).

(٣) انظر: منهاج السنة (٣/ ٤٤٥).

(٤) هذا لفظ مجمل، وهذا اللفظ من مصطلحات الفلاسفة، ويعنون به: الذي يجب أن يصدر عنه الفعل من غير قصد وإرادة، ومعناه أن الله تعالى ليس بمختار ولا مريد، وأن تلك المخلوقات صدرت بغير إرادته ولا اختياره، وقد رد عليهم الأشاعرة، لكنهم وافقوهم في المعنى لما نفوا الصفات الفعلية بشبهة حلول الحوادث، فردود الأشاعرة والمتكلمين على الفلاسفة والباطنية ضعيفة جدًّا، لأنهم خالفوهم في اللفظ ووافقوهم في المعنى، ويمكن أن يقال: إن فسر بما يقتضى قدم شيء من العالم مع الله، أو فسر بما يقتضى سلب صفات الكمال عن الله فهو باطل، وإن فسر بما يقتضى أن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فهو حق، فإن ما شاء وجوده فقد وجب وجوده، بقدرته ومشيئته. انظر: منهاج السنة (١/ ١٦٥) (٣/ ٢٧٤)، الصفدية (٢/ ١٠٣).

الأعظم واحتج بقوله هو ممن يقول بأن الله موجب بالذات ويقول بقدم العالم كما ذكر ذلك في كتاب شرح الإشارات له فيلزم على قوله أن يكون شيخه هذا الذي احتج به كافرًا والكافر، لا يقبل قوله في دين المسلمين.

الثاني: أن هذا الرجل قد اشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزير لملاحدة الباطنية الإسماعيلية(١) بالألموت(٢)، ثم لما قدم الترك(٣) المشركون إلى بلاد المسلمين وجاؤوا إلى بغداد دار الخلافة كان هذا منجمًا مشيرًا لملك الترك المشركين هولاكو (ع/ ١٥٩ب)، أشار عليه بقتل الخليفة وقتل أهل العلم والدين واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه في الدنيا، وأنه استولى على الوقف الذي للمسلمين، وكان يعطي منه ما شاء الله لعلماء المشركين وشيوخهم من النجشية السحرة(٤)

---

(١) إحدى فرق الرافضة الباطنية، تنسب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر، قالوا: إنه الذي إليه كتم السر الباطن عندهم، والذي أنزل على النبي ﷺ، وأمر بكتمه عن الناس، إلا عن وصيه وخليفته علي بن أبي طالب، أو من يخلفه من الأئمة المعصومين حتى ينتهي إلى محمد بن إسماعيل، وزعموا أن الظاهر من نصوص الوحي قشور، والتأويل هو اللب، وأنكرو لأجله بعض أركان الإيمان، وتأولوها بتأويلات تؤول بهم إلى تعطيل الشرائع وحقائق الإيمان.
انظر: البرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكي (ص٨١)، والملل والنحل (١/ ٢٢٦)، والتبصير في الدين (ص٨٣)، ومذهب الباطنية وبطلانه للديلمي (ص٢٣).

(٢) الألموت هي قلعة من القلاع الواقعة في خراسان، وهي معقل الإسماعيلية، ورئيسهم إذ ذاك هو الملك ركن الدين بن محمد بن جلال الدين الباطني النزاري، والملقب بـ«خسرو شمس الشموس»، سار إليه هولاكو بمئة ألف فانتزعها من أيديهم، وقتل رئيسهم ركن الدين، وقتل معه طائفة من ملاحدة الإسماعيلية، ثم هدمها، ويقال: إن ملكًا من الملوك كان كثير الصيد، فارسل عقابًا وتبعه فوجده حصينًا، فأمر ببنيانها، فسماها قلعة الألموت ومعناها بالديلم: تعليم العقاب. انظر:نهاية الأرب (٢٦/ ٢٠٣)، دائرة المعارف الإسلامية (٤/ ٣٧١).

(٣) بعدها في (د) «كذا ولعله التتر... إلخ».

(٤) النجشية السحرة: هم أخبث السحرة وأكذبهم وأكفرهم وأفجرهم. المعجم الوسيط (٢/ ٩٠٣).

وأمثالهم، وأنه لما بنى الرصد الذي بمراغة على طريقة الصابئة كان أبخس[١] الناس نصيبا منه من كان إلى أهل الملل أقرب وأوفرهم نصيبا من كان أبعد عن الملل، مثل الصابئة المشركين، ومثل المعطلة وسائر المشركين، وإن ارتزقوا بالنجوم والطب ونحو ذلك.

ومن المشهور عنه وعن أتباعه الاستهتار[٢] بواجبات الإسلام ومحرماته لا يحافظون على الفرائض كالصلوات ولاينزعون[٣] عن محارم الله من الفواحش والخمر وغير ذلك من المنكرات، حتى إنهم في شهر رمضان يذكر عنهم (د/١٠٣ب) من إضاعة الصلوات والفواحش وشرب الخمور ما يعرفه أهل الخبرة بهم ولم يكن لهم قوة وظهور إلا مع المشركين الذين دينهم شر من دين اليهود والنصارى.

ولهذا كلما قوي الإسلام في المغل وغيرهم من الترك؛ضعف أمر هؤلاء لفرط معاداتهم للإسلام وأهله، ولهذا كانوا من أنقص الناس منزلة عند الأمير نوروز[٤] المجاهد في سبيل الله الشهيد الذي دعا ملك المغل غازان[٥] إلى الإسلام، والتزم له

---

(١) في (ع) و(د) «أخس» وهو خطأ، والمثبت من منهاج السنة؛ لأن البخس معناه النقص، وهو يقابل التوفير، كأنه قال «كان أنقص الناس نصيبًا من كان أبعد.... إلخ».
وانظر: مختار الصحاح (ص٣٠).

(٢) في (ع) و(د) «الاستهتان»، والتصويب من منهاج السنة.

(٣) في (ع) و(د) «لا يزعون»، والتصويب من منهاج السنة.

(٤) هو نائب السلطان لغازان، كان دينا مسلمًا، عالي الهمة، حرض بغازان ملك المغل حتى أسلم، وملّكه البلاد، ثم فسد ما بينهما، فَقَتل غازان أخا نوروز وأعوانه، وجهز لقتاله خلطوشاه النوين، فقتل جمع نوروز، واحتمى بهراة، فقاتل عنه أهلها لدينه، ثم عجزوا عن نصرته، وأُسر نوروز، ثم قتل وبعث برأسه إلى ملك المغول غازان.
انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٥٢/ ٣١٢)، والوافي بالوفيات للصفدي (٢٧/ ١١١).

(٥) هو: غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن جنكيزخان، ملك التتار في وقته، وقد ملك كثيرًا من البلاد وهابه الناس، وهزم هزيمة منكرة في وقعة شقحب التي شارك فيها شيخ الاسلام، =

أن ينصره إذا أسلم وقتل المشركين الذين لم يسلموا من النجشية السحرة وغيرهم وهدم البذخانات[1]، وكسر الأصنام ومزق سدنتها كل ممزق وألزم اليهود والنصارى بالجزية والصغار وبسببه ظهر الإسلام في المغل وأتباعهم.

وبالجملة فأمر هذا الطوسي وأتباعه في الإسلام والمسلمين أشهر وأعرف من أن يعرف ويوصف، ومع هذا فقد قيل: إنه كان في آخر عمره يحافظ على الصلوات الخمس ويشتغل بتفسير البغوي وبالفقه ونحو ذلك، فإن كان قد تاب من الإلحاد فالله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات والله يقول: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]، لكن ما ذكره عنه هذا إن كان قبل التوبة لم يقبل قوله، وإن كان بعد التوبة لم يكن قد تاب من باب الرفض بل من الإلحاد وحده، وعلى التقديرين فلا يقبل قوله[2].

والأظهر أنه كان يجتمع به وبأمثاله لما كان منجمًا للمغل المشركين والإلحاد معروف من حاله إذ ذاك»[3] انتهى كلام شيخ الإسلام.

=مات سنة (٧٠٢هـ). انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١٧)،السلوك للمقريزي (٢/ ٣٧٣)، والوافي بالوفيات (٢٠/ ١٢٧)، وشذرات الذهب (٥/ ٤٢٨).

(١) في النسخ الخطية: «البدخانات» والتصويب من منهاج السنة، والبذخانات كلمة أعجمية، ومعناها «بيوت الأصنام» وتسمى في اللغة العربية: الطواغيت والبدا طاغوت، وكانت قريش تعظم الكعبة، وترى لها حرمة لوجود الأصنام بها، والبيوت المعظمة عند أهل الشرك هي البيوت التي فيها أصنام، وكانت معابدهم تبنى على شكل كعبه، وكانت قبائل بكر بن وائل قد جعلت كعبة لها تحج إليها، ومن تلك الأصنام التي كانت تعظم وتعبد داخل البيوت: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرًا، والعزى، وغمدان بصنعاء، ونوهبار ببلخ وهو أعظم تلك الأصنام، وأساف ونائلة، وغيرها. انظر: منهاج السنة (٦/ ٣٧٣)، اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص الدمشقي (١/ ٤٢٨).

(٢) في (د) «عنده» وهو خطأ.

(٣) معنى كلام شيخ الإسلام: أن ما ذكر عنه من أنه كان آخر عمره يشتغل بتفسير البغوي ويحافظ =

❁ وقول الناظم:

....آل سنان

هو سنان البصري[١] الذي كان بحصون (ع/ ١٦٠أ) الإسماعيلية بالشام وكان يقول: قد رفعت عنهم الصلاة والصوم والحج والزكاة.

وأما الشفا فهو من مصنفات ابن سينا وكذا الإشارات من تصانيفه أيضًا.

❁ وقوله:

........................ورسائل الاخوان

هي رسائل إخوان الصفا وهي على ما في (د/ ١٠٤أ) كشف الظنون وشرح عقيدة السفاريني[٢] إحدى وخمسون رسالة، وهي أصل مذهب القرامطة وربما نسبوها إلى

=على الصلوات الخمس إنما نقل عن مجهول، فإن كانت تلك الأمور التي نقلها عنه هذا المجهول قبل التوبة لم يقبل قوله؛ لأن من اشتغل بالكفر والإلحاد لا يمكن أن يصلي، وأن ينظر في تفاسير أهل السنة ويترك المنطق الذي شغف به وركن إليه.

وإن كانت تلك الأمور حصلت منه بعد التوبة لم يكن قد تاب من الرفض؛ لأن الرافضة يصلون، لكن صلاتهم ليست مقبولة، ولا يلزم من قراءته في تفسير البغوي أن يكون سنيًّا.

وقد يقال: إنه كان زنديقًا، والزنديق لا تقبل توبته عند بعض أهل العلم، بل قالوا: يقتل بدون استتابة، وقد يفسر هذا الكلام أيضًا: بأن الطوسي رافضي يدين بالتقية، فما نقل عنه لا يقبل مطلقًا سواء قبل التوبة أو بعد التوبة، والله أعلم.

(١) هو سنان بن سلمان بن محمد البصري الباطني، أصله من قرى البصرة، خدم رؤساء الإسماعيلية بألموت، وهو صاحب الدعوة النزارية (دعوة باطنية)، كان رجلًا عظيمًا خفي الكيد، بعيد الهمة، ذا قدرة على الإغواء وخديعة القلوب (الضعيفة)، وكتمان السر واستخدام الطغام وأهل الغفلة في أغراضه الفاسدة، راض لنفسه بعلوم الفلاسفة، وقرأ كثيرًا من كتب الجدل والمغالطة ورسائل إخوان الصفا والفلسفة الإقناعية، وبنى بالشام حصونًا، وتوثب على حصون، ووعر مسالكها وسالمته الأنام وخافته الملوك، ودام له الأمر نيفًا وثلاثين سنة. مات سنة (٥٨٩هـ). انظر: السير (٢١/ ١٨٢).

(٢) انظر: كشف الظنون (١/ ٩٠٢).

جعفر الصادق[(١)] ترويجًا، وقد صنفت بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه[(٢)] أملاها أبو سليمان محمد بن نصر البستي المعروف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني[(٣)] وأبو أحمد النهرجوري ! والعوفي زيد بن رفاعة[(٤)] كلهم حكماء اجتمعوا وصنفوا هذه الرسائل على طريق الفلسفة الخارجة عن مسلك الشريعة المطهرة.

وفي فتاوى ابن حجر الحديثية ما نصه: «نسبها كثير إلى جعفر الصادق وهو باطل، وإنما الصواب أن مؤلفها مسلمة بن قاسم الأندلسي[(٥)] كان جامعًا لعلوم

---

(١) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بالصادق، صدوق، فقيه إمام، من السادسة. مات سنة (١٤٨هـ).التقريب (ص٢٠٠).

(٢) قال شيخ الإسلام في منهاج السنة (٢/ ٤٦٥): «إنما صنفت بعد موت جعفر الصادق بنحو مائتي سنة؛ فإنه توفي سنة مائه وثمانية وأربعين، وهذه الرسائل وضعت في أثناء المائة الرابعة، لما ظهرت الدولة العبيدية وبنوا القاهرة على مذهب الإسماعلية».
انظر: شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (ص١٧٠).

(٣) لعله علي بن هارون بن علي أبو الحسن، كان رواية للشعر وشاعرًا أديبًا، ظريفًا متكلمًا، نادم جماعة من الخلفاء. مات سنة (٣٥٢هـ). له مصنفات منها «كتاب النوروز». انظر: الفهرست لابن النديم (ص٢٠٦).

(٤) في النسخ الخطية «العرفي يزيد بن رفاعة» وهو خطأ، والتصويب من كشف الظنون، وهذا الرجل بحثت عنه كثيرًا فلم أجده، إلا أن أبا حيان التوحيدي ذكره في شيوخه، وذكر أنه لا يزال يسمع منه، وقال عنه في المقابسات: «إن زيدًا بن رفاعة، وجماعة من كبار فلاسفة الإسلام، كانوا يجتمعون في منزل أبي سليمان النهرجوري وكان شيخهم، وإن لم يحز شهرتهم. وكانوا إذا اجتمع معهم أجنبي التزموا الكنايات، والرموز والإشارات، ولما كتم مصنفو الرسائل المذكورة أسماءهم، اختلف الناس في الذي وضعها» اهـ. انظر: معجم المطبوعات (١/ ٤١٠).

(٥) هذا كلام بعيد؛ لأن كتاب مسلمة هذا يعرف بـ«الرسائل الجامعة ذات الفوائد النافعة» وعرف أيضًا باسم «رسائل إخوان الصفا»، فظنه بعضهم «رسائل إخوان الصفا» المشهورة، وليس هو إياه، وإن سار في هذا الكتاب على طريقتهم.
أما مسلمة هذا: فهو مسلمة بن أحمد بن القاسم بن عبد الله المجريطي، فيلسوف رياضي فلكي، كان إمامًا بالأندلس، وكان أوسعهم إحاطة بعلم الأفلاك وحركات النجوم، وعنه أخذ كثير من الفلاسفة. مات سنة (٣٣٨هـ). =

الحكمة من الإلهيات والطبيعيات والهندسة والتنجيم وعلوم الكيمياء وغيرها وإليه انتهى علم الحكمة بالأندلس وعنه أخذ حكماؤها وتوفي سنة ٣٥٣، وممن ذكره ابن بشكوال[(١)] وكتابه فيه أشياء حكمية وفلسفية وشرعية»[(٢)] انتهى.

= من آثاره: «ثمار العدد» في الحساب، و«رتبة الحكيم»، وكتاب «الأحجار»، وغيرها.
أما «رسائل إخوان الصفا» المشهورة فليست له لما يلي:
الأول: جزم بعض المحققين المشاهير بأنها ليست له، منهم أحمد زكي باشا في مقدمة الجزء الأول من هذه الرسائل، وفي أعيان الشيعة (٩/ ٢٥٤): «وله كتاب باسم المطبوع ولكنه غيره».
الثاني: أن هذه الرسائل فيها زندقة وكفر وإلحاد، وقد سبق نقلنا كلام بعض المؤرخين عن هؤلاء الذين وضعوا هذه الرسائل بأنهم أخفوا أسماءهم، فكيف يكون مؤلفها مشهورًا في بلد الأندلس المشهورة في ذلك الوقت بكثرة علمائها بعيدًا عن الدولة العبيدية الكافرة؟!، وخصوصًا أنك لا تكاد تنظر في ترجمة عالم من علماء الفلسفة في القرن الرابع إلا وتجد أنه قد تلقى عن أبي القاسم هذا.
الثالث: اشتهار الكتاب باسم الرسائل الجامعة.
الرابع: أنه كان في الأندلس، وهؤلاء الذين وضعوها إنما كانوا في دولة بني عبيد، واشتهرت بعد ظهور دولتهم.
الخامس: أني لم أجد من نسب هذا الرجل لاعتقاد الباطنية، وإنما ذكروا أنه كان فيلسوفًا رياضيًا، وليس كل فيلسوف لابد أن يكون باطنيًا، فإن الغزالي وإمام الحرمين والرازي وغيرهم من الفلاسفة -على ما فيهم- ليسوا باطنية. والله أعلم.

(١) خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال القرطبي، إمام حافظ محدث، مات سنة (٥٧٨هـ). انظر: السير (٢١/ ١٣٩).

(٢) لم أجده في الصلة لابن بشكوال، وإنما الذي ذكره ابن الفرضي والحميدي: «مسلمة بن القاسم بن إبراهيم»، وذكرا أنه كان محدثًا سمع كثيرًا ورحل في الطلب، لكن ذكر ابن حجر في اللسان (٦/ ٧١٦): أن مسلمة ابن القاسم القرطبي، كان في أيام المستنصر الأموي، وكان ضعيفًا، وقيل: كان من المشبهة، ورد الحافظ ذلك، ورجح قول القاضي محمد بن أحمد بن يحيى أنه لم يكن كذابًا، وإنما كان ضعيف العقل، فلعله اشتبه الأول بهذا، وليس هو قطعًا، والله أعلم. انظر: جذوة المقتبس للحميدي (ص٣٤٧)، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/ ١٢٨)، لسان الميزان لابن حجر (٦/ ٧١٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في المنهاج[١]: «حتى إن طائفة من الناس يظنون أن رسائل إخوان الصفا مأخوذة عن جعفر الصادق، وهذا من الكذب المعلوم، فإن جعفرًا توفي سنة ثمان وأربعين ومائة، وهذه الرسائل وضعت بعد ذلك بنحو مائتي سنة، وضعت لما ظهرت دولة الإسماعلية الباطنية الذين بنوا القاهرة المعزية سنة بضع وخمسين وثلاثمائة وفي تلك الأوقات صنفت هذه الرسائل بسبب ظهور هذا المذهب الذي ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض.

فأظهروا اتباع الشريعة وأن لها باطنًا مخالفًا لظاهرها وباطن أمرهم مذهب الفلاسفة وعلى هذا الأمر وضعت هذه الرسائل وضعها طائفة من المتفلسفة معروفون وقد ذكروا في أثنائها ما استولى عليه النصارى من أرض الشام وكان أول ذلك بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة النبوية في أوائل المائة الرابعة» انتهى كلامه.

قال الناظم:

فلذاك حكمنا عليه وأنتم قول المعلم أولا والثاني

المعلم الأول أرسطاطاليس[٢] (د/١٠٤ب) والمعلم الثاني هو أبو نصر الفارابي وهو وأبو نصر محمد بن محمد بن طرخان[٣] التركي صاحب (ع/١٦١ب) المصنفات

---

(١) انظر: منهاج السنة (٤/ ٥٤).

(٢) فيلسوف يوناني، ولد سنة (٣٨٤ ق.م)، وتتلمذ على يد أفلاطون، وعلم الإسكندر الأكبر ملك مقدونية، وكان يحاضر ماشيًا فسمي هو وأتباعه المشائين، من آثاره: كتاب «الطبيعة» مات سنة (٣٢٢ق.م). انظر: أخبار الحكماء لابن القفطي (ص٢٢-٢٦)، والموسوعة العربية الميسرة (ص١١٧).

(٣) أحد الأذكياء المناطقة، وهو من شيوخ الفلاسفة، وله تصانيف مشهورة، منها تخرج ابن سينا، مات سنة (٣٣٩هـ). انظر: السير (١٥/ ٤١٦).

المشهورة في المنطق والحكمة والموسيقى التي من ابتغى الهدى فيها أضله الله مات سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وله نحو ثمانين سنة[(١)].

قوله:

يا ويح جهم وابن درهم والألى	قالوا بقولهما من الخوران

هذا على سبيل التهكم وإلزام جهم والجعد بن درهم التناقض، أي إن الجهم يقول إن الله يسمع ويرى ويعلم ويثبت المشيئة والعلم لله ومع ذلك ينفي التجسيم أي فالتجسيم لازم له إذا أثبت هذه الصفات وهذا من الخور أي الضعف[(٢)].

---

(١) لم يشرح المؤلف هذا البيت، ومعناه: أن هؤلاء المعطلة إذا أرادوا التحاكم لجأوا إلى كتب الملاحدة أمثال ابن سينا والفارابي، مع أن ما فيها يناقض ما جاء في الشريعة المحمدية، بل يناقض ما جاء في شرائع الأنبياء جميعًا. نعوذ بالله من الكفر وأهله.
انظر: شرح النونية لخليل هراس (١/ ٩٨).

(٢) لم يشرح المؤلف هذا البيت وما بعده من الأبيات شرحًا وافيًا فنقول: في هذا البيت وما بعده دليل على أن جهمًا يثبت بعض الصفات التي يرى أنه لا يقع فيها التشبيه بين الخالق والمخلوق، كالخلق والإيجاد والقدرة، فأراد الناظم أن يبين تناقضه، فأورد عليه قول هذا الزنديق الذي تهكم بالجهم بأنه بإثباته بعض الصفات وقع في التجسيم الذي فرَّ منه، مع أن طريقته في إثباتها كفر وضلال كما سيأتي.
قال الناظم عن جهم:

ينفي الصفات مخافة التجسيم لا	يلوي على خبر ولا قرآن
ويقول ان الله يسمع أو يرى	وكذاك يعلم سر كل جنان
ويقول ان الله قد شاء الذي	هو كائن من هذه الأكوان
ويقول إن الفعل مقدور له	والكون ينسبه إلى الحدثان
وينفيه إلى التجسيم يصرخ في الورى	والله ما هذان متفقان

حكى البغدادي في الفرق بين الفرق (ص١٩٩): «أن جهمًا قال لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز، وزعم أن علم الله تعالى حادث، ووصفه بأنه قادر وموجود وفاعل وخالق ومحيي ومميت لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده وقال بحدوث كلام الله...». فلم يثبتها كما ينبغي ووقع التجسيم الذي فرَّ منه، ولذلك نفاها الجهمية المتأخرون حذرًا من التناقض فكانوا أشد تعطيلًا.
انظر: الكافية الشافية (١/ ١٧٨).

قوله:

ياويح ....

ويح كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها.

قال في القاموس[1]: «ويح لزيد وويحًا له كلمة رحمة ورفعه على الابتداء ونصبه بإضمار فعل وويح زيد وياويحه بنصبهما أيضًا وويحا زيد بمعناه وأصله (وي) فوصلت بحاء مرة وبلام مرة» انتهى.

قال شيخ الإسلام في كتابه التسعينية[2]: «وكذلك الجهمية على ثلاث درجات: فشرها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته وإن سموه بشيء من أسمائه الحسنى.

قالوا: هو مجاز فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا يكلم ولا يتكلم وكذلك وصف العلماء حقيقة قولهم كما ذكره الإمام أحمد فيما خرجه في الرد على الزنادقة والجهمية[3] قال: فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئًا لكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية.

فإذا قيل لهم: فمن تعبدون

قالوا: نعبد من يدبر هذا الخلق.

فقلنا: فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة.

قالوا: نعم.

قلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئًا إنما تدفعون عن انفسكم الشنعة بما تظهرون.

---

(١) انظر: القاموس (ص٣١٦).

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى (٥/ ٤٨).

(٣) انظر: درء التعارض (٥/ ١٧٧).

فقلنا لهم: هذا الذي يدبر (د/ ١٠٥أ) هو الذي كلم موسى.

قالوا: لم يتكلم ولا يتكلم، لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة والجوارح عن الله منفية.

وإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله ولا يعلم أنهم إنما يقودهم قولهم إلى ضلال وكفر.

قال: وقال أبو الحسن الأشعري في المقالات(١): «الحمد لله الذي بصرنا خطأ المخطئين وعمى العمين وحيرة المتحيرين الذين نفوا صفات رب العالمين وقالوا: إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لا صفات له ولا علم له ولا قدرة له ولا حياة له ولا سمع له ولا بصر له (ع/ ١٦٢أ) ولاعزة له ولا جلال له ولا عظمة له ولا كبرياء له وكذلك قالوا في سائر صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه.

قال: وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعًا لم يزل ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير ولا قدير وعبروا عنه بأن قالوا نقول عين لم يزل ولم يزيدوا على ذلك.

غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره فأظهروا معناه، فنفوا أن يكون للباري علم وقدرة وحياة وسمع وبصر ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره من ذلك وأفصحوا به غير أن الخوف يمنعهم من أظهار ذلك.

قال: وقد أفصح بذلك رجل يعرف بابن الأيادي(٢) كان ينتحل قولهم فزعم أن الباري عالم قادر سميع بصير في المجاز لا في الحقيقة.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١٧٦).

(٢) أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري ثم البغدادي ; الجهمي،المعروف بابن أبي دؤاد، =

وهذا القول الذي هو قول الغالية النفاة للأسماء حقيقة هو قول القرامطة الباطنية[(١)] ومن سبقهم من إخوانهم الصابئة الفلاسفة.

والدرجة الثانية من التجهم: هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته، وهم أيضًا لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة بل يجعلون كثيرًا منها على المجاز وهؤلاء هم الجهمية المشهورون[(٢)].

وأما الدرجة الثالثة: فهم الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية لكن فيهم نوع (د/١٠٥ب) من التجهم كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية وغير الخبرية» إلى آخر ما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وقد تقدم ما ذكره شيخ الإسلام في موضع آخر: «والجهم هو أعظم الناس نفيًا للصفات بل وللأسماء الحسنى، قوله من جنس قول الباطنية القرامطة حتى ذكروا عنه أنه لا يسمي الله شيئًا ولا غير ذلك من الأسماء التي يسمى بها المخلوق لأن ذلك بزعمه من التشبيه الممتنع وهذا قول القرامطة الباطنية وحكي عنه أنه لا يسميه إلا قادرًا فاعلًا لأن العبد عنده ليس بقادر ولا فاعل إذ كان هو رأس المجبرة انتهى كلامه.

=عدو الإمام أحمد بن حنبل، كان داعية إلى خلق القرآن، مات سنة (١٤٠هـ). السير (١١/ ١٦٩).

(١) جميع الباطنية في باب الصفات على طريقة الجهمية، لايثبتون لله شيئًا.

(٢) المعتزلة منشقة عن الجهمية، والمعتزلة هم الذين أحيو مذهبهم، والسلف يسمون كل معطل جهميًا، وكان الإمام أحمد يقول قالت الجهمية، ويريد بهم المعتزلة.

محتويات المجلد الأول

القسم الثاني

التحقيـــق

تم بحمد الله المجلد الأول، ويليه المجلد الثاني

وأوله: «فصل في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن»

المفكرة

المفكرة